الجزء الأول

عجايب الآثار
في التراجم والأخبار

عبد الرحمن الجبرتي

عجايب الآثار في التراجم والأخبار (الجزء الأول)

عجايب الآثار في التراجم والأخبار (الجزء الأول)

تأليف
عبد الرحمن الجبرتي



عجايب الآثار في التراجم والأخبار (الجزء الأول)

عبد الرحمن الجبرتي

رقم إيداع ٢٠١٢ / ١٩٧٥٨
تدمك: ٤ ١٤٩ ٧١٩ ٩٧٧ ٩٧٨

مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة

٥٤ عمارات الفتح، حي السفارات، مدينة نصر ١١٤٧١، القاهرة
جمهورية مصر العربية
تليفون: ٢٢٧٠٦٣٥٢ ٢٠٢ + **فاكس:** ٣٥٣٦٥٨٥٣ ٢٠٢ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: http://www.hindawi.org

تصميم الغلاف: هاني ماهر.

المحتويات

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله القديم الأول، الذي لا يزول ملكه ولا يتحول، خالق الخلايق، وعالم الذرات بالحقايق، مُفني الأمم، ومحي الرمم، ومعيد النعم. ومبيد النقم، وكاشف الغمم، وصاحب الجود والكرم، لا إله إلا هو، كل شيء هالك إلا وجهه، له الحكم وإليه ترجعون، وأشهد أن لا إله إلا الله تعالى عمَّا يشركون، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله إلى الخلق أجمعين، المنزَّل عليه نبأ القرون الأولين، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، ما تعاقبت الليالي والأيام، وتداولت السنين والأعوام.

وبعد: فيقول الفقير عبد الرحمن بن حسن الجبرتي الحنفي. غفر الله له ولوالديه، وأحسن إليهما وإليه: إني كنت سوَّدت أوراقًا في حوادث آخر القرن الثاني عشر وما يليه، وأوايل الثالث عشر الذي نحن فيه. جمعت فيها بعض الوقايع والأمور شاهدناها إجمالية، وأخرى محققة تفصيلية، وغالبها محن أدركناها، وأمور شاهدناها، واستطردت في ضمن ذلك سوابق سمعتها، ومن أفواه الشِّيَخَة تلقيتها، وبعض تراجم الأعيان المشهورين، من الأمراء والعلماء المعتبرين، وذكر لُمع من أخبارهم وأحوالهم، وبعض تواريخ مواليدهم ووفاتهم.

فأحببت جمع شملها، وتقييد شواردها في أوراق متسقة النظام مرتبة على السنين والأعوام؛ ليسهل على الطالب النبيه المراجعة، ويستفيد ما يرومه من المنفعة، ويعتبر المطلع على الخطوب الماضية، فيتأسَّى إذا لحقه مصاب، ويتذكر بحوادث الدهر، إنما يتذكر أولو الألباب، فإنها حوادث غريبة في بابها متنوعة في عجايبها، وسميته «عجايب الآثار في

التراجم والأخبار» وإنا لنرجو ممن اطلع عليه، وحل بمحل القبول لديه أن لا ينسانا من صالح دعواته، وأن يغضي عما عثر عليه من هفواته.

اعلم أن التاريخ علم يُبحث فيه عن معرفة أحوال الطوايف وبلدانهم ورسومهم وعاداتهم وصنايعهم وأنسابهم ووفاتهم، وموضوعه: أحوال الأشخاص الماضية من الأنبيا والأوليا والعلما والحكما والشعرا والملوك والسلاطين وغيرهم، والغرض منه: الوقوف على الأحوال الماضية من حيث هي، وكيف كانت؟ وفايدتُه: العبرة بتلك الأحوال، والتنصُّح بها، وحصول ملكة التجارب بالوقوف على تقلبات الزمن؛ ليحترز العاقل عن مثل أحوال الهالكين من الأمم المذكورة السالفين، ويستجلب خيار أفعالهم، ويتجنب سوء أقوالهم، ويزهد في الفاني، ويجتهد في طلب الباقي.

وأول واضع له في الإسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وذلك حين كتب أبو موسى الأشعري إلى عمر: «إنه يأتينا من قبل أمير المؤمنين كتب لا ندري على أيها نعمل، فقد قرأنا صكًّا محله شعبان فما ندري أيّ الشعبانين، أهو الماضي، أم القابل؟»، وقيل: دُفع لعمر صك محله شعبان فقال: «أي شعبان هذا، هو الذي نحن فيه أو الذي هو آت؟». ثم جمع وجوه الصحابة — رضي الله عنهم — وقال: «إن الأموال قد كثرت، وما قسمناه غير مُوقت، فكيف التوصل إلى ما يضبط به ذلك؟». فقال له الهُرمُزان — وهو ملك الأهواز، وقد أُسر عند فتوح فارس وحمل إلى عمر وأسلم على يديه —: (إن للعجم حسابًا يسمونه «ماه روز»، ويسندونه إلى من غلب عليهم من الأكاسرة) فعربوا لفظة «ماه روز» بـ «مورخ»، ومصدره «التاريخ»، واستعملوه في وجوه (التصريف)، ثم شرح لهم الهرمزان كيفية استعمال ذلك، فقال لهم عمر: «صنفوا للناس تاريخًا يتعاملون عليه وتصير أوقاتهم فيما يتعاطونه من المعاملات مضبوطة». فقال له بعض من حضر من مسلمي اليهود: «لنا حسابًا مثله مسند إلى الإسكندر» فما ارتضاه الآخرون لما فيه من الطول، وقال قوم: نكتب على تاريخ الفرس. قيل إن تواريخهم غير مسندة إلى مبدأ معين، بل كلما قام منهم ملك ابتدأ التاريخ من لدن قيامه وطرحوا ما قبله.

فاتفقوا على أن يجعلوا تاريخ دولة الإسلام من لدن هجرة النبي ﷺ لأن وقت الهجرة لم يختلف فيه أحد بخلاف وقت ولادته ووقت مبعثه ﷺ.

وكان للعرب في القديم من الزمان بأرض اليمن والحجاز تواريخ يتعارفون بها خلفًا عن سلف إلى زمان الهجرة. فلما هاجر ﷺ من مكة إلى المدينة، وظهر الإسلام، وعلت كلمة الله تعالى اتخذت هجرته مبدأ لتاريخها، وسُميت كل سنة باسم الحادثة التي وقعت

فيها، وتدرج ذلك إلى سنة سبعة عشر من الهجرة في زمن عمر، فكان اسم السنة الأولى: سنة الإذن بالرحيل من مكة إلى المدينة، والثانية: سنة الأمر بالقتال ... إلى آخره.

وقال أصحاب التواريخ: «إن العرب في الجاهلية كانت تستعمل شهور الأهلة، وتقصد مكة للحج، وكان حجهم وقت عاشر الحجة، كما رسمه سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام». لكن لما كان لا يقع في فصل واحد من فصول السنة، بل يختلف موقعه منها بسبب الفاضل ما بين السنة الشمسية والقمرية، ووقوع أيام الحج في الصيف تارة، وفي الشتا أخرى، وكذا في الفصلين الآخرين، أرادوا أن يقع حجهم في زمان واحد لا يتغير، وهو وقت إدراك الفواكه والغلال، واعتدال الزمن في الحر والبرد، ويسهل عليهم السفر في البر، ويتجروا بما معهم من البضايع والأرزاق مع قضاء مناسكهم، فشكوا ذلك إلى أميرهم وخطيبهم؛ فقام في الموسم عند إقبال العرب من كل مكان فخطب، ثم قال: «أنا أنشأت لكم في هذه السنة شهرًا أزيده، فتكون السنة ثلاثة عشر شهرًا، وكذلك أفعل في كل ثلاث سنين، أو أقل حسبما يقتضيه حساب وضعته ليأتي حجكم وقت إدراك الفواكه والغلال فتقصدوننا بما معكم منها». فوافقته العرب على ذلك ومضت إلى سبيلها، فنسأ المحرم وجعله كبيسًا، وأخَّر المحرم إلى صفر، وصفر إلى ربيع الأول، وهكذا؛ فوقع الحج في السنة الثانية، في عاشر المحرم، وهو ذو الحجة عندهم، وآخر السنة وقع في السنة محرمان: الأول رأس السنة والآخر في النسيء، وعدة الشهور ثلاثة عشر، وبعد انقضاء سنتين أو ثلاثة، وانتهاء نوبة الكبيس، أي الشهر الذي كان يقع فيه الحج، وانتقاله إلى الشهر الذي بعده، قام فيهم خطيبًا وتكلم بما أراد، ثم قال: «إنا جعلنا الشهر الفلاني من السنة الفلانية الداخلة للشهر الذي بعده».

ولهذا فُسر النسيء بالتأخير كما فُسر بالزيادة، وكانوا يديرون النسيء على جميع شهور السنة بالنوبة، حتى يكون لهم مثلًا في سنة محرمان، وفي أخرى صفران، ومثل هذا بقية الشهور. فإذا آلت النوبة إلى حد الشهر المحرم قام لهم خطيبًا فينبيهم أن هذه السنة تكرر فيها اسم الشهر الحرام، فيحرم عليهم واحدًا منها بحسب رأيه على مقتضى مصلحتهم.

فلما انتهت النوبة في أيام النبي ﷺ في ذي الحجة، وتم دور النسيء على جميع الشهور كانت في تلك السنة حجة الوداع، وهي السنة العاشرة من الهجرة، لموافقة الحج فيها عاشر الحجة، ولهذا لم يحج ﷺ في السنة التاسعة حين حج أبو بكر الصديق — رضي الله عنه — بالناس لوقوعه في عاشر ذي القعدة.

فلما حج ﷺ حجة الوداع خطب وأمر الناس بما يشاء الله تعالى، ومن جملته: «إلا إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض» يعني رجوع الحج إلى الموضع الأول كما كان في زمن إبراهيم صلوات الله تعالى عليه. ثم تلا قوله تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ ۚ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ۚ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً ۚ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ * إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ ۖ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِّيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللهُ ۚ زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ ۗ وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ ومنع العرب من هذا الحساب، وأمر بقطعه والاستمرار بوقوع الحج في أي زمان أتى من فصول السنة الشمسية. فصارت بوقوع الحج بسنينهم دايرة في الفصول الأربع، والحج واقع في كل زمان منها كما كان في زمن إبراهيم عليه السلام.

ثم كونُ حجة الصديق واقعة في القعدة فهو قول طايفة من العلماء، وقال آخرون: بل وقعت حجته أيضًا في ميقاتها من ذي الحجة، وقد رُوي في السُّنَّة ما على ذلك، والله أعلم بالحقايق.

ولما كان علم التاريخ علمًا شريفًا فيه العظة والاعتبار، وبه يقيس العاقل نفسه على من مضى من أمثاله في هذه الدار، وقد قص الله تعالى أخبار الأمم السالفة في أم الكتاب فقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾، وجاء في أحاديث سيد المرسلين كثير من أخبار الأمم الماضين، كحديثه عن بني إسراييل، وما غيروه من التوراة والإنجيل، وغير ذلك من أخبار العرب والعجم، مما يفضي لمتأمله العجب، وقال الشافعي — رضي الله عنه: «من عَلِمَ التاريخ زاد عقله»، وقد قيل شعر:

إذا عرف الإنسان أخبار من مضى ... توهمته قد عاش من أول العمر
وتحسبه قد عاش آخر دهره ... إلى الحشر إن أبقى الجميل من الذكر
فكن عالمًا أخبار من عاش وانقضى ... وكن ذا نوال واغتنم آخر الدهر

ولم تزل الأمم الماضية من حين أوجد الله هذا النوع الإنساني، تعتني بتدوينه سلفًا عن سلف، وخلفًا من بعد خلف، إلى أن نبذه أهل عصرنا وأغفلوه، وتركوه وأهملوه، وعدُّوه من شغل البطالين، وقالوا أساطير الأولين، ولعمري إنهم لمعذورون، وبالأهم مشتغلون، فلا يرضون لأقلامهم المتعبة في مثل هذه المنقبة، فإن الزمان قد انعكست أحواله، وتقلصت ظلاله، وانخرمت قواعده في الحساب، فلا تضبط وقايعه في دفتر ولا كتاب، وإشغال الوقت في غير فايدة ضياع، وما مضى وفات ليس له استرجاع، إلا أن يكون مثل الحقير منزويًا في زوايا الخمول والإهمال منجمعًا عما شُغلوا به من الأشغال، فيشغل نفسه في أوقات من خلواته، ويُسلِّي وحدته بعد سيآت الدهر وحسناته. شعر:

لو بال الدهر في قارورة بان الذي يشكوه للمتطبب

وفن التاريخ علم يندرج فيه علوم كثيرة، لولاه ما ثبتت أصولها، ولا تشعبت فروعها، منها: طبقات المناوي والقراء، والمفسرين والمحدثين، وسير الصحابة والتابعين، وطبقات المجتهدين، وطبقات النحاة والحكماء والأطباء، وأخبار الأنبياء — عليهم الصلاة والسلام — وأخبار المغازي، وحكايات الصالحين، ومسامرة الملوك من القصص والأخبار والمواعظ والعبر والأمثال، وغرايب الأقاليم وعجايب البلدان. ومنه كتب المحاضرات ومفاكهة الخلفاء، وسلوان المطاع، ومحاضرات الراغب.

وأما الكتب المصنفة فيه فكثيرة جدًّا، ذكر منها في «مفتاح السعادة» ألفًا وثلاثماية كتاب، قال في «ترتيب العلوم» — وهذا بحسب إدراكه واستقصايه — وإلا فهي تزيد على ذلك؛ لأنه ما أُلِّفَ في فن من الفنون مثل ما أُلِّفَ في التواريخ، وذلك لانجذاب الطبع إليها، والتطلع على الأمور والمغيبات، ولكثرة رغبة السلاطين لزيادة اعتنايهم بحب التطلع على سير من تقدمهم من الملوك، مع ما لهم من الأحوال والسياسات ... وغير ذلك. فمن الكتب المصنفة فيه «تاريخ ابن كثير» في عدة مجلدات وهو القايل شعرًا:

تمر بنا الأيامُ تترى وإنما نُساق إلى الآجال والعين تنظر

فلا عايد صفو الشباب الذي مضى ولا زايلٌ هذا المشيبُ المكَدَّرُ

و«تاريخ الطبري»، هو أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، مات سنة ثلاثماية وعشر ببغداد، وتاريخ ابن الأثير الجزري المسمى بـ «الكامل» ابتدا فيه من أول الزمان إلى أواخر سنة ثمانٍ وعشرين وستماية.

وله كتاب «أخبار الصحابة» في ستة مجلدات، و«تاريخ ابن الجوزي» وله «المنتظم في تواريخ الأمم»، و«مرآة الزمان» لسبط ابن الجوزي في أربعين مجلدًا، وتاريخ ابن خلكان المسمى: «وفيات الأعيان وأنبا أبناء الزمان» وتواريخ المسعودي، «أخبار الزمان» و«مروج الذهب».

ومِن أَجَلِّ التواريخ: تواريخ الذهبي الكبير والأوسط المسمى: «العبر» والصغير المسمى: «دول الإسلام»، وتواريخ السمعاني، ومنها: «ذيل تاريخ بغداد» لأبي بكر بن الخطيب نحو خمسة عشر مجلدًا، و«تاريخ مرو» يزيد على عشرين مجلدًا، و«الأنساب» في نحو ثماني مجلدات، وتواريخ العلامة ابن حجر العسقلاني، وتاريخ الصفدي، وتواريخ السيوطي، وتاريخ الحافظ ابن عساكر في سبعةٍ وخمسين مجلدًا، وتاريخ اليافعي، وبستان التواريخ ست مجلدات، وتواريخ بغداد، وتواريخ حلب، وتواريخ «أصبهان» للحافظ أبي نعيم، وتاريخ بلخ، وتاريخ الأندلس، والإحاطة في أخبار غرناطة، وتاريخ اليمن، وتاريخ مكة، وتواريخ الشام، وتاريخ المدينة المنورة، وتواريخ الحافظ المقريزي، وهو الكبير المقفى، والسلوك في دول الملوك، والمواعظ والاعتبار في الخطط والآثار ... وغير ذلك.

ونقل في مؤلفاته أسماء تواريخ لم أسمع بأسمايها في غير كتبه مثل تاريخ ابن أبي طي، والمسبحي، وابن المامون، وابن زولاق، والقضاعي.

ومن التواريخ: تاريخ العلامة العيني في أربعين مجلدًا، رأيت منه بعض مجلدات بخطه، وهي ضخمة في قالب الكامل، ومنها تاريخ الحافظ السخاوي: «الضوء اللامع في أهل القرن التاسع» رتبه على حروف المعجم عدة مجلدات، وتاريخ العلامة ابن خلدون في ثماني مجلدات ضخام، ومقدمته مجلد على حدته، من اطلع عليه رأى بحرًا متلاطمًا بالعلوم مشحونًا بنفايس جواهر المنطوق والمفهوم، وتاريخ ابن دقماق، وكتب التواريخ أكثر من أن تحصى، وذكر المسعودي جملة كبيرة منها، وتاريخه لغاية سنة ثلاث وثلاثين وثلثماية، فما ظنك بعد ذلك.

قلت: وهذه صارت أسماء من غير مسميات؛ فإنا لم نرَ ذلك كله، إلا بعض أجزاء مُدشتة بقيت في بعض خزاين كتب الأوقاف بالمدارس، مما تداولته أيدي الصَّحافين وباعها القَوَمَة والمباشرون، ونُقلت إلى بلاد المغرب والسودان. ثم ذهبت بقايا البقايا في الفتن والحروب، وأخذ الفرنسيس ما وجدوه إلى بلادهم.

ولما عزمت على جمع ما كنتُ سوَّدْتُه أردت أن أوصله بشيء قبله، فلم أجد بعد البحث والتفتيش إلا بعض كراريس سوَّدَها بعض العامة من الأجناد، ركيكة التركيب، مختلة التهذيب والترتيب، وقد اعتراها النقص من مواضع في خلال بعض الوقايع، وكنت ظفرت بتاريخ من تلك الفروع، لكنه على نسق بالجملة مطبوع، لشخص يقال له: أحمد جلبي بن عبد الغني، مبتديًا فيه من وقت تملك بني عثمان للديار المصرية، وينتهي كغيره ممن ذكرنا إلى خمسين وماية وألف هجرية. ثم إن ذلك الكتاب استعاره بعض الأصحاب، وزلت به القدم، ووقع في صندوق العدم، ومن ذلك الوقت إلى وقتنا هذا لم يتقيد أحدٌ بتقييد، ولم يسطر في هذا الشان شيًّا يفيد، فرجعنا إلى النقل من أفواه الشيخة المسنين، وصكوك دفاتر الكتبة والمباشرين، وما انتُقش على أحجار ترب المقبورين، وذلك من أول القرن إلى السبعين، وما بعدها إلى التسعين، أمور شاهدناها، ثم نسيناها وتذكرناها، ومنها إلى وقتنا أمور تعقلناها وسطرناها، إلى أن تم ما قصدنا بأي وجه كان، وانتظم ما أردنا استطراده من وقتنا إلى ذلك الأوان.

وسنورد — إن شاء الله تعالى — ما ندركه من الوقايع بحسب الإمكان، والخلو من الموانع، إلى أن يأتي أمر الله، وإن مردنا إلى الله، ولم أقصد بجمعه خدمة ذي جاه كبير، أو طاعة وزير أو أمير، ولم أداهن فيه دولة بنفاق، أو مدح أو ذم مباين للأخلاق؛ لميل نفساني أو غرض جسماني.

وأنا أستغفر الله من وصفي طريقًا لم أسلكه، وتجارتي براس مال لم أملكه.

شعر:

كَمَنْ يَحْدُو وَلَيْسَ لَهُ بَعِيرُ ... وَمَنْ يَرْعَى وَلَيْسَ لَهُ سَوَامُ
وَمَنْ يَسْقِي وَقَهْوَتُهُ سَرَابٌ ... وَمَنْ يَدْعُو وَلَيْسَ لَهُ طَعَامُ

هذا مع اعترافي بقصور الباع وفتور الطباع في قوانين المعاني الغريبة، ودواوين المتاني الأدبية.

ما لي وللأمر الذي قلدته مال الذباب وطعمة العنقاء
أبكي لعجزي، وهو يبكي ذله شتان بين بكائه وبكائي

اعلم أن الله تعالى لما خلق الأرض ودحاها، وأخرج منها ماءها ومرعاها، وبث فيها من كل دابة وقدر أقواتها، أحوج بعض الناس إلى بعض في ترتيب معايشهم ومآكلهم، وتحصيل ملابسهم ومساكنهم؛ لأنهم ليسوا كساير الحيوانات التي تُحصِّلُ ما تحتاج إليه بغير صنعة، فإن الله تعالى خلق الإنسان ضعيفًا لا يستقل وحده بأمر معاشه؛ لاحتياجه إلى غذاء ومسكن ولباس وسلاح، فجعلهم الله تعالى يتعاضدون ويتعاونون في تحصيلها وترتيبها، بأن يزرع هذا لذاك، ويخبز ذلك لهذا، وعلى هذا القياس تتم ساير أمورهم ومصالحهم، وركَّز في نفوسهم الظلم والعدل.

ثم مست الحاجة بينهم إلى سايس عدل، وملك عالم، يضع بينهم ميزانًا للعدالة وقانونًا للسياسة، توزن به حركاتهم وسكناتهم، وترجع إليه طاعتهم ومعاملاتهم، فأنزل الله كتابه بالحق وميزانًا بالعدل، كما قال تعالى: ﴿اللهُ الَّذِي أَنزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ﴾. قال علماء التفسير: المراد بالكتاب والميزان العلم والعدل، وكانت مباشرة هذا الأمر من الله بنفسه من غير واسطة وسبب. على خلاف ترتيب المملكة، وقانون الحكمة، فاستخلف فيها من الآدميين خلايف، ووضع في قلوبهم العلم والعدل؛ ليحكموا بهما بين الناس، حتى يصدر تدبيرهم عن دين مشروع، وتجتمع كلمتهم على رأي متبوع، ولو تنازعوا في وضع الشريعة؛ لفسد نظامهم، واختل معاشهم.

فمعنى الخلافة: هو أن ينوب أحد مناب آخر في التصرف، واقفًا على حدود أوامره ونواهيه، وأما معنى العدالة: فهي خلق في النفس، أو صفة في الذات تقتضي المساواة؛ لأنها أكمل الفضايل، لشمول أثرها وعموم منفعتها كل شيء، وإنما يسمى الإنسان عادلًا لما وهبه الله قسطًا من عدله، وجعله سببًا وواسطة لإيصال فيض فضله، واستخلفه في أرضه بهذه الصفة حتى يحكم بين الناس بالحق والعدل، كما قال تعالى: ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ﴾، وخلايف الله هم القايمون بالقسط والعدالة في طريق الاستقامة، ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾.

والعدالة تابعة للعلم بأوساط الأمور، المعبر عنها في الشريعة بالصراط المستقيم، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾، إشارة إلى أن العدالة الحقيقية ليست إلا لله تعالى، فهو العادل الحقيقي الذي لا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، ووضع كل شيء على مقتضى علمه الكامل وعدله الشامل، وقوله ﷺ: «بالعدل قامت السموات والأرض»، إشارةً إلى عدل الله تعالى الذي جعل لكل شيء قدرًا، لو فرض زايدًا عليه، أو ناقصًا عنه، لم ينتظم الوجود على هذا النظام بهذا التمام والكمال.

تتمة عليها مدار هذا الباب، والله الهادي إلى طريق الصواب

أصناف العدل من الخلايق خمسة، رفع الله بعضهم فوق بعض درجات، كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾:

الأول: الأنبياء — عليهم الصلاة والسلام — فهم أولياء الأمة وعُمُد الدين، ومعادن حكم الكتاب، وأمناء الله في خلقه، وهم السرُج المنيرة على سبل الهدى، وحملة الأمانة عن الله إلى خلقه بالهداية، بعثهم رسلًا إلى قومهم، وأنزل معهم الكتاب والميزان، ولا يتعدون حدود ما أنزل الله إليهم من الأوامر والزواجر، إرشادًا وهداية لهم، حتى يقوم الناس بالقسط والحق، ويخرجونهم من ظلمات الكفر والطغيان إلى نور اليقظة والإيمان، وهم سبب نجاتهم من دركات جهنم إلى درجات الجِنان، وميزان عدالة الأنبياء — عليهم الصلاة والسلام — الذين وصاهم الله بإقامته في قوله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا﴾.

فكل أمر من أمور الخلايق دنيا وأخرى، عاجلًا وآجلًا، قولًا وفعلًا، حركةً وسكونًا، جارٍ على نهج العدالة ما دام موزونًا بهذا الميزان، ومنحرف عنها بقدر انحرافه عنه، ولا تصح الإقامة بالعدالة إلا بالعلم، وهو اتباع أحكام الكتاب والسنة.

الثاني: العلماء الذين هم ورثة الأنبياء، فهم فهموا مقامات القدوة من الأنبياء، وإن لم يعطوا درجاتهم، واقتدوا بهداهم، واقتفوا آثارهم؛ إذ هم أحباب الله وصفوته من خلقه، ومشرق نور حكمته. فصدقوا بما أتوا به، وساروا على سبيلهم، وأيدوا دعوتهم، ونشروا حكمتهم كشفًا وفهمًا، ذوقًا وتحقيقًا، إيمانًا وعلمًا بكامل المتابعة لهم ظاهرًا وباطنًا، فلا يزالون مواظبين على تمهيد قواعد العدل، وإظهار الحق، برفع

منار الشرع، وإقامة أعلام الهدى والإسلام، وإحكام مباني التقوى برعاية الأحوط في الفتوى، تزهدًا للرخص؛ لأنهم أمناء الله في العالم، وخلاصة بني آدم، مخلصون في مقام العبودية، مجتهدون في اتباع أحكام الشريعة، من باب الحبيب لا يبرحون، ومن خشية ربهم مشفقون، مقبلون إلى الله تعالى بطهارة الأسرار، وطايرون إليه بأجنحة العلم والأنوار، هم أبطال ميادين العظمة، وبلابل بساتين العلم والمكالمة، ﴿أُولَـٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ * الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾، وتلذذوا بنعيم المشاهدة، ولهم عند ربهم ما يشتهون.

وما ظهر في هذا الزمان من الاختلال في حال البعض من حب الجاه والمال والرياسة والمنصب والحسد والحقد، لا يقدح في حال الجميع؛ لأنه لا يخلو الزمان من محقيهم، وإن كثر المبطلون، ولكنهم أخفياء مستورون تحت ثياب الخمول، لا تكشف عن حالهم يد الغيرة الإلهية والحكمة الأزلية، وهم آحاد الأكوان، وأفراد الزمان، وخلفاء الرحمن، وهم مصابيح الغيوب، مفاتيح أقفال القلوب، وهم خلاصة خاصة الله من خلقه، وما برحوا أبدًا في مقعد صدقه، بهم يهتدي كل حيران، ويرتوي كل ظمآن؛ وذلك أن مطلع شمس مشارق أنوارهم مقتبس من مشكاة النبوة المصطفوية، ومعدن شجرة أسرارهم مؤيد بالكتاب والسنة، لا أحصي ثناءً عليهم، أفض اللهم علينا مما لديهم.

الثالث: الملوك وولاة الأمور، يراعون العدل والإنصاف بين الناس والرعايا، توصلًا إلى نظام المملكة، وتوسلًا إلى قِوام السلطنة؛ لسلامة الناس في أموالهم وأبدانهم، وعمارة بلدانهم، لولا قهرهم وسطوتهم؛ لتسلط القوي على الضعيف، والدني على الشريف.

فرأس المملكة وأركانها، وثبات أحوال الأمة وبنيانها: العدل والإنصاف، سواء كانت الدولة إسلامية أو غير إسلامية، فهما أساس كل مملكة، وبنيان كل سعادة ومكرمة. فإن الله تعالى أمر بالعدل، ولم يكتفِ به حتى أضاف إليه الإحسان، فقال تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ لأن بالعدل ثبات الأشياء ودوامها، وبالجور والظلم خرابها وزوالها، فإن الطباع البشرية مجبولة على حب الانتصاف من الخصوم، وعدم الإنصاف لهم، والظلم والجور كامن في النفوس لا يظهر إلا بالقدرة، كما قيل:

والظلم من شيم النفوس فإن تجد ... ذا عفة فلعله لا يظلم

فلولا قانون السياسة وميزان العدالة، لم يقدر مصلٍّ على صلاته، ولا عالم على نشر علمه، ولا تاجر على سفره، ولله در عبد الله بن المبارك حيث قال:

لولا الخلافة ما قامت لنا سبلُ　　وكان أضعفنا نهبًا لأقوانا

فإن قيل: فما حد الملك العادل؟ قلنا: هو ما قال العلماء بالله: «من عدل بين العباد، وتحذر عن الجور والفساد» حسبما ذكره رضيٌّ الصوفي في كتابه المسمى: «قلادة الأرواح وسعادة الأفراح» عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «عدل ساعة خير من عبادة سبعين سنة قيام ليلها وصيام نهارها»، وفي حديث آخر: «والذي نفس محمد بيده، إنه ليُرفع للملك العادل إلى السماء مثلُ عمل الرعية، وكل صلاة يصليها تعدل سبعين ألف صلاة» وكأن الملك العادل قد عبد الله بعبادة كل عابد، وقام له بشكر كل شاكر، فمن لم يعرف قدر هذه النعمة الكبرى، والسعادة العظمى، واشتغل بظلمه وهواه، يُخاف عليه بأن يجعله الله من جملة أعدايه، وتعرض إلى أشد العذاب، كما روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن أحب الناس إلى الله تعالى يوم القيامة، وأقربهم منه: إمام عادل، وإن أبغض الناس إلى الله تعالى وأشدهم عذابًا يوم القيامة: إمام جاير». فمن عدل في حكمه وكف عن ظلمه، نصره الحق وأطاعه الخلق، وصفت له النعماء، وأقبلت عليه الدنيا، فتَهَنَّأ بالعيش، واستغنى عن الجيش، وملك القلوب، وأمن الحروب، وصارت طاعته فرضًا، وظلت رعيته جندًا؛ لأن الله تعالى ما خلق شيًّا أحلى مذاقًا من العدل، ولا أروح إلى القلوب من الإنصاف، ولا أمرَّ من الجور، ولا أشنع من الظلم.

فالواجب على الملك وعلى ولاة الأمور أن لا يقطع في باب العدل إلا بالكتاب والسنة؛ لأنه يتصرف في مُلك الله، وعباد الله بشريعة نبيه ورسوله، نيابة عن تلك الحضرة، ومُسْتَخْلَفًا عن ذلك الجناب المقدس، ولا يأمن من سطوات ربه وقهره فيما يخالف أمره، فينبغي أن يَحْتَرِزَ عن الجور والمخالفة والظلم والجهل؛ فإنه أحوجُ الناس إلى معرفة العلم، واتباع الكتاب والسنة، وحفظ قانون الشرع والعدالة، فإنه منتصب لمصالح العباد، وإصلاح البلاد، وملتزم فصل خصوماتهم، وقطع النزاع بينهم، وهو حامي الشريعة بالإسلام، فلا بد من معرفة أحكامها، والعلم بحلالها وحرامها؛ ليتوصل بذلك إلى إبراء ذمته، وضبط مملكته وحفظ رعيته، فيجتمع له مصلحة دينه ودنياه،

وتمتلئ القلوب بمحبته والدعا له، فيكون ذلك أقوم لعمود ملكه، وأدوم لبقائه، وأبلغُ الأشياء في حفظ المملكة: العدلُ والإنصافُ على الرعية.

وقيل لحكيم: «أيما أفضل، العدل أم الشجاعة؟» فقال: «من عدل استغنى عن الشجاعة؛ لأن العدل أقوى جيش وأهنأ عيش».

وقال الفُضيل بن عياض: «النظر إلى وجه الإمام العادل عبادة، وإن المقسطين عند الله على منابر من نور يوم القيامة عن يمين الرحمن».

قال سفيان الثوري: «صِنفان إذا صلحا صلحت الأمة، وإذا فسدا فسدت الأمة: الملوك والعلماء»، والملك العادل هو الذي يقضي بكتاب الله — عز وجل — ويشفق على الرعية شفقة الرجل على أهله.

روى ابن يسار عن أبيه، أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أيما والٍ ولي من أمر أمتي شيئًا، فلم ينصح لهم، ويجتهد كنصيحته وجَهده لنفسه، كبه الله على وجهه يوم القيامة في النار».

الرابع: أوساط الناس، يراعون العدل في معاملاتهم، وأُروش جناياتهم بالإنصاف منهم، يكافيؤن الحسنة بالحسنة، والسيئة بمثلها.

الخامس: القايمون بسياسة نفوسهم، وتعديل قواهم، وضبط جوارحهم، وانخراطهم في سلك العدول؛ لأن كل فرد من أفراد الإنسان مسئول عن رعاية رعيته، التي هي جوارحه وقواه كما ورد: «كلكم راعٍ، وكلكم مسئول عن رعيته» وكما قيل: «صاحب الدار مسئول عن أهل بيته وحاشيته»، ولا تؤثر عدالة الشخص في غيره، ما لم تؤثر أولًا في نفسه؛ إذ التأثير في البعيد قبل القريب بعيد، وقوله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾ دليل على ذلك. والإنسان متصف بالخلافة، لقوله تعالى: ﴿وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾.

ولا تصح خلافة الله إلا بطهارة النفس، كما أن أشرف العبادات لا تصح إلا بطهارة الجسم، فما أقبح المرء أن يكون حُسن جسمه باعتبار قبح نفسه. كما قال حكيم لجاهل صبيح الوجه: «أما البيت فحسن وأما ساكنه فقبيح».

وطهارة النفس شرط في صحة الخلافة وكمال العبادة، ولا يصح نجس النفس لخلافة الله تعالى، ولا يكمل لعبادته وعمارة أرضه إلا من كان طاهر النفس، قد أزيل رجسه ونجسه، فللنفس نجاسة، كما أن للبدن نجاسة، فنجاسة البدن يمكن

إدراكها بالبصر، ونجاسة النفس لا تُدرك إلا بالبصيرة، كما أشار بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾.

فإن الخلافة هي الطاعة، والاقتدار على قدر طاقة الإنسان في اكتساب الكمالات النفسية والاجتهاد بالإخلاص في العبودية، والتخلق بأخلاق الربوبية، ومن لم يكن طاهر النفس لم يكن طاهر الفعل. فكل إناء بالذي فيه ينضح، ولهذا قيل: «من طابت نفسه طاب عمله، ومن خبثت نفسه خبث عمله».

وقيل في قوله ﷺ: «لا تدخل الملايكة بيتًا فيه كلب» أنه أشار بالبيت إلى القلب، وبالكلب إلى النفس الأمارة بالسوء، وإلى الغضب والحرص والحسد وغيرها، من الصفات الذميمة الراسخة في النفس، ونبه بأن نور الله لا يدخل القلب إذا كان فيه ذلك الكلب، كما قيل:

ومن يربُط الكلب العقور ببابه   فَعَقْرُ جميع الناس من رابط الكلب

وإلى الطهارتين أشار بقوله تعالى: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ * وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾، وأما الذي تطهر به النفس حتى تصلح للخلافة وتستحق به ثوابه، فهو العلم والعبادة الموظفة اللذان هما سبب الحياة.

اعلم أن الإنسان من حيث الصورة التخطيطية كصورة في جدران، وإنما فضيلته بالنطق والعلم.

لهذا قيل: «ما الإنسان لولا اللسان إلا بهيمة مهملة، أو صورة ممثلة». فبقوة العلم والنطق والفهم يُضارع المَلَكَ، وبقوة الأكل والشرب والشهوة والنكاح والغضب يُشبه الحيوان. فمن صرف همته كُلَّهَا إلى تربية القوة الفكرية بالعلم والعمل، فقد لحق بأفق المَلَك، فيسمى: ملكًا وربانيًّا، كما قال تعالى: ﴿إِنْ هَـٰذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾، ومن صرف همته كلها إلى تربية القوة الشهوانية باتباع اللذات البدنية، يأكل كما تأكل الأنعام، فحقيق أن يُلحق بالبهايم، إمَّا غمرًا كثور، أو شرهًا كخنزير، أو عقورًا ككلب، أو حقودًا كجمل، أو متكبرًا كنمر، أو ذا حيلة ومكر كثعلب، أو يجمع ذلك كله فيصير كشيطان مريد، وإلى ذلك الإشارة بقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾، وقد يكون كثير من الناس مَن صورته صورة إنسان، وليس في الحقيقة إلا كبعض الحيوان؛ قال الله تعالى: ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾.

شعر:

مثل البهايم جَهْلًا جَلَّ خالقُهم　　　لهُم تَصاويرُ لم يُقْرنْ بهنَّ حِجَا

وصل: من نصائح الرشاد لصالح العباد

اعلم أن سبب هلاك الملوك: اطِّراح ذوي الفضايل، واصطناع ذوي الرذايل، والاستخفاف بعظة الناصح، والاعتزاز بتزكية المادح، من نظر في العواقب سلم من النوايب، وزوال الدول باصطناع السِّفَل، ومن استغنى بعقله ضل، ومن اكتفى برأيه زَلَّ، ومن استشار ذوي الألباب سلك سبيل الصواب، ومن استعان بذوي العقول فازَ بدرك المأمول، من عدل في سلطانه استغنى عن أعوانه، عدل السلطان أنفع للرعية من خصب الزمان، المُلكُ يَبقى على الكفر والعدل، ولا يبقى على الجور والإيمان، ويُقال: حقٌّ على من مَلَّكَهُ الله على عباده، وحكَّمه في بلاده أن يكون لنفسه مالكًا، وللهوى تاركًا، وللغيظ كاظمًا، وللظلم هاضمًا، وللعدل في حالتي الرضا والغضب مظهرًا، وللحق في السر والعلانية مُؤثِرًا، وإذا كان كذلك ألزم النفوس طاعته، والقلوب محبته، وأشرق بنور عدله زمانه، وكثر على عدوه أنصاره وأعوانه، ولقد صَدَق من قال:

يا أيها الملكُ الذي　　　بصلاحه صلُح الجميع
أنت الزمان فإن عدلـ　　　ـت فكله أبدًا ربيع

وقال عمرو بن العاص: «ملك عادل خير من مطر وابل، من كثر ظلمه واعتداؤه قرب هلاكه وفناؤه».

موعظة: كل محنة إلى زوال، وكل نعمة إلى انتقال. شعر.

رأيت الدهر مختلفًا يدور　　　فلا حزن يدوم ولا سرور
وشيدت الملوكُ به قصورًا　　　فما بقي الملوك ولا القصور

وقال المأمون:

يبقى الثناء وتَنْفَذُ الأموالُ ولكل وقت دولةٌ ورجالُ

من كبرت همته كثرت قيمته. لا تثق بالدولة فإنها ظل زايل، ولا تعتمد على النعمة فإنها ضيف راحل. فإن الدنيا لا تصفو لشارب، ولا تفي لصاحب.

كتب عمر بن عبد العزيز إلى الحسن البصري: انصحني. فكتب إليه: «إن الذي يصحبك لا ينصحك، والذي ينصحك لا يصحبك»، وسأل معاوية الأحنف بن قيس وقال له: «كيف الزمان؟» فقال: «أنت الزمان، إن صلحت صلح الزمان، وإن فسدت فسد الزمان». آفة الملوك سوء السيرة، وآفة الوزراء خبث السريرة، وآفة الجند مخالفة القادة، وآفة الرعية مخالفة السادة، وآفة الرؤساء ضعف السياسة، وآفة العلماء حب الرياسة، وآفة القضاة شدة الطمع، وآفة العدول قلة الورع، وآفة القوي استضعاف الخصم، وآفة الجريء إضاعة الحزم، وآفة المنعم قبح المنِّ، وآفة المذنب حسن الظن، والخلافة لا يصلحها إلا التقوى، والرعية لا يصلحها إلا العدل. فمن جارت قضيته ضاعت رعيته، ومن ضعفت سياسته بطلت رياسته، ويُقال: شيئان إذا صلح أحدهما صلح الآخر: السلطان والرعية، ومن كلام بعض البلغاء: «خير الملوك من كَفَى وكَفَّ، وعَفَا وعَفَّ».

وقال الشاعر في بعض ولاة بني مروان:

إذا ما قضيتم ليلكم بمنامكم وأفنيتمُو أيامكم بمُدامِ
فمن ذا الذي يغشاكم في مُلمةٍ ومن ذا الذي يلقاكم بسلام
رضيتم من الدنيا بأيسر بُلْغَةٍ بلثْم غلام، أو بشرب مُدام
ألم تعلموا أن اللسانَ موَكَّل بمدح كرام، أو بذم لئام

قال وهب بن مُنبه: «إذا هَمَّ الوالي بالجور، أو عمل به، أدخل الله النقص في أهل مملكته، حتى في التجارات والزراعات، وفي كل شيء، وإذا هَمَّ بالخير، أو عمل به، أدخل الله البركة على أهل مملكته حتى في التجارات والزراعات، وفي كل شيء، ويعم البلاد والعباد».

ولنقبض عنان العبادات النقلية في أرض الإشارات العقلية المقتطفة من نظم السلوك في مسامرة الملوك، وغرر الخصايص وعرر النقايص، وهو باب واسع كثير المنافع، وملاك الأمر في ذلك حسن القابلية، وأن تكون مرآة القلب غير صدية، كما قيل:

إذا كان الطباعُ طباعَ سوء فليس بنافع أدب الأديب

وقيل: الأخلاق وإن كانت عزيزة، فإنه يمكن تطبعها بالرياضة والتدريب والعادة، والفرق بين الطبع والتطبع: أن الطبع جاذب منفعل، والتطبع مجذوب مفتعل، وتتفق نتايجهما مع التكلف، ويُفترق تأثيرهما مع الاسترسال، وقد يكون في الناس من لا يقبل طبعه العادة الحسنة، ولا الأخلاق الجميلة، ونفسه مع ذلك تتشوق إلى المنقبة، وتتآنف من المثلبة. لكن سلطان طبعه يابى عليه، ويستعصي عن تكليف ما ندب إليه، يختار العطل منها على التحلي، ويستبدل الحزن على فواتها بالتسلي، فلا ينفعه التأنيب، ولا يردعه التأديب، وسبب ذلك ما قرره المتكلمون في الأخلاق من أن الطبع المطبوع أملك للنفس التي هي محله، لاستيطانه إياها وكثرة إعانته لها، والذي يطرأ على المحل غريب عنه. قال الشاعر:

ومن يبتدِعْ ما ليس من خِيم نفسه يَدَعْهُ، ويَغْلِبْه على النفس خِيمها

وأما الذي يجمع الفضايل والرذايل، فهو الذي تكون نفسه الناطقة متوسطة الحال بين اللؤم والكرم، وقد تُكتسب الأخلاق من معاشرة الأخلاء، إما بالصلاح أو بالفساد، فرب طبعٍ كريم أفسدته معاشرة الأشرار، وطبعٍ لئيم أصلحته مصاحبة الأخيار، وقد ورد عن النبي ﷺ أنه قال: «المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل»، وقال علي رضي الله عنه لولده الحسن: «الأخ رقعة في ثوبك، فانظر بم ترقعه»، وقال بعض الحكما في وصية لولده: «احذر مقارنة ذوي الطباع المرذولة، لئلا تسرق طباعُك طباعهم وأنت لا تشعر»، وأنشده:

واصحب الأخيار، وارغب فيهم ربَّ من صاحبته مثل الجرب

وأما إذا كان الخليل كريم الأخلاق، شريف الأعراق، حسن السيرة، طاهر السريرة، فبه في محاسن الشيم يُقتدى، وبنجم رشده في طريق المكارم يُهتدى، وإذا كان سيئ

الأخلاق والأعمال، خبيث الأقوال كان المغتبط به كذلك، ومع هذا فواجب على العاقل اللبيب والفطن الأريب أن يجهد نفسه حتى يحوزَ الكمال بتهذيب خلايقه، ويكتسي حلل الجمال بدماثة شمايله وحميد طرايقه.

وقال عمرو بن العاص: «المرء حيث يجعل نفسه، إن رفعها ارتفعت وإن وضعها اتوضعت»، وقال بعض الحكما: «النفس عَرُوفٌ عَزُوفٌ وَنَفُورٌ أَلُوفٌ، متى ردعتها ارتدعت، ومتى حملتها حملت، وإن أصلحتها صلحت، وإن أفسدتها فسدت».

وقال الشاعر:

وما النفس إلا حيث يجعلها الفتى　　فإن طمحت تاقت وإلا تَسَلَّتِ

وقالوا: من فاته حسبُ نفسه، لم ينفعه حسب أبيه.

والمنهج القويم الموصل إلى الثناء الجميل أن يستعمل الإنسان فكره وتمييزه فيما ينتج عن الأخلاق المحمودة والمذمومة منه ومن غيره، فيأخذ نفسه بما استحسن منها واستُملح، ويصرفها عما استهجن منها واستُقبح. فقد قيل: «كفاك تأديبًا تركُ ما كرهه الناس من غيرك»، وقال الشاعر:

كفى أدبًا لنفسك ما تراه　　لغيرك شائنًا بين الأنام

وقال أيضًا:

إذا أعجبتك خلالُ امرئٍ　　فكُنْهُ تكُن مثل من يُعجبكْ
فليس على المجد والمكْرُمات　　إذا جئتها حاجبٌ يحجُبك

وقالوا: من نظر في عيوب الناس فأنكرها، ثم رضيها لنفسه، فذلك هو الأحمق بعينه.

قال الشاعر:

لا تلم المرء على فعله　　وأنت منسوب إلى مثلِهِ
من ذَمَّ شيئًا وأتى مثله　　فإنما دَلَّ على جهله

اللهم بحرمة سيد الأنام، يسر لنا حسن الختام، واصرف عنا سوء القضاء، وانظر لنا بعين الرضا.

وهذا أوان انشقاق كمايم طلع الشماريخ، عن زهر مجمل التاريخ فتقول:

أول خليفة جُعل في الأرض آدم عليه الصلاة والسلام بمصداق قوله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ ثم توالت الرسل بعده، ولكنها لم تكن عامة الرسالة، بل كل رسول أرسل إلى فرقة. فهؤلاء الرسل — عليهم السلام — مقررون شرايع الله بين عباده، وملزمون بتوحيده، وامتثال أوامره ونواهيه؛ ليترتب على ذلك انتظام أمور معاشهم في الدنيا، وفوزهم بالنعيم السرمدي إذا امتثلوا في الأخرى، إلى أن جاء ختامهم الرسول الكريم سيدنا محمد ﷺ أرسله الله بالهدي ودين الحق؛ ليظهره على الدين كله، وأمره بالصدع والإعلان والتطهير من عبادة الأوثان، وآمن به من آمن من الصحابة — رضوان الله عليهم — وعزروه ونصروه، واتبعوا النور الذي أنزل معه، أوليك هم المفلحون.

ولم يزل هذا الدين القويم من حين بعث النبي ﷺ يزيد وينمو ويتعالى ويسمو، حتى تم ميقاته، وقربت من النبي وفاته، وأنزل الله عليه: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾.

ولما قبض ﷺ قام بالأمر بعده أبو بكر الصديق رضي الله عنه ثم عمر رضي الله عنه ثم عثمان رضي الله عنه ثم علي — كرم الله وجهه — ولم تصفُ له الخلافة بمغالبة معاوية — رضوان الله عليهم أجمعين — في الأمر.

وبموت علي رضي الله عنه تمت مدة الخلافة التي نصّ عليها النبي ﷺ بقوله: «الخلافة بعدي ثلاثون سنة، ثم تكون ملكًا عضوضًا».

وبخلافة معاوية كان ابتداء دولة الأمويين، وانقرضت بظهور أبي مسلم الخراساني، وإظهار دولة بني العباس: فكان أولهم «السفاح» وظهرت دولتهم الظهور التام، وبلغت القوة الزايدة، والضخامة العظيمة، ثم أخذت في الانحطاط بتغلب الأتراك والديلم.

ولم تزل منحطة، وليس للخلفاء في آخر الأمر إلا الاسم فقط، حتى ظهرت فتنة التاتار التي أبادت العالم، وخرج هولاكخان وملك بغداد وقتل الخليفة المعتصم، وهو آخر خلفاء بني العباس ببغداد.

وفي خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه افتتحت الديار المصرية، والبلاد الشامية على يد عمرو بن العاص، ولم تزل في النيابة أيام الخلفاء الراشدين، ودولة بني أمية، وبني العباس، إلى أن ضعفت الخلافة العباسية بعد مقتل المتوكل بن

المعتصم بن الرشيد سنة سبع وأربعين ومايتين، تغلب على النواحي كل متملك لها، فانفرد أحمد بن طولون بمملكة مصر والشام، وكذلك أولاده من بعده، ثم دولة الإخشيد، وبعده كافور أبو المسك ممدوح المتنبي، ولما مات قدم جوهر القائد من قبل المعز الفاطمي من المغرب فملكها من غير مانع، وأسس القاهرة، وذلك في سنة إحدى وستين وثلاثماية، وقدم المعز إلى مصر بجنوده وأمواله، ومعه رمم آبائه وأجداده محمولة في توابيت، وسكن بالقصرين، وادَّعى الخلافة لنفسه دون العباسيين.

وأول ظهور أمرهم في سنة سبعين ومايتين، فظهر عبد الله بن عبيد الملقب بالمهدي، وهو جد بني عبيد الخلفاء المصريين العبيديين الروافض باليمن، وأقام على ذلك إلى سنة ثمانٍ وسبعين، فحج تلك السنة، واجتمع بقبيلة من كتامة فأعجبهم حاله فصحبهم إلى مصر، ورأى منهم طاعة وقوة فصحبهم إلى المغرب، فنما شأنه وشأن أولاده من بعده، إلى أن حضر المعز لدين الله أبو التميم معد بن إسماعيل بن القاسم بن المهدي إلى مصر، وهو أولهم، فملكوا نيفًا ومايتين من السنين، إلى أن ضعف أمرهم في أيام العاضد، وسوء سياسة وزيره شاور، فتملكت الإفرنج بلاد السواحل الشامية.

وظهر بالشام نور الدين محمود بن زنكي، فاجتهد في قتال الإفرنج، واستخلاص ما استولوا عليه من بلاد الشام، وجهز أسد الدين شيركوه بعساكر لأخذ مصر، فحاصرها (نحو) شهرين، فاستنجد العاضد بالإفرنج، فحضروا من دمياط، فرحل أسد الدين إلى الصعيد، فجنى خراجه ورجع إلى الشام، وقصد الإفرنج الديار المصرية في جيش عظيم وملكوا بلبيس، وكانت إذ ذاك مدينة حصينة، ووقعت الحروب بين الفريقين، فكانت الغلبة فيها على المصريين، وأحاطوا بالإقليم برًّا وبحرًا، وضربوا على أهله الضرائب. ثم إن الوزير شاور أشار بحرق الفسطاط، فأمر الناس بالجلاء عنها، وأرسل عبيده بالشعل والنفوط، فأوقدوا فيها النار فاحترقت عن آخرها، واستمرت النار بها أربعة وخمسين يومًا، وأرسل الخليفة العاضد يستنجد نور الدين، وبعث إليه بشعور نسايه، فأرسل إليه جندًا كثيفًا، وعليهم أسد الدين شيركوه وابني أخيه صلاح الدين يوسف، فارتحل الإفرنج عن البلاد.

وقبض أسد الدين على الوزير شاور الذي أشار بحرق المدينة وصلَبه، وخلع العاضد على أسد الدين الوزارة، فلم يلبث أن مات بعد خمسة وستين يومًا، فولى العاضد مكانه ابن أخيه صلاح الدين، وقلده الأمور، ولقبه الملك الناصر، فبذل له همته وأعمل حيلته، وأخذ في إظهار السُّنَّة وإخفاء البدعة.

فثقل أمره على الخليفة العاضد، فأبطن له فتنة أثارها في جنده؛ ليتوصل بها إلى هزيمة الأكراد، وإخراجهم من بلاده، فتفاقم الأمر وانشقت العصا، ووقعت حروب بين الفريقين أبلى فيها الناصر يوسف وأخوه شمس الدولة بلاءً حسنًا، وانجلت الحروب عن نصرتهما، فعند ذلك ملك الناصر القصر وضيق على الخليفة وحبس أقاربه، وقتل أعيان دولته واحتوى كل ما في القصور من الذخاير والأموال والنفايس، بحيث استمر البيع فيه عشر سنين، غير ما اصطفاه صلاح الدين لنفسه.

وخطب المستضيء العباسي بمصر، وسير البشارة بذلك إلى بغداد، ومات العاضد قهرًا، وأظهر الناصر يوسف الشريعة المحمدية، وطهر الإقليم من البدع والتشيع والعقائد الفاسدة، وأظهر عقايد أهل السنة والجماعة، وهي عقايد الأشاعرة والماتريدية، وبعث إليه أبو حامد الغزالي بكتاب ألفه له في العقايد، فحمل الناس على العمل بما فيه، ومحا من الإقليم مستنكرات الشرع، وأظهر الهدى، ولما تُوُفِّي نور الدين الشهيد انضم إليه مُلك الشام، وواصل الجهاد، وأخذ في استخلاص ما تغلب عليه الكفار من السواحل وبيت المقدس، بعدما أقام بيد الإفرنج نيفًا وإحدى وتسعين سنة، وأزال ما أحدثه الإفرنج من الآثار والكنايس.

ولم يهدم القمامة اقتداء بعمر رضي الله عنه عندما افتتح الفتوحات الكثيرة. ثم اتسع ملكه، ولم يزل على ذلك إلى أن توفي سنة تسع وثمانين وخمسماية، ولم يترك إلا أربعين درهمًا.

وهو الذي أنشأ قلعة الجبل، وسور القاهرة العظيم، وكان المشد على عمايره بهاء الدين قراقوش، ثم استمر الأمر في أولاده، وأولاد أخيه الملك العادل.

وحضر الإفرنج أيضًا إلى مصر في أيام الملك الكامل بن العادل، وملكوا دمياط وهدموها، فحاربهم شهورًا حتى أجلاهم، وعمرت بعد ذلك دمياط هذه الموجودة في غير مكانها، وكانت تسمى بالمنشية، والكامل هذا هو الذي أنشأ قبة الشافعي رضي الله عنه عندما دَفن بجواره موتاهم، وأنشأ المدرسة الكاملية بين القصرين المعروفة بدار الحديث.

وفي أيام الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل حضر الإفرنج وملكوا دمياط، وزحفوا إلى فارسكور، واستمر الملك الصالح يحاربهم أربعة عشر شهرًا وهو مريض، وانحصر جهة الشرق، وأنشأ المدينة المعروفة بالمنصورة، ومات بها سنة سبع وأربعين وستماية والحرب قايم، وأخفت زوجته شجرة الدر موته، ودبرت الأمور حتى حضر ابنه توران شاه من حصن كيفا، وانهزمت الإفرنج وأسر ملكهم ريدا، وكانوا طائفة الفرنسيس.

والملك الصالح هذا هو أول من اشترى المماليك، واتخذ منهم جندًا كثيفًا، وبنى لهم قلعة الروضة وأسكنهم بها، وسماهم البحرية، ومقدمهم الفارس إقطاي، والملك الصالح هو الذي بنى المدارس الصالحية بين القصرين، ودفن بقبة بُنيت له بجانب المدرستين.

ولما انهزم الإفرنج، ومات الصالح، وتملك ابنه توران شاه، واستوحش من مماليك أبيه، واستوحشوا منه، فتعصبوا عليه وقتلوه بفارسكور، وقلدوا في السلطنة شجرة الدر ثلاثة أشهر، ثم خُلعت، وهي آخر الدولة الأيوبية، ومدة ولايتهم إحدى وثمانون سنة.

ثم تولى سلطنة مصر عز الدين أيبك التركماني الصالحي سنة ثمان وأربعين وستماية، وهو أول الدولة التركية بمصر.

ولما قُتل وَلَّوا ابنه المظفر علي، فلما وقعت حادثة التتار العظمى خُلع المظفر لصغره، وتولى الملك المظفر قطز، وخرج بالعساكر المصرية لمحاربة التتار، فظهر عليهم وهوشهم، ولم تقم لهم قايمة بعد ذلك، بعد أن كانوا ملكوا أغلب المعمور من الأرض، وقهروا الملوك وقتلوا العباد وأخربوا البلاد ... ففي سنة أربع وخمسين وستماية ملكوا (التتار) سائر بلاد الروم بالسيف. فلما فرغوا من ذلك جميعه نزل هولاكو خان بن طيلون بن جنكيز خان على بغداد وذلك سنة ست وخمسين وستماية، وهي إذ ذاك كرسي مملكة الإسلام ودار الخلافة، فملكها وقتلوا ونهبوا وأسروا مَنْ بها مِنْ جمهور المسلمين والفقهاء والعلماء، والأيمة والقراء والمحدثين، وأكابر الأولياء والصالحين، وفيهم خليفة رب العالمين وإمام المسلمين، وابن عم سيد المرسلين، فقتلوه وأهله وأكابر دولته، وجرى في بغداد ما لم يسمع بمثله في الآفاق. ثم إن هولاكوخان أمر بِعَدِّ القتلى فبلغوا ألف ألف وثمانماية ألف وزيادة.

ثم إن التتار تقدم إلى بلاد الجزيرة واستولوا عليها وعلى حران والرها وديار بكر في سنة سبع وخمسين وستماية، ثم جازوا الفرات، ونزلوا على حلب في سنة ثمان وخمسين وستماية واستولوا عليها، وأحرقوا المساجد، وجرت الدماء في الأزقة، وفعلوا ما لم يتقدم مثله.

ثم وصلوا إلى دمشق، وسلطانها الناصر يوسف بن أيوب، فخرج هاربًا وخرج معه أهل القدرة، ودخل التتار إلى دمشق، وتسلموها بالأمان، ثم غدروا بهم وتعدَّوها فوصلوا إلى نابلس، ثم إلى الكرك وبيت المقدس، فخرج سلطان مصر بجيش الترك الذين تهابهم الأسود، وتقلُّ في أعينهم أعداد الجيوش، فالتقاهم عند عين جالوت، فكسرهم وشردهم وولوا الأدبار، وطمع الناس فيهم يتخطفونهم، ووصلت البشاير بالنصر، فطار الناس فرحًا.

ودخل المظفر إلى دمشق مؤيَّدًا منصورًا، وأحبه الخلق محبة عظيمة، وساق بيبرس خلف التتار إلى بلاد حلب وطردهم، وكان السلطان وعده بحلب، ثم رجع عن ذلك، فتأثر بيبرس وأضمر له الغدر، وكذلك السلطان أسرَّ ذلك إلى بعض خواصه، فأطلع بيبرس، فساروا إلى مصر وكل منهم محترس من صاحبه، فاتفق بيبرس مع جماعة من الأمرا على قتل المظفر، فقتلوه في الطريق.

وتسلطن بيبرس ودخل مصر سلطانًا، وتلقب بالملك الظاهر، وذلك سنة ثمان وخمسين وستماية، وهو السلطان ركن الدين أبو الفتح بيبرس البندقداري الصالحي النجمي، أحد المماليك البحرية، وعندما استقر بالقلعة أبطل المظالم والمكوس وجميع المنكرات، وجهز الحاج بعد انقطاعه اثنتي عشرة سنة بسبب فتنة التتار وقتل الخليفة ومنافقة أمير مكة مع التتار.

فلما وصل إلى مكة منعوهم من دخول المحمل ومن كسوة الكعبة، فقال أمير الحاج لأمير مكة: «أما تخاف من الملك الظاهر بيبرس؟» فقال: «دعه يأتيني على الخيل البلق». فلما رجع أمير المحمل وأخبر السلطان بما قاله أمير مكة، جمع له في السنة الثانية أربعة عشر ألف فرس أبلق، وجهزهم لصحبة الأمير الحاج، وخرج بعدهم على ثلاث نوق عُشاريات فوافاهم عند دخولهم مكة وقد منعهم التتار وأمير مكة، فحاربوهم فنصرهم الله عليهم، وقُتل ملك التتار، وأمير مكة طعنه السلطان بالرمح وقال له: «أنا الملك الظاهر جيتك على الخيل البلق». فوقع إلى الأرض، وركب السلطان فرسه ودخل مكة، وكسى البيت، وعاد إلى مصر، واستقر ملكه حتى مات بدمشق سابع عشرين المحرم سنة ست وسبعين وستماية، ومدته سبع عشرة سنة وشهران واثنا عشر يومًا، وحج سنة سبع وستين وستماية، ولذلك خبر طويل ذكره العلامة المقريزي في تواريخه، وفي «الذهب المسبوك فيمن حج من الخلفاء والملوك».

وكان من أعظم الملوك شهامة وصرامة، وانقيادًا للشرع، وله فتوحات وعمارات مشهورة ومآثر حميدة، ومنها رد الخلافة لبني العباس، وذلك أنه لما جرى ما جرى على بغداد، وقُتل الخليفة، وبقيت ممالك الإسلام بلا خلافة ثلاث سنوات، فحضر شخص من أولاد الخلفا الفارين في الواقعة إلى عرب العراق، ومعه عشرة من بني مهاريش، فركب الظاهر للقائه ومعه القضاة وأهل الدولة، فأثبت نسبه على يد قاضي القضاة تاج الدين ابن بنت الأعز، ثم بويع بالخلافة فبايعه السلطان وقاضي القضاة والشيخ عز الدين بن عبد السلام، ثم الكبار على مراتبهم، ولُقب بالمستنصر، وركب يوم الجمعة

وعليه السواد إلى جامع القلعة، وخطب خطبة بليغة ذكر فيها شرف بني العباس، ودعا فيها للسلطان وللمسلمين، ثم صلى بالناس، ورسم بعمل خلعة إلى السلطان، وكتب له تقليدًا قرئ بظاهر القاهرة بحضرة الجميع، وألبس الخليفة السلطان الخلعة بيده، وفوَّض إليه الأمور، وركب السلطان بالخلعة والتقليد محمولًا على رأسه، ودخل من باب النصر، وزينت القاهرة، والأمراء مشاة بين يديه ورتب له أتابكيًّا، وأستا دارًا، وخازندارًا، وحاجبًا، وشرابيًّا، وكاتبًا، وعين له خزانة، وجملة مماليك، ومماية فرس، وثلاثين بغلًا، وعشر قطارات جمال ... إلى أمثال ذلك.

ثم إنه عزم على التوجه إلى العراق فخرج معه السلطان وشيعه إلى دمشق، وجهز معه ملوك الشرق: صاحب الموصل وصاحب سنجار والجزيرة، وعزم عليه وعليهم ألف ألف دينار وستين ألف دينار، وسافروا حتى تجاوزت هيت. فلاقاهم التتار فحاربوهم، فعُدم الخليفة، ولم يعلم له خبر.

وبعد أيام حضر شخص آخر من بني العباس، وكان أيضًا مختفيًا عند بني خفاجة، فتوصل مع العرب إلى دمشق، وأقام عند الأمير عيسى بن مهنا، فأخبر به صاحب دمشق فطلبه، وكاتب السلطان في شأنه، فأرسل يستدعيه، فأرسله مع جماعة من أمراء العرب، فلما وصل إلى القاهرة وجد المستنصر قد سبقه بثلاثة أيام، فلم يرَ أن يدخل إليها، فرجع إلى حلب فبايعه صاحبها وروساها، ومنهم عبد الحليم بن تيمية، وجمع خلقًا كثيرًا، وقصد عانة ولُقب بالحاكم.

فلما خرج المستنصر وافاه بعانة، فانقاد له هذا ودخل تحت طاعته وخاصته، فلما عدم المستنصر قصد الحاكم الرحبة، وجاء إلى عيسى بن مهنا، فكاتب الملك الظاهر فيه فطلبه، فقدم إلى القاهرة ومعه ولده وجماعته، فأكرمه الملك الظاهر وبايعوه بالخلافة كما سبق للمستنصر، وأنزله بالبرج الكبير بالقلعة، واستمرت الخلافة بمصر، وأقام الحاكم فيها نيفًا وأربعين سنة، وهذه من مناقب الملك الظاهر.

ولما مات الملك الظاهر تولى بعده ابنه الملك السعيد، ثم أخوه الملك العادل، وكان صغيرًا، والأمر لقلاوون؛ فخلعه واستبد بالملك، ولُقب بالملك المنصور قلاوون الألفي الصالحي النجمي جد الملوك القلوونية، وهو صاحب الخيرات والبيمارستان المنصوري، والمدرسة، والقبة التي دُفن بها، وله فتوحات بسواحل البحر الرومي، ومصافات مع التتار وغير ذلك. تولى سنة ثمان وسبعين وستماية، ومات أواخر سنة تسع وثمانين وستماية، وكانت مدته إحدى عشرة سنة.

وتولى بعده ابنه الملك الأشرف خليل بن قلاوون، وكان بطلًا شجاعًا ذا همة علية، ورياسة مرضية، خانه أمراؤه وغدروه وقتلوه بتروجة جهة البحيرة، سنة ثلاث وتسعين وستماية، ونُقل لتربته التي أنشأها بالقرب من المشهد النفيسي بجانب مدرسة أخيه الصالح علي بن قلاوون. مات في حياة أبيه، وكان هو أكبر أولاده، ومرشحًا للسلطنة.

ولما مات الأشرف تولى بعده أخوه الملك الناصر محمد بن قلاوون الألفي الصالحي النجمي. أقيم في السلطنة وعمره تسع سنين، فأقام سنة وخلع بمملوك أبيه زين الدين كتبغا الملك العادل، فثار الأمير حسام الدين لاچين المنصوري نايب السلطنة على العادل، وتسلطن عوضه، ثم ثار عليه (طغجي) وكيرجي فقتلوه وقتلا أيضًا. واستدعي الناصر من الكرك فقدم، وأعيد إلى السلطنة مرة ثانية، فأقام عشر سنين وخمسة أشهر محجورًا عليه، والقايم بتدبير الدولة الأميران؛ بيبرس الجاشينكير، وسلار نايب السلطنة. فدبر لنفسه في سنة ثمان وسبعماية، وأظهر أنه يريد الحج بعياله، فوافقه الأميران على ذلك، وشرعوا في تجهيزه، وكتب إلى دمشق والكرك برمي الإقامات، وألزم عرب الشرقية بحمل الشعير، فلما تهيأ لذلك أحضر الأمراء تقاديمهم من الخيل والجمال، ثم ركب إلى بركة الحاج، وتعين معه للسفر جماعة من الأمرا.

وعاد بيبرس وسلار، من غير أن يترجلا له عند نزوله بالبركة؛ فرحل من ليلته، وخرج إلى الصالحية، وعيَّد بها، وتوجه إلى الكرك فقدمها في عاشر شوال، ونزل بقلعتها، وصرح بأنه قد ثَنَى عزمه عن الحج، واختار الإقامة بالكرك، وترك السلطنة ليستريح، وكتب إلى الأمرا بذلك، وسأل أن ينعم عليه بالكرك والشوبك، وأعاد من كان معه من الأمرا، وسلمهم الهُجن وعدتهم خمسماية هجين، والمال والجمال وجميع التقادم، وأمر نائب الكرك بالمسير عنه.

وتسلطن بيبرس الجاشنكير، وتلقب بالملك المظفر، وكتب للناصر تقليدًا بنيابة الكرك. فعندما وصله التقليد أظهر البشر، وخطب باسم المظفر على منبر الكرك، وأنعم على البريد وأعاده، فلم يتركه المظفر، وأخذ يناكده، ويطلب منه من كان معه من المماليك الذين اختارهم للإقامة عنده، والخيول التي أخذها من القلعة، والمال الذي أخذه من الكرك، وهدده فحنق لذلك وكتب إلى نواب الشام يشكو ما هو فيه، فحثوه على القيام لأخذ ملكه، ووعدوه بالنصرة.

فتحرك لذلك وسار إلى دمشق، وأتت النواب إليه، وقدم إلى مصر، وفرَّ بيبرس، وطلع الناصر إلى القلعة يوم عيد الفطر سنة تسع وسبعماية، فأقام في الملك اثنتين وثلاثين

سنة وثلاثة أشهر، ومات في ليلة الخميس حادي عشرين ذي الحجة سنة إحدى وأربعين وسبعماية، وعمره سبع وخمسون سنة وكسور، ومدة سلطنته ثلاث وأربعون سنة، وكان ملكًا عظيمًا جليلًا كفئًا للسلطنة ذا دهاء، محبًّا للعدل والعمارة، وطالت مدته وشاع ذكره، وطار صيته في الآفاق، وهابته الأسود، وخطب له في بلاد بعيدة.

ومن محاسنه: أنه لما استبد بالملك أسقط جميع المكوس من أعمال الممالك المصرية والشامية وراك البلاد، وهو الرُّوك الناصري المشهور، وأبطل الرشوة وعاقب عليها، فلا يتقلد المناصب إلا مستحقها بعد التروي والامتحان واتفاق الرأي، ولا يقضي إلا بالحق. فكانت أيامه سعيدة وأفعاله حميدة، وفي أيامه كثرت العماير حتى يقال إن مصر والقاهرة زادا في أيامه أكثر من النصف، وكذلك القرى بحيث صارت كل بلدة من القرى القبلية والبحرية مدينة على انفرادها، وله ولأمرائه مساجد ومدارس وتكايا مشهورة، وحضر في أوايل دولته ألقان غازان بجنوده التتار، فخرج إليهم بعساكر مصر وهزمهم مرتين.

وبعض مناقبه تحتاج إلى طول، ونحن لا نذكر إلا لُمعًا، فمن أراد الإطلاع عليها فعليه بالمطولات، وفي السيرة الناصرية مؤلف مخصوص مجلدان ضخمان، ينقل عنه المؤرخون، ولم نره، ومما قيل فيه شعر قصيدة طويلة للصفي الحلي:

الناصر السلطان من خضعت له	كل الملوك مشارقًا ومغاربا
ملك يرى تعب المكارم راحة	وبعد راحات الفراغ متاعبا
بمكارم تذر السباسب أبحرا	وعزايم تذر البحار سباسبا
لم تخلُ أرض من سناه وإن خلت	من ذكره مليت قنًا وقواضبا
ترجى مكارمه، ويخشى بطشه	مثل الزمان مسالمًا ومحاربًا
فإذا سطا ملأ القلوب مهابة	وإذا سخا ملأ العيون مواهبا
كالغيث يبعث من عطاه وابلًا	سبطًا ويُرسل من سطاه حاصبا
كالليث يحمي غابه بزئيره	طورًا، وينشب في القنيص مخالبا
كالسيف يبدي للنواظر منظرًا	طلقًا ويمضي في الهياج مضاربا
كالسيل تحمد منه عذبًا واصلًا	ويعدُّه قومٌ عذابًا واصبا
كالبحر يهدي للنفوس نفايسا	منه، ويبدي للعيون عجايبا
فإذا نظرت ندى يديه ورأيه	لم تُلْفِ إلا صيِّبًا أو صايبا

أبقى قلاوون الفخار لولده	إرثًا، وفاز بالثناء مكاسبًا
قوم إذا سئموا الصوافن سيروا	للمجد أخطار الأمور مراكبا
عشقوا الحروب تتيُّمًا بلقا العدا	فكأنهم حسبوا العداة حبايبا
وكأنما ظنوا السيوف سوالفا	واللُّدْن قدًّا، والقِسِيَّ حواجبا
يا أيها الملك العزيز ومن له	شرف يجر على النجوم ذوايبا
أصلحت بين المسلمين بهمة	نذر الأجانب بالوداد أقاربا
ووهبتهم زمن الأمان فمن رأى	ملكًا يكون له الزمان مواهبا

إلى آخرها، وهذا ما حضرني منها.

ومن أحسن ما قيل في مراثيه هذان البيتان:

قلتُ لبدر الأفق لما بدا	ووجهه منكف باسر
ما لك لا تسفر عن بهجة	فقال مات الملك الناصر

وللصفي الحلي فيه مرثية بليغة نحو ستين بيتًا، ولما مات دُفن مع والده بالقبة المنصورية بين القصرين وتولى من أولاده وأولاد أولاده اثنا عشر سلطانًا؛ منهم السلطان حسن صاحب الجامع بسوق الخيل بالرميلة، ومن شاهده عرف علو همته بين الملوك، وهو الذي ألف باسمه الشيخ بن أبي حجلة التلمساني كتبه العشرة التي منها «ديوان الصبابة» و«السكردان» و«طوق الحمامة» و«حاطب ليل» و«قرع سن ديك الجن» وغير ذلك.

ومنهم الملك الأشرف شعبان بن حسين بن الملك الناصر محمد، وهو الذي أمر الأشراف بوضع العلامة الخضراء في عمايمهم، وفي ذلك يقول بعضهم:

جعلوا لأبناء النبي علامة	إن العلامة شأنُ من لم يشهر
نور النبوة في كريم وجوههم	يُغني الشريف عن الطراز الأخضر

وفي أيام الأشرف هذا قدمت الإفرنج إلى الإسكندرية على حين غفلة، ونهبوا أموالها وأسروا نساءها، ووصل الخبر إلى مصر، فتجهز الأشرف وسار بعساكره، فوجدهم قد ارتحلوا عنها وتركوها، ولهذه الواقعة تاريخ اطلعتُ عليه في مجلدين، ويُقال: إن الفرنساوي الذي يكون في أذنه قرط أُمُّه أصلها من النساء المأسورات في تلك الواقعة.

وفي أيامه كثر عبث المماليك الأجلاب، فأمر بإخراجهم من مصر، فتجمعوا وعصوا؛ فحاربهم وقاتلهم فانهزموا، وقبض على كثير منهم فقتل منهم طايفة، وغرق منهم طايفة ونفى منهم طايفة، وبقي بمصر منهم طايفة التجوا إلى بعض الأمراء، وهؤلاء المماليك كانوا من مماليك يلبغا العمري مملوك السلطان حسن، وصرغتمش وأيدُمُرالجاي اليوسفي، وهم كثيرون مختلفي الأجناس، ومنهم من جنس الجركس، فلم يزالوا في اختلاف ومقت وهياج وحقد للدولة، إلى أن تحيلوا وتراجعوا وتداخلوا في الدولة، فاستقر أمرهم على أن طايفة منهم سكنوا بالطباق، ودخلوا في مماليك الأسياد، أي: أولاد السلطان، ومنهم من بقي أمير عشرة لا غير، ومنهم من انضم إلى المماليك السلطانية ومماليك الأمرا، وكانوا أرذل مذكور في الإقليم المصري.

فلما عزم الأشرف على الحج، وأخذ في أسباب ذلك، انتهزوا عند ذلك الفرصة، وكتموا أمرهم ومكروا مكرهم، وتواعدوا مع أصحابهم الذين بصحبة السلطان أنهم يثيرون الفتنة مع السلطان في العقبة، وكذلك المقيمون بمصر يفعلون فعلهم حتى ينقضوا نظام الدولة، ويزيلوا السلطان والأمراء.

ولما خرج السلطان من مصر خرج في أبهة عظيمة وتجمُّلٍ زايد، بعد أن رتب الأمور، واستخلف بمصر وثغورها من يثق به، وأخذ بصحبته من لا يظن فيه الخيانة، ومنهم جملة من الجلبان، وأبقى منهم ومن غيرهم بمصر كذلك، ولا ينفع الحذر من القدر.

فلما خرج السلطان وبَعُدَ عن مصر أثاروا الفتنة بعد أن استمالوا طايفة من المماليك السلطانية، وفعلوا ما فعلوه، ونادوا بموت السلطان وولوا ابنه، ووقفوا مستعدين منتظرين فعل أصحابهم الغائبين مع السلطان، وثار أيضًا أصحابهم على السلطان في العقبة، فانهزم بعد أمور طالبًا المجيء إلى مصر، وصحبته الأمراء الكبار وبعض مماليكه، ونهبت الخزينة والحج، وذهب البعض إلى الشام، والبعض إلى الحجاز، والبعض إلى مصر صحبته حريم السلطان.

وجرى ما هو مسطر في التواريخ من ذبح الأمراء، واختفاء السلطان وخنقه، وتمكن هؤلاء الأجلاب من الدولة، ونهبوا بيوت الأموال وذخاير السلطان، واقتسموا محاظيه، وكذلك الأمرا، ووصل كل صعلوك منهم لمواقع الملوك، وأزالوا عز الدولة القلاوونية وأخذوا لأنفسهم الإمارات والمناصب، وأصبح الذين كانوا بالأمس أسفل الناس ملوك الأرض، يُجبى إليهم ثمرات كل شيء.

ثم وقعت فيهم حوادث وحروب أسفرت عن ظهور برقوق الجركسي، أحد مماليك يلبغا العمري، واستقراره أميرًا كبيرًا، وكان غاية في الدهاء والمكر، فلم يزل يدبر

لنفسه حتى عزل ابن الأشرف، وأخذ السلطنة لنفسه، وهو أول ملوك الجراكسة بمصر، وبالأشرف شعبان هذا وأولاده زالت دولة القلاوونية، وظهرت دولة الجراكسة.

أولهم: برقوق، وبعده ابنه فرج، واستمر المُلك فيهم، وفي أولادهم إلى الأشرف قانصوه الغوري، وابتداء دولتهم سنة أربع وثمانين وسبعماية، وانقضاؤها ثلاث وعشرين وتسعماية، فتكون مدة دولتهم ماية سنة وتسعة وثلاثين سنة.

وسبب انقضايها: فتنة السلطان سليم شاه بن عثمان، وقدومه إلى الديار المصرية، فخرج إليه سلطان مصر قانصوه الغوري، فلاقاه عند مرج دابق بحلب، وخامد عليه أمراءه خير بك والغزالي، فخذلوه وفقدوه، ولم يزل حتى تملك السلطان سليم الديار المصرية والبلاد الشامية، وأقام خير بك نايبًا بها كما هو مسطر ومفصل في تواريخ المتقدمين مثل: مرج الزهور لابن إياس، وتاريخ القرماني، وابن زنبل ... وغيرهم.

وعادت مصر إلى النيابة كما كانت في صدر الإسلام.

ولما خلص له أي السلطان سليم أمر مصر عفا عن من بقي من الجراكسة وأبنائهم، ولم يتعرض لأوقاف السلاطين المصرية، بل قرر مرتبات الأوقاف والخيرات والعلوفات، وغلال الحرمين والأنبار، ورتب للأيتام والمشايخ والمتقاعدين، ومصارف القلاع والمرابطين، وأبطل المظالم والمكوس والمغارم، ثم رجع إلى بلاده، وأخذ معه الخليفة العباسي، وانقطعت الخلافة والمبايعة، وأخذ معه ما انتقاه من أرباب الصنايع التي لم توجد في بلاده، بحيث إنه فُقد من مصر نيفٌ وخمسون صنعة.

ولما توفي تولى بعده المغازي سليمان — عليه الرحمة والرضوان — فأسس القواعد، وتمم المقاصد، ونظم الممالك، وأنار الحوالك، ورفع منار الدين، وأخمد نيران الكافرين، وسيرته الجميلة أغنت عن التعريف، وتراجمه مشحونة بها التصانيف، ولم تزل البلاد منتظمة في سلكهم، ومنقادة تحت حكمهم من ذلك الأوان الذي استولوا علينا فيه إلى هذا الوقت الذي نحن فيه، وولاة مصر نوَّابهم، وحكامها أمراؤهم.

وكانوا العثمانيون في صدر دولتهم من خير من تقلَّد أمور الأمة بعد الخلفاء المهديين، وأشد من ذَبَّ عن الدين، وأعظم من جاهد في المشركين؛ فلذلك اتسعت ممالكهم بما فتح الله على أيديهم، وأيدي نوابهم، وملكوا أحسن المعمور من الأرض، ودانت لهم الممالك في الطول والعرض. هذا مع عدم إغفالهم الأمور، وحفظ النواحي والثغور، وإقامة الشعاير الإسلامية والسنن المحمدية، وتعظيم العلما وأهل الدين، وخدمة الحرمين الشريفين، والتمسك في الأحكام والوقايع بالقوانين والشرايع؛ فتحصنت دولتهم، وطالت مدتهم، وهابتهم الملوك، وانقاد لهم المالك والمملوك.

ومما يحسن إيراده هنا ما حكاه الإسحاقي في تاريخه: أنه لما تولى السلطان سليم ابن السلطان سليمان المذكور كان لوالده مصاحب يُدعى شمسي باشا العجمي، ولا يخفى ما بين آل عثمان والعجم من العداوة المحكمة الأساس. فأقر السلطان سليم شمسي باشا العجمي مصاحبًا على ما كان عليه أيام والده، وكان شمسي باشا المذكور له مداخل عجيبة، وحيل غريبة، يلقيها في قالب مرضي، ومصاحبة يسحر بها العقول، فقصد أن يدخل شيئًا منكرًا يكون سببًا لخلخلة دولة آل عثمان وهو قبول الرُّشا من أرباب الولاة والعمال، فلما تمكن من مصاحبة السلطان، قال له على سبيل العرض أي المصادفة: عبدكم فلان المعزول من منصب كذا، وليس بيده منصب الآن، وقصده من فيض فضلكم إنعامكم عليه بالمنصب الفلاني، ويدفع إلى الخزينة كذا وكذا. فلما سمع السلطان سليم ما أبداه شمسي باشا، علم أنها مكيدة منه، وقصده إدخال السو بيت آل عثمان، فتغير مزاجه وقال له: يا رافضي، تريد أن تُدخل الرشوة بيت السلطنة حتى يكون ذلك سببًا لإزالتها، وأمر بقتله، فتلطف به وقال له: يا باد شاه، لا تعجل هذه وصية والدك لي. فإنه قال لي إن السلطان سليم صغير السن، وربما يكون عنده ميل للدنيا، فاعرض عليه هذا الأمر، فإن جنح إليه فامنعه بلطف، فإن امتنع فقل له هذه وصية والدك فدُم عليها، ودعا له بالثبات، وخلص من القتل.

فانظر يا أخي، وتأمل فيما تضمنته هذه الحكاية من المعاني، وأقول بعد ذلك يضيق صدري ولا ينطلق لساني، وليس الحال بمجهول حتى يفصح عنه اللسان، بالقول شعر:

وقد أخرسني العجز أن أفتح فما أفغير الله أبتغي حكما
وكانوا قديمًا على صحة فقد داخلتهم حروف العلل

وفي أثناء الدولة العثمانية ونوابهم وأمرايهم المصرية، ظهر في عسكر مصر سُنَة جاهلية وبدعة شيطانية، زرعت فيهم النفاق، وأسست فيما بينهم الشقاق، ووافقوا فيها أهل الحوف اليام في قولهم سعد وحرام، وهو أن الجند بأجمعهم اقتسموا قسمين، واحتزبوا بأسرهم حزبين: فرقة يُقال لها فقارية، وفرقة يقال لها قاسمية، ولذلك أصل مذكور، وفي بعض سير المتأخرين مسطور، لا باس بإيراده في المسامرة، تتميمًا للغرض في مناسبة المذاكرة.

وهو أن السلطان سليم شاه لما بلغ من ملك الديار المصرية مُناه، وقتل من قتل من الجراكسة، وسامهم في سوق المواكسة، قال يومًا لبعض جلسايه وخاصته وأصدقائه: يا

هل ترى هل بقي أحد من الجراكسة لم نره؟ وسؤال من جنس ذلك ومعناه. فقال له خير بك: نعم أيها الملك العظيم، هنا رجل منَّا قديم يسمى بسودون الأمير، طاعن في السن كبير، رزقه الله تعالى بولدين شهمين بطلين لا يضاهيهما أحد في الميدان، ولا يناظرهما فارس من الفرسان، فلما حصلت هذه القضية تنحى عن المقارشة بالكلية، وحبس ولديه بالدار وسدَّ أبوابه بالأحجار، وخالف العادة، واعتكف على العبادة، وهو إلى الآن مستمر على حالته، مقيم في بيته وراحته. فقال السلطان: هذا واللهِ رجل عاقل، خبير كامل ينبغي لنا أن نذهب لزيارته، ونقتبس من بركته وإشارته. قوموا بنا جملة نذهب إليه على غفلة لكي نحقق المقال، ونشاهده على أي حال هو من الأحوال. ثم ركب في الحال ببعض الرجال إلى أن توصل إليه ودخل عليه فوجده جالسا على مسطبة الإيوان، وبين يديه المصحف، وهو يقرأ القرآن، وعنده خدم وأتباع، وعبيد ومماليك أنواع. فعندما عرف أنه السلطان بادر لمقابلته بغير توانٍ، وسلم عليه، ومثل بين يديه، فأمره بالجلوس، ولاطفه بالكلام المأنوس، إلى أن اطمأن خاطره، وسكنت ضمايره. فسأله عن سبب عزلته، وعدم اجتماعه بخلطته وعشيرته. فأجابه: أنه لما رأى في دولتهم انحلال الأمور وترادف الظلم والجور، وأن سلطانهم مستقل برأيه، فلم يصغِ إلى وزير، ولا عاقل مشير، وأقصى كبار دولته، وقتل أكثرهم بما أمكنه من حيلته، وقلد مماليكه الصغار مناصب الأمرا الكبار، ورخص لهم بما يفعلون، وتركهم وما يفترون؛ فسعوا بالفساد، وظلموا العباد، وتعدوا على الرعية حتى في المواريث الشرعية. فانحرفت عنه القلوب، وابتهلوا إلى علام الغيوب. فعلمت أن أمره في إدبار، ولا بد لدولته من الدمار. فتنحيت عن حال الغرور، وتباعدت عن نار الشرور، ومنعت ولديّ من التداخل في الأهوال، وحبستهما عن مباشرة القتال خوفًا عليهما، بما أعلمه فيهما من الإقدام، فيصيبهما كغيرهم من البلاء العام. فإن عموم البلاء منصوص، واتقاء الفتن بالرحمة مخصوص.

ثم أحضر ولديه المشار إليهما، وأخرجهما من محبسهما، فنظر إليهما السلطان، فرأى فيهما مخايل الفرسان الشجعان، وخاطبهما فأجاباه بعبارة رقيقة وألفاظ رشيقة، ولم يخطيا في كل ما سألهما فيه، ولم يتعديا في الجواب فضل التشبيه والتنبيه، ثم أحضروا ما يناسب المقام من موايد الطعام؛ فأكل وشرب، ولذَّ وطرب، وحصل له مزيد الانشراح، وكمال الارتياح.

وقدَّم الأمير سودون إلى السلطان تقادم وهدايا، وتفضّل عليه الخان أيضًا بالإنعام والعطايا، وأمر بالتوقيع لهم حسب مطالبهم، ورفع درجة منازلهم ومراتبهم، ولما فرغ

من تكرُّمه وإحسانه، ركب عايدًا إلى مكانه، وأصبح ثاني يوم ركب السلطان مع القوم، وخرج إلى الخلا، بجمع من الملا، وجلس ببعض القصور، ونبَّه على جميع أصناف العساكر بالحضور، فلم يتأخر منهم أميرٌ ولا كبير ولا صغير، وطلب الأمير سودون وولديه، فحضروا بين يديه، فقال لهم: أتدرون لمَ طلبتكم، وفي هذا المكان جمعتكم؟ فقالوا: لا يعلم ما في القلوب إلا علام الغيوب. فقال: أريد أن يركب قاسم وأخوه ذو الفقار، ويترامحا ويتسابقا بالخيل في هذا النهار. فامتثلا أمره المطاع؛ لأنهما صارا من الجند والأتباع، فنزلا وركبا ورمحا ولعبا، وأظهرا من أنواع الفروسية الفنون، حتى شخصت فيهما العيون، وتعجب منهما الأتراك؛ لأنهم ليس لهم في ذلك الوقت إدراك، ثم أشار إليهما فنزلا عن فرسيهما، وصعدا إلى أعلى المكان، فخلع عليهما السلطان وقلدهما إمارتين، ونوَّه بذكرهما بين الأقران، وتقيدا بالركاب، ولازماه في الذهاب والإياب.

ثم خرج في اليوم الثاني، وحضر الأمراء والعسكر المتواني، فأمرهم أن ينقسموا بأجمعهم قسمين، وينحازوا بأسرهم فريقين؛ قسم يكون رئيسهم ذو الفقار، والثاني: قاسم الكرار، وأضاف إلى الفقار أكثر العثمانيين، وإلى قاسم أكثر الشجعان المصريين، وميَّز الفقارية بلبس الأبيض من الثياب، وأمر القاسمية أن يتميزوا بالأحمر في الملبس والركاب، وأمرهم أن يركبوا في الميدان على هيئة المتحاربين، وصورة المتنابذين المتخاصمين، فأذعنوا بالانقياد، وعلوا على ظهور الجياد، وانحدروا كالسيل، وانعطفوا متسابقين، ورمحوا متلاحقين، وتناوبوا في النزال، واندفعوا كالجبال، وساقوا في الفجاج، وأثاروا العجاج، ولعبوا بالرماح، وتقابلوا بالصفاح، وارتفعت الأصوات، وكثرت الصيحات، وزادت الهيازع، وكثرت الزعازع، وكاد الخرق يتسع على الراقع، وقرب أن يقع القتل والقتال، فنودي فيهم عند ذلك بالانفصال.

فمن ذلك اليوم افترقوا أمرا مصر وعساكرها فرقتين، واقتسموا بهذه الملعبة حزبين، واستمر كل منهم على محبة اللون الذي ظهروا فيه، وكره اللون الآخر في كل ما يتقلبون فيه، حتى أواني المتناولات والمأكولات والمشروبات، والفقارية يميلون إلى نصف سعد والعثمانيين، والقاسمية لا يألفون إلا نصف حرام والمصريين، وصار فيهم قاعدة لا يتطرقها اختلال، ولا يمكن الانحراف عنها بحال من الأحوال، ولم يزل الأمر يفشو ويزيد، ويتوارثه السادة والعبيد، حتى تجسم ونما، وأهرقت فيه الدما. فكم خرِّبت بلاد، وقُتلت أمجاد، وهُدمت دور، وأُحرقت قصور، وسُبيت أحرار، وقُهرت أخيار.

ولَـرُبَّ لـذةِ سـاعـة قد أورثت حزنًا طويلا

وقيل غير ذلك، وإن أصل القاسمية ينسبون إلى قاسم بك الفتردار تابع مصطفى بك، والفقارية نسبةً إلى ذي الفقار بك الكبير، وأول ظهور ذلك من سنة خمسين وألف، والله أعلم بالحقايق، فقد اتفق أن قاسم بك المذكور أنشأ في بيته قاعة جلوس، وتأنق في تحسينها، وعمل فيها ضيافة لذي الفقار بك أمير الحاج المذكور، فأتى إليه وتغدى عنده بطايفة قليلة، ثم قال له ذو الفقار بيك: وأنت أيضًا تضيفني في غد، وجمع ذو الفقار مماليكه في ذلك اليوم؛ صناجق وأمراء واختيارية في الوجاقات، وحضر قاسم بك بعشرة من طايفته واثنين خواسك خلفه، والسعاة والسراج، فدخل عنده في البيت، وأوصى ذو الفقار أن لا أحد يدخل عليهما إلا بطلب. إلى أن فرشوا السماط، وجلس صحبته على السماط، فقال قاسم بك: حتى يقعدوا الصناجق والاختيارية. فقال ذو الفقار: إنهم يأكلون بعدنا، هؤلاء جميعهم مماليكي عندما أموت يترحمون عليَّ ويدعون لي، وأنت قاعتك تدعو لك بالرحمة؛ لكونك ضيعت المال في الماء والطين. فعند ذلك تنبه قاسم بك، وشرع ينشئ إشراقات كذلك.

وكانت الفقارية موصوفة بالكثرة والكرم، والقاسمية بكثرة المال والبخل، وكان الذي يتميز به أحد الفريقين من الآخر إذا ركبوا في المواكب أن يكون بيرق الفقاري أبيض، ومزاريقه برمانة، وبيرق القاسمية أحمر، ومزاريقه بجلبة، ولم يزل الحال على ذلك. حتى استهل القرن الثاني عشر.

وقايع القرن الثاني عشر الهجري

واستهل القرن الثاني عشر، وأمراء مصر فريقين فقارية وقاسمية. فالفقارية: ذو الفقار بيك، وإبراهيم بيك أمير الحاج، ودرويش بيك، وإسماعيل بيك، ومصطفى بيك قزلار، وأحمد بيك قزلار بجدة، ويوسف بك القرد، وسليمان بيك بارم ديله، ومرجان جوز بيك كان أصله قهوجي السلطان محمد، عملوه صنجقًا فقاري بمصر. الجميع تسعة وأمير الحاج منهم.

والقاسمية: مراد بيك الدفتردار، ومملوكه أبو ظبيك، وإبراهيم أبو شنب، وقانصوه بيك، وأحمد بيك منوفية، وعبد الله.

ونواب مصر من طرف السلطان سليمان بن عثمان في أوايل القرن: حسن باشا السلحدار سنة تسع وتسعين وألف حتى سنة ماية وواحد بعد الألف، والسلطان في ذلك الوقت السلطان سليمان بن إبراهيم خان، وتقلد إبراهيم بيك أبو شنب إمارة الحاج، وإسماعيل بيك دفتردار، وذلك سنة تسع وتسعين.

وفي أواخر الحجة سنة تسع وتسعين وألف حصلت واقعة عظيمة بين إبراهيم بيك ابن ذي الفقار وبين العرب الحجازيين خلف جبل الجيوش، وقتلوا كثيرًا من العرب، ونهبوا أرزاقهم ومواشيهم، وأحضر منهم أسرى كثيرة، ووقفت العرب في طريق الحج تلك السنة بالشرقية، فقتل من الحاج خلقًا كثيرًا، وأخذوا نحو ألف جمل بأحمالها، وقتلوا خليل كَتْخُداي الحج. فعين عليهم خمسة أمراء صناجق، فوصلوا إلى العقبة، وهرب العربان.

وفي أيامه سافر ألفا شخص من العسكر، وألبسوا عليهم مصطفى بيك طكوزجلان، وسافروا إلى أدرنه في غرة جمادى الأول سنة ماية وألف ١٦٨٨م.

وفي رابع جمادى الثاني خنق الباشا كتخداه بعد أن أرسله إلى دير الطين على أنه يتوجه إلى جرجا لتحصيل الغلال، وذلك لذنب نقمه عليه.

وفي شعبان نقب المحابيس العرقانة وهرب المسجونون منها.

وفي أيامه غلت الأسعار مع زيادة النيل وطلوعه في أوانه على العادة.

ثم عُزل حسن باشا، ونزل إلى بيت محمد بيك حاكم جرجا المقتول، وتولى قيطاس بيك قايم مقام. فكانت مدته هذه المرة سنة واحدة وتسعة أشهر.

ثم تولى أحمد باشا، وكان سابقًا كتخدا إبراهيم باشا الذي مات بمصر، وحضر أحمد باشا عن طريق البر، وطلع إلى القلعة في سادس عشر المحرم سنة إحدى وماية وألف، ووصل أغا بطلب ألفي عسكري، وعليهم صنجقًا يكون عليهم سردارًا، فعينوا مصطفى بيك حاكم جرجا سابقًا، وسافر في منتصف جمادى الآخرة، وفي هذا التاريخ سافرت تجريدة عظيمة إلى ولاية البحيرة والبهنسا وعليهم صنجقان، وتوجهوا في ثاني عشر جمادى الآخر، وسافر أيضًا خلفهم إسماعيل بيك، وجميع الكشاف، كتخدا الباشا، وأغوات البلكات، وكتخدا الجاويشية وبعض اختيارية، وحاربوا ابن وافي وعربانه مرارًا. ثم وقعت بينهم وقعة كبيرة، فهُزِم فيها الأحزاب، وولوا منهزمين نحو الغرق، وأما قيطاس بيك وحسن أغا بلفيا، وكتخدا الباشا فإنهم صادفوا جمعًا من العرب في طريقهم فأخذوهم، ونهبوا مالهم، وقطعوا منهم رءوسًا، ثم حضروا إلى مصر.

وفي أيامهم كانت وقعة ابن غالب شريف مكة، ومحاربته بها مع محمد بيك حاكم جدة، فكانت الهزيمة على الشريف، وتولى السيد محسن بن حسين بن زيد إمارة مكة، ونودي بالأمان بعد حروب كثيرة، وزينت مكة ثلاثة أيام بلياليها وذلك في منتصف رجب، ومرض أحمد باشا، وتوفي ثاني عشر جمادى الآخر سنة اثنتين وماية وألف ودفن بالقرافة. فكانت مدته سنة واحدة وستة أشهر.

ومن مآثره: ترميم الجامع المؤيدي، وقد كان تداعى إلى السقوط، فأمر بالكشف عليه، وعمره ورمَّه.

وفي رابع عشر رجب توفي قيطاس بك الدفتردار.

وفي ثاني يوم حضر قانصوه بيك تابع المتوفى من سفره بالخزينة، مكان كتخدا الباشا المتولي قائممقام بعد موت سيده. فألبس قانصوه بك دفتردار. ثم ورد مرسوم بولاية علي كتخدا الباشا قائممقام، وأُذن بالتصرف إلى آخر مسرى فكانت مدة تصرفه أربعة وتسعين يومًا.

ثم تولى علي باشا، وحضر من البحر إلى القلعة في ثاني عشر رمضان سنة اثنتين ومائة وألف، وحضر صحبته تترخان، وأقام بمصر إلى أن توجه إلى الحج، ورجع على طريق الشام.

وفي ثاني عشر القعدة حضر قرا سليمان من الديار الرومية، ومعه مرسوم مضمونه الخبر بجلوس السلطان أحمد بن السلطان إبراهيم؛ فزينت مصر ثلاثة أيام، وضربت مدافع من القلعة.

وفي ثالث عشر صفر سنة ثلاث وماية وألف، ورد نجاب من مكة، وأخبر بأن الشريف سعد تغلب على محسن، وتولى إمارة مكة، فأرسل الباشا عرضًا إلى السلطنة بذلك.

وفي ثامن عشر ربيع أول، ورد مرسوم مضمونه ولاية نظر الدشايش والحرمين لأربعة من الصناجق، فتولى إبراهيم بك ابن ذي الفقار أمير الحاج حالًا عوضًا عن أغات مستحفظان، ومراد بك الدفتردار على المحمدية عوضًا عن كتخدا مستحفظان، وعبد الله بك على وقف الخاصكية عوضًا عن كتخدا الغرب، وإسماعيل بك على أوقاف الحرمين عوضًا عن باش جاويش مستحفظان، فألبسهم علي باشا قفاطين على ذلك.

وفي مستهل رمضان من السنة حضر من الديار الرومية الشريف سعد بن زيد بولاية مكة، وتوجه إلى الحجاز.

وفي شهر شوال سافر علي كتخدا أحمد باشا المتوفى إلى الروم، وفي تاريخه تقلد إسماعيل بك الدفتردارية عوضًا عن مراد بك.

وفي ثالث عشر شوال، قتل جلب خليل كتخدا مستحفظان ببابهم، وحصلت في بابهم فتنة أثارها كچك محمد، وأخرجوا سليم أفندي من بلكهم، ورجب كتخدا، وألبسوهما الصنجقية في ثالث عشرينه.

وأبطل كچك محمد الحمايات من مصر باتفاق السبع بلكات، وأبطلوا جميع ما يتعلق بالعزب والانكشارية من الحمايات بالثغور وغيرها، وكتب بذلك بيورلدى، ونادوا به في الشوارع.

وفي غرة القعدة قبض الباشا على سليم أفندي وخنقه بالقلعة، ونزل إلى بيته محمولًا في تابوت، وتغيب رجب كتخدا، ثم استعفى من الصنجقية، فرفعوها عنه وسافر إلى المدينة.

وفي ثامن عشر ربيع الأول ورد مرسوم بتزيين الأسواق بمصر وضواحيها بمولودين توأمين رُزقهما السلطان أحمد، سمى أحدهما: سليمان، والآخر: إبراهيم.

وفي ثاني عشر شعبان سافر حسين بك أبو يدك بألف نفر من العسكر لاحقًا بإبراهيم بك أبي شنب، وقد كان سافر في أواخر ربيع الأول لقلعة كريد.

وفي ثاني عشر رمضان سنة خمس وماية وألف، الموافق لحادي عشر بشنس، هبت ريح شديدة وتراب أظلم منه الجو، وكان الناس في صلاة الجمعة، فظن الناس أنها القيامة، وسقطت المركب التي على منارة جامع طولون، وهُدمت دور كثيرة.

واستهلت سنة ست وماية وألف

وقصر مد النيل تلك السنة وهبط بسرعة فشرقت الأراضي، ووقع الغلاء والفناء، وفي شهر الحجة سافر أناس من مكة إلى دار السلطنة، وشكوا من ظلم الشريف سعد، فعين إليه محمد بك نايب جدة وإسماعيل باشا نايب الشام، فوردا بصحبة الحاج، فتحاربوا معه، ونزعوه، ونهب العسكر منزله، وولوا الشريف عبد الله بن هاشم على مكة. ثم بعد عود الحجاج رجع سعد وتغلب، وطرد عبد الله بن هاشم، وفي هذه السنة وقعت مصالحات في المال الميري بسبب الري والشراقي.

وفي ثاني عشر رجب سنة ست وماية وألف ورد الخبر بجلوس السلطان مصطفى بن محمد.

وفي ثاني عشر شعبان طلع أحمد بك بموكب مسافرًا باشا على ألف عسكري إلى إنِكروس، وطلع بعده أيضًا في سابع عشرينه إسماعيل بك بألف عسكري لمحافظة رودس بموكب إلى بولاق. فأقام بها ثلاثة أيام ثم سافر إلى الإسكندرية.

وفي رابع شعبان ورد مرسوم بضبط أموال نذير أغا، وإسماعيل أغا الطواشية، فسجنوهما بباب مستحفظان، وضبطوا أموالهما وختموها.

وفي خامس شوال أنهى أرباب الأوقاف والعلما والمجاورون بالأزهر إلى علي باشا امتناع الملتزمين من دفع خراج الأوقاف، وخراج الرزق المرصدة على المساجد، وما يلزم من تعطيل الشعائر، فأمر الملتزمين بدفع ما عليهم من غير توقف فامتثلوا.

وفي شوال أرسل الباشا إلى مراد بك الدفتردار بعمل جمعية في بيته بسبب غلال الأنبار، فاجتمعوا وتشاوروا في ذلك. فوقع التوافق أن البلاد الشراقي تبقى غلالها إلى العام القابل، وأما الري فيدفع ملتزموها ما عليهم، وأخذوا أوراقًا بيعت بالثمن، اشتراها

الملتزمون من أرباب الاستحقاق عن الجراية ماية وخمسون نصفًا، وغَلَّق الملتزمون ما عليهم بشراء الوصولات.

وفي ثاني عشر شوال ورد الخبر من منفلوط بأن الشريف فارس بن اسماعيل التيتلاوي قتل عبد الله بن وافي شيخ عرب المغاربة.

وفي حادي عشر القعدة، ورد أغا بمرسوم بجمع متاع نذير أغا وإسماعيل أغا المعتقلين وضبط أثمانها، ما عدا الجواهر والذخاير التي اختلسوها من السرايا، فإنها تبقى بأعيانها، وأن يفحص عن أموالهما، وأماناتهما، وأن يسجنا في قلعة الينكجرية؛ ففعل بهم ذلك، وبلغ أثمان المبيعات ألفًا وأربعماية كيس، خلاف الجواهر والذخاير، فإنها جهزت مع الأموال صحبة الخزينة على يد سليمان بك كاشف ولاية المنوفية.

واستلهت سنة سبع وماية وألف

وفي غرة المحرم سنة سبع ومائة وألف، اجتمع الفقراء والشحاذون رجالًا ومن نسا وصبيان، وطلعوا إلى القلعة، ووقفوا بحوش الديوان، وصاحوا من الجوع، فلم يجبهم أحد، فرجموا بالأحجار. فركب الوالي وطردهم، فنزلوا إلى الرُميْلة، ونهبوا حواصل الغلة التي بها، ووكالة القمح، وحاصل كتخدا الباشا، وكان ملآنا بالشعير والفول، وكانت هذه الحادثة ابتداء الغلا حتى بيع إردب القمح بستماية نصف فضة، والشعير بثلثماية، والفول بأربعماية وخمسين، والأرز بثمانماية نصف فضة، وأما العدس فلا يوجد، وحصل شدة عظيمة بمصر وأقاليمها، وحضرت أهالي القرى والأرياف حتى امتلأت منهم الأزقة، واشتد الكرب، حتى أكل الناس الجيف، ومات الكثير من الجوع، وخلت القرى من أهاليها، وخطف الفقراء الخبز من الأسواق، ومن الأفران، ومن على روس الخبازين، ويذهب الرجلان والثلاثة مع طبق الخبز يحرسونه من الخطف، وبأيديهم العصا، حتى يخبزوه بالفرن، ثم يعودون به، واستمر الأمر على ذلك إلى أن عزل علي باشا في ثامن عشر المحرم سنة سبع ومائة ألف.

وورد مسلم إسماعيل باشا من الشام، وجعل إبراهيم بك أبا شنب قائممقام، ونزل علي باشا إلى منزل أحمد كتخدا العزب المطل على بركة الفيل. فكانت مدته أربع سنوات وثلاثة أشهر وأيامًا، ثم تولى إسماعيل باشا، وحضر من البر، وطلع إلى القلعة بالموكب على العادة في يوم الخميس سابع عشر صفر. فلما استقر في الولاية ورأى ما فيه الناس من الكرب والغلاء، أمر بجميع الفقرا والشحاذين بقراميدان، فلما اجتمعوا أمر بتوزيعهم على الأمرا والأعيان، كل إنسان على قدر حاله وقدرته، وأخذ لنفسه جانبًا، ولأعيان دولته جانبًا، وعين لهم ما يكفيهم من الخبز والطعام صباحًا ومسا، إلى أن انقضى الغلا.

وأعقب ذلك فناء عظيم، فأمر الباشا بيت المال أن يُكفِّن الفقرا والغربا، فصاروا يحملون الموتى من الطرقات ويذهبون بهم إلى مَغْسِل السلطان عند سبيل المؤمنين، إلى أن انقضى أمر الوباء، وذلك خلاف من كفنه الأغنياء، وأهل الخير من الأمرا والتجار وغيرهم، وانقضى ذلك في آخر شوال، وتوفي فيه الشيخ زين العابدين البكري، وإبراهيم بك ابن ذي الفقار أمير الحاج وغيرهما.

ولما انقضى ذلك عمل الباشا مُهِمًا عظيمًا لختان ولده إبراهيم بك، وخَتَنَ معه ألفين وثلاثماية وستة وثلاثين غلامًا من أولاد الفقرا، ورسم لكل غلام بكسوة كاملة ودينار.

وورد مرسوم بمحاسبة علي باشا المنفصل فحوسب، فطلع عليه ستماية كيس، فختموا منزله وباعوا موجوداته، حتى غَلِق ذلك.

وورد أمر بالزينة بسبب نصرة، فزينت المدينة وضواحيها ثلاثة أيام.

وفي رجب ورد مرسوم بطلب ألفين من العسكر وأميرهم مراد بك، فلبس الخلع هو وأرباب المناصب، وسافروا في حادي عشر شعبان.

وفي عاشر رجب سنة سبع وماية وألف، تقلد قيطاس بك، تابع أمير الحاج ذي الفقار بك الصنجقية عوضًا عن ابن سيده إبراهيم بك.

وورد الإفراج عن نذير أغا، ورتب له خمسماية عثماني وخمس جرايات وعشر علايف في ديوان مصر، واستمر رفيقه إسماعيل أغا بالسجن.

وفي رابع رجب ورد أحمد بك من السفر، وفي سابعه تقلد أيوب بك إمارة الحج.

وفي ثاني شعبان ورد إسماعيل بك راجعًا من السفر.

وفي ثالث عشر ربيع الأول سنة ثمانٍ وماية وألف، ورد أمر بتزيين أسواق مصر سرورًا بمولود للسلطان وسمي محمود، وورد أيضًا الخبر باستشهاد مراد بك.

وفي ثالث عشر رمضان من السنة قامت العساكر على ياسف اليهودي وقتلوه، وجروه من رجله وطرحوه في الرميلة، وقامت الرعايا فجمعوا حطبًا وحرقوه، وذلك يوم الجمعة بعد الصلاة، وسبب ذلك: أنه كان ملتزمًا بدار الضرب في دولة علي باشا المنفصل، ثم طُلب إلى إسلامبول، وسيل سئل عن أحوال مصر فأملى أمورًا، والتزم بتحصيل الخزينة زيادة عن المعتاد، وحسَّن بمكره إحداث مُحدثات، ولما حضر مصر تلقته اليهود من بولاق وأطلعوه إلى الديوان، وقُريت الأوامر التي حضر بها، ووافقه الباشا على إجرايها إجرائها وتنفيذها، وأشهر الندا بذلك في شوارع مصر، فاغتمَّ الناس، وتوجه التجار وأعيان البلد إلى الأمرا، وراجعوهم في ذلك؛ فركب الأمرا، والصناجق، وطلعوا إلى القلعة وفاوضوا

الباشا، فجاوبهم بما لا يرضيهم. فقاموا عليه قومةً واحدة، وسألوه أن يسلمهم اليهودي فامتنع من تسليمه، فأغلظوا عليه، وصمموا على أخذه منه فأمرهم بوضعه في العرقانة، ولا يشوشوا عليه حتى ينظروا في أمره، ففعلوا به كما أمرهم. فقامت الجند على الباشا وطلبوا أن يسلمهم اليهودي المذكور ليقتلوه فامتنع، فمضوا إلى السجن وأخرجوه وفعلوا به ما ذُكر، وفي ذلك يقول الشيخ حسن البدري الحجازي رحمه الله:

بمصر حل يهودي	قضى عليه الإله
فظ غليظ عنيف	سوء كريه لقاه
بعشر صوم أتانا	له جواد علاه
والناس تشتد سعيا	أمامه ووراه
ومعه أمر وفيه	ما قاده لرداه
من أن دينار مصر	يغيرون حلاه
والقرش يبدل نقش	فيه بنقش سواه
لياخذ المال قهرًا	بالنقص مما حواه
فحين قصَّ عليهم	ما قصّ قصوا قفاه
بصارم ذى مقال	ازال عنه عناه
وبعد ذا أحرقوه	والعالمون تراه
حتى استحال رمادا	فيه الهباء حكاه
يا بئس ذاك اليهودى	يا بئس ما قد نحاه
يا نعم ما فعلوه	به على ما جناه
يا نعم قوما عليه	غاروا وحلوا عراه
لو افتلوه علانا	واجتاحنا بوباه
وكان ثالث عشر	من صومنا ما دهاه
بجمعة عطلوها	في قلعة من بلاه
وموته أرَّخوه	قد ذاق ما قد بناه

وقال ذا حسن من إلى الحجاز انتماه

وفي تاريخه أحضر الباشا الشيخ محمد الزرقاني أحد شهود المحكمة، بسبب أنه كتب حجة وقف منزل آل إلى بيت المال، فأمر بحلق لحيته، وتشهيره على جمل في الأسواق، والمنادي ينادي عليه، هذا جزاء من يكتب الحجج الزور، ثم أمر بنفيه إلى جزيرة الطينة.

وفي صفر وردت سكة دينار عليها طُرّة. فجمع الباشا الأمراء، وأحضر أمين الضربخانة وسلمها له، وأمره أن يطبع بها، وأن يكون عيار الذهب اثنين وعشرين قيراطا، والوزن كل مائة شريفي ماية وخمسة عشر درهمًا، وسعر الأبوطرة ماية وخمسة عشر نصفًا، وفي ذلك الشهر لبس عبد الرحمن بك واليًا على ولاية جرجا، وتوجه إليها.

وفي ثاني عشر ربيع الأول قامت العسكر المصرية وعزلوا الباشا، فكانت مدة إسماعيل باشا سنتين، وتقلد مصطفى بك قايممقام مصر إلى أن حضر حسين باشا من صيدا، وطلع إلى القلعة في موكب عظيم، في منتصف رجب سنة تسع وماية وألف، ورد مرسوم بطلب تجهيز ألفي نفر من العسكر، وعليهم يوسف بك المسلماني، فقضى أشغاله، وسافر في تاسع عشر رمضان.

وفي منتصف شهر ذي الحجة، خرج إسماعيل باشا إلى العادلية ليسافر، وكان قد حاسبه حسين باشا، فتأخر عليه خمسون ألف إردب، دفع عنها خمسين كيسًا، وباع منزله وبلاد البدرشين التي كان قد وقفها، وتوجه إلى بغداد.

وفي سنة عشر وماية وألف، أخذ أرباب الاستحقاقات الجراية والعلايف بثمن، عن كل إردب قمح خمسة وعشرون نصفًا فضة، وكل إردب شعير ستة عشر نصفًا.

وفي آخر جمادى الثانية ظهر رجل من أهل الفيوم يدعى بالعليمي، قدم إلى القاهرة، وأقام بظهر القهوة المواجهة لسبيل المؤمن، فاجتمع عليه كثير من العوام، وادَّعوا فيه الولاية، وأقبلت عليه الناس من كل جهة، واختلط النساء بالرجال، وكان يحصل بسببه مفاسد عظيمة، فقامت عليه العسكر، وقتلوه بالقلعة، ودُفن بناحية مشهد السيدة نفيسة رضي الله عنها وفى ذلك يقول الشيخ حسن الحجازي، عفا الله عنه:

جاء دجال بمصر وادعى ما يدعيه
هرع الناس إليه من وضيع ووجيه
وعليه قد أكبُّوا يرتجون الخير فيه

ولـه يُدلـى صريـعُ ليـرى مـا يـعـتـريـه
فيرى فيه انعكاسا خاب من يسعى إليه
جـاءه أهـل نـفـاق وقـفـوا مـمـا يـلـيـه
عقدوا مجلس ذكر بينما رقص وتيه
ونـبـاح وصـيـاح وصـراخ كـالـعـتـيـه
ونـسـاء مـع رجـال جـالـسـات بـالـبـديـه
طـول لـيـل ونـهـار أجل فسق يبتغيه
سـلـط الـلـه عـلـيـه بعد هذا حاكميه
لـثـلاث بـعـد عـشـر من جماد الثانى فيه
قـتـلـوه مـع ثـلاث بـحـسـام صـالـتـيـه
وكفى الله البرايا شـره مـع تـابـعـيـه
قـتـلُـهُ قـد أرخُـوه قُـتـل الـشـر لـديـه
قاله البدر الحجازي حسنٌ فانظر إليه
ربـنـا مـنـك بـلـطـف واسـع مـع والـديـه
وصـلاة وسـلام للنبى طه النبيه
وعـلـى آل وصـحـب ثـم قـومٍ وارثـيـه

وفي رابع عشر شوال، كانت واقعة المغاربة من أهل تونس وفاس، وذلك أن من عادتهم أن يحملوا كسوة الكعبة التي تُحمل كل سنة للبيت الحرام، ويمرون بها في وسط القاهرة، ويحملون المغاربة جانبًا منها للتبرك بها، ويضربون كل من رأوه يشرب الدخان في طريق مرورهم. فرأوا رجلًا من أتباع مصطفى كتخدا القازدغلي فكسروا إنبوبته، وتشاجروا معه وشجوا رأسه، وكان في مقدمتهم طايفة منهم متسلحون، وزاد التشاجر، واتسعت القضية، وقام عليهم أهل السوق، وحضر أوضباشة البوابة فقبض على أكثرهم، ووضعهم في الحديد، وطلع بهم إلى الباشا، وأخبروه بالقضية؛ فأمر بسجنهم بالعرقانة، فاستمروا حتى سافر الحج من مصر، ومات منهم جماعة في السجن، ثم أفرج عن باقيهم.

ثم تولى قره محمد باشا، وحضر إلى مصر منتصف ربيع الثاني سنة إحدى عشرة وماية وألف، وهو كتخدا إسماعيل باشا المتقدم ذكره.

وفي أيامه سنة أربعة عشر حصلت حادثة الفضة المقصوصة والتسعيرة، وسياتى خبر ذلك في ترجمة على أغا مستحفظان.

وفي سنة خمس عشرة وردت أخبار بوفاة السلطان مصطفى، وجلوس السلطان أحمد بن محمد خان في سابع عشر ربيع الآخر منها.

وأمر الباشا بقطع السقايف والدكاكين؛ لأجل توسعة الطرق والأسواق، ثم أمر بقطع الأرض وتمهيدها، فحفروا نحو ذراع أو أكثر من الأسواق، ففعل ذلك، ثم أمر بقطع الأرض إلى أن كشفت الجدران.

ومكث محمد باشا واليًا على مصر خمس سنوات إلى أن عُزل في شهر رجب سنة ست عشرة وماية وألف، ومن مآثره تعمير الأربعين الذي بجوار باب قراميدان، وأنشأ فيه جامعًا بخطبة، وتكية لفقراء الخلوتية من الأروام، وأسكنهم بها، وأنشأ تجاهها مطبخًا ودار ضيافة للفقرا، وفي علوها مطبخًا ومكتبًا للأطفال يقراون (يقرأون) فيه القرآن، ورتب لهم ما يكفيهم، وأنشأ فيما بينها وبين البستان المعروف بالغوري حمامًا فسيحة مفروشة بالرخام الملون، وجدد بستان الغوري وغرست فيه الأشجار، ورمم قاعة الغوري التي بالبستان، وعمر بجوار المنزل سكن أمير أخور، وبنى مسطبة عظيمة برسم إلباس القفاطين، وتسليم المحمل لأمير الحاج وأرباب المناصب، وعمر مسطبة يُرمى عليها النشاب، وأنشأ الحمام البديع بقراميدان، ونُقل إليه من القلعة حوض رخام صحن قطعةً واحدةً، أنزلوه من السبع حدارات، وعملوا به فسقية في وسط المسبح، وعمر بالقرافة مقام سيدي عيسى بن سيدي عبد القادر الجيلاني، وجعل به فقراء مجاورين، ورتب لهم ما يكفيهم، وأنشأ صهريجًا بداخل القلعة بجوار نوبة الجاويشية، ورتب فيها خمسة عشر نفرًا يقراون القران كل يوم بعد طلوع الشمس.

وهو الذي تسبب في قتل عبد الرحمن بك حاكم جرجا لحزازةٍ معه من أجل مخدومه إسماعيل باشا، وسيأتي تتمة ذلك في خبره عند ذكر ترجمته.

وتولى رامي محمد باشا، وكان تولى الوزارة في زمن السلطان مصطفى، وانفصل عنهما، وجُعل محافظًا بجزيرة قبرص، ثم حضر منها واليًا على مصر، فطلع إلى القلعة في يوم الاثنين سادس شعبان سنة ست عشرة وماية وألف.

وفي سبعة عشر تقلد قيطاس بك إمارة الحج عوضًا عن أيوب بك.

وفي تلك السنة توقف النيل عن الزيادة؛ فضج الناس، وابتهلوا بالدعاء، وطلب الاستسقا، واجتمعوا على جبل الجيوشي وغيره من الأماكن المعروفة بإجابة الدعا، فاستجاب الله لهم في حادي عشر توت، وشذ ذلك من النوازل.

واستلهت سنة سبع وماية وألف

وقد أرخه بعضهم فقال:

النيل في مصر وافي	في توت حادى وعاشر
والناس قد أرخوه	لله جبر الخواطر

وفى ذلك يقول الشيخ حسن الحجازي:

لاهل مصر نكيرُ	ما فوقه قط نُكرُ
نفاقهم ليس يُحصى	وكذبهم ذاك سحر
تعطل النيل عامًا	وكاد لم ياتِ جبر
فعند ذا الكذب منهم	قد فاض ما فيه حصر
لكل يوم وفاء	صبح وظهر وعصر
ويحلفون على ذا	يرون ما فيه وزر
للبحر كل نهار	يغدون يرقب جسر
يروون أخبار شتى	عنها التحقيق يعرو
علا على الناس ضج	فكاد يحصل كفر
ليأسهم واستمروا	يدعون لم يستقروا
حتى أتى مِن قدير	قد جل فتح ونصر
النيل أوفاه فضلا	وزال بالكسر كسر
في حادي عشرٍ بتوت	ذاك الوفاءُ المسر
وسبع عشر ذراع	قد كان ذاك ونزر
فلم يعم الاراضى	وزاد في القوت يسعر
وعند ذاك الحجازي	حسن تعشاه يُسر
العام ذلك أرخ	وجب في توت بحر

فروى بعض البلاد، وهبط سريعًا، فحصل الغلا، وبلغ سعر الإردب القمح مايتين وأربعين نصف فضة، والفول كذلك، والعدس مايتين نصف فضة، والشعير ماية نصف فضة، والأرز أربعماية نصف فضة، وبيع اللحم الضاني كل رطل بثلاثة أنصاف فضة، والجاموسي والبقري بنصفين، والسمن القنطار بستماية نصف فضة، والزيت بثلاثماية

وخمسين، والدجاجة بثمانية أنصاف، وعلى هذا فَقِس، والبيض كل ثلاث بيضات بنصف، والرطل الشمع الدهن بثمانية أنصاف، وكثر الشحاذون في الأزقة.

وفي سنة ثمانية عشر لم يأتِ من اليمن ولا من الهند مراكب، فشح القماش الهندي وغلا البن حتى بلغ القنطار ألفين وسبعماية وخمسين فضة، وغلا الشاش، فبيع الفرحات خان بأربعماية نصف فضة، والخُنكاري بسبعماية نصف.

وفي سادس رجب عزل محمد باشا، وحضر مُسلِّم علي باشا. وفي تاسعه نزل محمد باشا من القلعة في موكب عظيم، وسكن بمنزل أحمد كتخدا العزب سابقًا المطل على بركة الفيل بالقرب من حمام السكران.

ووصل علي باشا من طريق البحر، وذهبت إليه الملاقات على العادة، وأرسى بساحل بولاق يوم الاثنين تاسع شعبان، وهو في نحو ألف ومايتين نفس خلاف الأتباع، وفي ثاني عشر شعبان سنة ثماني عشرة ركب بالموكب، وطلع إلى القلعة، وضربوا المدافع لقدومه.

وفي أواخر هذا الشهر وقعت فتنة بين العزب والمتفرقة، سببها: أن شخصًا من بلك العزب يسمى محمد أفندي كاتب صغير سابقًا، ثم بعد عزله تولى خليفة في ديوان المقابلة، وحصل له تهمة عُزل بها من المقابلة، ثم عمل سردار بالإسكندرية على طايفة العزب، وعمل كتخداى القبودان، وركب في المراكب، وأشيع أنه غرق في البحر، فحلوا اسمه وماله من التعلقات في بابه وغيره، وبعد مدة حضر إلى مصر وطلع إلى الديوان، وصحح اسمه الذي في العزب وجراياته وتعلقاته، وبقي له بعض تعلقات لم يقدر على خلاصها، ولم يساعده أهل بابه، وأهملوا أمره، فتغير خاطره منهم وذهب إلى بُلك المتفرقة وانضم إليهم، وسألهم أن يخرجوه من العزب ويدخلوه فيهم، وجعل يركب معهم كل يوم للديوان، ويمر على باب العزب. فبينما هو ذات يوم طالع إلى الديوان إذ وقف له جماعة من العزب، وقبضوا على لجام فرسه، وأنزلوه من على فرسه وحبسوه في بابهم، وبلغ الخبر المتفرقة وهم في الديوان، وحضر محمد أمين بيت المال في العزب، وكان في ذلك اليوم نايبًا عن باش جاويش لتمرضه، فعاتبه جماعة المتفرقة على ما فعله جماعته، فأغلظ عليهم في الجواب، فقبضوا عليه من أطواقه وأرادوا ضربه، فدخل بينهم المصلحون، وخلصوه من أيديهم. فنزل إلى باب العزب، وأخبرهم بما فعله المتفرقة، فاجتمعت طائفة العزب، ووقفوا على بابهم. فلما مرّ عليهم اثنان من جماعة المتفرقة نازلين إلى منازلهم، وهما محمد الأبدال، وصاري علي، فلما حاذوهم هجموا عليهم طايفة العزب هجمة واحدة، وضربوهما ضربًا مؤلمًا، وأنزلوهما عن الخيل وشجوهما، ونهبوا ما

على الخيل من العُدد، وأخذوا ما عليهم من الملبوس. فلما وصل الخبر للمتفرقة اجتمعوا مع بقية الوجاقات، وقعدوا في باب الينكجرية، وأنهوا أمرهم إلى الأغوات والصناجق وأهل الحل والعقد، واستمروا على ذلك ثلاثة أيام إلى أن وقع التوافق على إخراج أربعة أنفار الذين كانوا سببًا لإشعال نار الفتنة، ونفيهم من مصر، وهم: أحمد كتخدا العزب، ومحمد أمين بيت المال، والشريف محمد باش أوده باشه، ومحمد أفندي قاضي أوغلي الذي كان الباعث على ذلك. فوافق على ذلك الجميع وصمموا عليه، فسفروهم إلى جهة الصعيد.

وفي ثاني شهر الحجة عزل علي أغا مستحفظان، وتولى عوضه رضوان أغا كتخدا الجاويشية سابقًا، وركب بالشعار المعلوم، وقطع ووصل، وأمر أهل الأسواق أن يدمغوا الأرطال في دار الدرب (الضرب) بالدمغة السلطانية، وجعلوا على كل دمغة نصف فضة، فتحصل من ذلك مال له طرة.

وفي سابع عشر المحرم سنة تسعة عشر وماية وألف، توفي إسماعيل بك الدفتردار، ولي أبراهيم بك عوضه، وهو الذي كان أمير الحاج سابقًا.

وفي سادس صفر ورد مرسوم من السلطان أحمد بأن يكون عيار الذهب اثنين وعشرين قيراطًا، وكانوا يقطعونه على ستة عشر.

وفي سابعه يوم الخميس ورد أمر بحبس محمد باشا الرامي وبيع كامل ما يملكه من متاع ملبوس وغيره، فحبس بقصر يوسف صلاح الدين، وإبطال والي البحر الذي يتولى من باب العزب، وفيه وصل الحجاج، وقد تأخروا إلى نصف صفر بسبب دخول مراكب الهند، وشراء ما بها من الأقمشة.

وفي شهر ربيع حبس جماعة من أتباع الباشا، وهو الكتخدا والخازندار وغيرهم من أرباب الكلمة.

وفي ثامن عشر جمادى الآخرة تقلد إبراهيم بك الدفتردار عوضًا عن أيوب بك بموجب مرسوم سلطاني، وفيه عُزل رضوان أغا مستحفظان وتولى أحمد أغا ابن بكير أفندي عوضًا عنه، وفيه ورد أمر بإبطال نوبة محمد باشا ونفيه إلى جزيرة رودس، فنزل من يومه إلى بولاق، وأقام بها إلى أن سافر.

وفي أوايل رجب، ورد أمر بعزل علي باشا، وحبسه في قصر يوسف، واستخلاص ما عليه من الديون إلى تجار إسلامبول، وجعل إبراهيم بك قايممقام، وحبس علي باشا، وبيعت موجوداته.

وفيها وقعت فتنة بباب الينكجرية، فعزلوا إفرنج أحمد باشا أوده باشه وحسين أغا ثم نفوهم إلى الطينة بدمياط.

ووردت الأخبار بولاية حسين باشا على مصر، وقدومه إلى الإسكندرية، فقدم إلى مصر في ثالث عشرين شعبان سنة تسعة عشر، وفيه سافر الشريف يحيى بن بركات إلى مكة بمرسوم سلطاني.

وفيه فرّ إفرنج أحمد أوده باشة، وحسين أغا من حبس الطينة، ودخلا مصر ليلًا، فاختبأ إفرنج أحمد عند أغاة الجراكسة، والتجأ حسين إلى باب التفكجية.

وفي خامس عشرينه طلع حسين باشا إلى القلعة بالموكب المعتاد على العادة، وفي سادس عشرينه اجتمع الينكجرية بالباب بأسلحتهم لما بلغهم قدوم إفرنج أحمد إلى مصر، وقالوا لا بد من نفيه ورجوعه إلى الطينة. فعاند في ذلك طايفة الجراكسة، وامتنعوا عن التسليم فيه، وقالوا لا بد من نقله من وجاقكم، وساعدهم بقية البلكات، ولم يوافق الينكجرية على ذلك، ومكثوا ببابهم يومين وليلتين، وكذلك فعل كل بلك ببابه، فاجتمع كل العلما والمشايخ على الصناجق والأعيان، وخاطبوهم في حسم الفتنة، فوقع الاتفاق على أن يجعلوه إفرنج أحمد صاحب طبلخانه، وأرسلوا له القفاطين مع كتخدا الباشا وأرباب الدرك، وأحضروه إلى مجلس الأغا، وقراوا عليه فرمان الصنجقية، وإن خالف يكون عليه بخلاف ذلك. فامتثل الأمر، ولبس الصنجقية، وطلع من منزل أغاة الجراكسة بموكب عظيم إلى منزله، ونزل له الصنجق السلطاني والطبلخانة في غايته.

ومن الحوادث: أنه حضر كتخدا حسين باشا المذكور عن طريق البحر بأوامر منها: تحرير عيار الذهب على ثلاثة وعشرين قيراطًا، وأن يضربوا الزلاطة والعثمانية التي يقال لها: الأخشاية، بدار الضرب، وأحضر معه سكة لذلك. فامتنع المصريون من ذلك، ووافقوا على تصحيح عيار الذهب فقط.

وفي شهر شوال حضر أغا بمرسوم ببيع موجودات علي باشا المسجون، فباعوها بالمزاد بالديوان.

وفي شهر الحجة ورد أغا بطلب خليل خازندار إبراهيم بك الدفتردار، وسببه: أنه أُنهى إلى السلطان أن خليل الخازندار المذكور أتاه رجل دلال بقوس، فصار يجذبها ويتصرف فيها، وكان بجانبه رجل من العثمانيين، فأخذ القوس من يد خليل المذكور، وأراد جذبها فلم يستطع، فتعجب من قوة خليل المذكور، وأخذ منه القوس، وسافر بها إلى الديار الرومية ليمتحن بها أهل ذلك الفن، فلم يقدر أحد على جذبها، واتصل خبرها بالسلطان فطلبها لجذبها فلم يستطع، فتعجب من صعوبتها. فقال له الرجل: إن بمصر مملوكًا عند إبراهيم بك أوترها، وصار يجذبها حتى تجتمع طرفاه، وعنده أيضًا مكحلة

وزنها ثلاثون درهمًا، يرمي بها الهدف وهو رامح على ظهر الحصان. فأمر السلطان بإحضاره، فجهزه إبراهيم بك وأرسله.

سنة عشرين ومایة وألف

ورد قبودان يسمى جانم خُوجه ريس المراكب، وطلع إلى الديوان، ومعه بقية الرويسا، فلما اجتمع بالباشا أبرز له مرسومًا بتجهيز علي باشا إلى الديار الرومية، فجُهز في ثامن عشرينه، ونزل بموكب فيه حسن باشا والصناجق والأغوات وأتباعهم، ونزل في السفاين، وسافر في أوايل ربيع أول.

وفي ثامن عشر شوال اجتمع عسكر بالديوان، وأنهوا إلى الباشا أن محمد بك حاكم جرجا أنزل عربان المغاربة وأمّنهُم، وهذا يودي إلى الفساد. فعزلوه وولوا آخر اسمه محمد من أتباع قيطاس بك. جعلوه صنجقًا، وألبسوه على جرجا، وهو الذى عرف بقطامش، وستاتي أخباره.

وفي تاسع عشر شوال ورد محسن زاده أخو كتخدا الوزير، أدخله حسين باشا بموكب حفل، وطلع إلى القلعة، وأبرز مرسومًا بعزل أيوازبك، وتولية محمد بك باشا محسن زاده في منصبه. فأنزله في غيط قراميدان إلى أن سافر صحبة الحاج الشريف.

ومن الحوادث: أن في يوم الاثنين رابع عشر القعدة سنة عشرين ومایة وألف وقف مملوك لرجل يسمى محمد أغا الحلبي على دكان قصَّاب بباب زويلة ليشتري منه لحمًا، فتشاجر مع حَمَّارِ عثمان أوده باشه البوابة، فأُعلم عثمان بذلك، فأرسل أعوانه، وقبضوا على ذلك المملوك وأحضروه إليه، فأمر بحبسه في سجن الشرطة. فلما بلغ محمد جاويش سجن مملوكه حضر هو وأولاده وأتباعه إلى باب صاحب الشرطة لخلاص مملوكه، فتفاوضا في الكلام، وحصل بينهما مشاجرة، فقبض عثمان أوده باشه على محمد جاويش المذكور وأودعه في السجن، وركب إلى باش أوده باشه وهو إذ ذاك سليمان بن عبد الله، وطلع إلى كتخدا مستحفظان وعرض القضية، فلم يرضوا له بذلك وأمروه بإطلاقه. فرجع وأخرج محمد جاويش ومملوكه من السجن.

وفي ثاني يوم الحادثة اجتمعت طايفة الجاويشية مع طايفة المتفرقة، والثلاث بلكات الإسباهية، والأمرا الصناجق، والأغوات في الديوان، وطلبوا نفي عثمان أوده باشه المذكور، فلم توافقهم الينكجرية على ذلك، فطلعوا إلى الديوان وطلبوا عثمان المذكور للدعوى عليه، فحضر، وأقيمت الدعوى بحضرة الباشا والقاضي، فأمر القاضي بحبس عثمان بك كما حبس محمد جاويش، فلم يرضَ الأخصام بذلك، وقالوا لا بد من عزله ونفيه. فلم توافقهم الينكجرية، فطلب العسكر من الباشا أمرًا بنفيه، فتوقف في ذلك فنزلوا مغضبين، واجتمعوا بمنزل كتخدا الجاويشية، وأنزلوا مطبخهم من نوبة خاناه إلى منزل كتخدا الجاويشية صالح أغا، وأقاموا به ثلاثة أيام ليلًا ونهارًا، وامتنعوا من التوجه إلى الديوان. ثم اجتمع أهل البلكات وتحالفوا أنهم على قلب رجل واحد، واتفقوا على نفي عثمان أوده باشه. ثم اجتمعوا على الصناجق، واتفقوا أن يكونوا معهم على طايفة الينكجرية لأنهم لم يعتبروهم، وأرسل الإسباهية مكاتبات لأنفارهم المحافظين مع الكشاف بالولايات يأمرونهم بالحضور، وفي ذلك اليوم عزل أوده باشه البوابة، وولي خلافه.

وفي يوم الجمعة ثامن عشرين الشهر، حضر إلى طايفة الينكجرية مَن أخبرهم أن العسكر يريدون قتالهم، فأرسلوا القابجية إلى أنفارهم ليحضروا إلى الباب بآلة الحرب، فاجتمعوا، وانزعج أهل الأسواق، وقفل غالبهم دكاكينهم، ثم اطمأنوا بعد ذلك، وجلسوا في دكاكينهم، واستمر أهل الوجاقات الستة يجتمعون ويتشاورون في أبوابهم وفي منزل محمد أغا المعروف بالشاطر، ومنزل إبراهيم بك الدفتردار، وأما الينكجرية فإنهم كانوا يجتمعون بالباشا فقط.

وفي يوم الأحد رابع عشر الحجة قدم محمد بك الذي كان بالصعيد في جند كثيف وأتباع كثيرة، وطلع إلى ديوان مصر على عادة حكام الصعيد المعزولين، ولبس الخلع السلطاني، ونزل إلى بيته بالصليبة. ثم إن أهل الوجاقات الست اجتمعوا واتفقوا على إبطال المظالم المتجددة بمصر وضواحيها، وكتبوا ذلك في قايمة، واتفقوا أيضًا أن من كان له وظيفة بدار الدرب والأنبار والتعريف بالبحرين أو المذبح لا يكون له جامكية في الديوان، ولا ينتسب لوجاق من الوجاقات، وأن ينظر المحتسب في أمورهم، ويحرروا موازينهم على العادة، وأن يركب معه من باب القاضي مباشرًا معه، وأن لا يتعرض أحد للمراكب التي ببحر النيل التي تحمل غلال الأنبار، وأن يحمل الغلال المذكورة جميع المراكب التي ببحر النيل، ولا تختص مركب منها لباب من أبواب الوجاقات، وأن كل

ما يدخل مصر من بلاد الأمنا باسم الأكل لا يؤخذ عليه عُشر، وأن لا يباع شيء من قسم الحيوانات والقهوة إلى جنس الإفرنج، وأن لا يباع الرطل بأزيد من سبعة عشر نصف فضة، وأرسلوا القايمة المكتبة إلى الباشا ليأخذوا عليها بيورلدي وينادى به في الأسواق، فتوقف الباشا في إعطا البيورلدي، ولما بلغ الانكشارية ما فعلوا هؤلاء اجتمعوا ببابهم، وكتبوا قايمة نظير تلك القايمة، بمظالم الخردة ومظالم إسباهية الولايات وغيرها، وأرسلوها إلى الباشا، فعرضها على أهل الوجاقات، فلم يعتبروها، وقالوا لا بد من إجرى قايمتنا وإبطال ما يجب إبطاله منها من المظالم.

وفي يوم الأحد حادي عشرين الحجة اجتمع أهل الوجاقات ومعهم الصناجق بباب الغرب، وقاضي العسكر ونقيب الأشراف بالديوان عند الباشا، وأرسلوا إلى الباشا أن يكتب لهم بيورلدي بإبطال ما سالوه فيه والمناداة به، وإن لم يفعل ذلك أنزلوه ونصبوا عوضه حاكمًا منهم، وعرضوا ذلك على الدولة. فلما تحقق الباشا منهم ذلك، كتب لهم ما سالوه وكتب لهم القاضي أيضًا حجة على موجبه، ونزل بها المحتسب، وصاحب الشرطة، ونايب القاضي، وأغا من أتباع الباشا، ونادوا بذلك في الشوارع.

وفي غاية الحجة سنة عشرين كُسِفَ جرم الشمس في الساعة الثامنة، واستمر سبع عشرة درجة ثم انجلت.

وفي يوم السبت رابع محرم سنة إحدى وعشرين وماية وألف، اجتمع الينكجرية عند أغاتهم، وتحالفوا أنهم على قلب رجل واحد، واجتمع أنفارهم جميعًا بالغيط المعروف بحسين كتخدا، وتحالفوا كذلك، وفي سابعه اجتمع أهل الوجاقات بمنزل إبراهيم بك الدفتردار، وتصالحوا على أن يكونوا كما كانوا عليه من المصافاة والمحبة، بشرط أن ينفذوا جميع ما كُتب في القايمة، ونودي به، ولا يتعرضوا في شيء منه. فلم يستمر ذلك الصلح.

وفي ليلة السبت حادي عشر، وقع في الجامع الأزهر فتنة بعد موت الشيخ النشرتي، وسيأتي ذكرها في ترجمة الشيخ عبد الله الشبراوي.

ثم إن الينكجرية قالوا: لا نوافق في نقل دار الضرب إلى الديوان حتى تكتبوا لنا حُجة بأن ذلك لم يكن لخيانة صدرت منا ولا تخوف عليها. فامتنع أخصامهم من إعطا حجة بذلك. ثم توقف أهل البلكات الست على أن يعرضوا في شأن ذلك إلى باب الدولة، فإن أقرها في مكانها رضوا به، وإن أمر بنقلها نُقلت. فاجتمعوا هم ونقيب الأشراف ومشايخ السجاجيد، وكتبوا العرض المذكور، ووضعوا عليه ختومهم، ما عدا الينكجرية

فإنهم امتنعوا من الختم. ثم أمضوه من القاضي وأرسلوه مع أنفار من البلكات وأغا من طرف الباشا في سادس عشرين المحرم سنة إحدى وعشرين ومائة وألف.

وأما الينكجرية فإنهم اجتمعوا ببابهم، وكتبوا عرضًا من عند أنفسهم إلى أرباب الحل والعقد من أهل وجاقهم بالديار الرومية، وعينوا للسفر علي أفندي كاتب مستحفظان سابقًا، وأحمد جربجي، وجهزوهم للسفر فسافروا في يوم الاثنين سابع عشرينه.

وفي ثالث عشر ربيع الأول تقلد إمارة الحاج قيطاس بك مقررًا على العادة في صبيحة المولد النبوي في كل سنة، وكان أُشيع أن بعض الأمرا سعى على منصب إمارة الحاج، فلما بلغ الينكجرية ذلك اجتمعوا ببابهم لابسين سلاحهم، وجلسوا خارج الباب الكبير على طريق الديوان بناء على أنه إن لبس شخص إمارة الحج خلاف قيطاس بك لا يمكنوه من ذلك. فلما رأى الصناجق والأمرا ذلك منهم خافوهم، وقالوا: هذه أيام تحصيل الخزينة، ونخشى وقوع أمر من هؤلاء الجماعة يودي إلى تعطيل المال. فاجتمع رأي الصناجق وأهل الوجاقات الست على نفي ستة أشخاص من الينكجرية الذين بيدهم الحل والعقد، ويخرجونهم من مصر إلى بلاد التزامهم تسكينًا للفتنة حتى يأتي جواب العرض.

فلما بلغ الينكجرية ما دبروه، اجتمعوا في بابهم في عَدَدِهم وعُدَدِهم، فلم يلتفتوا إلى فعلهم وقالوا: لابد من نفيهم ومحاربتهم، واجتمعوا كذلك في أبوابهم، واستعد الينكجرية ببابهم وشحنوه بالأسلحة والذخيرة والمدافع. فحصل لأهل البلد خوف وانزعاج، وأغلقوا الدكاكين وذلك سابع عشر ربيع الأول، ونقل الجاويشية مطبخهم من القلعة من النوبة إلى منزل كتخدا الجاويشية، وأقام طايفة الينكجرية منهم طوايف محافظين على أبواب القلعة، وباب الميدان وباب الصحرا الذي بالمطبخ الموصل إلى القرافة؛ خوفًا من أن العسكر يستميلون الباشا، وينزلونه الميدان؛ لأنهم كانوا أرسلوا له كتخدا الجاويشية، وطلبوا منه النزول إلى قراميدان لِيتَداعَواْ مع الينكجرية على يد قاضي العسكر، فلم تمكنهم الينكجرية من ذلك، وحصل لكتخدا الجاويشية ومن معه مشقة في ذلك اليوم من المذكورين عند عودهم من عند الباشا، وما خلصوا إلا بعد جهد عظيم.

وفي يوم الخميس عشرين ربيع الأول اجتمع الصناجق والعسكر، واختاروا محمد بك الذي كان بالصعيد؛ لحصار القلعة من جهة القرافة على جبل الجيوشي بالمدافع والعسكر، ففعل ما أمروه به، وخافت العسكر وقوع نهب بالمدينة، فعينوا مصطفى أغا أغاة الجراكسة يطوف في أسواق البلد وشوارعها، كما كان يفعل في زمن عزل الباشا، وفي يوم السبت ثاني عشرينه اجتمع الأمرا الصناجق والإسباهية بالرميلة، وعينوا أحمد بك

المعروف بإفرنج أحمد أغات النفكجية؛ ليحاصروا طايفة الينكجرية من بابهم المتوصل منه إلى المحجر وباب الوزير، ويمنعوا من يصل إليهم بالإمداد، وأما الينكجرية الذين كانوا بالقاهرة فاجتمعوا بباب الشرطة، واتفقوا على أن يدهموا العسكر المحافظين بالباب ويكشفوهم، ويدخلوا إلى باب الينكجرية.

فلما بلغ الصناجق ذلك والعسكر، عينوا إبراهيم الشهير بالوالي ومصطفى أغات الجبجية في طايفة من الإسباهية إلى باب زويلة، ولما بلغ خبرهم الينكجرية الذين كانوا تجمعوا في باب الشرطة، تفرقوا، فجلس مصطفى أغا محل جلوس الأدباشه، وإبراهيم بك في محل جلوس العسس، وانتشرت طوايفهم في نواحي باب زُويلة والخرق، واستمروا ليلة الأحد على هذا المنوال، فطلع في صبحها نقيب الأشراف والعلما وقاضي العسكر وأرباب الأشاير، واجتمعوا بالشيخونتين بالصليبة، وكتبوا فتوى بأن الينكجرية إن لم يسلموا في نفي المطلوبين وإلا جاز محاربتهم، وأرسلوا الفتوى صحبة جوخدار من طرف القاضي إلى باب الينكجرية. فلما قريت عليهم تراخت عزايمهم وفشلوا عن المحاربة، وسلموا في نفي المطلوبين بشرط ضمانهم من القتل، فضمنتهم الأمرا الصناجق، وكتبوا لهم حجة بذلك. فلما وصلتهم الحجة أنزلوا الأنفار الثمانية المطلوبين إلى أمير اللواء أيواز بك ورضوان أغا، فتوجها بهم إلى بولاق، ومن هناك سافروا إلى بلاد الريف.

وفي يوم تاسع عشر ربيع الآخر ورد أمير أخور صغير من الديار الرومية، وطلع إلى القلعة، وأبرز مرسومين قُريا بالديوان بمصر بمحضر الجمع؛ أحدهما: بإبطال المظالم والحمايات بموجب القايمة المعروضة من العسكر، ونفى عطا الله المعروف ببولاق، وأحمد جلبي بن يوسف أغا، وأن يحاسبوا تجار القهوة على مرابحة العشرة فرق اثني عشر فرقًا بعد راس المال والمصاريف، والأمر الثاني: بنقل دار الضرب من قلعة الينكجرية إلى حوش الديوان، وبنا قنطرة اللاهون بالفيوم، وأن يحسب ما يصرف عليهما من مال الخزينة العامرة.

وفي يوم تاريخه برز أمر من الباشا برفع صنجقية أحمد بك الشهير بإفرنج أحمد بك، وإلحاقه بوجاق الجملية.

وفي يوم السبت اجتمع أعيان مستحفظان بمنزل أحمد كتخدا المعروف بشهر أغلان، وأرسلوا خلف إفرنج أحمد وتصالحوا معه، وتعاهدوا على الصدق، وأن لا يغدرهم ولا يغدروه ومضوا معه إلى الباب الجُملي، وأخذوا عرضه، وركب الحمار في يوم الأحد، وطلع إلى باب مستحفظان في جمع غفير من الأدباشية، وتقرر باش أدباشه كما كان سابقًا، وعاد إلى منزله.

وفي غاية الشهر رجع الأنفار الثمانية المنفيون، وأخرجوهم من وجاق الينكجرية، ووزعوهم على أهل الوجاقات باطلاع الأمرا الصناجق والأغوات.

وفي أوايل جمادى الأولى أرسل القاضي فأحضر مشايخ الحرف، وعرفهم أنه ورد أمر يتضمن ألا يكون لأحد من أرباب الحرف والصنايع علاقة ولا نسبة في أحد الوجاقات السبع فأجابوه بأن غالبهم عسكري وابن عسكري، وقاموا على غير امتثال. ثم بلغ القاضي أنهم أجمعوا على إيقاع مكروه به، فخافهم وترك ذلك وتغافل عنه ولم يذكره بعد.

وفي هذه السنة أبطل الينكجرية ما كانوا يفعلونه من الاجتماع بالمقياس، وعمل الأسمطة والجمعيات وغيرها عند تنظيفه.

وفي منتصف جمادى الثاني تم بناء دار الضرب التي أحدثوها بحوش الديوان، وضُرب بها السكة، وكان محلها قبل ذلك معمل البارود، ونقل معمل البارود إلى محل بجوارها، وفيه لبس إبراهيم بك أبو شنب أميرًا على الحاج عوضًا عن قيطاس بك، وتولى قيطاس بك دفتردارية مصر عوضًا عن إبراهيم بك بموجب مرسوم ورد بذلك من الأعتاب.

وفي تاسع عشر رمضان ١١٢١هـ ورد الخبر بعزل حسن باشا، وولاية إبراهيم باشا القبودان، ووردت منه مكاتبة بأن يكون حسن باشا نايبًا عنه إلى حين حضوره، ولم يفوض أمر النيابة إلى أحد من صناجق مصر كما هو المعتاد.

وفي شهر شوال الموافق لكيهك القبطي ترادفت الأمطار، وسالت الأودية حتى زاد بحر النيل بمقدار خمسة أذرع، وتغير لونه لكثرة ممازجة الطفْل للماء في الأودية، واستمرت الأمطار تنزل وتنسكب إلى غاية الشهر، وكان ابتداوها من غرة رمضان.

وفي منتصف ذي القعدة نزل حسين باشا من القلعة بموكب عظيم وأمامه الصناجق والأغوات إلى منزل الأمير يوسف أغادار السعادة بسويقة عصفور، ووصل إبراهيم باشا القبودان، وطلع إلى القلعة في منتصف الحجة سنة ١١٢١هـ.

وفي منتصف محرم سنة اثنين وعشرين وماية وألف اجتمع أهل البلكات السبعة بسبيل علي باشا بجوار الإمام الشافعي، واتفقوا على نفي ثلاثة أنفار من بينهم، فنفوا في يوم الخميس من اختيارية الجاويشية قاسم أغا، وعلي أفندي كاتب الحوالة، ومن وجاق المتفرقة علي أفندي المحاسبجي، وسببه: أنهم اتهموهم بأنهم يجتمعون بالباشا في كل وقت، ويُعرِّفونَه بالأحوال، وبأنهم أغروه بقطع الجوامك المكتتبة بأسماء أولاد وعيال

المحلول عنهم، والجوامك المرتبة على الأوقاف، واتفق أنه مات جماعة فضبط جوامكهم المرتبة على أولاد وعيال المحلول عنهم، وأن العسكر راجعوه في ذلك فلم يوافقهم على ذلك، وأيضًا راجعه الاختيارية المرة بعد المرة، فقال: لا أسلم إلا لمن ينقل اسمه إلى أحد الوجاقات السبعة، فمن نُقل اسمه فإني لا أعارضه. فرضوا بذلك وأخذوا منه فرمانًا.

فورد بعد ذلك سلحدار الوزير وعلى يده أوامر بإبطال المرتبات، وأن من عاند في ذلك يؤدبه الحاكم، فأذعنوا بالطاعة. فأراد الباشا نفي الثلاثة أنفار من اختيارية العزب، فلم توافق العسكر. ثم اتفق العسكر على كتابة عرض بالاستعطاف بإبقاء ذلك، وسافر به سبعة أنفار من الأبواب السبعة.

وفي يوم الخميس غاية ربيع الأول، تقلد الأمير إيواز بك إمارة الحج عوضًا عن إبراهيم بك؛ لضعف مزاجه، ووهن قوته.

وفي أوايل جمادى الأول سنة اثنتين وعشرين ومائة وألف، ورد من الديار الرومية مرسوم قرئ بالديون مضمونه أن وزن الفضة المصرية زايد في الوزن عن وزن إسلامبول، والأمر بقطع الزايد، وأن يضرب سكة الجنزرلي ظاهرة، ويحرر عياره على ثلاثة وعشرين قيراطًا.

وفي ثامن رجب حصلت زلزلة في الساعة الثامنة، وفيه ورد مرسوم بإبقاء المرتبات التي عرض في شأنها كما كانت، ولكن لا يُكتب بعد اليوم في التذاكر أولاد وعيال، ولا ترتب على جهة وقف.

وفي خامس عشرِه ورد عزل إبراهيم باشا وولاية خليل باشا، وإقامة أيوب بك قايممقام، ونزل إبراهيم باشا من القلعة إلى منزل عباس أغا ببركة الفيل. فكانت مدته ثمانية أشهر، ووصل خليل باشا الكوسج، وكان بصيدا من أعمال الشام، فقدم بالبر يوم الثلاثاء عاشر شعبان سنة اثنتين وعشرين وماية ألف.

وفي ثاني عشر ذي القعدة ورد أمر بطلب ثلاثة آلاف من العسكر المصري، وعليهم صنجق لسفر الموسقو، وكانت النوبة على محمد بك حاكم جرجا حالًا، فتعذر سفره فأقيم بدله إسماعيل بك تابع ذو الفقار بك، فقلدوه الصنجقية، وأمره محمد بك بأربعين كيسًا مصرية، وجعله بدلًا عنه، ولبس القفطان ثاني عشر الحجة.

ودخلت سنة ثلاث وعشرين ومائة وألف

واستهل المحرم بيوم الخميس الموافق لرابع عشر أمشير القبطي، وسابع شباط الرومي، وفي ذلك اليوم انتقلت الشمس لبرج الحوت، وفيه نزل إسماعيل بك بموكب، وشق في وسط القاهرة إلى بولاق، وسافر بالعسكر في منتصف المحرم.

وفي يوم الجمعة سادس عشره، اجتمع طايفة مصطفى كتخدا القازدغلي، ومعه من أعيان الانكشارية خمسة عشر نفرًا، واتفقوا أنهم لا يرضون إفرنج أحمد باش أوده باشه، فإما يلبس الضلمة، أو يكون جربجيًّا في الوجاق، وإن لم يرضَ بأحد الأمرين يخرج المذكورون من الوجاق ويذهبوا إلى أي وجاق شاوا، وكان الاجتماع بباب العزب، وساعدهم على ذلك أرباب البلكات الستة، وصمموا أيضًا على رجوع الثمانية أنفار الذين كانوا أخرجوهم من باب الينكجرية، ومشت الصناجق بينهم والاختيارية، وصاروا يجتمعون تارة بمنزل قيطاس بك الدفتردار، وتارة بمنزل إبراهيم بك أمير الحاج سابقًا. ثم أجمع رأي الجميع على نقل الثمانية أنفار المذكورين، ومن انضم إليهم من الوجاقات إلى باب العزب، وأن يخرجوا أنفارًا كثيرة من مصر منفيين، منهم ثلاثة من الكتخداية وعشرة من الجربجية والباقي ممن الينكجرية، وعرضوا في شأن ذلك للباشا.

فاتفق الأمر على أن من كان منهم مكتوبًا لسفر الموسقو فليذهب مع المسافرين، ومن لم يكن مكتوبًا فيعطي عرضه، ويذهب إلى باب العزب، وحضر كاتب العزب والينكجرية في المقابلة، وأخرجوا من كان اسمه في السفر، وما عداهم أعطوهم عرضهم، وتفرقوا عن ذلك، ووقع الحث على سفر من خرج اسمه في المسافرين، وعدم إقامتهم بمصر، وأن يلحقوا بالمسافرين بثغر الإسكندرية.

وفي ثالث عشر صفر. قدم ركب الحاج صحبة أمير الحاج إيواز بك، وفيه اجتمع حسن جاويش القازدغلي الذي كان سردار القطار، والأمير سليمان جربجي تابع

القازدغلي سردار الصرة، وإبراهيم جربجي سردار جداوي، وطلبوا عرضهم من باب مستحفظان، فذهب إليهم اختيارية بابهم واستعطفوهم، فلم يوافقوهم، ثم طلب موسى جوربجي تابع ابن الأمير إيواز أن يخرج أيضًا من الوجاق، وينقلوا اسمه من الجملية، فلم يوافقه رضوان أغا. فذهب موسى جربجي إلى إبراهيم بك، وإيواز بك، وقيطاس بك، وسألهم أن يتشفعوا له في ذلك، فلم يوافق رضوان أغا.

فاتفق رأيهم أن يعرضوا للباشا بأن يعزل رضوان أغا المذكور، ويتولى علي أغاة الينكجرية سابقًا، وأن يعزل سليمان كتخدا الجاويشية ويولي عوضه إسماعيل أغا تابع إبراهيم بك، فامتنع الباشا من ذلك، وكانت اختيارية الجملية توافقوا مع الأمرا الصناجق على عزل رضوان أغا، فلما رأوا امتناع الباشا، أخذوا الصندوق من منزل رضوان أغا، واجتمعوا بمنزل جاويش، واجتمع أهل كل وجاق ببابهم، واستمروا على ذلك أيامًا، وأما الينكجرية الذين انتقلوا إلى العزب فإنهم اجتمعوا بباب العزب، وقطعوا الطريق الموصلة إلى القلعة، ومنعوا من يريد الطلوع إلى باب الينكجرية من العسكر والأتباع، ولم يبقَ في الطريق الموصلة إلى القلعة إلا باب المطبخ. ثم توجهوا للسواقي لأجل منع الماء عن القلعة. فمنعهم العسكر من الوصول إليها، فكسروا خشب السواقي التي بعرب اليسار، وقطعوا الأحبال والقواديس، ثم إن نفرًا من أنفار الينكجرية أراد الطلوع من طريق المحجر فضربوه وشجوا رأسه ومنعوه، فمضى من طريق الجبل، ودخل في باب المطبخ واجتمع بإفرنج أحمد، وبقية الينكجرية وعرفهم حاله، فأخذه جماعة منهم، وعرضوا أمره على خليل باشا وقاضي العسكر، فقالوا: هؤلاء صاروا بغاة خارجين عن الطاعة حيث فعلوا ذلك، ومنعونا الماء والزاد، وأخافوا الناس وسلبوهم، فقد جاز لنا قتالهم ومحاربتهم، وذلك سابع عشر صفر. ثم إن أحمد أوده باشه استأذن الباشا في محاربة باب العزب وضربهم بالمدافع والمكاحل، فأذن له في ذلك، ومن ذلك الوقت تعوق القاضي عن النزول من الميدان وأخافوه، واستمر مع الباشا إلى انقضاء الفتنة مدة سبعين يومًا.

ورجع إفرنج أحمد، وشرع في المحاربة، وضرب على باب العزب بالمدافع، وذلك من بعد الزوال إلى بعد العشا، وقتل من طائفة العزب أربعة أنفار بالمحجر.

ثم في صبيحة ذلك اليوم اجتمع من الأمرا الصناجق الأمير إيواز بك أمير الحاج، والأمير إبراهيم أبو شنب، وقانصوه بك، ومحمود بك، ومحمد بك تابع قيطاس بك الدفتردار، واتفقوا على أن يلبسوا آلة الحرب، ويذهبوا إلى الرميلة معونة للعزب على الينكجرية، فأخبروا أن أيوب بك ركَّب مدافع على طريق المارين على منزله، وعلى قلعة

الكبش، وربما إذا طلعوا إلى الرميلة يذهب أيوب بك وينهب منازلهم، فامتنعوا من الركوب، وجلسوا في منازلهم بسلاحهم خوفًا من طارق.

واستمر إفرنج أحمد يحارب ثلاثة أيام بلياليها، واجتمع على رضوان أغا مع طايفة من نفره، وتذاكروا على من كان سببًا لإثارة الفتنة، فقالوا: سليم جربجي، ومحمد أفندي بن طلق، ويوسف أفندي، وأحمد جوربجي توالى. فقالوا: لا نرضى هؤلاء الأربعة بعد اليوم أن يكونوا اختيارية علينا.

ثم ركبوا وتوجهوا إلى منزل قيطاس بك، وأرسلوا من كل بلك اثنين من الاختيارية إلى منزل أيوب بك يطلبون رضوان أغا. فأركبوه في موكب عظيم، وكتبوا تذاكر للأربعة الاختيارية المذكورين بأن يلزمون بيوتهم، ولا يركبون لأحد، ولا يجتمع بهم أحد. ثم ركب رضوان أغا إلى منزل أيوب بك، وتذاكروا في الصلح، وكتبوا تذكرة لأحمد أوده باشه بإبطال الحرب فأبى من الصلح. فكتبوا عرضًا إلى الباشا عن لسان الصناجق وأغوات الوجاقات الخمس برفع المحاربة. فأرسل الباشا إلى الينكجرية فامتثلوا أمره، وأبطلوا الحرب وضرب المدافع.

ثم إن الصناجق والأغوات أرسلوا يطلبون جماعة من اختيارية الينكجرية؛ ليتكلموا معهم في الصلح، فأجابوا إلى الحضور، غير أنهم تعللوا بانقطاع الطريق من العسكر المقيمين بالمحجر، فأرسلوا إلى حسن كتخدا العزب، فأرسل إليهم من أحضرهم وخلت الطريق. فاجتمع رأي الينكجرية على إرسال حسن كتخدا سابقًا، وأحمد بن مقز كتخدا سابقًا أيضًا. فاجتمعوا بالعسكر والصناجق بمنزل إسماعيل بك، وحضر معهم جميع أهل الحل والعقد، وتشاوروا في إخماد هذه الفتنة، وأرسلوا إلى باب الينكجرية. فقالوا: نحن لا نأبى الصلح بشرط أن هؤلاء الثمانية الذين كانوا سببًا لإثارة هذه الفتنة لا يكونون في باب العزب؛ بل يذهبون إلى وجاقاتهم الأصلية، ولا يقيمون فيه، وأن يسلموا الأمير حسن الإخميمي للباشا يفعل فيه رأيه. فأبى أهل باب العزب ذلك ولم يرضوه. فأرسل الأمرا الصناجق كتخداتهم إلى إفرنج أحمد، ومعهم اختيارية الوجاقات الخمسة يشفعون عنده بأن الأنفار الثمانية يرجعون — كما ذكرتم — إلى وجاقاتهم، ويُعفون من النفي ومن طلب الأمير حسن. فلم يوافق إفرنج أحمد عَلَى ذلك، وقال: إن لم يرضوا بشرطي وإلا حاربتهم ليلًا ونهارًا إلى أن أخفي آثار ديار العزب. فتفرقوا على غير صلح.

ثم اجتمع الأمرا الصناجق والأغوات في رابع شهر ربيع بمنزل إبراهيم بك بقناطر السباع، وتذاكروا في إجراء الصلح على كل حال، وكتبوا حجة على أن من صدر منه بعد

اليوم ما يخالف رضا الجماعة يكون خصم الجماعة المذكورين جميعًا، وكلموا أيوب بك أن يرسل إلى إفرنج أحمد بصورة الحال، وأن يمنع المحاربة إلى تمام الأمر المشروع. فبطل الحرب نحو خمسة عشر يومًا.

وأخذ إفرنج أحمد مدة هذه الأيام في تحصين جوانب القلعة، وعمل متاريس، ونصب مدافع، وتعبية ذخيرة وجبخانة، ملاوا الصهاريج، وحضر في أثناء ذلك محمد بك حاكم الصعيد ونزل بالبساتين، وأقام ثلاثة أيام، ودخل في اليوم الرابع ومعه السواد الأعظم من العرب والمغاربة والهوَّارة، ونزل ببيت آق بردي بالرميلة، وحارب من جامع السلطان حسن من منزل يوسف أغات الجراكسة سابقًا، فلم يظفر، وقتل من جماعته نحو ثلاثين نفرًا، وظهر عليه محمد بك المعروف بالصغير تابع قيطاس بك مع من انضم إليه من أتباع إبراهيم بك وإيواز بك ومماليكه، وكانوا تترسوا في ناحية سوق السلاح، ووضعوا المتاريس في شبابيك الجامع، وانتقل من محله وذهب إلى طولون، وتترس هناك، وهجم على طايفة العزب الذين كانوا بسبيل المؤمنين على حين غفلَة، وصحبته ذو الفقار تابع أيوب بك، فوقع بينهم مقتلة عظيمة من الفريقين، فلم يطق العزب المقاومة، فتركوا السبيل وذهبوا إلى باب العزب، وربط محمد بك جماعة من عسكره في مكانهم. ثم إن الشيخ الخليفي طلع إلى باب الينكجرية، وتكلم مع أحمد أوده باشه والاختيارية في أمر الصلح، فقام عليه إفرنج أحمد وأسمعه ما لا يليق، وأرسل إلى الطبجية، وأمرهم بضرب المدافع على حين غفلة، فانزعج الناس وقاموا وقام الشيخ الخليفى ومضى. وأما سكان باب العزب فإنهم أخذوا ما أمكنهم من أمتعتهم، وتركوا منازلهم ونزلوا المدينة، وتفرقوا في حارات القاهرة، وحصل عند الناس خوف شديد، وأغلقوا الوكايل والخانات والأسواق، ورحل غالب السكان القريبين من القلعة، مثل جهة الرميلة، والحطابة والمحجر خوفًا من هدم المنازل عليهم، وكان الأمر كما ظنوه، فإن غالبها هُدم من المدافع واحترق، والذي سلم منها حرقه عسكر طوايف الينكجرية بالنار، ولم يُصِب باب العزب شيء من ذلك ما عدا مجلس الكتخدا، فإنه انهدم منه جانبًا، وكذلك موضع الأغا لا غير.

ثم إن إفرنج أحمد توافق مع أيوب بك، وعينوا عمر أغات جراكسة، وأحمد أغا تفكجيان، ورضوان أغا جمليان، فقعدوا بمن انضم إليهم بالمدرسة بقوصون، وجامع مِرْدادة بسويقة العزى، وجامع قجماس بالدرب الأحمر؛ ليقطعوا الطريق على العزب، واختار إفرنج أحمد نحو تسعين نفرًا من الينكجرية، وأعطى كل شخص دينارًا طرلي، وأرسلهم بعد الغروب إلى الأماكن المذكورة.

فأما رضوان أغا فإنه تعلَّل واعتذر عن الركوب، وأما أحمد أغا فإنه توجه إلى المحل الذي عُين له، فتحارب مع طايفة من الصناجق والعزب في الجنابكية، وأما الذين ربطوا بجامع مرزادة فلم يأتهم أحد إلى الصباح، فأخذوا الفطور من الذاهبين به إلى باب العزب، وفي أثناء ذلك نزل رجل أوده باشه من العزب من جامع السلطان حسن يريد منزله، فَقَبضَ عليه طايفة من الأخصام وسلبوه ثيابه وتركوه بالقميص، وأرسلوه إلى إفرنج أحمد. فلما بلغ العزب ذلك أرسلوا طايفة منهم إلى المقيمين بجامع مرزادة، فدخلوا من بيت الشريف يحيي بن بركات، ونقبوا منزل عمر كتخدا مستحفظان، إذ ذاك، وما بجواره من المنازل، إلى أن وصلوا منزل مراد كتخدا، فبمجرد ما رآهم العسكر الذين بجامع مرزادة فروا، وأما عمر أغا جراكسة المقيم بجامع قجماس، فإنه وزع أتباعه جهة باب زويلة وجهة التبانة، فحصل لأهل تلك الخطة خوف شديد، خصوصًا من كان بيته بالشارع، فأرسلت العزب صالح جربجي الرزاز بجملة من عسكر العزب ومن انضم إليهم من الينكجرية الذين انقلبوا إلى العزب، كأتباع الأمير حسن باش جاويش سابقًا، والأمير حسن جاويش تابع القازدغلي، والأمير حسن جلب كتخدا، وجماعة محمد جاويش كدك، فحاربوا مع من كان بجامع قجماس، واستولى صالح جربجي عليه وعلى المتاريس التي بشبابيكه، وملك الأمير حسن جاويش تابع القازدغلي جامع المرداني، وأقام به، وحسن جاويش جلب أقام بجامع أَصْلَم، وانتشرت طوايفهم بتلك الأخطاط والأماكن، فاطمأن الساكنون بها.

وأما عمر أغاة الجراكسة فإنه لما فرّ من جامع قجماس ذهب إلى جامع المؤيد داخل باب زويلة، ثم إن محمد بك أرسل يطلبه فركب ومر أحمد على أغا التفكجية، فأركبه معه، وذهبا إلى محمد بك الصعيدي بالصليبة، وحصل لأهل خُط قوصون خوف عظيم بسبب إقامة أحمد أغا بالسليمانية، ورحل غالبهم من المنازل. فلما رحل عنهم اطمأنوا وتراجعوا، وحضرت طايفة من المتفرقة إلى محل أحمد أغا التفكجية، وعملوا متاريس على راس عطفة الحطب، ومكثوا هناك أيامًا قلايل، ثم رحلوا عنها، فأتى علي الكتخدا الساكن بالداودية بطايفة من العزب؛ فتملكوا ذلك الموضع، وجلسوا به. ثم إن طايفة من المتفرقة والإسباهية هجموا على منزل الأمير قرا إسماعيل كتخدا، فلما وصل الخبر إلى العزب عينوا له بيرقًا من عسكر العزب، وريسهم أحمد جربجي تابع ظالم علي كتخدا، فلم يمكنه الدخول من جهة الباب، فخرق صدر دكان، وتوصل منه إلى منزل إسماعيل كتخدا، ودخلوا على طايفة البغاة فوجدوهم مشغولين في نهب أثاث المنزل

المذكور، فهجموا عليهم هجمة واحدة، فألقوا ما بأيديهم من السلب ورجعوا القهقرى إلى المحل الذي دخلوا منه من بيت مصطفى بك، فتبعوهم وتقاتل الفريقان إلى أن كانت الدائرة على المتفرقة والإسباهية، ونهب العزب منزل مصطفى بك؛ لكونه مكّن البغاة من الدخول إلى منزله، ولكونه كان مصادقًا لأيوب بك.

ثم إن أحمد جربجي المذكور انتقل بمن معه من العسكر إلى قوصون، ودخل جامع الماس وتحصن به، وكان محمد بك حاكم جرجا يمر من هناك ويمضي إلى الصليبة، فانتهز أحمد جربجي فرصة وهو أنه وجد منزل حسين كتخدا الجزايرلي خاليًا، فدخل فيه فرأى داخله قصرًا متصلًا بمنزل محمد كتخدا عزبان، المعروف بالبيرقدار، يعلو دهليز منزله، وطبقاته تشرف على الشارع، فمكث فيه هو وطايفة ممن معه؛ ليغتال محمد بك إذا مرّ به، وإذا بمحمد بك قد خرج من عطفة الحطب مارًّا إلى جهة الصليبة، فضربوه بالبندق، فأصيب أربعة من طايفته فقُتلوا، فظن أن الرصاص أتاه من منزل محمد كتخدا البيرقدار، فوقف على بابه وأضرم النار فيه فاحترق أكثر المنزل، ونهبوا ما فيه من أثاث ومتاع، ثم إن النار اتصلت بالأماكن المجاورة له والمواجهة فاحترقت البيوت والرباع والدكاكين التي هناك من الجهتين من جامع الماس إلى تربة المظفر يمينًا وشمالًا، وأُفسدت ما بها من الأمتعة، والذي لم يحترق نهبته البغاة، وخرجت النسا حواسر مكشفات الوجوه، فاستولى أحمد جربجي على جامع الماس، وعلي كتخدا الساكن بالداودية أقام بالمدرسة السليمانية.

وأما أطراف القاهرة وطرقها فإنها تعطلت من المارة، وعلى الخصوص طريق بولاق ومصر العتيقة والقرافة؛ لكون أيوب بك أرسل إلى حبيب الدجوى يستعين به، فحضر منهم طايفة، وكذلك أخلاط الهوارة الذين حضروا من الصعيد صحبة محمد بك فاختلطوا بالأطراف يسلبون الخلق، واستاقوا جِمال السقايين حتى كاد أهل مصر يموتون عطشًا، وصار العسكر فرقتين: إيواز بك، وقيطاس بك الدفتردار، وإبراهيم بك أمير الحاج سابقًا، ومحمد بك، وقانصوه بك، وعثمان بك ابن سليمان بك، ومحمود بك، وبلكات الإسباهية الثلاثة والجاويشية والعزب عصبة واحدة، وأيوب بك ومحمد بك الكبير وأغوات الإسباهية من غير الأنفار، ومحمد أغا متفرقة باشه وأهل بلكّه، وسليمان أغا كتخدا الجاويشية، وبلك الينكجرية المقيمين بالقلعة صحبة إفرنج أحمد، والباشا، وقاضي العسكر، الجميع عصبة واحدة، وأخذوا عندهم نقيب الأشراف بحيلة واحتبسوه عندهم، وأغلقوا جميع أبواب القلعة ما عدا باب الجبل.

وامتنع الناس من النزول من القلعة والطلوع إليها إلا من الباب المذكور، واستمر إفرنج أحمد ومن معه يضربون المدافع على باب العزب ليلًا ونهارًا، وبباب العزب خلق كثيرون منتشرون حوله، وما قاربه من الحارات ورتبوا لهم جوامك تُصرف عليهم كل يوم، فلما طال الأمر اجتمع الأمراء الصناجق بجامع بشتك بدرب الجماميز، واتفقوا على عزل الباشا وإقامة قايممقام من الأمرا، فأقاموا قانصوه بك قايممقام نايبًا، وولوا أغوات البلكات وهم الإسباهية الثلاثة، فولوا على الجُملية صالح أغا، وعَلى الجراكسة مصطفى أغا، وعَلى التفكجية محمد أغا بن ذي الفقار بك، وإسماعيل أغا جعلوه كتخدا الجاويشية، وعبد الرحمن أغا متفرقة باشه، وقلدوا الزعامة للأمير حسن، الذي كان زعيمًا، وعزله الباشا بعبد الله أغا.

فلما أحكموا ذلك وبلغ الخبر طايفة الينكجرية الذين بالقلعة توجهوا إلى خليل باشا وأخبروه بالصورة، فكتب لأغوات البلكات الثلاث ومتفرقة باشه يأمرهم بمحاربة الصناجق، ومن معهم؛ لكونهم بغاة خارجين على نايب السلطان. ثم اتفق مع إفرنج أحمد على اتخاذ عسكر جديد يقال لهم: «سردن كجدي» ويعطي لكل من كتب اسمه خمسة دنانير وخمسة عتامنة، فكتبوا ثمانماية شخص، وعلى كل ماية بيرقدار، وريس يقال له: أغات السردن كجدي.

ثم إن محمد بك الصعيدي اتفق مع إفرنج أحمد بأن يهجم على طايفة العزب من طريق قراميدان، ويكسر باب العزب فاستعدوا له، وكمنوا قريبًا من الباب المذكور، فلما كان بعد العشا الأخيرة هجموا على الباب المذكور، وكان العزب أحضروا شيئًا كثيرًا من حطب القرطم وطلوه بالزيت والقار والكبريت، فلما تكامل عسكر محمد بك أوقدوا النار في ذلك الحطب فأضاء لهم قراميدان وصار كالنهار، ثم ضربوهم بالبندق ففروا، فصار كل من ظهر لهم ضربوه، فقتلوا منهم طايفة كثيرة وولوا منهزمين.

ثم إن قانصوه بك صار يكتب بيورلدات وأوامر يرسلها إلى محمد بك الصعيدي يأمره بالتوجه إلى ولايته آمنًا على نفسه وليُحصل ما عليه من الأموال السلطانية، فأرعد وأبرق.

ثم إن جماعة من العزب أخذوا حسن الوالي المُولَّى من طرف قايممقام مصر، وذهبوا وصحبتهم جماعة من أتباع الأمرا الصناجق إلى باب الوالي ليملكوه، فلما بلغ الخبر عبد الله أغا الوالي أخذ فرشه، وفرّ إلى بيت أيوب بك، وفر الأوده باشه أيضًا، فلما لم تجد العزب أحدًا في بيت الوالي توجهوا لمنزل عبد الله الوالي لينهبوه، فقام عليهم جماعة من

أتباع سليمان كتخدا الجاويشية ومن بجوارهم من الجند فهزموا العزب، وقتلوا منهم رجلًا، فأقام حسن الوالي بباب قيطاس بك الدفتردار.

فلما اتسع الخرق أرسل الباشا إلى إبراهيم بك وإيواز بك وقيطاس بك يطلبهم إلى الديوان؛ ليتداعوا مع الينكجرية، فلما حضر تابع الباشا وقرأ عليهم الفرمان أجابوا بالسمع والطاعة، واعتذروا عن الطلوع بانقطاع الطرق من الينكجرية وترتيب المدافع، ولولا ذلك لتوجهنا إليه. فلما يئس الباشا منهم اتفق مع أيوب بك ومن انضم إليه من العسكر على محاربتهم.

وبرز الجميع إلى خارج البلد. فلما كان يوم الأحد ثالث ربيع الأول أرسلوا أيوب بك ومحمد بك إلى العربان؛ ليأخذوا جِمالَ السقّايين وحميرهم، ومُنع الماء عن البلد، فأخذوا جميع ما وجدوه فعزّ الماء، ووصل ثمن القربة خمسة أنصاف فضة، فأمر الأمراء الآخرون طايفة من العسكر أن يركبوا إلى جهة قصر العيني، ويستخلصوا الجمال ممن نهبهم. فتوجهوا وجلسوا بالمساطب ينتظرون من يمر عليهم بالجمال. فلما بلغ محمد بك حضورهم هناك جمع طايفة من الهوارة وهجموا عليهم وهم غير مستعدين. فاندهشوا ودافعوا عن أنفسهم ساعة ثم فروا، وتأخر عنهم جماعة لم يجدوا خيلهم لكون سُوّاسهم أخذوها وفروا، فقتلهم محمد بك وأرسل روسهم للباشا فانسرَّ سرورًا عظيمًا، وأعطى ذهبًا كثيرًا.

فلما رجع المنهزمون إلى منزل قانصوه بك وإيواظ بك، لم يسهل عليهم ذلك، واتفقوا على البروز إليهم، فركبوا في يوم الاثنين رابع عشر ربيع الثاني، وخرج الفريقان إلى جهة قصر العيني والروضة فتلاقيا وتحاربا، وتقاتلا قتالًا شديدًا تجندلت فيه الأبطال، وقُتل من الجند خاصة زيادة عن الأربعماية نفر من الفريقين خلا العربان والهوارة وغيرهم، وقصد إيواظ بك محمد بك الصعيدي، فانهزم إلى جهة المجراة فساق خلفه.

وكان الصعيدي قد أجلس أنفارًا فوق المجراة مكيدة وحذرًا، فضربوا على إيواظ بك بالرصاص ليردوه. فأصيب برصاصة في صدره فسقط عن جواده، وتفرقت جموعه، وأخذ الأخصام رأسه، وبينما القوم في المعركة إذْ ورد عليهم الخبر بموت إيواظ بك فانكسرت نفوسهم، وذهبوا في طلبه فوجدوه مقتولًا مقطوع الرأس، فحمله أتباعه ورجع القوم إلى منازلهم، ولما قطعوا رأس إيواظ بك وذهبوا بها إلى محمد بك، قال: هذه رأس من؟ قالوا: رأس قليدهم إيواظ بك. فأخذها وذهب بها عند أيوب بك ورضوان. فقال أيوب بك: هذه رأس من؟ قال: رأس قليدهم. فبكى أيوب بك وقال: حرم علينا عيش

مصر. قال محمد بك: هذا رأس قليدهم وراحت عليهم. قال له أيوب بك: أنت ربيت في أين؟ أما تعلم أن إيواظ بك وراه رجال وأولاد ومال، وهذه الدعوة ليس للقاسمية فيها جناية، والآن جرى الدم فيطلبون تارهم ويصرفون مالًا ولا يكون إلا ما يريده الله.

ولما ذهبوا بالرأس إلى الباشا فرح فرحًا شديدًا، وظن تمام الأمر له ولمن معه، وأعطى ذهبًا وبقاشيش، ودفنوا إيواظ بك، وطلبوا من أيوب بك الراس، فأرسلها لهم بعد ما سلخها، فدفنوها مع جثته، ثم إن أيوب بك كتب تذْكِرة، وأرسلها إلى إبراهيم أبو شنب يعزيه في إيواظ بك، ويقول له: إن شاء الله تعالى بعد ثلاثة أيام نأخذ خاطر الباشا ويقع الصلح، وأرادوا بذلك التثبيط حتى يأخذوا من الباشا دراهم يصرفونها ويرتبوا أمرهم.

وأما ما كان من أمر أتباع إيواظ بك، فركب يوسف الجزار، وأخذ معه إسماعيل بن إيواظ بك المتوفى وأحمد كاشف، وذهبوا عند قانصوه بك، فوجدوا عنده إبراهيم بك وأحمد بك مملوكه وقيطاس بك وعثمان بك بارم ديله، ومحمد بك الصغير المعروف بقطامش جالسين وعليهم الحزن والكآبة. فلما استقر بهم الجلوس بكى قيطاس بك، فقال له يوسف الجزار: وإيش فايدة البكاء؟ دبروا أمركم. قالوا: كيف العمل؟ قال يوسف الجزار: هذه الواقعة ليس لنا فيها علاقة، أنتم فقارية في بعضكم، وإننا الآن انجرحنا، ومات واحد خلّف ألفًا، وخلّف مالًا، اعملوا صنجقًا وأمير حاج وسر عسكر، واعملوا ابن سيدي إسماعيل صنجقًا يفتح بيت أبيه وفيه البركة، وأعطوني فرمانًا مِنَ الذي جعلتموه قايممقام، وحجة من نايب الشرع الذي أقمتموه أيضًا، على أن الذي سقطت عدالته يسقط عنه حلوان البلاد، ونحن نصرف الحلوان على العسكر، والله يعطي النصر لمن يشاء من عباده.

ففعلوا ذلك وراضوا أمورهم في الثلاثة أيام، وتهيأ الفريقان للمبارزة، وخرجوا يوم السبت تاسع عشر ربيع الثاني، وكان أيوب بك حصّن منزله. فاتفق رأيهم على محاربة العسكر المجتمعة أولًا، ثم محاصرة المنزل، فخرج أيوب بك على محاصرة جامع طولون، ووقعت حروب وأمور، ثم رجعوا إلى منازلهم، فلما رأى طايفة العزب تطاول الأمر وعدم التوصل إلى القلعة، وامتناع من فيها وضرب المدافع عليهم ليلًا ونهارًا اجتمع رأيهم على أن يولوا كتخدا على الينكجرية، ويجلسوه بباب الوالي بطايفة من العسكر، وينادوا في الشوارع بأن كل من كانت له علوفة في وجاقات مستحفظان يأتي تحت البيرق بالبوابة، ومن لم يأتِ بعد ثلاثة أيام ينهب بيته. ففعلوا ذلك وعملوا حسن جاويش قريب المرحوم

جلب خليل كتخدا لكونها نوبته، وألبسه قانصوه بك قايممقام قفطانًا، وركب وأمامه الوالي والبيرق والعسكر، والمنادي أمامه ينادي بما ذكر، إلى أن نزل بيت الوالي، وأحضروا الأدباشه المتولي إذ ذاك، وأجلسوه محله، وطاف البلد بطايفته، وكذلك العسكر.

وفي يوم الخميس هجمت الينكجرية من البُدْروم على باب العزب، ومعهم محمد بك الكبير وكتخدا الباشا وإفرنج أحمد، فعندما نزل أولهم من البدروم، وكان العزب قد أعدوا في الزاوية التي تحت قصر يوسف مدفعين ملآنين بالرش والفلوس الجدد فضربوا عليهم، فوقع محمد أغا سركدك والبيرقدار وأنفار منهم، فولوا منهزمين يطأ بعضهم بعضًا. فأخذت العزب روس المقتولين، فأرسلوها إلى قانصوه بك، ثم إن قايممقام والصناجق اتفقوا على تولية علي أغا مستحفظان لضبطه واهتمامه، فلما أرسلوا له أبى أن يفعل ذلك، فتغيب من منزله، فركب يوسف بك الجزار ومحمد بك الصغير وعثمان بك، في عدةٍ كبيرة، ودخلوا على منزل علي أغا فلم يجدوه، وأُخبروا بالمكان الذي هو فيه، فطلبوه، فأتى بعد امتناع وتخوف وتوجه معهم إلى قايممقام، فألبسه قفطان الأغاوية يوم الخميس رابع عشر ربيع الثاني، وعاد إلى منزله بالقفطان، يتقدمه العساكر مشاة بالسلاح والملازمون معلنين بالتكبير وبلفظ الجلالة، كما هي عادتهم في المواكب.

وفي صبيحة ذلك اليوم عين قايممقام بمعرفة حسن كتخدا مستحفظان طايفة من العسكر إلى بولاق صحبة أحمد جربجي؛ ليجلسوه في التكية وصحبته والي بولاق، وأغا من المتفرقة عوضًا عن أغات الرسالة الذي ياتي بها من جانب الباشا، فأجلسوه في منزله، ونهبوا ما وجدوه لأغات الرسالة الأولى من فرش، وأمتعة، وخيل ... وغير ذلك.

وفي صبيحة يوم السبت سادس عشرينه خرج الفريقان إلى خارج القاهرة من باب قناطر السباع، واجتمعوا بالقرب من قصر العيني ومعهم المدافع وآلات الحرب، فتحارب الفريقان من ضحوة النهار إلى العصر، وقُتل من الفريقين من دنا أجله، وأيوب بك ومحمد بك بالقصر العيني، ثم تراجع الفريقان إلى داخل البلاد، وتأخرت طايفة من العزب فأتى إليهم محمد بك الصعيدي، واحتاط بهم وحاصرهم، وبلغ الخبر قانصوه بك، فأرسل إليهم يوسف بك ومحمد بك وعثمان بك، فتقاتلوا مع محمد بك الصعيدي وهزموه، وتبعوه إلى قنطرة السد، وقد كان أيوب بك داخل التكية المجاورة لقصر العيني؛ فلما رأى الحرب ركب جواده ونجا بنفسه، فبلغ يوسف بك أنه بالتكية، فقصدوه واحتاطوا بالقصر. فأخبرهم الدراويش بذهابه، فلم يصدقوهم، ونهبوا القصر العيني وأخربوه وأحرقوه، وعادوا إلى منازلهم. وفي صبيحة يوم الأحد ذهب يوسف بك الجزار،

ونهب غيط إفرنج أحمد الذي بطريق بولاق، ثم اجتمعوا في محل الحرب وتحاربوا، ولم يزالوا على ذلك، وفي كل يوم يُقتل منهم ناس كثير.

وفي ثاني جماد أول اجتمع الأمرا الصناجق بمنزل قايممقام، وتنازعوا بسبب تطاول الحرب وامتداد الأيام، ثم اتفقوا على أن ينادوا في المدينة بأن من له اسم في وجاق من الوجاقات السبعة، ولم يحضر إلى بيت أغاته نُهب ماله وقُتل، وأمهلوهم ثلاثة أيام، ونودي بذلك في عصريتها، وكتب قايممقام بيورلدي إلى من في القلعة من طايفة الينكجرية والكتخدائية والجربجية والأدباشية والنفر، بأننا أمهلناكم ثلاثة أيام، فمن لم ينزل منكم بعدها ولم يمتثل نهبنا داره، وهدمناها، وقتلنا من ظفرنا به، ومن فر رفعنا اسمه من الدفتر. فتلاشى أمرهم واختفت كلمتهم.

وفي رابعة خرج الأمرا والأغوات إلى محل الحرب، وأرسلوا طايفة كبيرة من العسكر المشاة؛ لمحاصرة منزل أيوب بك، فتحارب الفرسان إلى آخر النهار، وأما الرجالة فإنهم تسلقوا من منزل إبراهيم بك، وتوصلوا إلى منزل عمر أغاة الجراكسة، فتحاربوا مع من فيه إلى أن أخلوه، ودخلوا فيه، وشرعوا ليلًا في نقب الرَّبع المبني على علوه منزل أيوب بك، فنقبوه وكمنوا فيه.

فلما كان صبيحة يوم الأحد خامس عشره، حملوا حملة واحدة على منزل أيوب بك، وضربوا البنادق فلم يجدوا من يمنعهم بل فرّ كل من فيه، وركب أيوب بك وخرج هاربًا من باب الجبل، فلم يعلم أين يتوجه؟ فملكوا منزله ونهبوه، مع كونه كان مستعدًا، ورَكَّب في أعالي منزله المدافع وفي قلعة الكبش، وأرسل له إفرنج أحمد بيرقًا وعساكر فلم يفده ذلك شيئًا، ونهبوا أيضًا منزل أحمد أغا التفكجية بعد ما قتلوه ببيت قايم مقام، ولحق من لحق بأيوب بك، وفرّ الجميع إلى جهة الشام، وفر محمد بك إلى جهة الصعيد ووقع النهب في بيوت من كان في حزبهم، ونهبوا بيت يوسف أغا ناظر الكسوة سابقًا، وبيت محمد أغات متفرقة باشه، وبيت محمد بك الكبير وأحرقوه، وبيت أحمد جربجي قونلي، وأحرقوا بيت أيوب بك وما لحقه من الربع والدكاكين.

فلما حصل ذلك، واجتمع العساكر بمنزل قايمقام بالأسلحة وآلات الحرب، وذلك سادس جمادى الأولى، وأرسلوا طايفة إلى جبل الجيوشي، فركّبوا مدافع على محل الباشا، ومدافع على قلعة المستحفظان، وأحاطوا بالقلعة من أسفل، وضربوا ستة مدافع على الباشا، ورموا بنادق فنصب الباشا بيرقًا أبيض يطلب الأمان، وفرّ من كان داخل القلعة من العسكر، فبعضهم نزل بالحبال من السور، وبعضهم خرج من باب المطبخ، فعند

ذلك هجمت العساكر الخارجة على الباب، ودخلوا الديوان؛ فأرسل الباشا القاضي، ونقيب الأشراف يأخذان له أمانًا من الصناجق والعسكر، فتلقوهما، وأكرموهما، وسألوهما عن قصدهما، فقالا لهم: الباشا يقرئكم السلام، ويقول لكم، إنا كنا اغتررنا بهؤلاء الشياطين، وقد فروا، والمراد أن تُعلِمُونا بمطلوبكم فلا نخالفكم. فقالوا لهما: أعلموه أن الصناجق والأمراء والأغوات والعسكر قد اتفقوا على عزله، وأن قانصوه بك قايمقام، وأما الباشا فإنه ينزل ويسكن في المدينة إلى أن نعرض الأمر على الدولة ويأتينا جوابهم.

فأرسل القاضي نايبه إلى الباشا يعرفه عن ذلك، فأجابه بالطاعة واستأمنهم على نفسه وماله وأتباعه، وركب من ساعته في خواصه ويَقْدُمُه قايمقام، وأغات مستحفظان عن يمينه، وأغات المتفرقة عن شماله، واختيارية الوجاقات من خلفه وأمامه، ونزل من باب الميدان، وشق من الرميلة على الصليبة، والعامة قد اصطفت يشافهونه بالسب واللعن إلى أن دخل بيت علي أغا الخازندار بجوار جامع المظفر، وهجم العسكر على باب مستحفظان فملكوه، ونهبوا بعض أسباب حسين أغا مستحفظان.

وخرج حسين أغا من باب المطبخ، فلما رآه يوسف بك أشار إلى العسكر فقطَّعوه، وقطعوا إسماعيل أفندي بالمحجر، وكذلك عمر أغات الجراكسة بحضرة إسماعيل بن إيواظ، وخازنداره ذو الفقار الذي وقع في عرْض بَلَدِيِّه علي خازندار، وحسن كتخدا الجلفي فَحمياه من القتل، وذو الفقار هذا هو الذي قتل إسماعيل بك ابن إيواظ، وصار أميرًا كما يأتي ذكر ذلك في موضعه، فقتلوه بباب العزب، ونزل إفرنج وكجك أحمد أودباشه إلى المحجر مُتنكِّرين فعرفهما الجالسون بالمحجر فقبضوا عليهما، وذهبوا بهما إلى باب العزب وقطعوا رأسيهما، وذهبوا بهما إلى بيت إيواظ بك، وطلع علي أغا إلى محل حكمه، وطلع حسن كتخدا من باب الوالي، وأمامه العساكر بالأسلحة إلى باب مستحفظان والبيرق أمامه، ونزل جاويش إلى أحمد كتخدا ببرِّ مَقْس فوجده في بيت إسماعيل كتخدا عزبان، فأخذه وطلع به إلى الباب فخنقوه وأخذوه إلى منزله في تابوت، وركب علي أغا وأمامه الملازمين بالبيرشان، فطاف البلد وأمر بتنظيف الأتربة وأحجار المتاريس وبناء النقوب، وألبس قايمقام أغوات البلكات السبع قفاطين، وطلع الذين كانوا بباب العزب من الينكجرية إلى بابهم، وعِدَّتُهم ستماية إنسان.

وفي حادي عشر جمادى الأولى لبس يوسف بك الجزار على إمارة الحاج، ومحمود بك على السويس، وعَينَ يوسف بك المذكور مصطفى أغا الجراكسة للتجريدة على الشرقية.

وفي رابع عشره لبس محمد بك الصغير على ولاية الصعيد، وخرج من بيته بموكب إلى الأثر، وصحبته الطوايف الذين عينوا معه من السبع بلكات بسرداریاتهم وبیارقهم،

وعِدتهم خمسماية نفر؛ مايتان من الينكجرية والعزب، وثلثماية نفر من الخمس بلكات. و أعطوا كل نفر من المايتين: ألف نصف فضة ترحيلة، ولكل شخص من الثلثماية: ألف وخمسماية نصف فضة، وسافروا رابع جمادى الآخرة، وكان محمد بك الكبير خرج مقبلًا وصحبته الهوارة، فخرج وراه يوسف بك الجزار، وعثمان بك بارم ديله، ومحمد بك قطامش، فوصلوا دير الطين فلاقاهم شيخ الترابين، فأخبرهم أنه مرّ من ناحية التبين نصف الليل، فرجعوا إلى منازلهم، وبلغهم في حال رجوعهم أن خازندار رضوان أغا تخلف عند الدراويش بالتكية، فقبضوا عليه وقطعوا دماغه، ولم يزل محمد بك الصعيدي يسير حتى وصل إخميم، وصحبته الهوارة، وقتل ما بها من الكُشاف، ونهب البلاد، وفعل أفعالًا قبيحة، ثم ذهب إلى أسيوط، فأرسل إلى قايمقام جرجه؛ ليتصرف في جميع تعلقاته، وأرسلها إليه نقودًا، ونزل مختفيًا إلى بحري، ومرَّ من إنبابة نصف الليل، ولم يزل سايرًا إلى دمياط، ونزل في مركب إفرنجي وطلع إلى حلب، ووصل خبره إلى السردار فجمع السرادرة والعسكر، ولحقوه على البرج فلم يدركونه، ثم إنه ركب من حلب وذهب إلى دار السلطنة من البر، وكان أيوب بك ومحمد أغا متفرقة وكتخدا الجاويشة سليمان أغا وحسن الوالي وصلوا قبله، وقابلوا الوزير، وأعلموه بقصتهم، وعرضوا عليه الفتوى، وعرض الباشا والقاضي فأكرمهم وأنزلهم في مكان، ورتب لهم تعيينًا، ثم أتاهم محمد بك، وقابل معهم الوزير أيضًا، فخلع عليه وولاه منصبًا، وأما رضوان أغا فإنه تخلّف ببلاد الشام، ومحمد أغا الكور صحبته.

وفي تاسع عشر ربيع الأول رجع يوسف بك ومصطفى أغا من الشرقية، وفي سابع جمادى الآخرة تقلد محمد بك ابن إسماعيل بك ابن إيواظ بك الصنجقية.

ثم إنهم اجتمعوا في بيت قايمقام، وكتبوا عرضحال بصورة ما وقع، وطلبوا إرسال باشا واليًا على مصر، وذكروا فيه: أن الخزنة تصل صحبة محمد بك الدالي، وانقضت الفتنة وما حصل بها من الوقايع التي لخصنا بعضها، وذكرناه على سبيل الاختصار.

واستمر خليل باشا بمصر حتى حضر والي باشا وحاسبوه، وسافر في ثامن عشر جمادى الأولى سنة أربع وعشرين وماية وألف، وكانت أيام فتن وحروب وشرور، كما قال الشيخ حسن الحجازي رحمه الله تعالي:

قد جاء مصَر باشة أيامُه ليست مِلاح
ضَرَبَ مدافعًا بها كذا رماح وصِفَاح

فقلت في تاريخه　　خليل باشا في كِلاح
أي في زمان كالح　　ليس به وقت انشراح
ويسأل البدري حسن　　مِن رَبِّه قَمْعَ القِباح

وقال أيضًا:

قد نزلت بمصرنا　　نازلةٌ على العبيدْ
فظيعةٌ شنيعةٌ　　ليس عليها من مزيد
فقلت في تاريخها　　خليل باشا في هَمِيد
أى في خمود وانطِفَا　　وغاية المقت الشديد
ويسأل البدري حسن　　من ربه قهر المريد

وله غير ذلك في خصوص هذه الحادثة منظومات أذكر بعضها في ترجمة إيواظ بك وأحمد الإفرنج وغيره.

ثم تولى على مصر والي الباشا فوصل إلى مصر، وطلع إلى القلعة في أواخر رجب سنة ثلاث وعشرين وماية وألف. ١٧١١م.

وفي شوال قلدوا أحمد بك الأعسر تابع إبراهيم بك صنجقية، وزادوه كشوفية البحيرة، وكان قانصوه بك قايمقام قبل وصول الباشا قد رسم بإخراج تجريدة إلى هوارة المفسدين، الذين أتوا إلى مصر صحبة محمد بك الصعيدي ورجعوا صحبته، وأخربوا إخميم وقتلوا الكشاف، وأمير التجريدة محمد بك قطامش وصحبته ألف عسكري، وأعطوا كل عسكري ثلاثة آلاف نصف فضة من مال البهار سنة تاريخه، وأن يكون محمد بك حاكم جرجا عن سنة ثلاثٍ وعشرين، وأربعٍ وعشرين.

وقضى أشغاله، وبرَّز خيامه إلى الآثار، ثم طلب الوجه القبلي إلى أن وصل إلى أسيوط، فقبض على كل من وجده من طرف محمد بك الصعيدي وقتله، ومنهم: حسين أدباشه ابن دقماق. ثم انتقل إلى منفلوط، وهربت طوايف الهوارة بأهلها إلى الجبل الغربي، وأتت إليه هوارة بحري صحبة الأمير حسن. فأخبروه بما وقع لهم وساروا صحبته إلى جرجا، فنزل بالصيوان، وأبرز فرمانًا قري بحضرة الجمع بإهراق دم هوارة قبلي، وأمر بالركوب عليهم إلى إسنا، وتسلط عليهم هوارة بحري، ونهبوا مواشيهم وأغنامهم ومتاعهم وطواحينهم، واشتفوا منهم، وكل من وجدوه منهم قتلوه، ولم يزل في سيره حتى وصل قنا وقوص، ثم رجع إلى جرجا.

ثم إن هوارة قبلي التجوا إلى إبراهيم أبو شنب، والتمسوا منه أن يأخذ لهم مكتوبًا من قيطاس بك بالأمان، ومكتوبًا إلى حاكم الصعيد كذلك، وفرمانا من الباشا بموجب ذلك. فأرسل إلى قيطاس بك تَذكِرة صحبة أحمد بك الأعسر يترجى عنده، فأجاب إلى ذلك، وأرسلوا به محمد كاشف كتخدا، وبرجوع التجريدة والعفو عن الهوارة، ورجع محمد كاشف والتجريدة وصحبته التقادم والهدايا، وأرسلوا إلى إبراهيم بك مركب غلال وخيول مُثْمنَة وأغنامًا.

وفي أواخر شوال ورد أغا من الدولة على يده مرسومات منها محاسبة خليل باشا، واستعجال الخزينة، وبيع بلاد من قتل في أيام الفتنة وكذلك أملاكهم.

وفي شهر رمضان قبل ذلك جلس رجل رومي واعظ يعظ الناس بجامع المؤيد، فكثر عليه الجمع وازدحم المسجد، وأكثرهم أتراك، ثم انتقل من الوعظ وذكر ما يفعله أهل مصر بضرايح الأوليا، وإيقاد الشموع والقناديل على قبور الأوليا، وتقبيل أعتابهم، وفعل ذلك كُفْرٌ يجب على الناس تركه، وعلى ولاة الأمور السعي في إبطال ذلك، وذكر أيضًا قول الشعراني في طبقاته: إن بعض الأوليا اطلع على اللوح المحفوظ، أنه لا يجوز ذلك. فلا تطلع الأنبياء فضلًا عن الأوليا على اللوح المحفوظ، وأنه لا يجوز بناء القباب على ضرايح الأوليا والتكايا ويجب هدم ذلك، وذكر أيضًا وقوف الفقراء بباب زويلة في ليالي رمضان.

فلما سمع حزبه ذلك خرجوا بعد صلاة التروايح، ووقفوا بالنبابيت والأسلحة، فهرب الذين يقفون بالباب، فقطعوا الجوخ والأكر المعلقة وهم يقولون: أين الأولياء؟ فذهب بعض الناس إلى العلما بالأزهر، وأخبروهم بقول ذلك الواعظ، وكتبوا فتوى، وأجاب عليها الشيخ أحمد النفراوي والشيخ أحمد الخليفي بأن كرامات الأوليا لا تنقطع بالموت، وأن إنكاره اطلاع الأوليا على اللوح المحفوظ لا يجوز، ويجب على الحاكم زجره عن ذلك، وأخذ بعض الناس تلك الفتوى ودفعها للواعظ، وهو في مجلس وعظه.

فلما قرأها غضب، وقال: يا أيها الناس، إن علماء بلدكم أفْتوا بخلاف ما ذكرتُ لكم، وأني أريد أن أتكلم معهم وأباحثهم في مجلس قاضي العسكر، فهل منكم من يساعدني على ذلك وينصر الحق؟

فقال له الجماعة: نحن معك لا نفارقك؛ فنزل عن الكرسي، واجتمع عليه من العامة زيادة عن ألف نفس، ومرَّ بهم من وسط القاهرة إلى أن دخل بيت القاضي قُريب العصر. فانزعج القاضي وسألهم عن مرادهم فقدموا له الفتوى، وطلبوا منه إحضار المفتَيْن والبحث معهما.

فقال القاضي: اصرفوا هؤلاء الجموع، ثم نحضرهم ونسمع دعواكم. فقالوا: ما تقول في هذه الفتوى؟ قال: هى باطلة. فطلبوا منه أن يكتب لهم حجة ببطلانها. فقال: إن الوقت قد ضاق، والشهود ذهبوا إلى منازلهم، وخرج الترجمان، فقال لهم ذلك، فضربوه واختفى القاضي بحريمه. فما وسع النايب إلا أنه كتب لهم حجة حسب مرادهم. ثم اجتمع الناس في يوم الثلاثاء عشرينه وقت الظهر بالمؤيد لسماع الوعظ على عادتهم، فلم يحضر لهم الواعظ. فأخذوا يسألون عن المانع من حضوره، فقال بعضهم: أظن أن القاضي منعه من الوعظ. فقام رجل منهم وقال: أيها الناس، من أراد أن ينصر الحق فليقم معي! فتبعه الجمُّ الغفير، فمضى بهم إلى مجلس القاضي؛ فلما رآهم القاضي ومَن في المحكمة طارت عقولهم من الخوف، وفرَّ من بها من الشهود، ولم يبقَ إلا القاضي، فدخلوا عليه وقالوا له: أين شيخنا؟ فقال: لا أدري! فقالوا له: قم واركب معنا إلى الديوان، ونُكلم الباشا في هذا الأمر، ونسأله أن يحضر لنا أخصامنا الذين أفتوا بقتل شيخنا، ونتباحث معهم، فإن أثبتوا دعواهم نجوا من أيدينا وإلا قتلناهم.

فركب القاضي معهم مُكْرهًا، وتبعوه من خلفه وأمامِه إلى أن طلعوا إلى الديوان، فسأله الباشا عن سبب حضوره في غير وقته، فقال: انظر إلى هؤلاء الذين ملأوا الديوان والحوش فهم الذين أتوا بي، وعرَّفه عن قصتهم وما وقع منهم بالأمس واليوم، وأنهم ضربوا الترجمان، وأخذوا مني حجة قهرًا، وأتوا اليوم وأركبوني قهرًا. فأرسل الباشا إلى كتخدا الينكجرية، وكتخدا العزب، وقال لهما: اسألوا هؤلاء عن مرادهم. فقالوا: نريد إحضار النفراوي والخليفي؛ ليبحثا مع شيخنا فيما أفتيا به علينا.

فأعطاهم الباشا بيورلدي على مرادهم، ونزلوا إلى المؤيد وأتوا بالواعظ وأصعدوه إلى الكرسي، فصار يعظهم، ويحرضهم على اجتماعهم في غد بالمؤيد، ويذهبون بجمعيتهم إلى القاضي، وحضهم على الانتصار للدين وقمع الدجالين، وافترقوا على ذلك.

وأما الباشا فإنه لما أعطاهم البيورلدي أرسل بيورلديًّا إلى إبراهيم بك وقيطاس بك يعرفهم ما حصل، وما فعله العامة من سوء الأدب، وقصدهم تحريك الفتن، وتحقيرنا نحن والقاضي، وقد عزمت أنا والقاضي على السفر من البلد، فلما قرأ الأمراء ذلك لم يقر لهم قرار، وجمعوا الصناجق والأغوات ببيت الدفتردار، وأجمعوا رأيهم على أن ينظروا هذه العصبة من أي وجاق ويخرجوا من حقهم، ويُنفي ذلك الواعظ من البلد، وأمروا الأغا أن يركب، ومن رآه منهم قبض عليه، وأن يدخل جامع المؤيد، ويطرد من يسكنه من السَّفَط.

فلما كان صبيحة ذلك اليوم ركب الأغا، وأرسل الجاويشية إلى جامع المؤيد، فلم يجدوا منهم أحدًا، وجعل يفحص ويفتش على أفراد المتعصبين، فمن ظفر به أرسله إلى باب أغاته، فضربوا بعضهم، ونفوا بعضهم، وسكنت الفتنة، وفي ذلك يقول الشيخ حسن الحجازي رحمه الله:

مصرٌ قد حَلَّ بها واعظْ عن منَهْج صدقٍ قد أعرضْ
أَبْدَي جهلًا فيها قولًا منه الحُبْلى حالًا تُجْهِض
فأساء الظنَّ بسادات أحكامُ الدين بهم تَنهض
إذْ قال لنا مِنْ أين لكم خَتْم بالخير لهم يُفرض؟
وكراماتٌ لهمُ انقطعت بالموت زيارتُهم تُرفض
وتُهَدُّ جميعُ قبابُهُمُ ومُرتَّبهُمْ كُلًّا يُنْقَض
وعلى اللوح المحفوظِ فما للهادي مُطَّلِعٌ يُعْرَض
وخرافاتٌ شَتى الأَلسُن بها إن فاهت شرعًا تُقْرض
وغلا واسْتوْغَل واستعلى وعلينا العسكر، قد حرض
وإلى القاضي ذهبوا جَهْرًا كي يكتبَ ما فيه فَقَبَضْ
وبه نحو الباشا انطلقوا فارتاعَ وما عنهم أعرض
ولهم أمضى ما قد طلبوا أن يبقى الواعظُ واستنهض
في الحال صناجق والأُمرا في قمع أولئك واسْتَحْضَض
فإذن قاموا معه صدقًا وأزالوا كلَّ مَن اسْتَعْرض
والواعظُ فرَّ وقيل قُتل وعليه الخزي قد اسْتَربَض
وكفانا اللهُ مُؤْنَتَهُ وله أرِّخ عيبٌ أمْرَض
والبَدْرِي مَنْ يُسمى حسنًا يدعو من نافق أو يَرْفُض
رمضانُ به ذا كان فلا بَعْدان يَرْمُض مَن أبعض

وفى ثالث المحرم سنة أربع وعشرين ومائة وألف

ورد مرسوم سلطاني بطلب ثلاثة آلاف من العساكر المِصْرَيَّة إلى الغزو، وفي ثامنه تشاجر رجل شريف مع تركي في سوق البندقانيين فضرب التركي الشريف فقتله، ولم يُعلم أين ذهب؟ فوضع الأشراف المقتول في تابوت، وطلعوا به إلى الديوان، وأثبتوا القتل على القاتل.

فلما كان يوم عاشره قامت الأشراف، وقفلوا أسواق القاهرة، وصاروا يرجمون أصحاب الدكاكين بالحجارة، ويأمرونهم بقفل الدكاكين، وكل من لقوه من الرعية أو من أمير يضربونه، ومكثوا على ذلك يومهم، وأصبحوا كذلك يوم الجمعة وأرسلوا خبرًا للأشراف القاطنين بقرى مصر ليحضروا، واجتمعوا بالمشهد الحسيني، ثم خرجوا وأمامهم بيرق وذهبوا إلى منزل قيطاس بك الدفتردار، فخرج عليهم أتباعه بالسلاح فطردوهم وهزموهم.

فلما تفاقم أمرهم تحركت عليهم العساكر، وركب أغوات الإسباهية الثلاث، وأغات الينكجرية في عَدَدِهم وعِدَدِهم، وطافوا البلد، فعند ذلك تفرقت الجمعية ورجع كل إلى مكانه، ونادوا بالأمن والأمان، وفتحت الدكاكين، ثم اجتمع رأي الأمراء على نفي طائفة من أكابر الأشراف، فتشفع فيهم المشايخ والعلما فعفوا عنهم.

وفي هذا الشهر وقع ثلج بقريتي سرسنة وعشما من بلاد المنوفية، كل قطعة منه مقدار نصف رطل، وأقل وأكثر، ثم نزلت صاعقة أحرقت مقدارًا عظيمًا من زرع الناحية وقتلت أناسًا.

وفي يوم الخميس ثامن ربيع الأول سافر مصطفى بك تابع يوسف أغا من بولاق بالعسكر صحبة المعينين للغزو، وحضرت العساكر الذين كانوا في سفر الموسقو صحبة

سردارهم إسماعيل بك، ولما عادوا إلى إسلامبول بالنصر، وضعوا لهم على رؤوسهم ريشًا في عمائمهم سِمَة لهم، ومات أميرهم إسماعيل بك بإسلامبول، ودخلوا مصر وعلى رؤوسهم تلك الريش المسماة بالشلنجات.

وفي ثاني عشرينه قبل الغروب خرجت فرتينة بريح عاصف أظلم منها الجو، وسقط منها بعض منازل.

وفي غرة ربيع الثاني ورد أغا ومعه مرسوم مضمونه حصول الصلح بين السلطنة والموسقو، ورجوع العسكر المصري، ولما رجعوا أخذوا منهم ثلثي النفقة وتركوا لهم الثلث، وكذلك التراقي من الجوامك التي تعطى للسردارية وأصحاب الدركات.

وفي ثامن عشْرِه ورد قابجي باشا وعلى يده مرسوم بتقليد قيطاس بك الدفتردار أميرًا على الحاج عوضًا عن يوسف بك الجزار، وأن يكون إبراهيم بك بشناق المعروف بأبي شنب دفتردارًا، فامتثلوا ذلك ولبسوا الخلع، ومرسوم آخر بإنشاء سفينتين ببحر القلزم لحمل غلال الحرمين، وأن يجهزوا إلى مكة ماية وخمسين كيسًا من الأموال السلطانية برسم عمارة العين على يد محمد بك ابن حسين باشا. ثم إن قيطاس بك اجتمع بالأمرا وشكا إليهم احتياجه لدراهم يستعين بها على لوازم الحاج ومهماته، فعرضوا على الباشا وطلبوا منه أن يمده بخمسين كيسًا من مال الخزينة، ويعرض في شأنها بعد تسليمها إلى الدولة، وإن لم يمضوا ذلك يحصلوها من الوجاقات بدلًا عنها.

وفي يوم الأربعاء وصل من طريق الشام باشا معين لمحافظة جدة يُسمى خليل باشا، فدخل القاهرة في كبكبة عظيمة وعساكر رومية كثيرة يقال لهم: «سارجة سليمان» وجمال محملة بالأثقال يقدمهم ثلاثة بيارق، وخرج لملاقاته الباشا وقيطاس بك أمير الحاج في طايفة عظيمة من الأمراء والأغوات والصناجق، وقابلوه وأنزلوه بالغيط المعروف بحسن بك، ومدوا هناك سِماطًا عظيمًا حافلًا، وقدموا له خيولًا، وساروا معه إلى أن دخلوا إلى المدينة في موكب عظيم إلى أن أنزلوه بمنزل المرحوم إسماعيل بك المتوفى في سَفر الموسقو بجوار الحنفي، فلم يزل هناك حتى سافر في أوائل رجب سنة تاريخه، وخرج بموكب عظيم أيضًا.

وفي منتصف شعبان تقلد أحمد بك الأعسر على ولاية جرجا عوضًا عن محمد بك الصغير المعروف بقطامش. ثم ورد أمر بتقليد إمارة الحج لمحمد بك قطامش عوضًا عن سيده، وطلع بالحج سنة أربع وعشرين، ورجع سنة خمس وعشرين، وذلك من فعل قيطاس بك سرًّا، وتقلد ولاية جرجا مصطفى بك قزلار، وفي يوم الخميس عشرينه تقلد

محمد بك المعروف بجركس تابع إبراهيم بك أبي شنب الصنجقية، وكذلك قيطاس تابع قيطاس بك أمير الحاج، وفي عاشر شوال ورد عبد الباقي أفندي، وتولى كتخداية والي باشا، ومعه تقرير للباشا على ولاية مصر.

وفي ثالث عشر ذي القعدة ورد أيضًا مرسوم صحبة أغا معين بطلب ثلاثة آلاف من العسكر المصري لسفر الموسقو لنقضهم المهادنة، وقرئ ذلك بالديوان بحضرة الجمْع. فألبسوا حسين بك المعروف بشلاق سردار. عوضًا عن عثمان بك ابن سليمان بك بارم ديله، وقضى أشغاله، وسافر في أوائل المحرم.

سنة خمس وعشرين ومابة وألف

ورد أيضًا أغا باستعجال الخزينة، ورجع الحجاج في شهر صفر صحبة محمد بك قطامش، وانتهت رياسة مصر إلى قيطاس بك، ومحمد بك، وحسن كتخدا النجدلي، وكور عبد الله، وإبراهيم الصابونجي. فسولت لقيطاس بك نَفْسُه قطعَ بيت القاسمية، وأخذ يدبر في ذلك، وأغرى سالم بن حبيب، فهجم على خيول إسماعيل بك ابن إيواظ بك في الربيع، وجم أذناب الخيول ومعارفها. ما عدا الخيول الخاص فإنها كانت بِدُوَّار الوسية، وذهب ولم يأخذ منها شيئًا، وحضر في صبحها أمير أخور فأخبروه، وكان عنده يوسف بك الجزار، فلاطفه وسَكَّنَ حدَّتَه، وأشار عليه بتقليد حسن أبي دفَّيّة قايمقام الناحية ففعل ذلك، وجرت له مع ابن حبيب أمور ستذكر في ترجمة ابن حبيب فيما يأتي. ثم إنه كتب عرضحالًا أيضًا على لسان الأمير منصور الخبيري يُذكر فيه أن عرب الضعفاء أخربوا الوادي، وقطعوا درب الفيوم، وأرسل ذلك العرضحال صحبة قاصدٍ يأمنُه. فختمه منصور، وأرسله إلى الباشا صحبة البكاري خفير القرافة. فلما طلع قيطاس بك في صبحها إلى الباشا، واجتمع باقي الأمراء، وكان قيطاس بك رتب مع الباشا أمرًا سِرًّا وأغراه وأطمعه في القاسمية، وما يؤول إليه من حُلوان بلاد إبراهيم بك ويوسف بك، وابن إيواظ بك وأتباعهم.

فلما استقر مجلسهم دخل البكاري بالعرضحال، فأخذه كاتب الديوان، وقراه على أسماع الحاضرين. فأظهر الباشا الحدة، وقال: أنا أذهب لهؤلاء المفاسيد الذين يُخَرِّبون بلاد السلطان، ويقطعون الطريق. فقال إبراهيم بك: أقل ما فينا يخرج من حقهم، وانحطَّ الكلام على ذهاب إبراهيم بك وإسماعيل بك، ويوسف بك وقيطاس بك وعثمان بك ومحمد قطامش، وكان قانصوه بك في بني سويف في الكشوفية، وأحمد بك الأعسر في إقليم البحيرة. فلما وقع الاتفاق على ذلك خلع عليهم الباشا قفاطين، ونزلوا

فأرسلوا خيامهم ومطابخهم إلى تحت أم خنان ببرِّ الجيزة، وعَدُّوا بعد العصر ونزلوا بخيلهم، واتفق قيطاس بك مع عثمان بك أنهم يعدون خلفهم بعد المغرب، ويكونون أكلوا العَشَاء وعَلَّقُوا على الخيول، وعندما ينزلون إلى الصيوان يتركون الخيول مُلْجَمَة، والماليك والطوائف بأسلحتها، فإذا أتى إلينا الثلاثة صناجق نقتلهم، ثم نركب على طوائفهم وخيولهم مربوطة، فنقتل كل من وقع، ونُخَلِّص ثأر الفقارية الذين قتلهم خال إبراهيم بك في الطَرَّانة. فلما فعلوا ذلك وعدوا وأوقدوا المشاعل، وذلك وقت العشاء، ونزلوا بالصيوان.

قال إبراهيم بك ليوسف بك وإسماعيل بك: قوموا بنا نذهب عند قيطاس بك، قالا له: أنت فيك الكفاية. فذهب إبراهيم بك وهو ماشٍ، ولم يخطر بباله شيء من الخيانة. فلما دخل عندهم وسلم وجلس سأله قيطاس بك عن رفقائه، فقال: إنهم جالسون محلهم، فلم يتم ما أرادوه فيهم من الخيانة. فعند ذلك قام محمد بك وعثمان بك إلى خيامهما، وقلعا سلاحهما وخلعا لجامات الخيل وعَلَّقَا مخالي التَّبْن ورجعا إليهما.

فقال قيطاس بك لإبراهيم بك: اركبوا أنتم الثلاثة في غدٍ وانصبوا عند وسيم، ونحن نذهب إلى جهة سَقَّارة. فنطرد العربَ، فيأتون إلى جهتكم فاركبوا عليهم. فأجابه إلى ذلك، ثم قام وذهب إلى رفقائه فأخبرهم بذلك، وباتوا إلى الصباح، وفي الصباح حملوا وساروا إلى جهة وَسيم كما أشار إليهم قيطاس بك، فنزلت إليهم الزيدية بالفطور فسألوهم عن العرب، فقالوا لهم: الوادي في أمن وأمان بحمد الله لا عرب ولا جَرَب ولا شر.

وأما قيطاس بك ومن معه فإنه رجع إلى مصر، وأرسل إلى ابن حبيب بأن يجمع نصف سعد وعرب بلى، ويرسلهم مع ابنه سالم يَدْهَمُون الجماعة بناحية وسيم ويقتلونهم. فَتلكَّأَ ابن حبيب في جمع العربان لصداقة قديمة بينه وبين إبراهيم بك، وحضر لهم رجل من الأجناد كان تخلَّف عنهم لعذر حصل له، فأخبرهم برجوع قيطاس بك ومن معه إلى مصر، فركب إبراهيم بك ويوسف بك وإسماعيل بك، ونزلوا بالجيزة عند أبي هريرة، وصحبتهم خيالة الزيدية، وباتوا هناك وعدوا في الصباح إلى منازلهم سالمين.

وفي هذه السنة حصل طاعون، وكان ابتداؤه في القاهرة في غرة ربيع الأول، تناقص في أواخر جمادى الآخرة، ووصل عابدين باشا إلى الإسكندرية، وتقلد يوسف بك الجزار قايمقام، وخلع علي ابن سيده إسماعيل بك، ولما حضر الباشا إلى الحلي، وطلع إلى العادلية، وأحضر الأمراء تقادمهم، وقدم له إسماعيل بك تقدمة عظيمة، وأحبه الباشا،

واختص به، ومال قلبه إلى فرقة القاسمية، فقلدهم المناصب والكشوفيات، وحضر مرسوم بإمارة الحج لإسماعيل بك ابن إيواظ بك، وعابدين باشا هذا هو الذي قتل قيطاس بك، بقراميدان، كما يأتي خبر ذلك في ترجمة قيطاس بك.

وهرب محمد بك قطامش تابعه بعد قتل سيده إلى بلاد الروم، وأقام هناك مدةً ثم عاد إلى مصر، وسيأتي خبر ذلك في ترجمته، وفي ولايته تقلد عبد الله كاشف وصاري علي وعلي الأرمني وإسماعيل كاشف صناجق الأربعة إيواظية، وتقلد منهم أيضًا عبد الرحمن أغا ولجة أغات جملية، وإسماعيل أغا كتخدا وإيواظ بك كتخدا جاويشية، ومن أتباع إبراهيم بك أبي شنب قاسم الكبير، وإبراهيم فارسكور، وقاسم الصغير، ومحمد جلبي بن إبراهيم بك أبي شنب، وجركس محمد الصغير، خمستهم صناجق، واستقر الحال وطلع بالحج الأمير إسماعيل بك ابن إيواظ سنة سبع وعشرين وسنة ثمانٍ وعشرين في أمنٍ وأمان، وسخاء ورخاء.

وفي سنة ثمانٍ وعشرين ورد أغا من إسلامبول وعلى يده مرسوم بطلب ثلاثة آلاف من العسكر المصري، وعليهم أمير قائد، وكانت النوبة على محمد بك جركس الكبير. فلما اجتمعوا بالديوان وقري المرسوم خلع الباشا على محمد بك جركس القفطان، ونزل إلى داره فطوى القفطان وأرسله إلى سيده إبراهيم بك، ويقول له: عندك خلافي صناجق كثيرة فإني قشلان، فتكدر خاطره. ثم أرسل إليه صحبة أحمد بك الأعسر عشرين كيسًا، فاستقلها، فأعطاه أيضًا وصولًا بعشرة أكياس على الطَّرَّانه. فجهَّزَ حاله وركب إلى قصر الحلي بالموكب، وأحضر عنده الحريم فأقام أيامًا في حظه وصفائه، والأغا المعين يستعجل السفر، وفي كل يوم يأتيه فرمان من الباشا بالاستعجال والذهاب، وهو لا يبالي بذلك.

ثم إن الباشا تكلم مع إبراهيم بك في شأن ذلك، فلما نزل إلى بيته أرسل إليه أحمد بك الأعسر وقاسم بك الكبير، فأخبراه بتقريط الباشا والاستعجال. فقال في جوابه: جلوسي هنا أحسن من إقامتي تحت الطرانة، حتى يدفعوا لي العشرة أكياس، فلا أرتحل حتى تأتيني العشرة أكياس، ورمى لهم الوصول.

فرجع أحمد بك إلى إبراهيم بك، وأخبره بمقالته ورد إليه الوصول. فما وسعه إلا أنه دفع ذلك القدر إليه نقدًا، وقال: سوف يخرب هذا بيتي بعناده. فلما وصله ذلك نزل إلى المراكب وسافر. ثم ورد مسلم علي باشا وأخبر بولايته مصر. عن سنة تسع وعشرين ومائة وألف فاجتمعوا بالديوان، وتقلد إبراهيم بك أبو شنب قايمقام، ونزل إلى بيته، وخلع على أحمد بك الأعسر، وجعله أمين السِّماط، ونزل عابدين باشا من القلعة عندما

وصل الخبر بوصول علي باشا إلى إسكندرية، وسافرت إليه أرباب الخدم والعكاكيز، وسافر عابدين باشا قبل حضور علي باشا بمصر، وحضر علي باشا وطلع إلى القلعة على الرسم المعتاد، واستقر في ولاية مصر، والأمور صالحة والفتن ساكنة، ورياسة مصر للأمير إبراهيم بك أبي شنب الكبير، والأمير إسماعيل بك ابن إيواظ بك؛ ومحمد كتخدا جدك مستحفظان وإبراهيم جربجي الصابونجي عزبان، وأتباع حسن جاويش القازدغلي وهم عثمان أوده باشه، وسليمان أوده باشه تابع مصطفى كتخدا، وخلافهم من رؤسا باب العزب وباقي البلكات، ومات الأمير إبراهيم بك الكبير سنة ثلاثين.

فاستقل بالرياسة إسماعيل بك ابن إيواظ بك، وسكن محمد بك ابن إبراهيم بك بمنزل أبيه وفي نفسه ما فيها من الغيرة والحسد لإسماعيل بك ابن خشداش أبيه، وفي أواخر سنة تسع وعشرين، ورد قابجي وعلى يده مرسوم بطلب ثلاثة آلاف من عسكر مصر، وعليهم أمير لسفر الجهاد، وكان الدور على محمد بك ابن إيواظ أخي إسماعيل بك، فعلم أخوه أنه خفيف العقل فلا يستر نفسه في السفر فقلد أحمد كاشف صنجقية وجعله أمير العسكر، وجعل مملوكه علي الهندي كتخداه، وقضوا أشغالهم، وركب الأمير والسدادرة بالموكب، ونزلوا إلى بولاق، وسافروا بعد ثلاثه أيام، وأدركوا عسكر الأورام، وسافروا صحبتهم، وحضر محمد جركس من السفر (في سنة ثلاثين) فوجد سيده إبراهيم بك توفي، وأمير مصر إسماعيل بك، فتاقت نفسه للرياسة، فضم إليه جماعة من الفقارية مثل حسين أبو يدك وذي الفقار تابع عمر أغا وأصلان وقيلان ومن يلوذ بهم من أمثالهم، واتخذ لهم سَرَّاجًا قبيحًا يقال له الصيفي، وكان الدفتردار في ذلك الوقت أحمد بك الأعسر تابع إبراهيم بك أبي شنب، وكلما رأى تحرك محمد بك جركس؛ لإثارة الفتن يُهَدِّي عليه ويلاطفه ويطفئ نَارِيتَه.

وكان ذو الفقار لما قتل سيده عمر أغا وأراد إسماعيل بك قتله أيضًا في ذلك اليوم، فوقع على خازندار حسن كتخدا الجلفي، وحماه من القتل، وأخرج له حسن كتخدا حصة في (قمن العروس) بالحلول عن سيده، وهي شركة إسماعيل بك ابن إيواظ، ولم يقدر حسن كتخدا أن يذاكر إسماعيل بك في فايظها؛ لعلمه بكراهته لذي الفقار ويريد قتله.

فلما مات حسن كتخدا الجلفي، وحضر محمد بك جركس من السفر، وانضم إليه ذو الفقار المذكور وخاطب في شأنه إسماعيل بك فلم يفد، ولم يرضَ أن يعطيه شيئًا من فايظه، وتكرر هذا مرارًا، حتى ضاق خناق ذي الفقار من الفشل، فدخل على محمد بك

جركس في وقت خلوة، وشكا إليه حاله، وفاوضه في اغتيال إسماعيل بك، فقال له: أفعل ما تريد، فأخذ معه في ثاني يوم أصلان وقبلان وجماعة خيالة من الفقارية، ووقفوا لإسماعيل بك في طريق الرميلة عند سوق الغلة، وهو طالع إلى الديوان، فمرّ إسماعيل بك وصحبته يوسف بك الجزار وإسماعيل بك جرجا وصاري علي بك. فرموا عليهم بالرصاص، فلم يصب منهم إلا رَجل قوَّاسٌ، ورمح إسماعيل بك، ومن بصحبته إلى باب القلعة، ونزل هناك وكتب عرضحال ملخصه الشكوى من محمد بك جركس، وأنه قد جمع عنده المفسدين، ويريد إثارة الفتن في البلد، وأرسله إلى الباشا صحبة يوسف بك. فأمر علي باشا بكتابة فرمان خطابًا للوجاقات بإحضار محمد بك جركس، وإن أَبَى فحاربوه، واقتلوه.

فلما وصل الخبر إلى جركس ركب مع المنضمين له من فقارية وقاسمية، ووصل إلى الرميلة فصادف الموجهين إليه، فحاربهم وحاربوه، وقتل حسين بك أبو يدك وآخرون، وانهزم جركس وتفرق مَن حوله، ولم يتمكن من الوصول إلى داره فذهب على طريق الناصرية، ولم يزل سايرًا حتى وصل إلى شبرا، ولم يبقَ صحبته سوى مملوكين فلاقاه جماعة من عرب الجزيرة فقبضوا عليهم، وأخذوا سلاحهم، وأتوا بهم إلى بيت إسماعيل بك ابن إيواظ بك، وكان عند أحمد كتخدا أمين البحرين والصابونجي. فأشارا عليه بقتله فلم يرضَ، وقال: إنه دخل بيتي، وخلع عليه فروة سَمُّور، وأعطاه كسوة وذهبًا، ونفاه إلى جزيرة قبرص، ورجع العسكر الذين كانوا بالسفر، واستشهد أمير العسكر أحمد بك.

فقلدت الدولة علي كتخدا الهندي صنجقًا عوضًا عن مخدومه أحمد بك، وأعطوه نظر الخاصكية قيد الحياة، وأطلقوا له بلاده من غير حلوان. فلما وصلوا إلى مصر عمل له يوسف بك الجزار سماطًا بالحلي، ثم ركب وطلع إلى القلعة، وخلع الباشا عَلَى عَلِي بك الهندي خلعة السلامة، ونزل إلى بيت إسماعيل بك، وأنعم عليه بتقاسيط بلاد فائظها اثنا عشر كيسًا، واستمر صنجقًا، وناظرًا على الخاصكية.

وفي هذه السنة — أعني سنة ثلاثين — حصلت حادثة ببولاق وهو أن سكان حارة الجوابر تشاجروا مع بعض الجمالة أتباع أوسية أمير الحاج، فحضر اليهم أمير أخُور، فضربوه، ووصل الخبر إلى الأمير إسماعيل بك، فأرسل إليهم أغات الينكجرية والوالي فضربوهم، فركب الصنجق بطائفته، وقتلوا منهم جماعة، وهرب باقيهم، وأخرجوا النساء بمتاعهن، وسمروا الدرب من الجهتين، وكانت حادثة مهولة، واستمر الدرب مقفولًا ومسمرًا نحو سنتين، وفيها كان موسم سفر الخزينة وأميرها محمد بك ابن

إبراهيم بك أبو شنب، وكان وصل إليه الدور، وخرج بالموكب وأرباب المناصب والسدادرة، ولما وصل إلى إسلامبول واجتمع بالوزير ورجال الدولة أَوْشى إليهم في حق إسماعيل بك ابن إيواظ، وعرفهم أنه إن استمر أمره بمصر ادعى السلطنة بها وطرد النواب. فإن الأمراء وكبار الوجاقات والدفتردار وكتخدا الجاويشية صاروا كلهم أتباعه ومماليكه ومماليك أبيه، وعلي باشا المتولي لا يخرج عن مراده في كل شيء، ونفى وأبعد كل من كان ناصحًا في خدمة الدولة، مثل جركس ومن يلوذ به، وعمل للدولة أربعة آلاف كيس على إزالة إسماعيل بك والباشا، وتولية والٍ آخر يكون صاحب شهامة. فأجابوه إلى ذلك وكان قبل خروجه من مصر أوصى قاسم بك الكبير على إحضار محمد بك جركس، فأرسل إليه وأحضره خفية واختفى عنده.

ثم إن أهل الدولة عينوا رجب باشا أمير الحاج الشامي، ورسموا له عند حضوره إلى مصر أن يقبض عَلىَ عَلِي باشا، ويحاسبه ويقتله، ثم يحتال على قتل إسماعيل بك ابن إيواظ وعشيرته، ما عدا علي بك الهندي، ورجع محمد بك ابن أبي شنب إلى مصر، وعمل دفتردارا، وحضر مُسَلِّم رجب باشا، ومعه الأمر بحبس علي باشا بقصر يوسف، وقائمقامية إلى أحمد بك الأعسر.

وبعد أيام وصل الخبر بوصول رجب باشا إلى العريش، وسافرت له لملاقاة، وتقلد إبراهيم بك فارسكور أمين السماط، وطلع إسماعيل بك أميرًا بالحج تلك السنة، وهي سنة إحدى وثلاثين ومائة وألف، وذلك عند وصول رجب باشا إلى العريش، ثم حضر رجب باشا إلى مصر، وعملوا له الشنك والموكب على العادة. فلما اسقر بالقلعة أحضر إليه ابن علي باشا، وخازنداره وكاتب خزينته والروزنامجي، وأمرهم بعمل حسابه، ثم قطع رأسه ظلمًا وسلخها، وأرسلها إلى الباب، ودفن علي باشا بمقام أبي جعفر الطحاوي بالقرافة، ويُعرف إلى الآن قبره بعلي باشا المظلوم، وأمر بضبط جميع مخلفاته.

ثم أحضر له محمد جركس خفية، وأمر الأغا والوالي بالمناداة عليه، وكل من آواه يشنق على باب داره. ثم اختلى به، وقال له: كيف العمل والتدبير في قتل ابن إيواظ بك وجماعته؟ فقال له: الرأي في ذلك أن ترسل إلى العرب يقفون في طريق الوشاوشة، فإنهم يرسلون يعرفونكم بذلك فأرسلوا لهم عبد الله بك، وبعد عشرة أيام أرسلوا يوسف بك الجزار، ومحمد بك ابن إيواظ بك وإسماعيل بك جرجا وعبد الرحمن أغا ولجه أغات الجملية. فعندما يرتحلون من البركة يقتل إسماعيل بك الدفتردار كتخدا الجاويشية، وعند ذلك أنا أظهر وتقلد إمارة الحج إلى محمد بك ابن إسماعيل بك، ونرسله بتجريدة إلى ابن إيواظ بك يقتلونه مع جماعته، وهذا هو الرأي والتدبير.

ففعلوا ذلك ولم يتم بل اختفى إسماعيل بك ودخل إلى مصر، ثم ظهر بعد أن دبر أموره، وعزل رجب باشا، وأنزلوه إلى بيت مصطفى كتخدا عزبان، وفسد تدبيره، وكتبوا عرضحال بصورة الواقع وأرسلوه إلى إسلامبول، وسيأتي تتمة خبر ذلك في ترجمة إسماعيل بك، وكان رجب باشا أخذ من مال دار الضرب مائة وعشرين كيسًا صرفها على التجريدة.

ثم وصل محمد باشا النشائجي سنة ثلاث وثلاثين. فعندما استقر بالقلعة طلب من رجب باشا المائة وعشرين كيسًا، وقلد إمارة الحج لمحمد بك ابن إسماعيل بك الكبير الفقاري، فطلع بالحج سنة ثلاث وسنة أربع وثلاثين، ثم حضر مرسوم بالأمان والعفو لإسماعيل بك ابن إيواظ بك وقري بالديوان.

وسافر رجب باشا، وسكن الحال مع التنافر والحقد الباطني الكامن في نفس محمد بك جركس وابن أستاذه محمد بك أبي شنب لإسماعيل بك ابن إيواظ، وهو يسامح لهم ويتغافل عن أفعالهم وقبايحهم، ويسوس أموره معهم، وكل عقدة عقدوها بمكرهم حلها بحسن رأيه وسياسته وجودة رأيه، وجرت بينه وبينهم أمور ووقايع ومخاصمات وجمعيات ومصالحات يطول شرحها. ذكرها أحمد جلبي عبد الغني في تاريخه الذي ضاع مني.

ولم يزل إسماعيل بك ظاهرًا عليهم حتى خانوه واغتالوه وقتلوه بالقلعة على حين غفلة على يد ذي الفقار تابع عمر أغا وأصلان وقيلان ومن معهم، وقتلوا معه إسماعيل بك جرجا، وعبد الله أغا كتخدا الجاويشية، ثم تحيلوا على قتل عبد الله بك، ومحمد بك ابن إيواظ وإبراهيم بك ابن الجزار، وذلك في سنة ستٍ وثلاثين وماية وألف في أيام ولاية محمد باشا المذكور، وسيأتي تتمة ذلك في ذكر تراجمهم.

وقلدوا ذا الفقار قاتل إسماعيل بك الصنجقية، وكشوفية المنوفية، وانضم إليه من كان خاملًا من الفقارية، وبدا أمرهم في الظهور. فممن انضم إليه مصطفى بك بلغيه، ومحمد بك أمير الحاج، وهو ابن إسماعيل بك الكبير الفقاري، وإسماعيل بك الدالي، وقيطاس بك الأعور، وإسماعيل بك ابن سيده، ومصطفى بك قزلار وخلافهم اختيارية، وأغوات من الوجاقلية، ونظم أموره، وقضى لوازمه وأشغاله، وجعل مصطفى أفندي الدمياطي كاتب تركي، وعزم على السفر إلى المنوفية، وركب في موكب حافل وصحبته من ذكر من الفقارية، وكان رجب كتخدا ومحمد جاويش الداودية متوجهين إلى بيت محمد بك جركس، وكانا خصيصين به، وبيدهما باب الينكجرية مع الأقواسي، ولهما الكلمة

بالباب دون القازدغلية، فصادف موكب ذي الفقار فوقفا ونظرا إلى الراكبين معه من الفقارية، فتغير خاطرهم على جركس، وتكدر مزاجهما، وترحما على إسماعيل بك ابن إيواظ، ولما دخلا على جركس نظر إليهما فرآهما منفعلين، فسألهما عن سبب انفعالهما فأخبراه بما رأياه، وقالا: إن دام هذا الحال قتلنا الفقارية. فقال: يكون خيرًا، ثم أمر الصيفي بقتل أصلان وقيلان. فوظف معه سراجًا يثق به، وأمره أن يقف في سلالم المقعد، فعندما علم بحضورهما أحدث الصيفي مشاجرةً مع ذلك السراج، وفزع عليه بالطبنجة، فهرب السراج من أمامه، فجرى الصيفي خلفه فأخرج ذلك السراج طبنجته أيضًا، ورفع زنادها، فقال له أصلان: عيب. فأفرغها فيه، وفرغ أيضًا الصيفي طبنجته في قيلان وذلك بسلالم المقعد ببيت جركس، ومسح الخدم الدم، وأخذوا خيولهما، وأرسلوا المقتولين إلى بيوتهما في تابوتين.

ثم إن محمد بك جركس طلع إلى القلعة، وطلب من الباشا فرمانًا بتجريدة يرسلها إلى ذي الفقار، ومن معه من الفقارية فامتنع الباشا، وقال: رجل خاطر بنفسه بمعرفتكم واطلاعكم كيف أني أعطيكم بعد ذلك فرمانًا بقتله. فقام جركس ونزل إلى بيته، ولم يطلع بعد ذلك إلى الديوان، وأهملوا الدواوين والباشا. فلما ضاق خناق الباشا أبرز مرسومًا برفع صنجقية جركس، وكتب فرمانات للمشايخ والوجاقلية بذلك، ويمنعهم من الذهاب إليه، وبلغ الخبر إلى جركس فتدارك الأمر، وعمل جمعيات، ورتب أمورًا، واجتمعوا بالرميلة وحوالي القلعة، وعزلوا الباشا، وأنزلوه، وأسكنوه في بيت ابن الدالي.

وكان ذلك في أواخر سنة ثمانٍ وثلاثين. فكانت مدته في هذه المدة خمس سنوات، وأرسلوا له محمد بك ابن شنب، فخلع عليه، وجعلوه قايمقام، وأخذوا منه فرمانًا بالتجريدة على ذي الفقار، وجعلوا إبراهيم بك فارسكور أمير العسكر وكاشف المنوفية، ووصل الخبر إلى ذي الفقار بك بما حصل من مصطفى بك بلغيه فوزع طوائفه في البلاد، ودخل إلى مصر خفية إلى بيت أحمد أوده باشه مطرباز. فلما سافر إبراهيم بك بالتجريدة لم يجده فضبط موجوداته، وتحقق من المخبرين أنه دخل إلى مصر، وأرسل الخبر بذلك لجركس فأمر لهلوبة الوالي والصيفي بالفحص والتفتيش عليه، وأرسلوا عرضحال محضرًا بما نمقوه وبنزول الباشا، وكان محمد باشا أرسل قبل ذلك مكاتبات لرجال الدولة بما حصل بالتفصيل. فلما وصل عرض المصريين عينوا علي باشا واليًا جديدًا إلى مصر بتدبير ومكيدة، وصحبته قبودان وقابجي بطلب الأربعة آلاف كيس التي جعلها محمد بك ابن أبي شنب حلوانًا على بلاد الشواربية.

ومن الحوادث في أيام محمد على باشا: أن في أول الخماسين الواقع في شهور رجب سنة خمس وثلاثين ومائة وألف طلع الناس على جري العادة في ذلك؛ لاستنشاق النسيم في نواحي الخلاء، وخرج سرب من النساء إلى ناحية الأزبكية، وذهب منهن طائفة إلى غيط الأعجام تجاه قنطرة الدكة. فحضر إليهن جماعة سراجون، وبأيديهم السيوف من جهة الخليج وهم سكارى، وهجموا عليهن، وأخذوا ثيابهن، وما عليهن من الحلي والحلل. ثم إن الخفراء وأدوه باشه القنطرة حضروا إليهن بعد ذهاب أولئك السراجين فأخذوا ما بقي، وكملوا بقية النهب، وجميع من هناك من النساء من الأكابر، ومن جملة ما ضاع حزام جوهر، وبشت جوهر، وقالوا إن الحزام قيمته تسعة أكياس، والبشت خمسة أكياس، ومن جملة من كان هناك: آمنة الجنكية، وصحبتها امرأة من الأكابر؛ فعروهما، وأخذوا ما عليهما، وكان لها ولد صغير وعلى رأسه طاقية عليها جواهر وبنادقة، وزوجا أساور جوهر، وخلخال ذهب بندقي قديم وزنه أربعمائة مثقال، ومن جملة ما أخذوا: لباس شبيكة من الحرير الأصفر والقصب الأصفر، وفي كل عين من الشبيكة لؤلؤة، في كل لؤلؤة شريط مخيش، والدكة كذلك، وأخذوا أزرهن وفرجياتهن، وأرسلن إلى بيوتهن فأتين بثياب يستترن بها وذهبن، وكانت هذه الحادثة من أشنع الحوادث.

ثم إن في ثاني يوم قدموا عرضحال إلى الباشا، وأخذوا على موجبه فرمانًا إلى أغات الينكجرية على أنه يتوجه وصحبته الوالي أوده باشه البوابة. فذهبوا إلى محل الواقعة، وأحضروا أهل الخطة، فشهدوا على أن هذه الفعلة من الخفراء بيد أوده باشه مركز القنطرة، وهو الذي أرسل السراجين والحمارة، فقبضوا على الخفراء، والأوده باشه وسئلوا فأنكروا. فحبس الأوده باشه في بابة، والخفراء في العرقانة، وأمر الباشا الوالي بعقابهم. فلما رأوا آلة العذاب أقروا أن ذلك من فعل الأوده باشه، فأخذوا منه مالًا كثيرًا ونفوه إلى أبي قير، ونادى الأغا والوالي على النساء لا يذهبن إلى الغيطان بعد اليوم، ولا يركبن الحمير.

ومنها أنه ورد أغا من الديار الرومية في سابع عشر ربيع الآخر سنة خمس وثلاثين، وعلى يده مرسوم بدفع ستين كيسًا إلى باشه جدة؛ ليشتروا بها مركبًا هنديًا لحمل غلال الحرمين عوضًا عن مركب غرقت قبل هذا التاريخ، وحضر صحبة ذلك الأغا تاجر عظيم من تجار الشوام ومعه أتباعه، ووصل الجميع على خيل البريد، إلى أن وصلوا إلى بركة الحاج، فنزلوا؛ ليأخذوا لهم راحة لكونهم وصلوا أرض الأمان، وفارقهم الأغا فنزل عليهم سالم بن حبيب فَعَرَّاهم وأخذ ما معهم، وكذلك كل من صادفه في الطريق.

ومن جملة ذلك سبعون جملًا لعبد الرحمن بك محملة ذخيرة من الولجة إلى منزله، وكذلك جمال عبد الله بك وجمال السقائين، وحصل منهم ما لا خير فيه، وكان صحبة سالم عرب الجزيرة ومغاربة، وسبب ذلك: أنه لما طُرد من دجوة وذهب إلى الصعيد فنزل إليه قيطاس بك وجمع عليه عربان القبايل وحاربه وقتل أولاده، فرجع من خلف الجبل وقعد بالبركة وقطع الطريق، فلما وصل الخبر بذلك إلى مصر نزل إليه أمير الحاج، وكاشف القليوبية حمزة بك تابع ابن إيواظ، وعينوا صحبتهم عرب الصوالحة، وهم نصف حرام. فنزل أمير الحاج بالمسبك وجلس هناك، وابن حبيب نازل في المساطب التي بعد البركة، وناصب صيوان كاشف شرق إطفيح، وكان نهبه وهو متوجه إلى قبلي. فإن الكاشف لما أقبل عليه سالم رمح عليه، وكان في قلَّة فهزمه سالم، وأخذ صيوانه، ونهب الوطاق والجمال، وأخذ النقاقير، ونزل البركة، وربط خيوله هو ومن معه في الغيطان، فأكلوا ستة وثلاثين فدان برسيم في ليلة واحدة.

ثم إن الباشا أرسل إلى أمير الحاج بالرجوع، وعينوا عبد الله بك وحمزة بك وخليل أغا، وأرسل إسماعيل بك صحبتهم خمسمائة جندي من أتباعه ومن البلكات، ومعهم فرمان لجميع العرب بالتعمير في أوطانهم، ما عدا سالم بن حبيب وإخوته ومن يلوذ به، وسافرت لهم التجريدة، وارتحل ابن حبيب وسار إلى جهة غزة، ونهبت التجريدة ما في طريقهم من البلاد، وأرسل إليهم الباشا فرمانًا بالعود، فرجعوا من غير طائل.

ومنها أنه ورد شاهقتان، وهما مركبان من أرض حوران مملوءتان قمح حنطة، في كل واحدة عشرة آلاف إردب، بيعتا في دمياط، وكان سعر الغلة غاليًا بمصر لقصور النيل في العام الماضي، وتسامعت البلاد بذلك، فهذا هو السبب في ورود هذين المركبين.

وفي شهر ذي القعدة سنة خمس وثلاثين ومائة وألف تقلد الصنجقية علي أغا الأرمني الذي عُرف بأبي العدب، وكذلك علي أغا صنجقية وأمين العنبر وحاكم جرجا، وكمل بذلك صناجق مصر أربعة وعشرين صنجقًا، وكانوا في المعتاد القديم اثنين وعشرين، وكتخدا الباشا، وقبطان الإسكندرية. فتكرم الباشا بصنجقية كتخدا لعلي بك الأرمني إكرامًا لإسماعيل بك ابن إيواظ بك، فكمل بذلك عشرة من أتباع إسماعيل بك؛ وهم: إسماعيل بك الدفتردار، وعبد الله بك، وأخوه محمد، وحمزة بك، وعلي بك الهندي، وصاري علي بك، وإبراهيم بك خازندار الجزار، وعبد الرحمن بك ولجة، وعلي بك هذا المعروف بأبي العدب ونفس ابن إيواظ بك وهو عاشرهم.

ومن بيت أبي شنب: محمد بك ابنه، وجركس الكبير، ومملوكه جركس الصغير، وقاسم الكبير، وقاسم الصغير، والأعسر، وإبراهيم بك فارسكور، وذو الفقار تابع

قانصوه، ومصطفى بك القزلار، وقيطاس بك تابع قيطاس بك الكبير، وابن إسماعيل بك الدفتردار وهو محمد بك، وأحمد بك المسلماني، ومرجان جور، وإبراهيم الوالي تتمة أربعة عشر.

وتقلد كشوفية الغربية محمد بن إسماعيل بك، والبحيرة أحمد بك الأعسر، وبني سويف قاسم بك الصغير، والجيزة محمد بك أبي شنب الدفتردار، والشرقية عبد الرحمن بك، ولبس علي القليوبية خليل أغا بعد عزله من أغاوية الجراكسة، وتقلد قيطاس بك كشوفية المنوفية بعد عزله من أغاوية التفكجية، وتقلد حسين أغا ابن محمد أغا تابع البكري كشوفية الفيوم، وإبراهيم بك الوالي على الخزينة، وألبس إسماعيل بك محمد أغا ابن أشرف علي أغاوية الجملية على ما هو عليه، وكان أراد محمد بك تلبيس مصطفى أغا بلغية، فحصل بين محمد بك ابن أبي شنب، وبين إسماعيل بك ابن إيواظ بك غم وكلام في الديوان.

فلما رأى مصطفى أغا ذلك ما وسعه إلا النزول من باب الميدان وتركهم، وألبس عبد الغفار أفندي أغاوية الجراكسة، ومصطفى أغا تابع عبد الرحمن بك أغات متفرقة، وركب إسماعيل بك بطائفته، ونزل من باب الجبل إلى قصره بمصر القديمة، ونزل ابن أبي شنب والأعسر، وقاسم بك، وهم مملوؤون من الغيظ.

وفي رجب قبل ذلك ورد أغا من الديار الرومية وعلى يده مرسوم وسيف وقفطان للشريف يحيي شريف مكة، وتقرير للباشا على السنة، وأغاوية المتفرقة لعبد الغفار أفندي، لم يسبق نظير ذلك، وإن أغاوية المتفرقة تأتي من الديار الرومية ... وسبب ذلك: أن حسن أفندي والد عبد الغفار أفندي كان عنده طواشي أهداه إلى السلطنة، فأرسل ذلك الأغا أغاوية المتفرقة إلى ابن سيده، فألبسه الباشا القفطان على ذلك، فحصل بسبب ذلك فتنة في الوجاق، وسبب ذلك: أن وجاقهم فرقتان ظاهرتان بخلاف غيره، والظاهر منهما ستة أشخاص من الاختيارية، وهم: سليمان أغا الشاطر، وعلي أغا، وعبد الرحمن أغا القاشقجي، وخليل أغا، وإبراهيم كاتب المتفرقة سابقًا، وكبيرهم محمد أغا السنبلاوين، وهم من طرف محمد بك جركس، لكن لما ظهر إسماعيل بك انحطت كلمتهم، وظهرت كلمة الذين من طرف إسماعيل بك، وهم إسماعيل أغا ابن الدالي، وأحمد جلبي بن حسين أغا أستاذ الطالبية، وأيوب جلبي.

فلما تولى عبد الغفار الأغاوية لحق أولئك الحقد والحسد، وتناجوا فيما بينهم على أن يملكوا الباب، فاجتمعوا بأنفارهم وملكوا الباب، فهرب عبد الغفار أغا إلى بيت إسماعيل

بك، وكان عنده الجماعة الآخرون، فدخل عليهم عبد الغفار أغا، وأخبرهم بما حصل، فأشار عليهم إسماعيل بك أن يذهبوا إلى بيت أحمد جلبي، ويجعلوه محل الحكم، وأرسل أولئك الطرف، فطلبوا محمد أغا إبطال، وباكير أغا تابع إسماعيل الكبير، ومصطفى أغا، وكانوا منفيين من بابهم إلى العزب، وكانوا كبراءهم، وخرجوا منهم في واقعة جركس المتقدمة فأبوا من الحضور إليهم.

فلما أبوا عليهم عملوا القاشقجي باشا اختيار عوضًا عن إبطال، وعزلوا وولوا على مرادهم، وطلع في صبحها إسماعيل بك إلى الديوان، وصحبته علي بك وأمير الحاج، وأخبروا الباشا بفعل القاشقجي، فأرسل الباشا اثنين أغوات، ومن كل وجاق اثنين اختيارية لينظروا الخبر، ففزعوا عليهم، فرجعوا وأخبروا الباشا والأمرا، فأرسل لهم فرمانًا بنفيهم إلى الكشيدة فأبوا، وصمموا على عدم ذهابهم إلى الكشيدة، وأقام الأمراء عند الباشا إلى الغروب. ثم إنهم نزلوا ووعدوا الباشا أنهم في غد يفصلون هذا الأمر، وإن لم يمتثلوا حاربناهم. فلما كان في ثاني يوم عملوا جمعية، واتفقوا على توزيع الستة أنفار على الست وجاقات، وكتبوا من الباشا ست فرمانات. فكان كذلك، وتفرقوا في الوجاقات، ونزل إسماعيل بك ابن إيواظ ثالث عشر رجب سنة خمس وثلاثين إلى بيته بعد إقامته في باب العزب ثلاثة أيام في طائفته ومماليكه وصناجقه، بحيث إن أوائل الطائفة دخلوا إلى البيت قبل ركوبه من باب العزب، وكان خلفه نحو المائتين بالطرابيش الكشف، وتُمم الأمر على مراده، ثم تحقق الخبر فظهر له أن أصل هذه الفتنة من إسماعيل أغا ابن الدالي. فطلع في ثاني يوم إلى الديوان، وألبس إسماعيل أغا أغاوية العزب، وأحضر محمد أغا إبطال وباكير أغا ومصطفى أغا من باب العزب، وردهم إلى محلهم، وعمل إبطال باشا اختيارًا.

وفي ذلك اليوم حضر عبد الله بك وحمزة بك المتوجهان إلى العرب، ومعهما أربعمائة وخمسون رأسًا، وسبعة من المقادم بالحياة، فأرسل إليهما إسماعيل بك بأن يرميا الرءوس في الخلفاء الخانقاه، ويقتلا الذين بالحياة، ويدخلا إلى مصر بالليل، ففعلا والله أعلم بغرضه في ذلك.

وفي أيامه أيضًا في شعبان سنة خمس وثلاثين، ورد عرضحال من مكة بأن يحيى الشريف، وعلي باشا والي جدة، وعسكر مصر، الذين عينوا صحبة أحمد بك المسلماني، وأهل مكة، تحاربوا مع الشريف مبارك شريف مكة سابقًا، وكان معه سبعة آلاف من العرب اليمانية، ووقع بينهم مقتلة عظيمة، وسقط علي باشا من على ظهر جواده، إلا أن

أحمد بك أدركه، وأنقذه بجواده الجنيب، فخلع على أحمد بك خلعة سمور، وسردارية مستحفظان وكان ذلك في عرفات، وقُتل من العرب زيادة عن ألفين وخمسمائة، ومن العسكر نحو الخمسين، ومن أتباع الباشا كذلك، ومات علي أغا سردار جمليان، وكان الباشا قتل من الأشراف اثني عشر شخصًا، وكانوا في جيرة الشريف يحيى، وقد أبطل الجيرة.

ثم إنهم رجعوا بعد المعركة إلى جدة، وإنهم مجتهدون في جمع اللموم، وقادمون علينا بمكة، والقصد الاهتمام والتعجيل بإرسال قدر ألف وخمسمائة عسكري، وعليهم صنجق؛ لأن الذين عندنا عندما ينقضي الحج يذهبون إلى بلادهم وتصير مكة خالية، وقد أخبرناكم وأرسلنا بمثل ذلك إلى الديار الرومية صحبة الشيخ جلال الدين ومفتي مكة. فكتب الباشا والأمراء بذلك أيضًا، وانتظروا الجواب. ثم ورد الساعي وأخبر بوصول على باشا إلى الإسكندرية في غليون البليك، وحضر بعد يومين المُسَلَّم بقائم مقامية لمحمد بك جركس فخلع عليه فروة سمور، وأنزله بمكان شهر حواله، ورتب له تعيينات، وسافرت الملاقاة وأرباب الخدم والجاويشية والملازمون، وقلد محمد بك خازنداره رضوان صنجقية وجعله أمين السماط، وأخذ الخاصكية من علي بك الهندي، وأعطاها لرضوان المذكور، وأبطل الخط الشريف الذي بيده بالخاصكية قيد حياته.

ووصل على باشا في منتصف ربيع أول سنة ١١٣٨، وركب إلى العادلية، وخَلَع خِلَعَ القدوم، وقدَّموا له التقادم، وطلع إلى القلعة بالموكب المعتاد، وضربوا له المدافع والشنك، وسكن الحال. ثم إن محمد باشا المنفصل أرسل تذكرةً على لسان كتخداه خطابًا لمصطفى بك بلغية وعثمان جاويش القازدغلي مضمونها: أن حضرة الباشا يسلم عليكم، ويقول لكم: لا بد من التدبير في ظهور ذي الفقار، وقطع بيت أبي شنب حكم الأمر السلطاني، وتحصيل الأربعة آلاف كيس الحلوان المعين بها القابجي.

فلما وصلت التذكرة إلى مصطفى بك أحضر عثمان جاويش، وعرضها عليه، فقال: هذا يحتاج أولًا إلى بيت مفتوح تجتمع فيه الناس، فاتفقا على ضم علي بك الهندي إليهما، وهو يجمع طوائف الصناجق المقتولين ومماليكهم. ثم يدبرون تدبيرهم بعد ذلك، فأحضروه وعرضوا عليه ذلك، فاعتذر بخلويده. فقالوا له: نحن نساعدك، وكل ما تريده يحضر إليك، وأحضر أحمد أوده باشه المطرباز ذا الفقار بك عند علي بك الهندي ليلًا. ثم إن علي بك الهندي أحضر مصطفى جلبي بن إيواظ، فأحضر كامل طوائف أخيه، وجماعة الأمراء المقتولين.

وبلغ محمد بك جركس أن علي بك الهندي عنده لموم وناس، فأرسل له رجب كتخدا ومحمد جاويش يأمره بتفريق الجمعية، ووعده برد نظر الخاصكية إليه. فلما وصلا إليه وجدا كثرة الناس والازدحام، وأكلًا وشربًا. فقال له رجب كتخدا: إيش هذا الحال وأنت خالي وجمع الناس يحتاج إلى مال. فقال له: وكيف أفعل؟ قال: اطردهم، وقال: وكيف أطردهم، وهم ما بين ابن أستاذي، وخشداشي وابن خشداشي حتى إني رهنت بلدًا!!! فقال: اقعد مع عائلتك وخدمك ونرد لك نظر الخاصكية، وأخلص لك البلد المرهونة. قال: يكون خيرًا، وانصرفا من عنده، ودخل علي بك الهندي فأخبر ذا الفقار بذلك، فقال له: أرسل إلي سليمان أغا أبي دفية ويوسف جربجي البركاوي. فأرسل إليهما وأحضرهما، وأدخلهما إليه، وتشاوروا فيما يفعلونه. فاتفقوا على قتل إبراهيم أفندي كتخدا العزب، وبقتله يملكون باب العزب، وعند ذلك يتم غرضنا، فأصبحوا بعدما دبروا أمرهم مع الباشا المعزول، والفقارية، والشواربية، وفرقوا الدراهم، فركب أبو دفية بعد الفجر، وأخذ في طريقه يوسف جربجي البركاوي، ودخلا على إبراهيم كتخدا عزبان. فركب معهم إلى الباب، وتطليس ذو الفقار، وأخذ صحبته سليمان كاشف ويوسف زوج هانم بنت إيواظ بك ويوسف الشرايبي ومحمد بن الجزار، وأتوا إلى الرميلة ينتظرونهم بعدما ربطوا المحلات والجهات.

فعندما وصل إبراهيم كتخدا إلى الرميلة، تقدم إليه سليمان كاشف ليسلم عليه، وتبعه خازنداره ابن إيواظ، وضربه فسقط إلى الأرض ورمحوا إلى الباب، فطردوا البكجية وملكوه، وركب في الحال محمد باشا، وحضر إلى جامع المحمودية، ونزل علي باشا إلى باب العزب، واجتمعت كامل صناجق نصف سعد، وقسموا المناصب مثل الحال القديم: أمير الحاج من الفقارية، والدفتردار من القاسمية، ومتفرقة باشا من الفقارية، وكتخدا الجاويشية من القاسمية ... ونحو ذلك، وقرأوا فاتحة على ذلك، وأغات الينكجرية أبو دفية، ومصطفى أفندي الدمياطي زعيم.

وكان القبودان أتى من الإسكندرية، ونزل في قصر عثمان جاويش القازدغلي بعسكره فأتى بهم، وملك السلطان حسن وكرنك به مع ذي الفقار بك؛ وخلع محمد باشا عَلَى عِلي بك الهندي دفتردار، وعلى ذي الفقار صنجقية كما كان، وعَلَى علي كاشف قطامش صنجقية، وعلى سليمان كاشف صنجقية وحاكم جرجا؛ وعلى مصطفى جلبي ابن إيواظ صنجقية؛ وعلى يوسف أغا زوج هانم صنجقية، وعلى يوسف الشرايبي صنجقية، وسليمان أبي دفية أغات مستحفظان، ومصطفى الدمياطي والي، وحضر

إليهم محمد بك أمير الحاج سابقًا ومصطفى بك بلغية وإسماعيل بك الدالي وقيطاس بك الكور وإسماعيل بك ابن قيطاس، وأقاموا في المحمودية.

هذا ما كان من هؤلاء، وأما محمد بك جركس فإنه استعد أيضًا، وأرسل إلى بيت قاسم بك عدة كبيرة من الأجناد ومدافع، وعملوا متاريس عند درب الحمام، وجامع الحصرية، وهجمت عساكرهم على من بسبيل المؤمن بالعطارين بالبنادق والرصاص حتى أجلوهم وهزموهم، وهربوا إلى جهة القلعة وسوق السلاح، وأكثرهم لم يدرك حصانه، فلما وقع ذلك عملوا متاريسهم في الحال عند مذبح الجمال، ورموا على مَنْ بالمحمودية، وهرب المجتمعون بالرميلة، وبنى طائفة جركس في الحال متاريس عند وكالة الأشكنية، وارتبك أمر الفرقة الأخرى.

ثم إن يوسف جربجي البركاوي — وكان حين ذاك من الخاملين القشلانين، وتقدم له الطلوع بالسفر سردار بيرق — رمى نفسه في الهلاك، وتسلق من باب العزب ونط الحائط والرصاص نازل، وطلع عند محمد باشا والصناجق بالمحمودية، وطلب منهم فرمان لكتخدا العزب يعطيه بيرق سردن جشتي ومائة نفر، وضمن لهم طرد الذين بسبيل المؤمن، وملك بيت قاسم، وعند ذلك تسير البيارق على بيت جركس، وشرط عليهم أن يجعلوه بعد ذلك كتخدا العزب، ففعلوا ذلك، ونزل بمن معه من باب الميدان، وسار بهم من جانب تكية إسماعيل باشا، وهناك باب ينفذ على تربة الرميلة. فوقف بهم هناك، وطوى البيرق، وهجم بمن معه على سبيل المؤمن يطلق رصاصًا متتابعًا، وهو مهللون على حين غفلة؛ فأجلوهم، وفروا من مكانهم إلى درب الحصرية، وهم في أقفيتهم، حتى جاوزوا متاريسهم وملكوها منهم، ودخلوا بيت قاسم بك، وأداروا المدافع على بيت قاسم بك، وصعدوا منارة جامع الحصرية، ورموا بالبنادق على بيت قاسم بك، فعند ذلك نزلت البيارق من الأبواب، وساروا إلى جهة الصليبة، وطلع القبودان إلى قصر يوسف، ورتب مدفعًا على بيت جركس، وأصيب قاسم بك برصاصة من المنار ومات. فعند ذلك عزم جركس على الرحيل والفرار؛ فخرج معه أحمد بك الأعسر ومحمد بك جركس الصغير، وأركب خمسة من مماليكه على خمسة من الهجن المحملة بالمال، وذهبوا إلى جهة مصر القديمة، وعدوا إلى البر الآخر، وساروا وتخلف منهم بمصر محمد بك ابن شنب، وعمر بك أمير الحاج، ورضوان بك، وعلي بك، وإبراهيم بك فارسكور، وطلع محمد باشا إلى القلعة ثانيًا، ونزل علي باشا وسافر إلى منصبه بكريد، وترأس ذو الفقار بك، وقلد عثمان بك كاشف مملوكه صنجقية، وهو عثمان بك الشهير الذي يأتي ذكره، وأرسلوه

صحبة يوسف بك زوج هانم بنت إيواظ خلف محمد بك جركس، ومعهم عساكر وأغات البلكات فصاروا كل من وجدوه من أتباع جركس بالجيزة أو خلافها يقتلونه، ووقعوا بأحمد أفندي الروزمانجي فأرسلوه إلى محمد باشا فسجنه مع المعلم داود صاحب العيار بالعرقانة، ثم قتلوهما، وقتلوا عمر بك أمير الحاج، ومحمد بك ابن أبي شنب وجدوه ميتًا بالجامع الأزهر، وعملوا رجب كتخدا سردار جداوي والأقواسي يَمَق، وخرجا إلى بركة الحاج ليذهبا إلى السويس، فأرسلوا من قتلهما وأتى برءوسهما، ونهبوا بيوت المقتولين والهربانين، وبيت جركس الكبير ومن معه.

وبعد أيام رجع عثمان بك ويوسف بك والتجريدة فأخبروا ذا الفقار بك وعلي بك الهندي أنهم لما وصلوا حوش ابن عيسى سألوا العرب عن محمد بك جركس ومن معه فأخبروهم أنهم باتوا هناك. ثم أخذوا معهم دليلًا أوصلهم إلى الجبل الأخضر، وركبوا من هناك إلى درنة، وكان هروب جركس وخروجه من مصر يوم السبت سابع جمادى الآخر سنة ثمانٍ وثلاثين ومائة وألف. ثم إنهم عملوا جمعية، وكتبوا عرضحال بما حصل، وأعطوه للقابجي، وسلموه ألف كيس من أصل حلوان بلاد إسماعيل بك ابن إيواظ وأمرائه، وبلاد أبي شنب وابنه وأمرائه أيضًا، وذلك خلاف بلاد محمد بك قطامش ورضوان أغا وكور محمد أغا كتخدا قيطاس بك، وكتبوا أيضًا مكاتبة إلى الوزير الأعظم بطلب محمد بك قطامش تابع قيطاس بك الذي تقدم ذكره وهروبه إلى الروم بعد قتل سيده، وختم عليه جميع الأمراء الصناجق، والأغوات، وأعطاه الباشا إلى قابجي باشا، فلما وصل إلى الدولة طلب الوزير محمد بك. فلما حضر بين يديه قال له: أهل مصر أرسلوا يطلبونك إليهم بمصر، فاعتذر بقلة ذات يديه وأنه مديون. فأنعموا عليه بالدفتردارية والذهاب إلى مصر، وكتبوا فرمانات لسائر الجهات بإهدار دم محمد بك جركس أينما وجد؛ لأنه عاصٍ ومفسد وأهل شر، وذلك حسب طلب المصريين.

ثم إن محمد باشا والي مصر خلع على جماعة، وقلدهم إمريات؛ فقلد مصطفى بن إيواظ صنجقية، وحسن أغات الجملية سابقًا صنجقية، وإسماعيل بن الدالي صنجقية، ومحمد جلبي بن يوسف بك الجزار صنجقية، وسليمان كاشف القلاقسي صنجقية، وذلك خلاف الوجاقات والبلكات والسدادرة وغيرهم، وسكن الحال، وانتهت الرياسة بمصر إلى ذي الفقار بك وعلي بك الهندي، وحضر محمد بك قطامش إلى مصر من الديار الرومية فلم يتمكن من الدفتردارية؛ لأن علي بك الهندي تقلدها بموجب الشرط السابق، وكل قليل يذاكر محمد بك ذا الفقار بك. فيقول له: طوِّلْ روحك.

فاتفق أن علي بك المعروف بأبي العدب، ومصطفى بك ابن إيواظ، ويوسف بك الخائن، ويوسف بك الشرايبي، وعبد الله أغا كتخدا الجاويشية، وسليمان أغا أبا دفية، والكل من فرقة القاسمية، وكانوا يجتمعون في كل ليلة عند واحد منهم يعملون حظًّا، ويشربون شرابًا. فاجتمعوا في ليلة عند علي بك أبي العدب. فلما أخذ الشراب من عقولهم تأوَّه مصطفى بك ابن إيواظ، وقال: يموت العزيز أخي الكبير والصغير، ويصير الهندي مملوكنا سلطان مصر! ونأكل من تحت يده، والباشا في قبضته! وكان النيل قريب الوفاء. فقال علي بك: أنا أقتل الباشا يوم جبر البحر، وقال أبو دفية: وأنا أقتل ذا الفقار، وقال مصطفى بك: وأنا أقتل الهندي، وكل واحد من الجماعة التزم بقتل واحد، وقروا الفاتحة، وكان معهم مملوك أصله من مماليك عبد الله بك، ولما قتل سيده هرب إلى الهندي، وأقام في خدمته أيامًا. فلما تقلد مصطفى بك الصنجقية أخذه من علي بك الهندي، فلما سمع منهم ذلك القول ذهب إلى علي بك الهندي وأخبره، فأرسله إلى ذي الفقار، فأخبره أيضًا. فبعثه إلى الباشا فأخبره.

فلما كان يوم الديوان وطلع علي بك أبو العدب قبض عليه الباشا، وقتله تحت ديوان قايتباي، وأحاط بداره ونهب ما فيها، وكان شيئًا كثيرًا، وأرسل في الوقت فرمانًا إلى الأغا بالقبض على باقي الجماعة، فقبضوا على مصطفى بك ابن إيواظ، وأركبوه حمارًا وصحبته مقدمه، وأحضروه إلى الباشا، فأمر بقتله، وقتل معه مقدمه أيضًا، واختفى الباقون، وأخذ ذو الفقار فرمانًا بنفي هانم بنت إيواظ بك، وأم محمد بك ابن أبي شنب، محظية علي بك. فمانع عثمان جاويش القازدغلي في ذلك، واستقبحه، وضمن غائلتهن وألزمهن أن لا يخرجن من بيوتهن، ورتب لهن كفايتهن.

فلما حصل ذلك ضعف جانب القاسمية، وانفرد علي بك الهندي بالرياسة، وكان ذو الفقار أرسل إلى الشام. فأحضر رضوان أغا، ومحمد أغا الكور. فجعلوا رضوان أغا الجملية، ومحمد بك الجزار غائب بإقليم المنوفية. فعند ذلك اغتنموا الفرصة، وتحرك محمد بك قطامش في طلب الدفتردارية. فدبروا أمرهم مع يوسف جربجي عزبان البركاوي ورضوان أغا وعثمان جاويش القازدغلي، وقتلوا علي بك الهندي وذا الفقار قانصوه، وأرسلوا إلى محمد بك الجزار تجريدة، وأميرها إسماعيل بك قيطاس وهو بأقليم المنوفية، وقلدوا مصطفى أفندي الدمياطي صنجقية، وجعلوه حاكم جرجا، وقبضوا على سليمان بك أبي شنب، وقضى إسماعيل بك أشغاله، وسافر بالتجريدة إلى المنوفية، وأخذ صحبته عربان نصف سعد، وساروا إلى محمد بك الجزار، وكان لما وصله الخبر أخذ

ما يعز عليه وترك الوطاق، وارتحل إلى جسر سديمة فلحقوه هناك، وحاربوه وحاربهم، وقُتل بينهم أجناد وعرب، وحمى نفسه إلى الليل.

ثم أخذ معه مملوكين وبعض احتياجات، ونزل في مركب وسار إلى رشيد، وترك أربعة وعشرين مملوكًا. فأخذوا الهجن، وساروا ليلًا مبحرين حتى جاوزوا وطاق إسماعيل بك، وتخلف عنهم مملوك ماش. فذهب إلى وطاق إسماعيل بك قيطاس وعرفه بمكانهم، فأرسل إليهم كتخداه بطائفة فردوهم، وأخذهم عنده. فأقاموا في خدمته.

ولم يزل محمد بك في سيره حتى دخل إلى رشيد، واختفى في وكالة، ووصل خبره إلى حسين جربجي الخشاب، فقبض عليه، وقتله بعد أن استأذن في ذلك، وتقلد في نظير ذلك الصنجقية وكشوفية البحيرة سنة أربعين ومائة وألف، ونزل بعد ذلك إلى البحيرة. ثم حضر محمد بك جركس عن غيبته ببلاد الإفرنج، وطلع على دِرْنة، وأرسل مركبه التي وصل فيها إلى الإسكندرية، وحضر إليه أمراؤه الذين تركهم من قبل جهة قبلي. فركب معهم، ونزل إلى البحيرة؛ ليصل إلى الإسكندرية. فصادف حسين بك الخشاب، ففر منه، وغنم جركس خيامه وخيوله وجماله. ثم رجع إلى الفيوم، ونزل على بني سويف.

ثم ذهب إلى القطيعة قرب جرجا، واجتمع عليه القاسمية المشردون. فحاربه حسين بك حاكم جرجا والسدادرة، وقتل حسين بك وطائفته، واستولى على وطاقهم وعازقهم، ووصلت أخباره إلى مصر؛ فجمع ذو الفقار بك جمعية، وأخرج فرمانًا بسفر تجريدة. فسافر إليه عثمان بك وعلي بك قطامش وعساكر. فتلاقوه معه بوادي البهنسا. فكانت الهزيمة على التجريدة، واستولى محمد بك جركس ومن معه على عرضيهم وخيامهم، وحال بينهم الليل، ورجع المهزومون إلى مصر.

فجمع ذو الفقار الأمراء، واتفقوا على التشهيل وإخراج تجريدة أخرى، فاحتاجوا إلى مصروف فطلبوا فرمانًا من الباشا بمبلغ ثلثمائة كيس من الميري عن السنة القابلة، فامتنع عليهم فركبوا عليه وأنزلوه، وقلدوا محمد بك قطامش قائمقام، وأخذوا منه فرمانًا بمطلوبهم، وجهزوا أمر التجريدة، واهتموا فيها اهتمامًا زائدًا، ورتبوا أشغالهم وخرجوا، وجرت أمور وحروب، وقتل من جماعة جركس سليمان بك، ثم وقعت الهزيمة على جركس.

ووصل إلى مصر باكير باشا، وذلك في سنة اثنتين وأربعين ومائة وألف، وطلع إلى القلعة فمكث أشهرًا، وعزله العساكر في أواخر السنة، وحصل بمصر في أيام هذه التجاريد ضنك عظيم، وثار جماعة القاسمية المختفون بالمدينة، ودبروا مكرهم، ورئيسهم

في ذلك سليمان أغا أبو دفية، ودخل منهم طائفة على ذي الفقار بك وقت العشاء في رمضان وقتلوه، وكان محمد بك جركس جهة الشرق ينتظر موعدهم معه. فقضى الله بموت جركس خارج مصر، وموت ذي الفقار داخلها، ولم يشعر أحدهما بموت الآخر، وكان بينهما خمسة أيام، وثارت أتباع ذي الفقار بالقاسمية، وظهروا عليهم وقتلوهم وشرَّدُوهم، ولم يقُم منهم قائم بعد ذلك إلى يومنا هذا، وانقرضت دولة القاسمية من الديار المصرية، وظهرت دولة الفقارية، وتفرع منها طائفة القازدغلية.

وسيأتي تتمة الأخبار عند ذكر تراجمهم في وفياتهم، وقد جعلت هذا فصلًا مستقلًّا من أول القرن إلى سنة اثنتين وأربعين ومائة وألف، التي هي آخر دولة القاسمية.

فصل في تراجم الشيوخ

ذكر من مات في هذه السنين وما قبلها من هذا القرن، وما قبله بقليل من العلماء والأعاظم على سبيل الإجمال بحسب الإمكان. فإني لم أعثر على شيء من تراجم المتقدمين من أهل هذا القرن، ولم أجد شيئًا مُدَوَّنًا في ذلك إلا ما حصلته وَفَياَتِهم فقط، وما وَعَيْتُه في ذهني، واستنبطته من بعض أسانيدهم، وإجازات أشياخهم على حسب الطاقة، وذلك من أول القرن إلى آخر سنة اثنتين وأربعين ومائة وألف ١٧٢٩م، وهي أول دولة السلطان محمود بن عثمان.

وأولهم الإمامُ العلامة والحبر والفهامة شيخ الإسلام، وارث علوم سيد المرسلين: الشيخ/ محمد الخَرَشِي المالكي. شارح خليل وغيره، ويَرْوى عن والده الشيخ عبد الله الخرشي، وعن العلامة الشيخ إبراهيم اللّقاني كلاهما عن الشيخ سالم السنهوري المالكي عن النجم الغيطي، عن شيخ الإسلام زكريا الأنصاري، عن الحافظ ابن حجر العسقلاني بسنده إلى الإمام البخاري. تُوُفي سنة إحدى ومائة وألف.

ومات الشيخ الإمام شمس الدين/ محمد بن داود بن سليمان العناني، نزيل الجنبلاطية. أخذ عَن عَلي الحلبي صاحب السيرة، والشهاب الغزي، والشمس البابلي، والشهاب الخفاجي، والبرهان اللقاني وغيرهم. حَدَّث عنه حسن بن علي البرهاني، والخليفي، والبديري ... وغيرهم. توفي سنة ثمانٍ وتسعين وألف.

ومات إمام المحققين وعمدة المدققين، صاحب التآليف العديدة، والتصانيف المفيدة: السيد/ أحمد الحموي الحنفي، ومن تصانيفه: شرح الكنز، وحاشية الدرر والغرر، والرسائل ... وغير ذلك. توفي أيضًا في تلك السنة — رحمهم الله — ومن شيوخه: الشيخ علي الأجهوري، والشيخ محمد بن علان، والشيخ منصور الطوخي، والشيخ أحمد البشبيشي، والشيخ خليل اللقاني ... وغيرهم كالشيخ عبد الله بن عيسى العلم الغزي.

ومات علامة الفنون الشيخ شمس الدين/ محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن أمين الدين محمد الضرير بن شرف الدين حسين الحسيني الشهير بالشرنبابلي شيخ مشايخ الأزهر في عصره. كذا ذكر نسبَه شيخُنا السيدُ مرتضى نقلًا عن سبطه العلامة محمد بدر الدين، أخذ عن شيوخ عَدَّة: كالشيخ سلطان المزاحي، والشيخ علي الشبراملسي، والنور الزيادي، وأحمد البشبيشي، وأجازه البابلي، وأخذ عنه: البُلَيدي، والملوي، والجوهري، والشَّبْراوي. بواسطة الشيخ عبد ربه الديوي. توفي سنة اثنتين ومائة وألف.

ومات الشريف المُعمِّر أبو الجَمال/ محمد بن عبد الكريم الجزايري. روى عن أبي عثمان سعيد قدُّوره، وأبي البركات عبد القادر، وأبي الوفاء الحسن بن مسعود اليوَسي، وأبي الغيث القشاشي، وأجازه البابلي والأجهوري، ومحمد الزرقاني، وعبد العزيز بن محمد الزمَزمي، والشبراملسي، والشهاب القليوبي، والغنيمي، والشهاب الشلبي، ومحمد حجازي الواعظ، ومفتي تعز محمد الحبشي، والنجم الغزي، والقشاشي، والشهاب السبكي، والمزاحي. توفي سنة اثنتين ومائة وألف.

ومات الإمام العلامة أبو الإمداد/ خليل بن إبراهيم اللقاني المالكي. أخذ عن والده وعن أخويه عبد السلام ومحمد اللقانَيين، والنور الأجهوري، والشبراملسي، والشيخ عبد الله الخرَشي، والشمس البابلي، وسلطان المزاحي، والشيخ عامر الشبراوي، والشهاب القليوبي، والشمس الشوبري الشافعي، وأحمد الشوبري الحنفي، وعبد الجواد الجنبلاطي، وياسين العليمي الشامي، وأحمد الدواخلي، وعلي النبتيتي، وعقد دروسًا بالمسجد الحرام، وأخذ بها عن محمد بن علان الصديقي، والقاضي تاج الدين المالكي، وبالمدينة عن الوجيه الخياري، وغرس الدين الخليلي وأجازوه. توفي سنة خمس ومائة وألف.

ومات الإمام أبو سالم/ عبد الله بن محمد بن أبي بكر العياشي المغربي الإمام الرحالة، قرأ بالمغرب على شيوخ؛ منهم: أخوه الأكبر عبد الكريم بن محَمد، والعلامة أبو بكر بن يوسف السُكْتَّاني، وإمام المغرب سيدي عبد القادر الفاسي، والعلامة أحمد بن موسى الأبار، ورحل إلى المشرق فقرأ بمصر على النور الأجهوري، والشهاب الخفاجي، وإبراهيم المأموني، وعلى الشبراملسي، والشمس البابلي، وسلطان المزاحي، وعبد الجواد الطريني المالكي.

وجاور بالحرمين عدة سنين فأخذ عن زين العابدين الطبري، وعبد الله بن سعيد باقشير، وعلي بن الجمال، وعبد العزيز الزمزمي، وعيسى الثعالبي، والشيخ إبراهيم

الكردي، وأجازوه، ورجع إلى بلاده، وأقام بها إلى أن تُوفي سنة تسعين وألف ١٦٧٩م، وله رحلة في عدة مجلدات، وذكر فيها أنه اجتمع بالشيخ حسن العجمي وأجاز كُلٌّ صاحبه.

ومات الإمام الحجة/ عبد الباقي بن يوسف بن أحمد بن محمد بن علوان الزرقاني المالكي الوفائي، ولد سنة عشرين وألف بمصر، ولاَزَمَ النورَ الأجهوري مُدَّة، وأخذ عن الشيخ ياسين الحمصي، والنور الشبراملسي، وحضر في دروس الشمس البابلي الحديثية، وأجازه جُلُّ شيوخِه، وتلقى الذكر من أبي الإكرام بن وفيّ سنة خمس وأربعين وألف، وتصدر للإقراء بالأزهر، وله مؤلفات منها شرح مختصر خليل وغيره. توفي في رابع عشرين رمضان سنة تسع وتسعين وألف، وصَلَّى عليه إمامًا بالناس الشيخُ محمدُ قوشِي.

ومات عالم القُدْس الشيخُ/ عبد الرحيم بن أبي اللطف الحسيني الحنفي المقدسي، قرأ بمكة عَلَى الإمام زين العابدين بن عبد القادر الطبري، وبمصر عَلَى الشيخ الشبراملسي، والشمس البابلي، والشمس الشوبري، والفقه على الشهاب الشوبري الحنفي، وحسن الشرنبلالي، وعبد الكريم الحموي الطرابلسي، وبدمشق على السيد محمد بن علي بن محمد الحسيني المقدسي الدمشقي، توفي غريبًا بأدرنة سنة أربع ومائة وألف.

ومات الإمام العلامة شمس الدين/ محمد بن قاسم بن إسماعيل البقري المقرئ الشافعي الصوفي الشناوي. أخذ علم القراءات عن الشيخ عبد الرحمن اليمني، والحديث عن البابلي، والفقه عن المزاحي والزيادي والشوبري ومحمد المنياوي، والحديث أيضًا عن النور الحلبي، والبرهان اللقاني، والطريقة عن عمه الشيخ موسى بن إسماعيل البقري، والشيخ عبد الرحمن الحلبي الأحمدي، وغالبُ علماء مصرَ إما تلميذُه، أو تلميذُ تلميذه، وألف وأجاد وانفرد، ومولده سنة ثماني عشرة وألف ١٦٠٩م، وتوفي في رابع عشرين جمادى الثانية سنة إحدى عشرة ومائة وألف عن ثلاث وتسعين سنة.

ومات الأديب الفاضل الشاعر/ أبو بكر بن محمود بن أبي بكر بن أبي الفضل العمري الدمشقي الشافعي الشهير بالصفوري، ولد بدمشق وبها نشأ ورحل إلى مصر، وتَوَطَّنَها وأخذ بها عن الشمس البابلي، ونظم سيرة الحلبي جزءًا، ولم يتمه، وجُمِع ديوانُ شعره باسم الأستاذ محمد بن زين العابدين البكري، وكان من الملازمين له. توفي سنة اثنتين ومائة وألف، ودفن بتربة الشيخ فرج خارج بولاق عند قصر الأستاذ البكري.

ومات السيد/ عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن محمد كُرَيشة ابن عبد الرحمن بن إبراهيم بن عبد الرحمن السقاف. ترجمه صاحب المشرع، فقال: «ولد بمكة وتربى في حجر والده، وأدرك شيخ الإسلام عمر بن عبد الرحيم البصري، وصحب

الشيخ محمد بن علوي، وألبسه الخِرْقَة، وكذا أبو بكر بن حسين العيدروس الضرير، وزَوَّجَه ابنته، وأخذ عنه العلوم الشرعية، وزار جده وعاد إلى مكة، وبها توفي ليلة الجمعة سنة أربع ومائة وألف.

ومات الأستاذ زين العابدين/ محمد بن محمد بن محمد ابن الشيخ أبي المكارم محمد أبيض الوجه البكري الصديقي، ولد سنة ستين وألف، وكان تاريخ ولادته (أشرق الأفق بزين العابدين). توفي سنة سبع ومائة وألف في الفصل، ودُفن عند أسلافه بجوار الإمام الشافعي — رضى الله عنه.

ومات السند شيخ الشيوخ برهان الدين/ إبراهيم بن حسن بن شهاب الدين الكوراني المدني، ولد بتهران في شوال سنة خمس وعشرين وألف ١٦١٦م، وأخذ العلم عن محمد شريف الكوراني الصديقي. ثم ارتحل إلى بغداد وأقام بها مدة، ثم دخل دمشق، ثم إلى مصر، ثم إلى الحرمين، وألقى عصا تَسْيَاره بالمدينة المنورة، ولازم الصيفي القشاشي وبه تخرج، وأجازه الشهاب الخفاجي، والشيخ سلطان، والشمس البابلي، وعبد الله بن سعيد اللاهوري، وأبو الحسين علي بن مطير الحكمي، وقد أجاز لمن أدرك عصره، وتوفي ثامن عشرين جمادى الأولى سنة إحدى ومائة وألف.

ومات الإمام العلامة برهان الدين/ إبراهيم بن مرعي الشبرخيتي المالكي تفَقَّهَ على الشيخ الأجهوري، والشيخ يوسف الفيشي، وله مؤلفات منها شرح مختصر خليل في مجلدات، وشرح عَلَى العشماوية، وشرح عَلَى الأربعين النووية، وشرح على ألفية السيرة للعراقي. مات غريقًا بالنيل وهو متوجه إلى رشيد سنة ستٍ ومائة وألف.

ومات الأستاذ/ أبو السعود بن صلاح الدين الدنجيهي الدمياطي المولد والمنشأ، الشافعي الفاضل البارع، ولد سنة ألف وستين، وجَوَّد القرآن على العلامة ابن المسعودي أبي النور الدمياطي. ثم قدم مصر، ولازم دروس الشهاب البشبيشي، وجَدَّ في الاشتغال، وقدم مكة، وتوفي وهو راجع من الحج بالمدينة في أوائل المحرم سنة تسع ومائة وألف.

ومات الإمام العلامة مفتي المسلمين الشيخ/ حسن بن علي بن محمد بن عبد الرحمن الجبرتي الحنفي، وهو جد الشيخ الوالد. أخذ عن أشياخ عصره من أهل القرن الحادي عشر. كالبابلي والأجهوري والزرقاني وسلطان المزاحي والشبراملسي والشهاب الشوبري، وتفقه على الشيخ حسن الشرنبلالي الكبير، ولازمه ملازمة كلية، وكتب تقاريره على نسخ الكتب التي حضرها عليه، ومنها كتاب الأشباه والنظاير للعلامة ابن نجيم، وكتاب الدرر شرح الغرر لملا خُسرو، وكلا النسختين بخطه، الأصل وما عليهما من الهوامش، ثم جرد

ما عليهما، فصارا تأليفين مستقلين، وهما الحاشيتان المشهورتان على الدرر والأشباه للعلامة الشرنبلالي، وكلتا النسختين وما عليهما من الهوامش موجودتان عندي إلى الآن بخط المترجَم، ومن تأليفه: رسالة على البسملة. ولما توفي الأستاذ الشرنبلالي في سنة تسع ستين وألف ١٦٥٨م، تَصَدَّر بعده للإفادة والتدريس والإفتاء، وأقرأ ولده الشيخ حسن، وتقيد به حتى ترعرع وتمهر. وتوفي المترجم في سنة ستٍ وتسعين وألف، وترك الجد إبراهيم صغيرًا، فَرَبَّته والدته الحاجة مريم بنت المرحوم الشيخ محمد المنزلي حتى بلغ رشده فزوجته ببنت عبد الوهاب أفندي الدلجي، وعقد عقده عليها بحضرة كل من الشيخ جمال الدين يوسف أبي الإرشاد ابن وفيّ، والشيخ عبد الحي الشرنبلالي الحنفي، وشهاب الدين أحمد المرحومي، والشيخ عبد الرؤوف البشبيشى، والشيخ شهاب الدين أحمد البرماوي، والشيخ زين الدين أبي السعود الدنجيهي الشافعي الدمياطي شيخ المدرسة المتبولية، والشيخ شمس الدين محمد الأرمناوي ... وغيرهم، المثبتة أسماؤهم في حجة العقد في كاغد كبير رومي محرر ومسطر بالذهب، وعليه لوحة مموهة بالذهب مؤرخة بغاية شعبان سنة ثمانٍ ومائة وألف ١٦٩٦م، وهي محفوظة عندي إلى الآن بإمضاء موسى أفندي بمحكمة الصالحية النجمية، وبنى بها في ربيع أول، وحملت منه بالمرحوم الوالد. فمات الجد بعد ولادة الوالد بشهر واحد، وذلك في سنة عشر ومائة وألف، وعمره ست عشرة سنة لا غير.

ومات الإمام نور الدين/ حسن بن أحمد بن العباس بن أبي سعيد المكناسي، ولد بها سنة ألف واثنتين وخمسين ١٦٤٢م، وقرأ على محمد بن أحمد الفاسي نزيل مكناس، وحضر دروس سيدي عبد القادر الفاسي وكثيرين، وقدم مصر سنة أربع وسبعين وألف ١٦٦٣م، وحضر دروس الشبراملسي ومنصور الطوخي وأحمد البشبيشي ويحيى الشهاوي، وحج واجتمع على السيد عبد الرحمن المحجوب المكناسي، وكانت له مشاركة في سائر العلوم. مات بمصر سنة إحدى ومائة وألف.

ومات الشيخ الإمام العلامة/ إبراهيم بن محمد بن شهاب الدين بن خالد البرماوي الأزهري الشافعي الأنصاري الأحمدي شيخ الجامع الأزهر. قرأ على الشمس الشوبري، والمزاحي، والبالبلي، والشبراملسي. ثم لازم دروس الشهاب القليوبي واختص به، وتَصَدَّرَ بعده للتدريس في مَحَلِّه. تُوفي سنة ستٍ ومائة وألف. روى عنه محمدُ بن خليل العجلوني، وعلي بن علي المرحومي نزيل مَخَا، ورافقه المُلَيْحي في دروس القليوبي، وترجمه وأثنى عليه، وله تآليف عديدة.

ومات عالم المغرب الشيخ الإمام نور الدين/ حسن بن مسعود اليُوسِي، قدم مكة حاجًّا سنة اثنتين ومائة وألف ١٦٩٠م وله مؤلفات عديدة مشهورة. توفي بالمغرب سنة إحدى عشرة ومائة وألف.

ومات الإمام العلامة شيخ الشيوخ الشيخ/ شاهين بن منصور بن عامر بن حسن الأرمناوي الحنفي، ولد ببلده سنة ثلاثين وألف ١٦٢٠م، وحفظ القرآن، والكنز، والألفية، والشاطبية، والرجبية ... وغيرها، ورحل إلى الأزهر، فقرأ بالروايات على العلامة المقرئ عبد الرحمن اليمني الشافعي، ولازم في الفقه: العلامة أحمد الشوبري وأحمد المنشاوي الحنفيين، وأحمد الرفاعي، وياسين الحمصي، ومحمد المنزلاوي، وعمر الدفري، والشهاب القليوبي عبد السلام اللقاني، وإبراهيم الميموني الشافعي، وحسن الشرنبلالي الحنفي.

وفي العلوم العقلية: شيخ الإسلام محمد الشهير بسيبويه تلميذ أحمد بن قاسم العبادي، ولازمه كثيرًا، وبَشَّرَهُ بأشياءَ حصلت له. وأخذ عن العلامة سريَ الدين الدروري، والشيخ علي الشبراملسي، والشمس البابلي، وسلطان المزاحي، وأجازه جُلُّ شيوخه، وتصدر للإقراء في الأزهر في فنون عديدة، وعنه أخذ جمع من الأعيان كمحمد بن حسن المُلّا، والسيد علي الحنفي، وغيرهما. توفي سنة إحدى ومائة وألف.

ومات العلامة الشيخ/ أحمد بن حسن البشتكي، أخذ عن البناء، وعن الشيخ محمد الشرنبابلي، وتوفي سنة عشر ومائة وألف.

ومات السيد الشريف/ عبد الله بن أحمد بن عبد الرحمن بن أحمد بن محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بافقيه التريمي الإمام الفقيه المحدث. أخذ عن مصطفى بن زين العابدين العيدروس، والسيد محمد سعيد، وعنه ولده عبد الرحمن، والسيد شيخ بن مصطفى العيدروس، وأخواه زين العابدين وجعفر. توفي ببندر الشَّحْر في آخر جمادى سنة أربع ومائة وألف.

ومات خاتمة المحدثين بمصر شمس السنة/ محمد بن منصور الإطفيحي الوفائي الشافعي، ولد سنة اثنتين وأربعين وألف ١٦٣٢م، وأخذ عن أبي الضياء علي الشبراملسي، وعن الشمس البابلي، والشيخ سلطان المزاحي، والشمس محمد عمر الشوبري الصوفي، والشهاب أحمد القليوبي. توفي سنة خمس عشرة ومائة وألف تاسع عشر شوال.

ومات إمام المحققين الشيخ/ عبد الحي بن عبد الحق بن عبد الشافي الشرنبلالي الحنفي عَلَّامة المتأخرين، وقدوة المحققين، ولد ببلده، ونشأ بها. ثم ارتحل إلى القاهرة واشتغل بالعلوم، وأخذ عن الشيخ حسن الشرنبلالي، والشهاب أحمد الشوبري، وسلطان

المزاحي، والشمس البابلي، وعَلِي الشبراملسي، والشمس محمد العناني، والسري محمد بن إبراهيم الدروري، والسراج عمر بن عمر الزهري المعروف بالدفري، وتَفَقَّهَ بهم، ولازم فضلاءَ عصره في الحديث والمعقول، وأخذ أيضًا عن الشيخ العلَّامة ياسين بن زين الدين العليمي الحمصي، والشيخ عبد المعطي البصير، والشيخ حسين النماوي وابن خفاجي، واجتهد وحَصَّل، واشتهر بالفضيلة والتحقيق، وبرع في الفقه والحديث، وأَكَبَّ عليهما آخرًا، واشتهر بهما، وشارك في النحو والأصول والمعاني والصرف والفرائض مشاركة تامة، وقصدته الفضلاء وانتفعوا به، وانتهت إليه رياسة مصر، توفي سنة سبع عشرة ومائة وألف، ودُفن عند معبد السيدة نفيسة.

ومات الشيخ الإمام الفقيه الفَرْضي الحَيْسوَب صالح بن حسن بن أحمد بن علي البهوتي الحنبلي. أخذ عن أشياخ وقته، وكان عمدة في مذهبه، وفي المعقول والمنقول والحديث، وله عدة تصانيف وحواشٍ وتعليقات وتقييدات مفيدة متداولة بأيدي الطلبة. أخذ عن الشيخ منصور البهوتي الحنبلي ومحمد الخلوتي، وأخذ الفرائض عن الشيخ سلطان المزاحي، ومحمد الدلجموني، وهو من مشايخ الشيخ عبد الله الشبراوي، ولازم عمه الشمس الخلوتي، وأخذ الحديث عن الشيخ عامر الشبراوي وله ألفية في الفقه، وألفية في الفرائض، ونظم الكافي. توفي يوم الجمعة ثامن عشرين ربيع أول سنة إحدى وعشرين ومائة وألف.

ومات الإمام العلامة/ محمد فارس التونسي من ذريَّة سيدي حسن الشُّشْتَرِي الأندلسي. هو والد الشيخ محمد بن محمد فارس من أكابر الصوفية. كان يحفظ غالب ديوان جده. أقام بدمياط مدة. ثم رجع إلى مصر ومات بها سنة أربعَ عشرة ومائة وألف.

ومات الإمام العلامة الشيخ أبو عبد الله/ محمد بن عبد الباقي بن يوسف بن أحمد بن علوان الزرقاني المالكي، خاتمة المحدثين مع كمال المشاركة، وفصاحة العبارة في باقي العلوم، ولد بمصر سنة خمس وخمسين وألف ١٦٤٥م، وأخذ عن النور الشبراملسي، وعن حافظ العصر البابلي، وعن والده، وَحَدَّث عنه: العلامة السيد محمد بن محمد بن محمد الأندلسي، وعبد الله الشبراوي، والحلوي، والجوهري، والسيد زين الدين عبد الحي بن زين العابدين بن الحسن البَهْنَسِي، وعمر بن يحيى بن مصطفى المالكي، والبدر البرهاني. وله المؤلفات النافعة كشرح الموطَّأ، وشرح المواهب، واختصر المقاصد الحسنة للسخاوي. ثم اختصر هذا المختصر في نحو كراسين بإشارة والده وعمَّ نفعها، وكان معيدًا لِدُروس الشبراملسي، وكان يعتني بشأنه كثيرًا، وكان إذا غاب يسأل عنه، ولا يفتتح درسه إلا إذا

حضر مع أنه أصغر الطلبة. فكان محسودًا لذلك في جماعته، وكان الشيخ يعتذر عن ذلك، ويقول: «إن النبي ﷺ أوصاني به» توفي سنة اثنتين وعشرين ومائة وألف.

ومات الشيخ/ رضوان إمام الجامع الأزهر في غرة رمضان سنة خمس عشرة ومائة وألف.

ومات الشيخ المجذوب/ أحمد أبو شوشة خفير باب زويلة، وكانت كراماته ظاهرة، وكان يضع في فمه نحو المائة إبرة، ويأكل ويشرب، وهي في فمه لا تعوقه عن الأكل والشرب والكلام. مات في يوم الثلاثاء سابع عشرين جمادى الآخرة سنة خمس عشرة ومائة وألف.

ومات السند العمدة الشيخ/ حسن أبو البقاء بن علي بن يحيى بن عمر العجمي المكي الحنفي صاحب الفنون، ولد سنة تسع وأربعين وألف ١٦٣٩م كما وجدته بخط والده بمكة، وبها نشأ وحفظَ القرآنَ وعِدَّةَ مُتون، وأخذ عن الشيخ زين العابدين الطبري وعلي بن الجمال وعبد الله بن سعيد باقشير والسيد محمد صادق وحنيف الدين المرشدي والشمس البابلي، وبالمدينة عَلَى القشاشي ولبس منه الخرقة، وأخذ عن جمع من الوافدين كعيسى الجعفري، ومحمد بن محمد العيثاوي الدمشقي، وعبد القادر بن أحمد الفضي الغزي، وعبد الله بن أبي بكر العياشي.

وأجازه جُلُّ شيوخه، وكتب إليه بالإجازة غالبُ مشايخ الأقطار كالشيخ أحمد العجلي وهو من المعمرين، والشيخ علي الشبراملسي، وعبد القادر الصفوري الدمشقي، والسيد محمد بن كمال الدين بن حمزة الدمشقي، والشيخ عبد القادر الفاسي، واعتنى بأسانيد الشيوخ، ودرَّس بالحرم وأفاد، وانتفع به جماعة من الأعلام كالشيخ عبد الخالق الزجاجي الحنفي المكي، وأحمد بن محمد بن علي المدرس المدني، وتاج الدين الدهان الحنفي المكي، ومحمد بن الطيب بن محمد الفاسي، والشيخ مصطفى بن فتح الله الحموي. توفي ظهر يوم الجمعة ثالث شوال سنة ثلاث عشرة ومائة وألف بالطائف، ودُفن بالقرب من ابن عباس.

ومات السيد/ عبد الله الإمام الشيخ أحمد المرحومي الشافعي، وذلك سنة اثنتي عشرة ومائة وألف.

ومات الأستاذ المعظم والملاذ المفخم صاحب النفحات والإشارات الشيخ/ يوسف بن عبد الوهاب أبو الإرشاد الوفائي، وهو الرابع عشر من خلفائهم. تولى السجادة يوم وفاة والده في ثاني رجب سنة ثمانٍ وتسعين وألف ١٦٨٦م، وسار سيرًا حسنًا بكرم نفس

وحشمة زائدة ومعروف وديانة، إلى أن توفي في حادي عشر المحرم سنة ثلاث عشرة ومائة وألف، ودُفن بحوطة أسلافه — رضى الله عنهم.

ومات الفقيه/ محمد بن سالم الحضرمي العوفي. أخذ عن سليمان بن أحمد النجار، وعنه محمد بن عبد الرحمن بن محمد العيدروس. توفي بالهند سنة إحدى عشرة ومائة وألف.

ومات الإمام العلامة المفيد الشيخ/ أحمد بن محمد المنفلوطي الأصل القاهري الأزهري المعروف بابن الفقي الشافعي، ولد سنة أربع وستين وألف ١٦٥٣م، وأخذ القراءات عن الشمس البقري، والعربية عن الشهاب السندوبي، وبه تَفَقّه، والشهاب البشبيشي، ولازمه السنين العديدة في علوم شتى، وكذا أخذ عن النور الشبراملسي، وحضر دروس الشهاب المرحومي، وكان إمامًا عالمًا بارعًا ذكيًّا حُلْوَ التقرير رقيق العبارة جَيِّدَ الحافظة، يقرر العلوم الدقيقة بدون مطالعة، مع طلاقة الوجه والبشاشة، وطَرْحِ التكلُّف. ومن تآليفه: حاشية علي الأشموني لم تكمل، وأخرى على شرح أبي شجاع للخطيب، ورسالة في بيان السنن والهيئات هل هي داخلة في الماهية، أو خارجة عنها، وأخرى في أشراط الساعة، وشرح البدور السافرة، ومات قبل تبييضه، فاختلسه بعض الناس وبَيَّضَه ونسبه لنفسه وكتمه. توفي فجأة. قيل: مسمومًا صبيحة يوم الاثنين سابع عشري شوال سنة ثمان عشرة ومائة وألف.

ومات الإمام العالم العلامة الشيخ/ محمد النشرتي المالكي، وهو كان وصيًّا على المرحوم الشيخ الوالد بعد موت الجد، توفي يوم الأحد بعد الظهر، وأُخِّرَ دَفْنُه إلى صبيحة يوم الاثنين، وصلي عليه بالأزهر بمَشْهَد حافل، وحضر جنازته الصناجقُ والأمراء والأعيان، وكان يومًا مشهودًا، وذلك سنة عشرين ومائة وألف.

ومات السيد أبو عبد الله/ أحمد بن عبد الرحمن بن أحمد بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن علي بن محمد بن أحمد ابن الفقيه المقدم، ولد بِتِرْيَمْ، وأخذ عن أحمد بن عمر البيتي، والفقيه عبد الرحمن بن علوي بافقيه، وأبي بكر بن عبد الرحمن بن شهاب العيدروس، والقاضي أحمد بن الحسين بافقيه وأحمد بن عمر عبديد ... وغيرهم، وأجازوه، وتميز في العلوم وتمهَّر، ودرس وصنف في الفقه والفرائض. وممن روى عنه شيخ وجعفر وزين العابدين، أولاد مصطفى بن زين العابدين بن العيدروس، ومصطفى بن شيخ بن مصطفى العيدروس ... وغيرهم. توفي بالشَّحْر سنة ثمان عشرة ومائة وألف.

ومات الأديب الأريب الشيخ/ أحمد الدلنجاوي شاعر وقته، له ديوان في مجلد.

ومن كلامه، وفيه التوجيه:

قـمـرٌ يـخـصُّ وشـاتَـه ... برضا، ومغرمه بسخط
عـاتـبـتـه بـتـلـطـفٍ ... وسألته حكمًا بضبط
فـأجـابـنـى وهـو الـذي ... طرقَ الهداية ليس يُخطي
لـسـتُ الإمـامَ وإنـمـا ... أنا قاسمٌ والله معطي

وله تخميس على قصيدة ابن مُنْجَك، منه:

كُل ساقٍ عليك ساق الطلا كَلْ ... سيف لحظيك للبرية ما كَلْ
حيثما الكاس لون خديك شاكَلْ ... نتفَدَّاك ساقِيًا قد كساك الـ
لحسن من فَرْقِك المضيء بساقك

جل من في هواه أسهر طرفي ... يا مليحًا في حسنه حار وصفى
كلما رمتُ صبوةً لستُ أُخفى ... تشرق الشمس من يديك ومِن فيـ
ـك الثريا، والبدر من إشراقك

يا مليكًا بدولة الحُسن طرًّا ... مشتري اللَّحظ مات باللحظ شطرا
وعجيب قوسُ الحواجب أدرى ... أوليس العجيب كونك بدرًا
كاملًا والمحاق من عشَّاقِك!

وله مواليا:

بالله عليك أثيلات النَّقا تهزُزْن ... أغصانك خبرينى لا جفتْك المزن
عن الظباء اللواتي حُزْن قلبي حُزن ... هل جزن من جانب الجرعاء، أو ما جزن

الجواب:

قالت نعم جزن بالجرعاء لما شُزن ... أوتارهنَّ وألفاظ القنا يرمزن
قلت ارجعى قالت اسمع والعيون يغمِزْن ... إن لم تعاود يجددن البكا والحزن

توفي سنة ثلاث وعشرين ومائة وألف ١٧١١م، وأرخه الشبراوي بقوله:

سألت الشعر هل لك من صديق   وقد سكن الدلنجاويُّ لحدَهْ
فصاح وخَرَّ مغشيًّا عليه   وأصبح ساكنًا في القبر عندَهْ
فقلت لمن أراد الشعر أقصِرْ   فقد أرَّختُ مَاتَ الشعرُ بعدَهْ

ومات الشيخ العلامة المفيد/ سليمان الجنزوري الأزهري. توفي سنة أربع وعشرين ومائة وألف ١٧١٢م.

ومات الإمام المحدث الإخباري/ مصطفى بن فتح الله الحموي الحنفي المكي أخذ عن العجمي، والبابلي، والنخلي، والثعالبي، والبصري، والشبراملسي، والمزاحي، ومحمد الشلبي، وإبراهيم الكوراني، وشاهين الأرمناوي، والشهاب أحمد البشبيشي، وأكثر الأخذ عن الشاميين، وله رحلة إلى اليمن، توَسَّعَ فيها في الأخذ عن أهلها، وألَّفَ كتابًا في وفيات الأعيان. سماه (فوائد الارتحال ونتائج السفر، في أخبار أهل القرن الحادي عشر) توفي سنة أربع وعشرين ومائة وألف ١٧١٢م. حدَّث عنه السيد عمر بن عقيل العلوي.

ومات السيد السند صاحب الكرامات والإشارات السيد/ عبد الرحمن السقاف باعلوي، نزيل المدينة. قال الشيخ العيدروس في ذيل المشرع: ولد بالدِّيار الحضرمية، ورحل إلى الهند، فأخذ بها الطريقة النَّقْشبَنْدِيَّة عن الأكابر العارفين، واشتغل بها حتى لاحت عليه أنوارُها، وورد الحرمَين فقطن بالمدينة المنورة، وبها تزوج الشريفة العلوية العيدروسية من ذُرِّيَّةِ السيد عبد الله صاحب الرهط، وممن أخذ عليه بها الطريقة الشيخُ محمدٌ حياة السندي، بإشارة بعض الصالحين. وكان المترجَمُ يخبر عن نفسه: أنه لم يبقَ بيني وبين رسول الله ﷺ حجابٌ، وأنه لم يُعْطِ الطريقة النقشبندية لأحد إلا بإذن رسول الله ﷺ وأنه أُعطي سيف أبي بكر بن العيدروس الأكبر الذى يشير إليه بقوله:

وسيفي في غمده   لدفع الشدائد معدود

وقوله:

بسيفي يلاقي المهند   وقائع تشيب الولود

ولم يزل على طريقة حميدة، حتى توفي بها سنة أربع وعشرين ومائة وألف.

ومات الإمامُ الهمامُ عمدةُ المسلمين والإسلام الشيخُ عبد ربِّه/ أحمد الدِّيوي الضرير الشافعي أحد العلماء مصابيح الإسلام، ولد ببلده، ونشأ بها. ثم ارتحل إلى دمياط، وجاور بالمدرسة المُتبولِيّة، فحفظ القرآن، وعدّة مُتون منها البهجة الوردية، واشتغل هناك على أفاضلها كالشمس بن أبي النور، ولازمه في الفنون، وتَفَقَّه به، وقرأ عليه القرآن بالروايات، وأخذ عنه الطريقَ وتهذّب به. ثم ارتحل إلى القاهرة، فحضر عند الشهاب البشبيشي قليلًا. ثم لازم الشمسَ الشرنبابلي في فنون، إلى أن توجه إلى الحج، فأمره بالجلوس موضعه، والتقييد بجماعته، فتصدّى لذلك، وعم النفع به، وبرعت طَلَبَتُه، وقصدته الفضلاء من الآفاق، وكان إمامًا فاضلًا فقيهًا نحويًّا فرضيًّا حيسوبًا عَرُوضيًّا نحريرًا ماهرًا، كثير الاستحضار، غريب الحافظة، صافي السريرة، مشتغل الباطن بالله، جميل الظاهر بالعلم. تُوفي يوم السبت ثالث عشر ربيع الآخر، ودفن يوم الأحد بعد الصلاة عليه بالأزهر بمشهد حافل عظيم. اجتمع فيه الخاصُّ والعام، وذلك سنة ست وعشرين ومائة وألف.

ومات الشيخُ الإمام والعمدةُ الهمام/ عبدُ الباقي القيلوبي، وذلك سنة ثلاث وعشرين ومائة وألف.

ومات الشيخ العلامة أبو المواهب/ محمد ابن الشيخ تقي الدين عبد الباقي بن عبد القادر الحنبلي البعلي الدمشقي مفتي السادة الحنابلة بدمشق، ولُد بها، وأخذ عن والده، وعمن شاركه. ثم رحل إلى مصر، وقرأ بالروايات على مُقرئها الشيخ البقري، والفقهَ عَلَى الشيخ محمد البهوتي الخلْوَتي، والحديثَ عَلَى الشمس البابلي، والفنونَ عَلَى المزاحي والشبراملسي والعناني. تُوفي في شوال سنة ست وعشرين ومائة وألف عن ثلاثٍ وثمانين سنة. حَدَّثَ عنه الشيخُ أبو العباس أحمد بن علي بن عمر الدمشقي كتابه، وهو عالٍ، والشيخُ محمد بن أحمد الحنبلي، والسيدُ مصطفى بن كمال الدين الصديقي ... وغيرهم.

ومات الإمامُ العلامةُ المحقق المعَمَّر الشيخ/ سليمان بن أحمد بن خضر الخربتاوي البرهاني المالكي، هو والدُ الشيخ داود الخربتاوي الآتي ذكر ترجمته. توفي سنة خمس وعشرين ومائة وألف، عن مائة وستَّ عشرة سنة.

ومات الشيخ الإمام العالم العلامة الشيخ/ أحمد بن غنيم بن سالم بن مهنا النّفراوي شارح الرسالة، وغيرها، ولد ببلده نَفْرَة، ونشأ بها. ثم حضر إلى القاهرة، فتَفَقَّه في مبادئ أمره بالشهاب اللقاني. ثم لازم العلامة عبد الباقي الزرقاني، والشمس محمد بن عبد الله الخرشي، وتفقه بهما، وأخذ الحديث عنهما، ولازم الشيخ عبد المعطي البصير، وأخذ

العربية والمعقول عن الشيخ منصور الطوخي، والشهاب البشبيشي، واجتهد، وتصَدَّرَ، وانتهت إليه الرياسة في مذهبه، مع كمال المعرفة والإتقان للعلوم العقلية. لا سيما النحو، وأخذ عنه الأعيان، وانتفعوا به. ومن مؤلفاته: شرح الرسالة، وشرح النَّوَوِيَّة، وشرح الأجرومية. توفي سنة خمس وعشرين ومائة وألف عن اثنتين وثمانين سنة.

ومات الإمامُ العلامةُ الشهيرُ الشيخ أبو العباس/ أحمد بن محمد بن عطية بن عامر بن نوار بن أبي الخير الموساوي الشهير بالخليفي الضرير. أصله من الشرق، وقدم جده أبو الخير، وكان صالحًا معتقدًا، وأقام بمنية موسى من أعمال المنوفية، فحصل له بها الإقبال، ورزق الذرية الصالحة، واستمروا بها، وولد الشيخ بها، ونشأ بها، وحفظ القرآن. ثم ارتحل إلى القاهرة، واشتغل بالعلوم على فضلاء عصره. فتفقَّه عَلَى الشمس العناني، والشيخ منصور الطوخي، وهو الذي سماه بالخليفي لما ثقل عليه نسبة الموسوي. فسأله عن أشهر أهل بلده، فقال: أشهرها من أولياء الله تعالى سيدي عثمان الخليفي، فنسبه إليه، ولازم الشهاب البشبيشي، وأخذ عنه فنونًا، وحضر دروس الشهاب السندوبي، والشمس الشرنبابلي، وغيرهما، وأجازه الشيخ العجمي. واجتهد وبرع وحصَّل وأتقن وتفنن، وكان محدِّثًا فقيهًا أصوليًّا نحويًّا بيانيًّا متكلمًا عروضيًّا منطقيًّا، آية في الذكاء وحسن التعبير، مع البشاشة وسعة الصدر، وعدم الملل والسآمة، وحلاوة المنطق، وعذوبة الألفاظ. انتفع به كثير من المشايخ. توفي في عصر يوم الأربعاء خامسَ عشرَ صفر، ودُفن صبيحة يوم الخميس سادس عشره بالمجاورين، سنة سبع وعشرين ومائة وألف. عن ست وستين سنة.

ومات الإمامُ العمدةُ الفَهّامة الشيخ/ أحمد التونسي المعروف بالدقدوسي الحنفي. تُوفي فجأة بعد صلاة العشاء ليلة الأحد سادس عشر المحرم سنة ثلاث وثلاثين ومائة وألف.

ومات في تلك السنة أيضًا الشيخ العلامة/ أحمد الشرفي المغربي المالكي.

ومات الشيخ العلامة شيخ الجامع الأزهر الشيخ/ محمد شَنَن المالكي، وكان مَليئًا مُتَمَوِّلًا، أغنى أهل زمانه بين أقرانه، وجُعل الشيخُ محمد الجداوي وصيًّا على ولده سيدي موسى. فلما بلغ رشده سلمه ماله. فكان من صنف الذهب البندقي أربعون ألفًا خلاف الجنزرلي، والطرلي، وأنواع الفضة والأملاك والضياع والوظائف والجماكي، والرزق، والأطيان ... وغير ذلك. بدده جميعَه ولدُه موسى، وبنى له دارًا عظيمة بشاطئ النيل ببولاق، أنفق عليها أموالًا عظيمة، ولم يزل حتى مات مديونًا، في سنة اثنتين

وتسعين ومائة وألف ١٧٧٨م، وترك ولدًا مات بعده بقليل، وكان للمترجَم مماليك وعبيد وجوار، ومن مماليكه: أحمد بك شنن الآتي ذكره. تُوفي المترجمُ سنة ثلاث وثلاثين ومائة وألف، عن سبع وسبعين سنة.

ومات العمدةُ العالمُ الشيخُ/ أحمد الوَسيمي. توفي سنة إحدى وثلاثين ومائة وألف.

ومات الجنابُ المكرَّمُ السيدُ/ حسن أفندي نقيب السادة الأشراف، وكانت لأبيه وَجدِّه وعمِّه منْ قبْله وبموته انقرضت دولتهم، وأُقيم في منصب النقابة عوضه السيدُ مصطفى بن سيدي أحمد الرفاعي، قائمقام إلى حين ورود الأمر. تُوفي يوَم الجمعة تاسع عشر رجب سنة إحدى وعشرين ومائة وألف. ثم ورد في شهر جمادى سنة اثنتين وعشرين ومائة وألف ١٧١٠م — السيدُ عبدُ القادر نقيبًا، ونزل ببولاق بمنزل أحمد جاويش الخشاب، وهو إذ ذاك باشجاويش الأشراف، وبات هناك، فوُجد في صبحها مذبوحًا في فراشه، وحبس باشجاويش بسبب ذلك بالقلعة، ولم يظهر قاتله، وتقلد النقابة محمدُ كتخدا عزبان سابقًا لامتناع السيد مصطفى الرفاعي عن ذلك، ووافق تاريخه ذبح عبد القادر.

ومات الشيخ العلامة الفقيه المحدث الشيخ/ منصور بن علي بن زين العابدين المنوفي البصير الشافعي، ولد بمنوف، ونشأ بها يتيمًا في حجر والدته، وكان بارًّا بها، فكانت تدعو له؛ فحفظ القرآن، وعدة متون. ثم ارتحل إلى القاهرة، وجاور بالأزهر، وتفقه بالشهابين البشبيشي والسندوبي، والشمس الشرنبابلي، والزين منصور الطوخي، ولازم النور الشبراملسي في العلوم، وأخذ عنه الحديث، وجَدَّ واجتهد وتفنَّنَ، وبرع في العلوم العقلية والنقلية، وكان إليه المنتهى في الحذق والذكاء، وقوة الاستحضار لدقائق العلوم، سريع الإدراك لعويصات المسائل على وجه الحق. نظمَ الموجهات وشرحها، وانتفع به الفضلاء، وتخرج به النبلاء، وافتخرت بالأخذ عنه الأبناء على الآباء. توفي حادي عشرين جمادى الأولى سنة خمس وثلاثين ومائة وألف، وقد جاوز التسعين.

ومات الإمام العلامة شيخ الشيوخ الشيخ/ محمد الصغير المغربي سلخ رجب سنة ثمانٍ وثلاثين ومائة وألف.

ومات الأجلُّ الفاضلُ العمدةُ العلامةُ/ رضوانُ أفندي الفلكي صاحب الزيج الرضواني، الذي حرره على طريق الدر اليتيم لابن المجدي على أصول الرصد الجديد السمرقندي، وصاحب كتاب أسنى المواهب ... وغير ذلك تآليف وحسابيات وتحقيقات لا يمكن ضبطها لكثرتها، وكتب بخطه ما ينيف عن حمل بعير مسودات وجداول

حسابيات، وغير ذلك، وكان يسكن بولاق منجمعًا عن خلطة الناس، مقبلًا على شأنه. وكان في أيامه حسن أفندي الروزنامجي، وله رغبةٌ ومحبة في الفن، فالتمس منه بعضَ آلات وكُرات، فأحضر الصناع، وسبك عدة كرات من النحاس الأصفر، ونقش عليها الكواكب المرصودة وصورها، ودوائر العروض والميول، وكتب عليها أسماءها بالعربي، ثم طلاها بالذهب، وصرف عليها أموالًا كثيرة، وذلك في سنة اثنتي عشرة، أو ثلاث عشرة ومائة وألف ١٧٠١م، واشتغل عليه الجمالي يوسف مملوك حسن أفندي المذكور، وكلارجيه، وتفرغ لذلك حتى أنجب وتمهر، وصار من المحققين في الفن، واشتهر فضله في حياة شيخه وبعده.

وألف كتابًا عظيمًا في المنحرفات، جمع فيه ما تفرق من تحقيقات المتقدمين، وأظهر ما في مكنون دقائق الأوضاع والرسومات والأشكال من القوة إلى الفعل، وهو كتاب حافل نافع نادر الوجود، وله غير ذلك كثير، ومن تآليف رضوان أفندي المترجَم: النتيجةُ الكبرى والصغرى؛ وهما مشهورتان متداولتان بأيدي الطلبة بآفاق الأرض، وطراز الدرر في رؤية الأهلّة والعمل بالقمر ... وغير ذلك. توفي يوم السبت ثالث عشرين جمادى الأولى سنة اثنتين وعشرين ومائة وألف.

ومات الشيخ الصالح قطب الوقت المشهور بالكرامات معتقد أرباب الولايات، الشيخ/ عبد الله النكَّاري الشافعي الشهير بالشرقاوي من قرية بالشرقية. يقال لها: النَّكَّاريَّة. أخذ عن الشيخ عبد القادر المغربي، وكان يحكي عنه كرامات غريبة، وأحوال عجيبة، وممن كان يعتقده الشيخ الحفني، والشيخ عيسى البراوي، والشيخ علي الصعيدي، وقد خص كل واحد بإشارة نالها كما قال له، وشملتهم بركته، وأنه تولى القطبانية، وكان بينه وبين الشيخ محمد كشك مودةٌ ومواخاة. توفي سنة أربع وعشرين ومائة وألف.

ومات الشيخُ العمدةُ المنتقدُ الفاضلُ الشاعرُ البليغُ الصالحُ العفيفُ/ حسنُ البدري الحجازي الأزهري، وكان عالمًا فصيحًا مُفوَّها متكلمًا منتقدًا على أهل عصره، وأبناء مِصْرِه. سمعتُ من الشيخ الوالد، قال «رأيته ملازمًا لقراءة الكتب الستة تحت الدِّكَّة القديمة مُنْجَمِعًا عن خلطة الناس، معتكفًا على شأنه، قانعًا بحاله».

وله في الشعر طريقةٌ بديعة، وسليقة منيعة على غيره رفيعة، وقلما تجد في نظمه حَشْوًا، أوتكملة، وله أُرجوزة في التصوف. نحو ألف وخمسمائة بيت على طريق الصادح والباغم. ضمنها أمثالًا ونوادر وحكايات، وديوانٌ على حروف المعجم سماه بِاسْمَيْن: (تنبيه الأفكار للنافع والضار) وأيضًا: (إجماع الأُيَّاس من الوثوق بالناس) شرح فيه

حقيقة شِرار الخليقة من الناس المنحرفة طباعهم عن طريقة قويم القياس. استشهدتُ بكثير من كلامه في هذا المجموع بحسب المناسبة، وفي بعض الوقائع والتراجم، وله مزدوجةٌ سماها: (الدُرَّة السنية في الأشكال المنطقية)، ونَظْمُ رسالة: (الوضع للعلامة العضد)، ونَظْمُ: (لُقْطَة العجلان) في تعريف النقيضين والضِّدين، والخلافين والمثلين، وفي حكم المضارع صحيحًا كان أو معتلًا، و(رموز الجامع الصغير)، وختم ديوانه بأراجيز بديعة ضمَّنه نصائحَ، ونوادر وأمثالًا واستغاثات، وتوسلات للقبول موصلات.

ومن كلامه في قافية الباء:

كن جار كلبٍ، وجار الشِّرة اجتنبِ ... ولو أخًا من أم يُرى وأبِ
ما جارُ كلبٍ شكا يومًا بوائقه ... إذا شكا غيرُه من وصمة الوصب
وجانب الدار إن ضاقت مرافقها ... والمرأة السوء لو معروفة النسب
ومركبًا شرسَ الأخلاقِ لا سيما ... إن كان ذا قِصر، أو أبتر الذنب
أو كان ذا بُطء ننير والعمائم ما ... تفاحشت كبرًا تبدو كما القُبب
كذا الخفاف إذا ضاقت، أو اتسعت ... جدًّا، وكل عسير الفتح من ضَبَب
واحذر سراجًا ضعيفَ الضوء ترقبه ... فإنه الغمة العظمى لمرتقب
كذا الطعام إذا اشتدت حرارتُه ... وصارت اليد لم تقبله من لهب
ما فيه من بركات ما حرارتُه ... دامت كما ذكرت، فابرِدْه واقترب
لا تُلقِ نفسك يومًا في الزحام فما ... في زحمة لك خيرٌ لو على الذَّهب
وخُذْ عن الكثفا فَجًا بعيد المدى ... على متون جياد العزم والنجُبِ
قوم دروعهم التكدير في نفر ... من التنافر والإيحاش والشَّغب
ثقل العنا وجدوا، والذوق قد فقدوا ... عن أنسهم شردوا، ذا أعجبُ العجب
بعض اللطاف تقايا عند رؤيتهم ... والبعض أغمى، وبعضٌ آل للعطب
هم معاول صدع الصخر ما وجدوا ... فاصدع بهم حيثما آلاته تِغب
إن رُمت يومًا عقاب الذَّيقين فطف ... بهم على عُدماء الذوق واعتقب
لو قطرة مازحت منهم بحار صفا ... لكدَّرت ما صفا من مائها العذب
أو أنهم بسموا يومًا لعاد دُجًا ... عرى عن النيرين الضوء والشهب
إن الكثاف لسم للطاف فيا ... نعم التعاكس لكن الزمان غبي
فانجع بنفسك عنهم ما استطعت فمن ... عنهم تباعد حاز السَّبْق للقصب

يا نقمة الله حُلي حَيهَّم تِحيا حصبًا أبابيل أهل الفيل، واحتصب
لترجع الأرض فرغى من أذبتهم وما أناطوه من صاب ومن نَصب
إلهنا يا غياثَ المستغيث ويا معطي الجزيل، ويا منجي من الكرب
أحسن إلى حسن البدري بمغفرة وأعطه الأمن يوم الضيق والرهب
وصلِّ رب وسلم ما هَمَت سحبٌ على نبيك خير العجم والعرب
والآل والصحب ما دامت مآثرهم والتابعين بإحسان وكل نبي

وقال عفا الله عنه:

أخي فطنًا كن، واحذر الناس جملةً ولا تك مغرور الظنون والكواذب
فكم من فتى يرضيك ظاهرُ أمره وفي باطن يرتاغ روغ الثعالب
إذا بك يُلفي ظافرًا كان كافرًا يذيقك نكر النُّكرِ من كل جانب
ولا سيما نوع الأقارب إنهم عقُابك في الدنيا وعقرُ العقارب
إذا كنت في خير تمنوا لك الرِّدى لإرثك مَيتًا، أو لنهبة ناهب
وإن كنتَ ذا فقر فأنت لديهمُ أخسُّ خسيسٍ من أحسن الأكالب
فلا تك للطُّلاب للإرث تاركا طِلابًا سوى خيباتِ طلبة طالب
وقل لهم هذا تراثكم به تعيشون ما تحيون بين الأجانب
وإن مِتُّو متم بأوفر فاقة فلا عين تبكيكُم، ولا نحبُ ناحبِ
قبرتم دُثِرتم لا ذُكرتم خسرتمو تبوأتمو عُقبى عقاب العواقب
وأنقضُ خلق الله عقلًا فتى غدا بقبضة أنثى لُعبةَ المتلاعب
يروح ويغدو صادرًا عن مقالها يرى طوعها ما عاش أوجب واجب
فذاك الذى لم يحوِ إلا ندامةً ومتعبةً فاقت جميع المتاعب
بهذا أتانا النَّص عن أشرف الورى محمدٍ المبعوث من آل غالب
إطاعتُها ندم، وبالخير لم تكُن بآمرةٍ معنى الحديثين راقب
وخيرُ عباد الله من لازم التقى شكورَ العطايا صابرًا للمصائب
عريًّا عن الأطماع قنعًا قد اكتسى رقيبًا على الأنفاس خوف المراقب
فذاك لعمري أربحُ الناس صفقة إذا سقطت في الخُسر صفقة ناكب
وإن رمت أن تحيا عَريًّا عن الردى وتظفر في الأخرى بأسنى المكاسب

مكانك فالزم، واعتزل سائر الورى ... وسدد وعنهم سُد كل المسارب
ولا سيما الأوباش في الناس مَن عروا ... عن العرض، واستغشوا ثياب المثالب
والاعرج رقصيًّا والأصفر خِلقة ... والاعور فصيًّا ونوع الأحادب
والاقرع جصيًّا، ومَن قصرًا حوى ... والاحمر عدسيًّا وأهل المضارب
كذا النمرسي والدلج ثم البرلسي ... ومن كان دستيًّا ونوتي المراكب
ألئك أقوام تفاحش خبثهم ... ولا خبث حيات الردى والمعاطب
فلاتك مغترًّا بظاهر حالهم ... ولو أنهم يمشون فوق السحائب
وجرب إذا ما كنت قولي مكذِّبًا ... فتجربة الإنسان مبدي العجائب
نصيحَ الحجازي من سُمي حسنا خُذَن ... بإقبال قلبٍ حاضر غير غائب
فإن قبول النصح أنعم نعمة ... بها يبلغ الإنسان أسنى المآرب
ولا تك ممن صده اللهوُ والهوى ... عن الرشد حتى عاد أخيبَ خائب
ولا تعجبن من واقع النكر والردى ... ولكن لعدل قام مِن غير حاجب
ولا تطمعن في راحة أي ساعة ... من الدهر تعرو عن جميع الشوائب
فما دمت في الدنيا فإنك لم تَزل ... على نصب لو نِلت أعلى المناصب
وهذا دليلُ الزهد فيها ورفضها ... سوى ما بها يحتاجه من مناسب
وما بعده يُدعى ضلالًا وباطلا ... عناد لمن عانى وعين المعايب
فيا واسعَ المعروف يا واسع الرضا ... ويا خير فتاح، ويا خير واهب
أعِذنا بمنٍّ منك من كل غمة ... وهبنا التقى زادًا وتوبةَ تائب
وختمًا بخير عندما العمر ينقضي ... فإن ختام الخير خيرُ المناقب
ونُكر نكيرِ القبر عنا أزِل إذا ... خَلَوْنَا به عن كل خلٍ وصاحب
هنا لك لا مال، ولا جاه يُرتجى ... ولا مذهبٌ يُلْفى لمهرب هارب
سوى رحماتٍ منك يا خير راحم ... ويا خيرَ من يُرجى لدفع النوائب

وقال عفا الله عنه:

حذار حذار من قُرب الأقارب ... فهم صلُّ الأفاعي والعقارب
أناس إن تعبت فيستريحوا ... وتعلوهم لراحتك المتاعب
غنيًّا إن تكن حسودًا، وإلا ... فعنك تجنبوا من كل جانب

يودُّون اكتساب الموت كيما ... به يرموك كي يرثُوك المكاسب
وموتَك من يراقب أجل فلسٍ ... مودته فلا تك بالمراقب
أمن فمِها الأفاعي الشهد تعطِي؟ ... أم السمُرات تعطيك الأرطب؟
أم الإصلاح يُصلح من غراب؟ ... أم العمران من يوم الأخارب؟
فصحبة كلب اكلب أجرب اختر ... وخيرَهم فلا تك بالمصاحب
فما كلبٌ بك الأوصابَ يرمي ... وذاك رماك منه بكل واصب
على الحسَّاد دائرة الدواهي ... تدورُ بها النواعي والنواعب
سوى ما عُدَّ من مُستصعبات ... ليوم فيه تُنتصَبُ المصاعب
ولمَّا أن تعجَّبنا لما قد ... تعجَّجَ من مهُولات العجائب
تبَصَّرنا، فأبصرنا البرايا ... قد انتقبوا شنيعات المناقب
ذئابٌ في ثيابٍ أيُّ شخص ... نحوت له نحاكَ عليك واثب
ووافرُ بحرِ مكرٍ فيه غاصوا ... ليلتقطوا المكاره والمكارب
نجابتهم نجاستهم ومَن لا ... نجاسة فيه لا يُدعى بناجب
فحينئذ على ذي العقل جزمًا ... مجانبة الأقارب والأجانب
وإن ألجى لقربهم اضطرارٌ ... بقدر ضرورة تلجي يقارب
إلى أن ينقضي ما يقتضيه ... وفرَّ بُعيدَه فرَّ الثعالب
فإنّ صديق صدقٍ ليس يُلفَى ... زمانك بالمشارق والمغارب
وإن أجهدت نفس في طِلاب ... له أعيتك في الطلب المطالب
وما بقي الصديق الصدق إلا ... دراهمُك المميطة للمعاطب
فصاحبها له يسعى ويُدعى ... ويرعى حين يبدو كالكواكب
وصدرًا في المجالس أجلسوه ... إليه يشار مسلوب المثالب
ولو كذبًا يفوه به صريحًا ... لقالوا لست يا هذا بكاذب
يُهَشُّ له إذا ما مرَّ حتى ... له الأذنابَ حركت الأكالب
ولو بشرًا طوى عنهم وبرا ... يُحب لما لديه من الحبائب
عليها بالنواجذ عُضّ عضًّا ... فحظك حين تذهب عنك ذاهب
وتبذيرًا فدعْ إن المبذر ... أخو الشيطان من آخاه خائب
ولا تفرح بفانٍ عنه تفنى ... ولا تجزع إذا ما ناب نائب

وكن للخير منتدبًا فعمًّا … قليل يندب الإنسان نادب
والحسن الحجازي سل نجاةٍ … من العقبات أهوال العواقب
خصوصًا مرهبات القبر إذ من … وقيها قد وُقِي كل المواهب
فهبنا ربَّنا الرحمات إنّا … ضعافٌ منك نلتمس المواهب
حواجبنا لحاجتنا رفعنا … إليك، وما على الإحسان حاجب
وإن حاسبتنا عدلًا هلكنا … ولكن ذو المكارم لا يُحاسب
وكيف ومن حَبَبْتَ له حببنا … طبيب الداء منتخب والأعارب
محمد الحميد من اعربت عن … محاسنه الأعاجم والأعارب
فصلِّ عليه رب، وتابعيه … وسلم ما الدجى ثَقبت ثواقِب

وقال عفا الله عنه:

ليتنا لم نعِش إلى أن رأينا … كل ذى جنة لدى الناس قُطبا
علمًا هم به يلوذون بل قد … تَخذِوه من دون ذى العرش ربًّا
إذ نسوا اللهَ قائلين فلانٌ … عن جميع الأنام يُفرج كربًا
وإذا مات يجعلوه مزارًا … وله يُهرعون عجمًا وعربًا
بعضهم قبَّل الضريح وبعضٌ … عتب الباب قبلوه وتُربًا
هكذا المشركون تفعل مع أصـ … ـنامهم تبتغي بذلك قربًا
وأولو العلم والقران عليهم … صُبَّ سوط العذاب والمقت صبًّا
إذ رموهم بالفسق والزور والجو … ر وظلم العباد سلبًا ونهبًا
كل ذا من عمى البصيرة، والويل … والويل لشخص أعمى له الله قلبًا
والحجازي من سُمي حسنًا ينظر … ينظر ما خالف الشريعة صعبًا
فالحذار الحذار من فعل أهل الـ … ـجهل لو عالمًا يُدَّرِس كتبًا
جعل العلم فخ صيد لدنيا … ه فساوى في صنعه السوء كلبا
لا بل الكلب منه خير إذ الكلـ … ـب عديم العقاب في يوم عُقبى
وصلاة على الذي شرع الديـ … ـن، وزالت به الشكوك وطبًّا
مع سلام عليه فى كل وقت … مثل ما كلم الجماد وضبًّا

وقال:

وسبعة إن حواها الشخص ساد على	جميع أقرانه من غير ما ريب
علمٌ وحلمٌ وبذلٌ مع شجاعته	والنصحُ والنسبُ الزاكي مع الأدب

وقال عفا الله عنه:

حاراتُ أولادِ العرب	سبعًا حوت من الكُرب
بَوْلًا وغائطًا وكذا	ترب غبار سُو أدب
وضجة وأهلها	شبه عفاريت الترب

وقال عفا الله عنه:

احذر أُولي التسبيح والسُّبحة	والصوف والعكاز والشملة
والدلق والإبريق لا سيما	شيوخ إبليس أولى الشعرة
حوت أباليس بتعداد ما	حوت شعورًا بل بلا عدة
والمكر فات الحصر كالبحر بل	يعد فيه البحر كالقطرة
فصار إبليس لهم تابعًا	يقول يا لَلْعَوْنِ والنجدة
مما حويتم علموني فما	لي عنكم في المكر من غُنيَة
لكم قيادي وانقيادي وما	مثلكم في الناد والغُدوة
وأنتم تاجي على هامتي	ما هِمْتُ إلا كنتمو همتي
لا زلتمو ما زلتمو عيبتي	في غيبتي ما كنت أو حضرتي
بملء الافواه ينادون يا	أهل الوفا يا صاحب النوبة
يا شافعي يا قطب يا رافعي	يا للرفاعي، يا بني الرفعة
يا سيدي أحمد يا أوليا	ء الكون عينونا على الحملة
ذو كرة والمال يبغون ما	لهم بغير المال من بغية
لكنهم في الفسق أرقى الورى	كما ترى من غير ما مرية
اتخذوا المُرْدَ مرادًا لهم	تهالكوا فيهم على الهُلكة
جهرًا وسموهم بداياتهم	في الشين والشرة والعرة

الانتهـا النـار جـزا كل مَن ... لا ينتهي ما كان ذا نُهُيْة
فالبعد كل البعد عنهم فما ... في النحس من خير ولا خيرة
ومثلهم من مثله قد غدوا ... وغودروا في الدين كالغُدَّة
فتيةُ سوء فُقَهـا نسبة ... انتهبوا الأموال بالفُتية
عمائمًا والكم قد كبروا ... واستكبروا عن شرعة الشرعة
في هيئة يمشون مع هَيْنَةٍ ... تخشعًا من غير ما خشية
لجمع الأموال، وكي ما يقال ... أهل الهدى والدين والتقوة
في الظالمين انجحروا مثل ما ... تنجحر الحية في الجحرة
فأعقب الظالم منهم رَدَى ... على ردى يعقب في العقبة
وخالفوا لا تركنوا تُمسَسُوا ... بالنار لا تبلغكم نصرتي
يا ويلهم قد خلعوا دينهم ... واختلعوا يا خُبْثَ ما خلعة
من يتَّبع غير سبيل الهدى ... تهوى به الأهواء في هوة
فشاسعا خد عنهم خاب مَن ... خبَّ إليهم غاية الخيبة
يا دافع الأسواء عن عبده ... تكرمًا يا ساتر السوأة
إلى الحجازي حسن أحسِنَن ... بحسن ختم لانقضا المدة
هول النكيرين قهِ اللقا ... للمرء من حَيْل ولا حيلة
ونجه من هول يوم اللقا ... إذا الشقاحل بذي الشقوة
وقل عُبيدي لا تخف وادخلن ... في زمرة الداخل في رحمتي
من غير ما سبق حساب ولا ... نيل عقاب بل إلى جنتي
جوار خير الرسل طه الذى ... بوطئه طاب ثرى طيبة
صلى عليه الله والآل والأتـ ... ـباع من صالح ذي الأمة
مسلمًا ما لاح برق وما ... ودق همضى أينما وجهة

وله:

لا بُدَّ للإنسان من سبعة ... إذا الشتا عم جميع الفجاج
كن وكانون وكيس كِسا ... واللحم والسمن وبيض الدجاج

وله:

رب قصير في الورى لحيته ... طوَّلها الله بلا فائده
كأنها بعض ليالي الشتا ... طويلة مظلمة بارده

وقال عفا الله عنه:

الجامع الأزهر ابتلاه ... رب له العز والوجود
بكل فظ قِحف وطرف ... عليك بالبشر لا يجود
قطعة صخر أليس فيه ... الثقل واليبس والجمود؟
عمائمًا كبروا وكمًّا ... قد وسَّموه لكى يسودا
وتحت آباطهم روايا ... تسعين كراسًا او تزيد
بها يميلون حيث مالوا ... لأجل مالٍ لهم تصيد
لولاهم مالت السوارى ... كلُّ عمود له عمود
تزويرهم شاع في البرايا ... سيان الاحرار والعبيد
حتى غدا حرفةً وفخرًا ... ما عنه بدّ ولا محيد
يا لَذئاب ذوي ثياب ... بين دواب لها تُبيد
صلوا وصاموا، والليل قاموا ... والقلب عن كل ذا بعيد
فأين هم ممن اجتمعنا ... بهم، لهم طالع سعيد
إن أشكل الأمر أوضحوه ... أو كنت فيهم فتستفيد
وهم على ذاك فى خضوع ... وخوفهم من غدٍ شديد
أبدلهم دهرنا قرودًا ... يا بئس دهرًا له قرود
البعض منهم يقول إني ... في العلم بين الورى فريد
ومن مضى ليس لى يضاهي ... حتى الجُوَيْنيُّ والجنيد
وهو لعمري ما ريح علم ... شمَّ ولا بحثه يجيد
بل تلك دعوى ما قام فيها ... قرينة لا ولا شهود
فالبعد خُذ عنهم سبيلا ... تكن مجيدًا نعم المجيد
فما سلمنا حتى اعتزلنا ... بالقلب عنهم كما نريد

ويسأل الله حسن ختم　　　الحسن المذنب الشريد
وراحة بعثة وحشرا　　　وجنَّة رزقها رغيد
بجاه طه خيرِ البرايا　　　صلى عليه العلِي المجيد
والآل والصحب ثم نال　　　ليوم وعد به الوعيد

وقال:

إذا امرأة يومًا خَطَبْتَ فلم تُجبْ　　　فدعها، ولا ترجع لخطبتها العمرا
فعسر ابتداء الشيء آيةُ شؤمه　　　وعزة نفس المرء نعمته الكبرى
فصنها وقيِّدها عليك بشكرها　　　وإلا تولت عنك ذاهبة قهرًا
وما ذهبت إلا وقد قل عودها　　　كما هو جارٍ في البرية مُستقرَى
لك الحسن البدريُّ أهدى نصيحةً　　　تفوق اليواقيت المينة والدُّرا
فعضَّ عليها بالنواجذ واسألن　　　له ختمَ خير والنجاةَ من العُسرى

وقال:

وسبعة إن رأى الإنسانُ واحدةً　　　منها يكون أخا مَن في الورى قُبرًا
شيبٌ تلاهُ سعال الليل كثرة ما　　　ينسي، وقلةُ أكل الزاد إذ حضرا
وسرعة البول واحد يدابُ قامته　　　كذا إذا صَلَعٌ في رأسه ظهرا

وقال عفا الله عنه:

وسبعةٍ إن حصلت للفتى　　　يفوز بالدنيا والآخره
صلاح أولاد وزوج كذا　　　نفس لمولاها غدت شاكره
كفاف عيش ثم قنعٌ به　　　والعلم أيضًا عَمل صاهره

وقال:

عن عُلمَا عصرك لا تسألن　　　فإنّ أحوالهم ظاهره

نفعك من جانبهم منتفٍ ... في هذه الدنيا وفي الآخره
قوم إذا لاح لهم مطمَع ... تسارعوا كالأكلب العاقره
والعملُ الصالح ما بينهم ... همتهم عن فعله فاتره
فجانبًا خذ عنهم تسترح ... إذ قربهم صفقتك الخاسره
تقارب الأمر وبان العنا ... وطمَّت الغمة والحاصره
ونفسك الزم فعسى أن تكن ... مع فرقةٍ أوجُهُهَا ناضره

وقال عفا الله عنه:

لا شيء تزرعُه إلا قلعت سوى ... بني آدم من يزرعه يقلعه
ولا على ذاهب يُجري الدموع دمًا ... إلا الذى بالعنا والكد يجمعه
وما همومك يبكي غير نفسك أو ... صديق صدقٍ وجميع منك يوجعه
وأقربُ الناس للإنسان عقربه ... بل صلُّه بل دواهيه ومفجعه
فاحذر ركونًا إليه والنصيحَ أطمع ... فالنصح غالٍ وأغلى من طيعه
وإن تكذب فجرب ترجعن إلى ... قولى فتجربة الإنسان ترجعه
وراحة المرء في دنياه عزلته ... وصمته عن سوى ما فيه منفعه
إذ السلامة عشرٌ عزلة أخذت ... جُزأ وتسعٌ بصمت ذاك مجمعه
هذا هو الصدق حقًّا لا خفاء به ... عن النبى رسول الله نرفعه
ولا تكن عاتبًا يومًا على أحد ... إلا على حظك المنحوس مطلعه
فذاك صاحبه مَيْتٌ وتُبصره ... حيًّا ولكن على الحيات مضجعه
والظلم والنكر لا تعجب إذا وقعا ... واعجب لعدل ترى يومًا وتسمعه
ما أكثر الناس لو تحرص بمؤمنهم ... ولا أمين على ما أنت تودعه
وبعد الأحباب من يقي يحيق به ... نكر النكير فظيع الوقع موقعه
إذ المنايا إلى الإنسان ليس لها ... طرق سوى فرقة المحبوب تقرعه
دع المطامع في الدنيا بأجمعها ... فإنما آفة الإنسان مطمعه
الكل فانٍ وما المطموع فيه سوى ... ما كان من صالح الأعمال تُوقعه
فذاك نور الفتى والأمن حين ثوى ... في حُفرة قفرة عما يردعه
إليك ربي الحجازي من سُمي حسنًا ... من منكرات نكير القبر مفزعه

إذ من وُقيها وُقي ما بعدها، وإذا ... لم يوقها لا تسل عما يُزعزعه

وقال عفا الله عنه:

بالصفع أولى سبعة: من أتى ... وليمة لم يك فيها دُعي
وخائضٌ شيئًا ولم يعنِه ... ومن إذا حدَّث لم يسمع
وداخلٌ في سر قوم بلا ... إذن ومن يعلو ولم يُرفع
ومن بسلطان له شوكةٌ ... يَهزا، ومن يخضع للأوضع

ومن كلامه سامح الله:

أيها الآتي ضريحي ... قف على قبري شِوَيّ
واقرأ القرآن عندى ... ينزل الروح عليّ
كم قبورٍ زرتُ يا ذا ... وأنا مثلُك حيّ
ثم ما دبَّ إليهم ... بعد ذا دبّ إليّ
فتهيأ لرحيلٍ ... واطوِ آمالك طيّ
لا تغرنك حياة ... إنما الدنيا كفى
أين فرعون وعاد ... أين نمروذ التي
أين قارون كنوز ... أين هامان الدهِي
أين كسرى أين قيصر ... أين شدادٌ وطي
وأناسٌ شاكلوهم ... في غرور ما وغيّ
دمر الله عليهم ... وشواهم أي شيّ
ولوى من تابعوهم ... في البلايا أي لي
أصبحوا فرحى ثَرَاوَى ... ثم أمنوا في الري
قصرت عنهم قصور ... وتقاصوا في قصي
مُوعرٍ قفزٍ مخيف ... موحش حشو الحشي
قائل كل ألا يا ... ليت يقضي لي بِقَيّ
صالحا علي أعمل ... ولعلي محض عي

ولكي أُنذر قومي ولـكـي آلـه كـي
فـتَـنـبّـه وتـدبَّـر واتَّعظ مِن ذا أُخي
ما وإلا صِرت وعظًا للورى في أيِّ في
يا مُغيثًا مستغيثًا حين يغساه الغَشي
للحجازي حسن هب حُسن ختم منك حي
وازو عنه نُكرَ قبر ثم حشر أي زي
وصلاة وسلام عدَّ ما في الكون حي
للنبي مع تابعيه ولهم كرم وحي

وله غير ذلك كثير، اقتصرنا منه على هذا البعض، توفي سنة إحدى وثلاثين ومائة وألف، رحمه الله.

ومات الشيخُ الإمام خاتمة المحدثين الشيخ/ عبد الله بن سالم بن محمد بن سالم بن عيسى البصري منشأ، المكي مولدًا، الشافعي مذهبًا، ولد يوم الأربعاء رابع شعبان سنة ثمان وأربعين ومائة وألف ١٦٣٨م كما ذكره الحموي، وحفظ القرآن وأخذ عن علي بن الجمال، وعبد الله بن سعيد باقشير، وعيسى الجعفري، ومحمد بن محمد بن سليمان، والشمس البابلي، والشهاب البشبيشي، ويحيى الشاوي، وعلي بن عبد القادر الطبري، والشمس محمد الشرنبابلي، والبرهان إبراهيم بن حسن الكوراني، ومحدث الشام محمد بن علي الكاملي، ولَبِسَ الخرقة من يد السيد عبد الرحمن الإدريسى، والمسلسل بالأولية عن الشهاب أحمد بن عبد الغني الدمياطي، وتوفي يوم الاثنين رابع رجب سنة أربع وثلاثين ومائة وألف ١٧٢١م عن أربع وثمانين سنة، ودفن بالمُعَلَّا بمقام الولي سيد عمر العرابي قُدِّسَ سِرُّه، وقد أرَّخه بعضهم فقال:

علم	الحديث	مات
١٤٠	٥٥٣	٤٤١

١١٣٤ = ١٧٢١م

وأرخه عبد الرحمن بن علي بن سالم المكي بقوله:

محدث العصر قضى نحبه   وسار للجنة سيرًا حثيث

وفاز بالقرب فأرخته:

ابك	له	مات	إمام	الحديث
٢٣	٣٥	٤٤١	٨٢	٥٥٣
١١٣٤ = ١٧٢١م				

حَدَّث عنه شيوخ العصر: ابن أخته السيد العلامة عمر بن أحمد بن عقيل العلوي، والشهاب أحمد الملوي، والجوهري، وعلاء الدين بن عبد الباقي الزجاجي الزبيدي، والسيد عبد الرحمن بن السيد عبد الرحمن بن السيد أسلم الحسيني، والشبراوي، والشيخ الوالد حسن الجبرتي، وعندي سندُه وإجازته له بخطه، والسيد المجدد محمد بن إسماعيل الصنعاني المعروف بابن الأمير ذي الشرفين كتابة من صنعاء، والسيد العلامة حسن بن عبد الرحمن باعبديد العلوي كتابة من المخنا، والشيخ المعمّر صبغة الله بن الهداد الحنفي كتابة من خير آباد، ومحمد بن حسن بن همان الدمشقي كتابة من القسطنطينية، والشهاب أحمد بن عمر بن علي الحنفي كتابة من دمشق. كلهم عنه.

وحدث عنه أيضًا: شيخ المشايخ الشيخ المعمر محمد بن حيوة السندي نزيل المدينة المنورة، والشيخ محمد طاهر الكوراني، والشيخ محمد بن أحمد بن سعيد المكي، والشيخ العلامة إسماعيل بن محمد بن عبد الهادي بن عبد الغني العجلوني الدمشقي، والشيخ عيد بن علي النمرسي الشافعي، والشيخ عبد الوهاب الطندتائي، والشيخ أحمد باعنتر نزيل الطائف، والشهاب أحمد بن مصطفى بن أحمد الإسكندري ... وغيرهم. كذا (في المربي الكابلي فيمن روى عن البابلي).

ومات الرجل الصالح المجذوب الصاحي أحد صلحاء فقراء السادة الأحمدية بدمياط الشيخ/ ربيع الشيَّال. كان صالحًا ورعًا ناسكًا حافظًا لأوقاته، مداومًا على الصلوات والعبادات والأذكار، دائم الإقبال على الله. لا يُرَى إلا في طاعة. إذا أحرم في الصلاة يَصْفَرُّ لونه، وتأخذه رِعْدة. فإذا نطق بالتكبير يخيل لك بأن كبده قد تَمَزَّق، وكان يتكسب

بحمل الأمتعة للناس بالأجرة، مع صرفه جميع جوارحه وأعضائه لما خُلق لأجله. توفي سنة إحدى وعشرين ومائة وألف.

ومات الشيخ المقرئ الصوفي/ محمد بن سلامة بن عبد الجواد الشافعي ابن العارف بالله تعالى الشيخ (نور الدين ساكن الصخرية من أعمال فارسكور) الصخري الدمياطي، المعروف بأبي السعود بن أبي النور أستاذ من جمع بين طريقي أهل الباطن والظاهر من أهل عصره، ولد بدمياط، ونشأ بها بين صلحائها وفضلائها. فحفظ القرآن، واشتغل بالعلوم. فتفقه بالشيخ جلال الدين الفارسكوري، وتلقى المنهج تسع مرات في تسع سنين عن العلامة مصطفى التلباني، وأخذ الطريق عن جمع من كُمَّل العارفين. ثم ارتحل إلى القاهرة فلازم الضيا المزاحي فتفقه به، وأخذ عنه فنونًا وقرأ القراءات السبع والعشر عليه، وأخذ عن العلامة ياسين الحمصي فنونًا، واجتهد ودأب وأتقن، وألف في القراءات وغيرها، وعم النفع به، وأخذ عنه جمع من الأفاضل. توفي سنة سبع عشرة ومائة وألف ١٧٠٥م.

ومات أحد الأئمة المشاهير الإمام العلامة شهاب الدين/ أحمد بن محمد النخلي الشافعي المكي، ولد بمكة وبها نشأ، وأخذ عن علي بن الجمال، وعبد الله بن سعيد باقشير، وعيسى الثعالبي، ومحمد بن سليمان، والشمس البابلي، وسليمان بن أحمد الضيلي القرشي، والسيد عبد الكريم الكوراني الحسيني، والشمس الميداني، والشهاب أحمد المفلجي الوفائي، والشيخ شرف الدين موسى الدمشقي، والشيخ إبراهيم الحلبي الصابوني، والشيخ عبد الرحمن العمادي، ومحمد بن علان البكري، والصفي القشاشي، والشيخ خير الدين الرملي، وأبي الحسن البازوري. توفي بمكة سنة ثلاثين ومائة وألف عن تسعين سنة. روى عنه: السيد عمر بن أحمد، والسيد عبد الرحمن بن أسلم الحسيني، والسيد عبد الله بن إبراهيم بن حسن الحنفي، والشهاب أحمد بن عمر بن علي الدمشقي، والملوي، والجوهري، والشبراوي، والحفني، وحسن الجبرتي، والسيد سليمان بن يحيى بن عمر الزبيدي، والسيد عبد الله بن علي الغرابي، وإسماعيل بن عبد الله الإسكَدَاري، والشهاب أحمد بن مصطفى الصباغ.

ومات الشيخ الإمام أبو العز/ محمد بن شهاب أحمد بن أحمد بن محمد بن العجمي الوفائي القاهري. خاتمة المسندين بمصر. سمع على الشمس البابلي المسلسل بالأَوَّلِيَّة، وثُلاثيات البخاري، وجملة من الصحيح، والجامع الصغير ... وغير ذلك، وذلك بعد عوده من مكة المشرفة. كما رأيت ذلك بخط والده الشهاب في نص إجازته لنادرة العصر محمد

بن سليمان المغربي. حدَّث عنه: العلامة محمد بن أحمد بن حجازي العشماوي، والشيخ أحمد بن الحسن الخالدي، وأبو العباس الملوي، وأبو علي المنطاوي، وولده المعمر أبو العز أحمد.

ومات أبو عبد الله العلامة/ محمد بن علي الكاملي الدمشقي الشافعي الواعظ. انتهى إليه الوعظ بدمشق، وكان فصيحًا، روى عن الشبراملسي، وعبد العزيز بن محمد الزمزمي، والمزاحي، والبابلي، والقشاشي، وخير الدين الرملي. توفي في خامس عشر ذي القعدة سنة إحدى وثلاثين ومائة وألف عن سبع، وقيل عن تسع وثمانين. روى معه أبو العباس أحمد بن علي بن عمر العدوي، وهو عالٍ، والشيخ محمد بن أحمد الحنبلي.

ومات العلامة صاحب الفنون/ أبو الحسن بن عبد الهادي السندي الأثري شارح المسند، والكتب الستة، وشارح الهداية، ولد بالسِّنْد وبها نشأ، وارتحل إلى الحرمين، فسمع الحديث على البابلي، وغيره من الواردين، وتوفي بالمدينة سنة ستٍّ وثلاثين ومائة وألف.

ومات الأجلُّ العمدة بقية السلف الشيخ/ عبد العظيم بن شرف الدين بن زين العابدين بن محيي الدين بن ولي الدين أبي زرعة أحمد بن يوسف بن زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري الشافعي الأزهري من بيت العلم والرياسة. جده زكريا شيخ الإسلام عَمِرَ فوق المائة، وولده يوسف الجمال، روى عن أبيه والحافظ السخاوي والسيوطي، والقلقشندي وحفيده محيي الدين، روى عن جده، وحفيده شرف الدين والد المترجم روى عن أبيه، وعنه الأئمة أبو حامد البديري، وغيره. نشأ المترجم في عفافٍ وتقوى وصلاح مُعَظَّمًا عند الأكابر، وكان كثير الاجتماع بالشيخ أحمد بن عبد المنعم البكري، ومن الملازمين له على طريقة صالحة وتجارة رابحة، حتى مات سنة ست وثلاثين ومائة وألف، وصُلي عليه بالأزهر، ودُفن عند آبائه، وقد أرّخه محمد أبو النور الشعراني بقوله:

لا تحزنوا لي أُرخَت　　　جناتُ عدن أُزلفَت

ومات الشيخ العلامة/ حسن بن حسن بن عمار الشرنبلالي الحنفي أبو محفوظ حفيد أبي الإخلاص شيخ الجماعة ووالد الشيخ عبد الرحمن الآتي ترجمته في محله. كان فقيهًا فاضلًا محققًا ذا تؤدة في البحث، عارفًا بالأصول والفروع. رأيت له رسالة سماها: غاية التحقيق في أحكام كي الحمصة. توفي سنة تسع وثلاثين ومائة وألف.

ومات العمدة الفاضل السيد/ محمد النبتيتي السقاف باعلوي، وهو والد السيد جعفر الآتي ذكره، أحد السادة الأفراد، أعجوبة زمانه، وبُحْبُوبه أوانه، ولد باليمن، ودخل الحرمين، وبها (أي بمكة) أخذ عن السيد عبد الله باحسين السقاف، وكان يأخذه الحال فيطعن نفسه بالسلاح فلا يؤثر فيه، وكان يلبس الثياب الفاخرة، ويتزيا بزي أشراف مكة، ومن شعره قوله:

إنما الخِلطَة خَلْط ووبا وأرى العزلة من رأي السداد
ثقةُ الإنسان عجزٌ بالورى بعدما أُنزل في سوة صاد

يريد قوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾.

توفي بمكة سنة خمس وعشرين ومائة وألف.

ومات الأجلُّ الأوحد السيد/ سالم بن عبد الله بن شيخ بن عمر بن شيخ بن عبد الله بن عبد الرحمن السقاف، ولد بجدة سنة إحدى وثلاثين وألف ١٦٢١م تقريبًا، ثم رحل به والده إلى المدينة، وبها حفظ القرآن وغيره، ثم إلى مكة، وبها سكن، واشتغل عَلَى عَلي بن الجمال، وعَلَى محمد بن أبي بكر الشلبي، في سنة اثنتين وسبعين وألف ١٦٦١م إلى وقت تأليف الكتاب، وجدّ في تحصيل المكارم والفضائل، حتى بلغ الغايات، ولبس الخرقة عن والده، وعن المحبوب، ولازمه وصحبه مدة، وله نظم حسن. توفي سنة ثلاث وعشرين ومائة وألف.

ومات الحسيب النسيب السيد/ محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن شيخ بن عبد الله بن شيخ العيدروس، ولد بِتَرْيم، وبها نشأ، وأخذ عن السيد عبد الله بافقيه، وعن والده، وعنه أخذ السيد شيخ العيدروس وغيره، توفي ثامن عشر شوال سنة إحدى وثلاثين ومائة وألف.

ومات الشيخ الإمام العالم العلامة/ محمد بن عبد الرحمن المغربي ناظم كتاب الشفاء، والمنظومة المسماة: دُرّة التِّيجان ولقطة اللؤلؤ والمرجان. توفي سنة إحدى وأربعين ومائة وألف.

ومات الإمام العلامة والنِّحْرير الفهامة الشيخ/ علي العقدي الحنفي، ولد سنة سبع وخمسين وألف. أدرك الشمس البابلي، وشملته إجازته، وأخذ الفقه عن السيد الحموي وشاهين الأرمناوي، وعثمان النحراوي، والمعقول عن الشيخ سلطان المزاحي، وعلي الشبراملسي، ومحمد الحبَّار، وعبد القادر الصفوري، ولازم عمه العلامة عيسى

بن علي العقدي، وتفقه به، وبالبرهان الوسيمي، والشرف يحيى الشهاوي، وعبد الحي الشرنبلالي، ولازمه في الحديث والعلوم العقلية أكابرُ عصره كالشهاب أحمد بن عبد اللطيف البشبيشي، والشمس محمد بن محمد الشرنبابلي، والشهاب أحمد بن علي السندوبي، وأخذ عنه الشمائل، وغيرها، واجتهد وبرع، وأتقن وتفنن، واشتهر بالعلم والفضائل، وقصدته الطلبة من الأقطار وانتفعوا به، وكان كثير التلاوة للقرآن، وبالجملة فكان من حسان الدهر، ونادرةً من نوادر العصر. توفي في شهر ربيع الآخر سنة أربع وثلاثين ومائة وألف عن ستٍّ وسبعين سنة وأشْهُر.

ومات الإمام العلامة الشيخ/ محمد الحماقي الشافعي، ولد سنة ثلاث وسبعين وألف ١٦٦٢م، وتوفي بنخل، وهو متوجه إلى الحج في شهر القعدة سنة أربع وثلاثين ومائة وألف.

ومات الإمام المحدث العلامة والبحر الفهامة الشيخ/ إبراهيم بن موسى الفيومي المالكي شيخ الجامع الأزهر. تفقه على الشيخ محمد بن عبد الله الخرشي. قرأ عليه الرسالة وشَرْحَهَا، وكان معيدًا له فهيمًا، وتَلَبّس بالمشيخة بعد موت الشيخ محمد شنن، ومولده سنة اثنتين وستين وألف ١٦٥١م. أخذ عن الشبراملسي والزرقاني، والشهاب أحمد البشبيشي، وغيرهم كالشيخ الغرقاوي، وعلي الجزايرلي الحنفي، وأخذ الحديث عن يحيى الشاوي، وعبد القادر الواطي، وعبد الرحمن الأجهوري، والشيخ إبراهيم البرماوي، والشيخ محمد الشرنبابلي ... وآخرين، وله شرح على العزية في مجلدين. توفي سنة سبع وثلاثين ومائة وألف عن خمس وسبعين سنة.

ومات الجناب المكرم والملاذ المفخم الخواجا/ محمد الدادة الشرايبي، وكان إنسانًا كريم الأخلاق، طيب الأعراق، جميل السمات، حسن الصفات، يسعى في قضاء حوائج الناس، ويواسي الفقراء، ولما ثقل في المرض قَسّمَ ماله بين أولاده، وبين الخواجا عبد الله بن الخواجا محمد الكبير، وبين ابن أحمد أخي عبد الله. كما فعل الخواجا الكبير. فإنه قسم المال بين الدادة وبين عبد الله وأخيه أحمد، وكان المال ستمائة كيس، والمال الذي قسمه الدادة بين أولاده وبين عبد الله وابن أخيه، وهم قاسم، وأحمد، ومحمد جربجي، وعبد الرحمن، والطيب، وهؤلاء أولاده لصلبه، وعبد الله بن الخواجا الكبير، وابن أخيه الذي يقال له: ابن المرحوم، ألف وأربعمائة وثمانون كيسًا — خلاف خان الحمزاوي، وغيره من الأملاك، وخلاف الرهن الذي تحت يده من البلاد، وفائظُها ستون كيسًا، والبلاد المختصة به أربعون كيسًا، وذلك خلاف الجامكية والوكائل والحمامات، وثلاث

مراكب في بحر القُلزوم، وكل ذلك إحداث الدادة، وأصل المال الذي استلمه الدادة في الأصل من الخواجا محمد الكبير – سنة إحدى عشرة ومائة وألف ١٦٩٩م – تسعون كيسًا، لما عجز عن البيع والشراء، ولما فعل ذلك وقسم المال بين الدادة وبين عبد الله وأخيه بالثلث غضب عبد الله، وقال: هو أخ لنا ثالث. فقال أبو عبد الله: والله لا يُقسم المال إلا مناصفة، له النصف، ولك ولأخيك النصف، وهذا الموجود كله لسعد الدادة ومكسبه. فإني لما سلمته المال كان تسعين كيسًا، وها هو الآن ستمائة كيس خلاف ما حدث من البلاد والحصص والرهن والأملاك. فكان كما قال: وكان جاعلًا لعبد الله مرتبًا في كل يوم ألف نصف فضة برسم الشبرقة، خلاف المصروف والكساوي له ولأولاده ولعياله، إلى أن مات يوم السبت سادس عشر رجب سنة سبع وثلاثين ومائة وألف، وحضر جِنازته جميع الأمراء والعلماء، وأرباب السجاجيد، والوجاقات السبعة، والتجار، وأولاد البلد، وكان مشهده عظيمًا حافلًا بحيث إن أول المشهد داخل إلى الجامع، ونعشه عند العتبة الزرقاء، وكان ذكيًّا فهيمًا دَرَّاكًا سعيد الحركات، وعلى قدر سعة حاله، وكثرة إيراده ومصرفه لم يتخذ كاتبًا، ويكتب ويَحْسُب لنفسه.

ومات الشيخ الإمام العالم العلامة مفرد الزمان، ووحيد الأوان/ محمد بن محمد بن محمد بن الولي شهاب الدين أحمد بن العلامة حسن بن العارف بالله تعالى علي بن الولي الصالح سلامة بن الولي الصالح العارف بدير بن محمد بن يوسف شمس الدين أبو حامد البديري الحسيني الشافعي الدمياطي. مات جده بدير بن محمد سنة ستمائة وخمسين ١٢٥٢م في وادي النسور، وحفيده حسن مِّمْن أخذ عن شيخ الإسلام زكريا الأنصاري. أخذ أبو حامد المترجم عن الشيخ الفقيه العلامة زين الدين السلسلي إمام جامع البدري بالثغر، وهو أول شيوخه قبل المجاورة. ثم رحل إلى الأزهر فأخذ عن النور أبي الضياء علي بن محمد الشبراملسي الشافعي، والشمس محمد بن داود العناني الشافعي قراءة على الثاني بالمدرسة بالجنبلاطية خارج مصر القاهرة، والإمام شرف الدين بن زين العابدين بن محي الدين بن ولي الدين بن يوسف جمال الدين بن شيخ الإسلام زكريا الأنصاري، والمحدث المقري شمس الدين محمد بن قاسم البقري شيخ القراء والحديث بصحن الجامع الأزهر، والشيخ عبد المعطي الضرير المالكي، وشمس الدين محمد الخرشي، والشيخ عطية القهوقي المالكي، والشيخ المحدث منصور بن عبد الرزاق الطوخي الشافعي إمام الجامع الأزهر، والشيخ المحدث العلامة شهاب الدين أبي العباس أحمد بن محمد بن عبد الغني الدمياطي الشافعي النقشبندي، والمحقق شهاب

الدين أحمد بن عبد اللطيف البشبيشي الشافعي، وحيسوب زمانه محمود بن عبد الجواد ابن العلامة الشيخ عبد القادر المحلي، والعلامة الشيخ سلامة الشربيني، والعلامة المهندس الحيسوب الفلكي رضوان أفندي بن عبد الله نزيل بولاق.

ثم رحل إلى الحرمين، فأخذ بهما عن الإمام أبي العرفان إبراهيم بن حسن بن شهاب الدين الكوراني، في سنة إحدى وتسعين وألف ١٦٨٠م، والسيدة قريش وأختها بنت الإمام عبد القادر الطبري. في سنة اثنتين وتسعين وألف ١٦٨١م. رَوَى وحَدَّثَ وأفاد وأجاد. أخذ عنه الشيخ محمد الحفني وبه تخرج، وأخوه الجمال يوسف، والشيخ العارف بالله تعالى: السيد مصطفى بن كمال الدين البكري وهو من أقرانه، والفقيه النحوي الأصولي محمد بن عيسى بن يوسف الدنجيهي الشافعي، والعلامة عبد الله بن إبراهيم بن محمد بن محمد البشبيشي الشافعي الدمياطي، ومصطفى بن عبد السلام المنزلي. توفي المترجم أبو حامد بالثغر سنة أربعين ومائة وألف.

ومات العلامة الهمام/ محمد بن أحمد بن عمر الإسقاطي الأزهري نزيل أدلب، كان جل تحصيله بمصر على والده، وبه تخرج وتفنن، وصار له قدم راسخ وله مشايخ آخرون أزهريون، وحصل بينه وبين والده نزاع في أمر أوجب خروجه إلى بر الشام، فلما نزل أدلب تلقاه شيخ العلماء بها أحمد بن حسين الكاملي، فأنزله عنده وأكرمه غاية الإكرام، وأرشد الطلبة إليه، فانتفعوا به جدًّا، ولم يزل مفيدًا على أكمل الحالات حتى مات سنة تسع وثلاثين ومائة وألف.

ومات الشيخ العلامة الزاهد/ إلياس بن إبراهيم الكوراني الشافعي، ولد بكوران سنة إحدى وثلاثين وألف ١٦٢١م، وأخذ العلم بها عن عدة مشايخ، وحج ودخل مصر والشام، وألقى بها عصا التسيار عاكفًا على إقراء العلوم العقلية والنقلية، وكان على غاية من الزهد، وروى عنه شيوخ العصر كالشيخ أحمد الملوي، والشهاب أحمد بن علي الميني، وله المؤلفات والحواشي. توفي بدمشق بمدرسة جامع العراس بعد العصر من يوم الأربعاء لأربع عشرة ليلة بقين من شعبان سنة ثمانٍ وثلاثين ومائة وألف، ودُفن بمقبرة باب الصغير بالقرب من قبر الشيخ نصر المقدسي رحمه الله.

ومات الإمام العالم العلامة المحدث أبو عبد الله/ محمد بن علي المعمر الكاملي الدمشقي الشافعي، ولد سنة أربع وأربعين وألف ١٦٣٤م، وأخذ العلم عن جماعة كثيرين، وروى وحدَّث، وانتهى إليه الوعظ بدمشق، وكان فصيحًا، وإذا عقد مجلس الوعظ تحت قبة النسر غصت أركانها الأربعة بالناس، وكان يحضره في دروس الجامع

الصغير كثير من الأفاضل، وتزدحم عليه الناس العوام لعذوبة تقريره، روى عنه ولده عبد السلام، ومحمد بن أحمد الطرطوسي، والشيخ أبو العباس أحمد المنيني. توفي في منتصف القعدة سنة إحدى وثلاثين ومائة وألف.

ومات الأستاذ بقية السلف الشيخ مصلح الدين بن أبي الصلاح/ عبد الحليم بن يحيي بن عبد الرحمن بن القطب سيدي عبد الوهاب الشعراني قدس سره. جلس على سجادة أبيه وجده، وكان رجلًا صالحًا مهيبًا مجذوبًا، توفي يوم الثلاثاء تاسع ذي الحجة سنة ست وثلاثين ومائة وألف، ولم يعقب إلا ابنته، وابن عمة له، وهو سيدي عبد الرحمن استخلف بعده، وابن أخت له من إبراهيم جربج باشجاويش الجاويشية. جعلوا لكل منهم الثلث في الوقف، وحرر الفائظ اثني عشر كيسًا.

ومات الأستاذ المجذوب الصاحي الشيخ/ أحمد بن عبد الرزاق الروحي الضماطي الشناوي الجمال. كان والده جمالًا من أتباع المشايخ الشناوية، وحفظ القرآن، واشتغل بالذكر والعبادة، إلى أن حصل له جذبة، وربما اعتراه استغراق، وكان من أكابر الأولياء أصحاب الكرامات. توفي في رمضان سنة أربع وعشرين ومائة وألف.

ومات الأستاذ العلامة/ أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الغني الدمياطي الشافعي الشهير بالبناء، خاتمةَ من قام بأعباء الطريقة النقشبندية بالديار المصرية، ورئيس مَنْ قصد لرواية الأحاديث النبوية، وُلد بدمياط، ونشأ بها، وحفظ القرآن، واشتغل بالعلوم على علماء عصره، ثم ارتحل إلى القاهرة، فلازم الشيخ سلطان المزاحي، والنور الشبراملسي فأخذ عنهما القراءات، وتفقه بهما، وسمع عليهما الحديث، وعلى النور الأجهوري، والشمس الشوبري والشهاب القليوبي، والشمس البابلي، والبرهان الميموني، وجماعة آخرين، واشتغل بالفنون، وبلغ من الدقة والتحقيق غاية قَلَّ أن يدركها أحد من أمثاله.

ثم ارتحل إلى الحجاز، فأخذ الحديث عن البرهان الكواراني، ورجع إلى دمياط وصنف كتابًا في القراءات سماه: إتحاف البشر بالقراءات الأربعة عشر. أبان فيه عن سعة اطلاعه، وزيادة اقتداره حتى كان الشيخ أبو النصر المنزلي يشهد بأنه أدق من ابن قاسم العبادي، واختصر السيرة الحلبية في مجلد، وألف كتابًا في أشراط الساعة سماه: الذخاير المهمات فيما يجب الإيمان به من المسموعات، وارتحل أيضًا إلى الحجاز، وحج وذهب إلى اليمن؛ فاجتمع بسيدي أحمد بن عجيل ببيت الفقيه. فأخذ عنه حديث المصافحة من طريق المعمرين، وتلقن منه الذكر على طريق النقشبندية، وحل عليه إكسير نظره، ولم

يزل ملازمًا لخدمته إلى أن بلغ مبالغ الكمل من الرجال، فأجازه، وأمره بالرجوع إلى بلده، والتَصَدِّي للتسليك، وتلقين الذكر.

فرجع وأقام مرابطًا بقرية قريبة من البحر المالح تسمى بعزبة البرج، واشتغل بالله، وتَصَدَّى للإرشاد والتسليك، وقُصد للزيارة والتبرك، والأخذ والرواية، وعم النفع به، لا سيما في الطريقة النقشبندية، وكثرت تلامذته، وظهرت بركته عليهم، إلى أن صاروا أئمة يقتدى بهم، ويتبرك برؤيتهم، ولم يزل في إقبال على الله تعالى، وازدياد من الخير إلى أن ارتحل إلى الديار الحجازية، فحج، ورجع إلى المدينة المنورة. فأدركته المنية بعد شيل الحج بثلاثة أيام في المحرم سنة سبع عَشرةَ ومائة وألف، ودفن بالبقيع مساء، رحمه الله.

فصل في تراجم الأمراء

وأما من مات في هذه الأعوام من الأمراء المشاهير، فلنقتصر على ذكر بعض المشهورين، مما يحسن إيراده في التبيين، إذ الأمر أعظم مما يحيط به المجيد، فلنقتصر من الحلي على ما حسن بالجيد، ما وصل علمه إليّ، وثبت خبره لديّ، إذ التفصيل في أحوالهم متعذر، والدواء من غير حمية غير متيسر، ولم أخترع شيئًا من تلقاء نفسي، والله مطلع على أمري وحدْسي.

ومات الأمير ذو الفقار بك تابع الأمير حسن بك الفقاري، تولى الصنجقية وإمارة الحج في يوم واحد، وطلع بالحج إحدى عشرة مرة، وتوفي سنة اثنتين ومائة وألف.

ومات ابنه الأمير إبراهيم بك، تولى الإمارة بعد أبيه، وطلع أميرًا على الحج سنة ثلاث ومائة وألف، (١٦٩١م)، وتحارب مع العرب تلك السنة في مضيق الشُرْفة، فكانت معركة عظيمة، وامتنع العرب من حمل غلال الحرمين فركب عليهم هو ودرويش بك، وكبس عليهم آخر الليل عند الجبل الأحمر، وساقوا منهم نحو ألف بعير، ونهب بيوتهم، وأحضر الجمال إلى قراميدان، وأحضر أيضًا بدَنَة أخرى، شالوا معهم الغلال والقافلة، وولَّى من طرفه إبراهيم أغا الصعيدي زعيم مصر، أخاف الناس وصار له سمعة وهيبة، وطلع بالحج بعد ذلك ثلاث مرار في أمن وأمان، وتاقت نفسه للرياسة ولا يتم له ذلك إلا بملك باب مستحفظان، وكان بيد القاسمية، فأعمل حيلة بمعاضدة حسن أغا بلغيه، وإغراء علي باشا والي مصر حين ذاك، فقلَّد رجب كتخدا مستحفظان وسليم أفندي صناجق.

ثم عملوا دعوة على سليم بك المذكور، انحط فيها الأمر على حبسه وقتله، فلما رأى ذلك رجب بك ذهب إلى إبراهيم بك واستعفى من الإمارة فقلدوه سردار جداوي، وسافر من القُلزُم، وتوفي بمكة وخلَّف ولدًا اسمه باكير، حضر إلى مصر بعد ذلك، ولما قتل سليم بك المذكور لا عن وارث ضبط مخلفاته الباشا لبيت المال، وأخذوا جميع ما في بيته الذي

بالأزبكية المجاور لبيت الدادة أبي قاسم الشرايبي، وهو الذي اشتراه القاضي مواهب أبو مدين جربجي عزبان في سنة أربع ومائة وألف، وقتلوا أيضًا خليل كتخدا المعروف بالجلب، وقلدوا كجك محمد باش أوده باشا، وصار له كلمة وسمعة، ونفى مصطفى كتخدا القازدغلي إلى أرض الحجاز، وصفا الوقت لإبراهيم بك وكجك محمد من طرفة في باب مستحفظان، فعزم على قطع بيت القاسمية، فأخرج إيواظ بك إلى إقليم البحيرة وقاسم بك إلى جهة بني سويف وأحمد بك إلى المنوفية، وخلا له الجو وانفرد بالكلمة في مصر، وصار منزله بدرب الجماميز مفتوحًا ليلًا ونهارًا لقضاء الحوائج مع مشاركة الأمير حسن أغا بلغيه، ثم إنه عزم على قتل إبراهيم بك أبي شنب، واتفق مع الباشا على ذلك بحجة المال والغلال التي عليه، فلم يتم ذلك، ولم يزل المترجم أميرًا على الحج إلى أن مات في فصل الشحاتين سنة سبع ومائة وألف، وطلع بالحج خمس مرات.

ومات الأمير إسماعيل بك الكبير الفقاري تابع حسن بك الفقاري وصهر حسن أغا بلغيه، تولى الدفتردارية ثلاث سنين وسبعة أشهر ثم عزل، وسافر أميرًا على عسكر السفر إلى الروم، ورجع إلى مصر، وأُعيد إلى الدفتردارية ثانيًا، ولم يزل حتى مات سنة تسع عشرة ومائة وألف فجأة ليلة السبت تاسع عشري المحرم، وكانت جنازته حافلة، وخلَّف ولده محمد بك، تولى بعده الإمارة وطلع بالحج سنة سبع وثلاثين ومائة وألف ١٧٢٤م.

ومات الأمير حسن أغا بلغيه الفقاري أغات ككلويان، وأصله رومي الجنس تابع محمد جاويش قياله، تولى أغاوية العزب سنة خمس وثمانين وألف ١٦٧٤م ثم عمل متفرقة باشا سنة تسع وثمانين وألف، ثم عزل عنها وتقلد أغات ككلويان سنة ثلاث وتسعين وألف، وكان أميرًا جليلًا ذا دهاء ورأي وكلمة مسموعة نافذة بأرض مصر، صاحب سطوة وشهامة وحسن تدبير، ولا يكاد يتم أمر من الأمور الكلية والجزئية إلَّا بعد مراجعته ومشورته، وكل من انفرد بالكلمة في مصر يكون مشاركًا له، وتزوج بابنة إسماعيل بك الكبير المذكورآنفًا، وولد له منها ابنه محمد بك الآتي ذكره الذي تولى إمارة الحج في سنة سبع وثلاثين ومائة وألف، ومصطفى كتخدا القازدغلي جد القازدغلية كان أصله سرَّاجًا عنده، وهو الذي رقاه حتى صار إلى ما صار إليه، وتفرعت عنه شجرة القازدغلية، وغالب أمراء مصر وحكامها يرجعون في النسبة إلى أحد البيتين، وهم بيت بلغيه وبيت رضوان بك صاحب العمارة المتوفي سنة خمس وستين وألف (١٦٥٤م)، ولم يترك أولادًا بل ترك حسن بك أمير الحاج المتقدم ذكره، ولاجين بك حاكم الغربية، وهو صاحب السويقة المنسوبة إليه، وأحمد بك أباظه، وشعبان بك أبا سنة، وقيطاس بك

جركس، وقانصوه بك، وعلي بك الصغير، وحمزة بك، هؤلاء قُتلوا بعده في فتنة القاسمية بالطرانة.

وأما أمراؤه الذين لم يقتلوا واستمروا أمراء بمصر مدة طويلة فهم: محمد بك حاكم جرجا، وذو الفقار بك الماحي الكبير، وكان رضوان بك هذا وافر الحرمة مسموع الكلمة تولى إمارة الحج عدة سنين، وكان رجلًا صالحًا ملازمًا للصوم والعبادة والذكر، وهو الذي عَمَّرَ القصبة المعروفة به خارج باب زويلة عند بيته، ووقف وقفًا على عتقائه وعلى جهات «برّ» «وخيرات»، وكان من الفقارية، وأما رضوان بك أبو الشوارب القاسمي وهو سيد إيواظ بك فظهر بعد موت رضوان بك المذكور، وانفرد بالكلمة بمصر مع مشاركة قاسم بك جركس وأحمد بك بشناق الذي كان بقناطر السباع، وهو قاتل الفقارية بالطرانة، وهو أيضًا عم إبراهيم بك بشناق المعروف بأبي شنب، سيد محمد جركس الآتي ذكره، ومات قاسم بك هذا سنة اثنتين وسبعين وألف ١٦٦١م وهو دفتردار، بعد عزله من إمارة الحج.

وانفرد بعد رضوان بك أبي الشوارب أحمد بك، ثم مات رضوان بك عن ولده أزبك بك، وانفرد أحمد بك بشناق بإمارة مصر نحو سبعة أشهر، فطلع يوم عرفة يهني شيطان إبراهيم باشا بالعيد فغدره، وقتلوه بالخناجر أواخر سنة اثنتين وسبعين وألف، ولم يزل حسن أغا بلغيه المترجم حتى توفي سنة خمس عشرة ومائة وألف على فراشه وعمره نحو تسعين سنة، ولما مات حسن أغا انفرد بالكلمة بعده صهره إسماعيل بك، وخضعت له الرقاب مع مشاركة إبراهيم بك أبي شنب بضعف.

ومات الأمير مصطفى كتخدا القازدغلي تابع الأمير حسن أغا بلغيه، أصله رومي الجنس، حضر إلى مصر وخدم عند حسن أغا المذكور، ورقاه ولم يزل حتى تقلد كتخدا مستحفظان، فلما حصل ما تقدم وتقلد محمد باش أوده باشه بالباب خمل ذكر مصطفى كتخدا وخمدت شهرته، ثم نفاه كجك محمد إلى الحجاز فأقام بها سنتين إلى أن ترجى حسن أغا عند إبراهيم بك أمير الحاج وكجك محمد في رجوعه إلى مصر، فأقام مع كجك محمد خاملًا، فأغرى به رجلًا سجماني كان عنده بناحية طلخا يضرب نشانًا. فضرب كجك محمد من شباك الجامع بالمحجر فأصابه، وملك مصطفى كتخدا باب مستحفظان ذلك اليوم، ونفى وقتل وفرق من يخشى طرفه، وصفا له الوقت إلى أن مات على فراشه سنة خمس عشرة ومائة وألف.

ومات كجك محمد المذكور باش أوده باشه، وكان له سمعة وشهرة وحسن سياسة، ولما أقصر مدُّ النيل في سنة ست ومائة وألف (١٦٩٤م) وشرقت البلاد، وكان القمح

بستين نصفًا فضة الإردب فزاد سعره وبيع باثنتين وسبعين فضة، نزل كجك محمد إلى بولاق وجلس بالتكية وأحضر الأمناء، ومنعهم من الزيادة عن الستين، وخَوّفهم وحذَّرهم وأجلس بالحملة اثنين من القابجية، ويرسل حماره كل يومين أو ثلاثة مع الحمَّار يمشي به جهة الساحل ويرجع فيظنون أن كجك محمد ببولاق فلا يمكنهم زيادة في ثمن الغلة، فلما قُتل كما ذكر بيع القمح في ذلك اليوم بماية نصف فضة، ولم يزل يزيد حتى بلغ ستماية نصف فضة.

ومما اتفق له أن بعض التجار بسوق الصاغة أراد الحج، فجمع ما عنده من الذهبيات والفضيات واللؤلؤ والجواهر ومصاغ حريمه، ووضعه في صندوق، وأودعه عند صاحب له بسوق مرجوش يسمى الخواجا علي الفيومي، بموجب قائمة أخذها معه مع مفتاح الصندوق، وسافر إلى الحجاز، وجاور هناك سنة ورجع، ورجع مع الحُجاج، وحضر إليه أحبابه وأصحابه للسلام عليه، وانتظر صاحبه الحاج علي الفيومي فلم يأتِه، فسأل عنه فقيل له: إنه طيب بخير، فأخذ شيئًا من التمر واللبان والليف ووضعه في منديل وذهب إليه، ودخل عليه ووضع بين يديه ذلك المنديل، فقال له: «من أنت؟ فإني لا أعرفك قبل اليوم حتى تهاديني!!» فقال له: «أنا فلان صاحب الصندوق الأمانة» فجحد معرفته وأنكر ذلك بالكلية، ولم يكن بينه وبينه بيِّنة تشهد بذلك، فطار عقل الجوهري، وتحيَّر في أمره، وضاق صدره، فأخبر بعض أصحابه فقال له: اذهب إلى كجك محمد أوده باشه، فذهب إليه وأخبره بالقصة فأمره أن يدخل إلى المكان الداخل، ولا يأتي إليه حتى يطلبه، وأرسل إلى علي الفيومي، فلما حضر إليه بشَّ في وجهه ورحَّب به وآنسه بالكلام الحلو، ورأى في يده سُبحة مَرْجان فأخذها من يده يقلبها ويلعب بها، ثم قام كأنه يزيل ضرورة، وأعطاها لخادمه، وقال له: خذ خادم الخواجا صحبتك، واترك دابته هنا عند بعض الخدم، واذهب صحبة الخادم إلى بيته، وقِف عند باب الحريم وأعطهم السبحة أمارة، وقل لهم: إنه اعترف بالصندوق والأمانة، فلما رأوا الأمارة والخادم لم يشكُ في صحة ذلك.

وعندما رجع كجك محمد إلى مجلسه قال للخواجا: «بلغني أن رجلًا جواهرجي أودع عندك صندوقًا أمانة، ثم طلبه فأنكرته» فقال: «لا وحياة رأسك ليس له أصل، وكأني اشتبهت عليه أو أنه خرفان وذهلان، ولا أعرفه قبل ذلك ولا يعرفني» ثم سكتوا وإذا بتابع الأوده باشا والخادم داخلين بالصندوق على حمار فوضعوه بين أيديهما، فانتقع وجه الفيومي واصفرَّ لونه، فطلب الأوده باشه صاحب الصندوق فحضر،

فقال له: هذا صندوقك؟ قال له: نعم، قال له: عندك قائمة بما فيه؟ قال: معي، وأخرجها من جيبه مع المفتاح، فتناولها الكاتب، وفتحوا الصندوق وقابلوا ما فيه على موجب القائمة فوجده بالتمام، فقال له: «خذ متاعك واذهب» فأخذه وذهب إلى داره وهو يدعو له، ثم التفت إلى الخواجا علي الفيومي وهو ميت في جلده ينتظر ما يفعل به، فقال له: «صاحب الأمانة أخذها وإيش جلوسك؟» فقام وهو ينفض غبار الموت وذهب.

واتفق أن أحمد البغدادلي أقام مدة يرصد المترجَم يمر من عطفة النقيب ليضربه ويقتله، إلى أن صادفه فضربه بالبندقية من الشباك فلم تصبه، وكسرت زاوية حجر، وأخبروه أنها من يد البغدادلي فأعرض عن ذلك، وقال: «الرصاص مرصود، والحي ما له قاتل»، وتقلد أوده باشه سنة خمس وثمانين وألف، فتحركت عليه طائفته وأرادوا قتله، فخرج من وجاقه إلى وجاق آخر، وعمل شغله في قتل كبار المتعصبين عليه، وهم: ذو الفقار كتخدا وشريف أحمد باشجاويش باتفاق مع عابدي باشا المتولي إذ ذاك خفية، فقتل الباشا الشريف أحمد جاويش في يوم الخميس خامس الحجة سنة تسع وثمانين وألف ١٦٧٨م، وهرب ذو الفقار إلى طندتا فأرسلوا خلفه فرمانًا خطابًا لإسماعيل كاشف الغربية بقتله، فركب إلى طندتا وقتله وأرسل دماغه، وذلك بعد موت أحمد جاويش بعشرة أيام، ورجع كجك محمد إلى مكانه كما كان، واستمر مسموع الكلمة ببابه إلى أن ملك الباب جربجي سليمان كتخدا مستحفظان في سنة أربع وتسعين وألف ١٦٨٣م، ونفي كجك محمد إلى بلاد الروم، ثم رجع في سنة خمس وتسعين وألف ١٦٨٤م بسعاية بعض أكابر البلكات بشرط أن يرجع إلى لبس الضلمة ولا يقارش في شيء، فاستمر خامل الذكر إلى أن مات جربجي سليمان على فراشه، فعند ذلك ظهر أمر المترجَم وعمل باش أوده باشه كما كان، ولم يزل إلى سنة سبع وتسعين وألف ١٦٨٥م، فاستوحش من سليم أفندي كاتب كبير مستحفظان ورجب كتخدا، فانتقل إلى وجاق جمليان وعمل جربجي، وسافر هجان باشا، ثم رجع إلى بابه سنة تسع وتسعين وألف، ١٦٨٧م، كما كان، بمعاضدة إبراهيم بك الفقاري، واتفق معه على هلاك سليم أفندي ورجب كتخدا فولوهما الصنجقية وقتلوهما كما ذكر، وكان سليم أفندي المذكور قاسمي النسبة، واستمر كجك محمد مسموع الكلمة نافذ الحرمة إلى أن قُتل غيلة — كما ذكر — في طريق المحجر في يوم الخميس سابع المحرم سنة ست وماية وألف ١٦٩٤م.

ومات الأمير عبد الله بك بشناق الدفتردار تولى الدفتردارية سنة ثلاث ومائة وألف ١٦٩١م، ثم عُزل عنها بعد خمسة أشهر وعشرين يومًا، وسافر أميرًا على العسكر إلى

الروم، ورجع إلى مصر، وتولى قائمقام عندما عزل حسن باشا السلحدار في سنة اثنتين وذلك قبل سفره، وحضر أحمد باشا، ثم عزل بعد ذلك المترجم من الدفترداية واستمر أميرًا إلى أن مات سنة خمس عشرة وماية وألف على فراشه.

ومات الأمير سليمان بك الأرمني المعروف ببارم ذيله، تولى الصنجقية سنة اثنتين ومائة وألف، وكان وجيهًا ذا مال وخدم ومماليك، وتولى كشوفيات المنوفية والغربية مرارًا عديدة، ولم يزل في إمارته إلى أن توفي على فراشه سنة إحدى وعشرين وماية وألف ١٧٠٩م، وخلَّف ولدًا يسمى عثمان جلبي تقلد إمارة والده بعده، وكان جميلًا وجيهًا حاذقًا يحب مطالعة الكتب ونشد الأشعار، وتقلد كشوفية المنوفية والغربية والبحيرة وكان فارسًا شجاعًا، ولم يزل حتى هرب مع من هرب في واقعة محمد بك قطامش سنة سبع وعشرين ومائة وألف ١٧١٥م، فاختفى بمصر ونهب بيته واستمر مخفيًّا إلى أن مات بالطاعون سنة ثلاثين وماية وألف، وخرجوا بمشهده جهارًا، ومات وعمره سبع وثلاثون سنة.

ومات الأمير حمزة بك تابع يوسف بك جلب القرد، تَأمّر بعد سيده سنة عشر ومائة وألف ١٦٩٨م، فمكث خمس سنوات أميرًا ثم سافر بالخزينة، ومات بالطريق سنة ست عشرة ومائة وألف.

ومات قبله سيده الأمير يوسف بك القرد، تولى الصنجقية سنة ثلاث وسبعين وألف ١٦٦٢م، وتولى إمارة الحج، ولم يزل حتى توفي سنة عشرة ومائة وألف.

ومات الأمير رمضان بك، تولى الإمارة سنة سبع وسبعين وألف ١٦٦٦م، وعمل قائمقام عندما عزل أحمد باشا الدفتردار، وسبب ذلك: أنه لما ورد أحمد باشا المذكور واليًا على مصر في سنة ست وثمانين وألف ١٦٧٥م، وأشيع عنه بأن قصده إحداث مظالم على البيوت والدكاكين والطواحين مثل الشام، ويفتش عن الجوامك وغيرها، فاجتمع العسكر في خامس الحجة بالرميلة، وقاموا قومةً واحدةً، وقطَّعوا عبد الفتاح أفندي الشعراوي كاتب مقاطعة الغلال وهو نازل من الديوان، وكان قبل تاريخه ذهب إلى الديار الرومية وحضر صحبة أحمد باشا، فاتهموه بأنه هو الذي أغرى الباشا على ذلك، ولما نزل الأمراء وأرباب الديوان قام عليهم العسكر والعامة وقالوا لهم: «لا بد من نزول الباشا وإلَّا طلعنا إليه وقطَّعناه قِطَعًا قطعًا» فطلعوا إلى الباشا فعرضوا عليه ذلك فامتنع، وتكرر مراجعته، والعسكر والناس يزيد اجتماعهم إلى قريب العصر، فلم يسعه إلا النزول بالقهر عنه إلى بيت حاجي باشا بالصليبية، وولوا رمضان بك هذا قائمقام،

فلم يزل حتى ورد عبد الرحمن باشا سادس جمادى الآخرة من سنة سبع وثلاثين وألف ١٦٧٦م، ولم يزل المترجم أميرًا حتى مرض ومات سنة ثلاث عشرة ومائة وألف.

مات الأمير درويش بك الفلاح، تولى الإمارة سنة خمس وتسعين وألفًا ١٦٨٣م ومات سنة ثمانٍ وماية وألف.

ومات الأمير أحمد بك تابع يوسف أغا دار السعادة، تولى الإمارة سنة ستٍّ وتسعين وألف ١٦٨٤م، ومات بجدة سنة ثمانٍ ومائة وألف.

ومات الأمير درويش بك جركس الفقاري وهو سيد أيوب بك، تولى الإمارة سنة ثمانٍ وتسعين وألف ١٦٨٦م، ومات سنة خمس وماية وألف.

ومات الأمير محمد كتخدا عزبان البيرقدار، وكان صاحب صولة وعزّ في بابه، وكلمة وشهرة مع مشاركة محمد كتخدا البيقلي، وكان المترجَم شهير الذكر وبيته مفتوح، وتسعى إليه الأمراء والأعيان، ويقضي حوائج الناس، ويسعى في أشغالهم، وظهر في أيامه أحمد أوده باشه القيومجي، وظالم علي جاويش عزبان. مات المترجَم ثالث عشري رمضان سنة سبع وماية وألف على فراشه بمنزله ناحية المظفر.

ومات أيضًا محمد كتخدا البيقلي في ثالث عشري رمضان سنة خمس وماية وألف ١٦٩٣م بمنزله بسوق السلاح، وعمَّره ولده بعد موته — وهو يوسف كتخدا عزبان — وكالة سنة ست عشرة وماية وألف.

ومات الأمير أحمد جربجي عزبان المعروف بالقيومجي، وسبب تسميته بالقيومجي: أن سيده حسن جربجي كان أصله صايغًا، ويقال له باللغة التركية قيومجي فاشتهر بذلك، وكان سيده في باب مستحفظان، وأحمد هذا عزبان، وكان المشارك لأحمد جربجي في الكلمة علي جاويش المعروف بظالم علي، إلى أن لبس ظالم علي كتخدا الباب سنة ثمانٍ ومائة وألف ١٦٩٦م، ومضى عليه نحو سبعة أشهر، فانتبذ أحمد جربجي وملك الباب على حين غفلة وأنزل علي كتخدا إلى الكشيدة، فخاف على نفسه ظالم علي، فالتجا إلى وجاق تفكجيان، فسعى إليه جماعة منهم ومن أعيان مستحفظان، وردوه إلى بابه بأن يكون اختياريًّا، وضمنوه فيما يحدث منه، فاستمر مع أحمد كتخدا معززًا إلى أن مات ظالم علي عَلَى فراشه بمنزله بالحبانية الملاصق للحمام سنة خمس عشرة ومائة وألف ١٧٠٣م وانفرد بالكلمة أحمد كتخدا، ولم يزل إلى أن مات على فراشه بمنزله ببولاق سنة عشرين ومائة وألف، وكان سخيًّا يُضرب بكرمه المثل، وكان به بعض عرج بفخذه الأيسر بسبب سقطة سقطها من على الحمار وهو أوده باشه.

ومات الأمير الكبير المقدام إيواظ بك والد الأمير إسماعيل بك، وأصل اسمه: عوض، فحرفت باعوجاج التركية إلى إيواظ، فإن اللغة التركية ليس فيها الضاد، فأُبدلت وحُرفت بما سهل على لسانهم حتى صارت إيواظ، وهو جركسي الجنس قاسمي تابع مراد بك الدفتردار القاسمي الشهيد بالغَزَاة، ومراد بك تابع أزبك بك أمير الحاج سابقًا ابن رضوان بك أبي الشوارب المشهور المتقدم ذكره.

تولى الإمارة عوضًا عن سيده مراد بك الشهيد بالغَزَاة في سنة سبع وماية وألف ١٦٩٥م، وفي سنة عشر وماية وألف ١٦٩٨م ورد مرسوم من الدولة خطابًا لحسين باشا والي مصر إذ ذاك بالأمر بالركوب على المتغلب عبد الله وافي المغربي بجهة قبلي ومن معه من العربان، وإجلائهم عن البلاد.

وحضرت جماعة من الملتزمين والفلاحين يشكون ويتظلمون من المذكورين، فجمع حسين باشا الأمراء والأغوات وأمرهم بالتهيؤ للسفر صحبته، فقالوا: نحن نتوجه جميعًا، وأما أنت فتقيم بالقلعة لأجل تحصيل الأموال السلطانية؛ ثم وقع الاتفاق على إخراج تجريدة وأميرها إيواظ بك وصحبته ألف نفر من الوجاقات، ويقرروا له على كل بلد كبير ثلاثة آلاف نصف فضة والصغيرة ألفًا وخمسمائة فأجابهم إلى ذلك، وجعلوا لكل نفر ثلاثة آلاف فضة وللأمير عشرة أكياس، وخلع عليه الباشا قفطانًا، وخرج في يوم السبت سابع عشر جمادى الآخرة بموكب عظيم، ونزل بدير الطين فبات به وأصبح متوجهًا إلى قبلي، ثم ورد منه في حادي عشر رجب خطاب يذكر كثرة الجموع ويطلب الإمداد، فعمل الباشا ديوانًا، وجمع الأمراء، واتفقوا على إرسال خمسة من الأمراء الصناجق، وهم: أيوب بك أمير الحاج حالًا، وإسماعيل بك الدفتردار، وإبراهيم بك أبو شنب، وسليمان بك قيطاس، وأحمد بك ياقوت زادة، وأغوات الإسباهية الثلاثة وأتباعهم وأنفارهم.

فتهيأوا وسافروا ونزلوا بالجيزة وأقاموا بها أيامًا فورد الخبر أن إيواظ بك تحارب مع العربان وهزمهم، وفروا إلى الوجه البحري من طريق الجبل، ورجع الأمراء إلى مصر، وفي شوال نزلت جماعة من العربان بكرداسة فكبسهم ذو الفقار كاشف الجيزة وقتل منهم أربعة وسبعين رجلًا وطلع بروسهم إلى الديوان، ثم ورد الخبر بأنَّ جَمْع أبي زيد بن وافي نزل ببوادي الطرانة، فاحتاط به قائمقام البحيرة وقتل من معه من الرجال، واحتاط بالأموال والمواشي، ولما بلغ بقية العربان ما حصل لأبي زيد ضاقت بهم الأرض ففروا إلى الواحات وأقاموا بها مدة حتى أخربوها وأغلوها وانقطعت السيارة، فألجأتهم الضرورة إلى أن هبطوا في صعيد مصر بمحاجر الجعافرة بالقرب من إسنا وصحبتهم

علي أبو شاهين شيخ النجمة، وحصل منهم الضرر، فلما بلغ ذلك عبد الرحمن بك أغرى بهم عربان هوارة فاحتاطوا بهم ونهبوهم، وأخذوا منهم جملة كبيرة من الجمال وغيرها، ففروا فتبعهم خيل هوارة إلى حاجر منفلوط، فتبعهم عبد الرحمن بك ومن معه من الكشاف فأثخنوهم قتلًا ونهبًا، وأخذوا منهم ألفًا وسبعماية جمل بأحمالها، وهرب من بقي، وما زالوا كلما هبطوا أرضًا قاتلهم أهلها إلى أن نزلوا الفيوم بالغرق، وافترق منهم أبو شاهين بطايفة إلى ولاية الجيزة، فعين لهم الباشا تجريدة ذهبوا خلفهم إلى الجسر الأسود، فوجدوهم عدُّوا إلى المنوفية.

وأما إيواظ بك فإنه من حين نزوله إلى الصعيد وهو يجاهد ويحارب في العربان حتى شتت شملهم وفرّق جمعهم، فتلقّاهم عبد الرحمن بك فأذاقهم أضعاف ذلك، وحضر إيواظ بك إلى مصر، ودخل في موكب عظيم والروس محمولة معه، وطلعوا إلى القلعة وخلع عليه الباشا وعلى السدادرة الخلع السنية، ونزلوا إلى منازلهم في أبهة عظيمة، وتولى كشوفية الأقاليم الثلاثة على ثلاث سنوات، ورجع إلى مصر، وحضر مرسوم بسفر عسكر إلى البلاد الحجازية وعزل الشريف سعد وتولية الشريف عبد الله وأميرها إيواظ بك، فخلع عليه الباشا وشهَّل له جميع احتياجاته، وبرز إلى العادلية وصحبته السدادرة، وسار برًّا في غير أوان الحج، ولما وصل إلى مكة جمع السدادرة القدُم والجدُد وحاربوا الشريف سعدًا وهزموه وملك دار السعادة، وأجلس الشريف عبد الله عوضه، وقتل في الحرابة رضوان أغا ولده وكان خازنداره، وأقام بمكة إلى أيام الحج، أتى إليه مرسوم بأنه يكون حاكم جدة، وكانت إمارة جدة لأمراء مصر. أقام بجدة سنين وحاز منها شيئًا كثيرًا، وكان الوكيل عنه بمصر يوسف جربجي الجزار عزبان، ويرسل له الذخيرة وما يحتاجه من مصر.

وتولى المترجم إمارة الحج سنة اثنتين وعشرين ١٧١٠م ورجع سنة ثلاث وعشرين، وقتل في تلك السنة في الفتنة وهو أمير على الحج، وذلك أنه لما اشتدت الفتنة بين العزب والينكجرية وحضر محمد بك حاكم الصعيد مُعينًا للينكجرية وصحبته السواد الأعظم من العسكر والعرب والمغاربة والهوارة، فنزل بالبساتين ثم دخل إلى مصر بجموعه، نزل ببيت آقبردي وحارب المترسين بجامع السلطان حسن، وكان به محمد بك الصغير وهو تابع قيطاس بك مع من انضم إليه من أتباع إبراهيم بك وإيواظ بك ومماليكه، فكانت النصرة لمحمد بك الصغير بعد أمور وحروب.

وانتقل محمد بك جرجا إلى جهة الصليبية ووقعت أمور يطول شرحها مشهورة من قتلٍ ونهب وخراب أماكن وطال الأمر، ثم إن الأمراء اجتمعوا بجامع بشتاك وحضر معهم

طائفة من العلماء والأشراف، واتفقوا على عزل خليل باشا وإقامة قانصوه بك قائمقام، وولوا مناصب وأغوات ووالي، ووصل الخبر إلى الباشا ومن معه فحرض الينكجرية وفيهم إفرنج أحمد ومحمد بك جرجا ومن معه على الحرب، ووقعت حروب عظيمة بين الفريقين عدة أيام، وصار قانصوه بك يرسل بيورلديات وتنابيه، وأرسل إلى محمد بك جرجا يأمره بالتوجه إلى ولايته، ويجتهد في تحصيل المال والغلال السلطانية، فعندما وصل إليه البيورلدي قام وقعد واحتد واشتد بينهم الجلاد والقتال، واجتمع الأمراء الصناجق والأغوات عند قائمقام ورتبوا أمورهم، وذهبت طائفة لمحاربة منزل أيوب بك إلى أن ملكوه بعد وقائع ونهبوه، وخرج أيوب بك هاربًا، وكذلك منزل أحمد أغا التفكجية بعد قتله، وخرج أيضًا محمد أغا الشاطر وعلي جلبي الترجمان وعبد الله الوالي ولحقوا بأيوب بك، وفروا إلى جهة الشام، وخرج محمد بك الكبير إلى جهة قبلي، وانتهبت جميع بيوت الخارجين وبيت محمد بك الكبير وأحمد جربجي القينالي، وأحرقوا بيت أيوب بك وما لاصقه من البيوت والحوانيت والرباع.

وفي أثناء ذلك قبل خروج من ذكر أيام اشتداد الحرب خرج محمد بك بمن معه إلى جهة قصر العيني، فوصل الخبر إلى إيواظ بك فركب مع من معه ورفع القوَّاس المزراق أمام الصنجق، فانشبك في سكفة الباب وانكسر، فقالوا للصنجق: كسر المزراق فَأْلٌ، وتطيروا من ذلك؛ فقال: لعل بموتي ينصلح الحال، وطلب مزراقًا آخر، وسار إلى جهة القبر الطويل فظهر محمد بك والهوارة فتحاربوا معهم فانهزم رجال محمد بك، وفر هو ومن معه إلى السواقي، فطمع فيهم إيواظ بك ورمح خلفهم، وكان محمد بك أجلس جماعة سجمانية على السواقي لمنع من يطرد خلفهم عند الانهزام، فرموا عليهم رصاصًا فأصيب إيواظ بك وسقط من على جواده، وحصل بعد ذلك ما حصل من الحروب ونصرة القاسمية والعزب، وهروب المذكورين، وعزل الباشا، ودفن إيواظ بك بتربة أبي الشوارب، وكان أميرًا خيِّرًا شهمًا حزن عليه كثير من الناس، وخلف والده السعيد الشهيد إسماعيل بك الشهير السابق ذكره، والآتي ترجمته، وما وقع له ولأخيه محمد بك المعروف بالمجنون ومصطفى بك، وخلف عدَّة من المماليك والأمراء ومنهم يوسف بك الجزار غيره، وفي ذلك يقول الشيخ حسن الحجازي:

أيها الشخص لا يكن منك متعِب   إن إيذاء خلق ربك معطب
ما ترى ما جرى لأحمد الإفرنج   ومن تابعوه من شؤم مكرب

وبأيوب بيك ثم محمد ... الصعيدي بك إذ جاء يحرب
وعلينا مدافع نصبوها ... في أعالي الأبراج ترمي بلهب
وبيوتًا عديدة حرقوها ... مع نهب الأموال من غير موجب
وأحاطوا بنا وقد منعونا ... استقاء من نيلنا أو نصوَّب
فعطشنا وماء ملح شربنا ... ورمونا بكل ما كان يرعب
مدة مستطيلة ثم باءوا ... بعقاب لم يبقَ منهم معقب
قطعوا إفرنج ثم من شايعوه ... ورموهم بمزبل وقت مغرب
والبرايا عليهم قد أكبوا ... فيهم شامتين الأمثال تضرب
وبليل فر الصعيدي وأيوب ... والأتباع واكتفوا شر مرهب
فالصعيدى للصعيد وأيوب ... لشام والاغترار يغرب
وخليل الباشا الردي سجنوه ... بعد خلع له وقد كا يشغب
واستراحت منهم أماكن مصر ... واستنار الزمان والعيش مخصب
وتعدوا بقتل إيواظ بيك ... فرماهم مبيد عاد بمنكب
والذى قد ذكرته مجمل لو ... قد بسطناه ضاق تعبير معرب
حسن ذو الحجاز ذلك أرخ ... شرُّ مكرِ مكرٌ لأيوب محدب

وقال أيضًا:

خليل باشا خاب مصرنا أتى ... ماكر سوء حائق بنفسه
أثار في عسكرنا نائرة ... تاريخها أضرها بطمسه
أعني على أفكارهم ألقى عمى ... كلٌ غدا منه رهين عكسه
فليتهم تفطنوا لمكره ... وقَّطعوه قبل سكنى رمسه
وأتبعوه لعنةً وافرة ... عدة طاهر الورى ورجسه
إيواظ بيك الفحل ظلمًا قتلوه ... ونال عند الله دار قدسه
وآخر يوم في الخماسين قضى ... نحبًا ضحى حين اشتداد شمسه
ونال شر خيبة قاتله ... تغشاه من أسفله لرأسه
لا تنكرن من ذلك الباشا الردى ... خبيث فعله وسوء حدسه
لأنه أعورُ إقليط كذا ... أعرجُ نكرٌ شائع في جنسه

فربنا من مصر لا يخرجه — إلا قتيلًا ذاهبًا كأمسه
كذاك أيوب والإفرنج ومَن — شابه في إبلاسه ولبسه
ويسأل الله الحجازي حسن — وقاية الباغى وشوم نحسه

وقال أيضًا:

بليةٌ جاءت مصرًا — فأكثرت فيها الهالك
بالنار والسيف الباتر — والجوع من قطع السالك
وخذ لهذا تاريخًا — خليل باشا في حالك
ويسأل الله البدري — حسن نجاة من ذلك

ومات الأمير أيوب بك تابع درويش بك، وهو كان ممن تسبب في إثارة الفتنة المذكورة وتولى كبرها مع إفرنج أحمد، وأرسل إلى محمد بك جرجا فحضر إليه مُعينًا ومعهم من أخلاط العالم وحصل ما حصل، وأصله جركسي الجنس ومن الفقارية، تولى إمارة الحج بعد موت إبراهيم بك ذى القعدة سنة سبع ومائة وألف ١٦٩٥م وطلع بالحج عشر مرات وعُزل سنة سبع عشرة ومائة وألف ١٧٠٥م وتولى الدفتردارية، ثم عُزل عنها، ثم وقعت الفتنة وقُهر فيها، وخرج من مصر هاربًا مع من هرب إلى جهة الشام، وذهب إلى إسلامبول ولم يزل بها حتى مات سنة أربع وعشرين ومائة وألف طريدًا غريبًا وحيدًا بعد الذي رآه من العز والجاه بمصر، وخلف من الأولاد الذكور والإناث اثني عشر لم ينتج منهم أحد، عاشوا وماتوا فقراء؛ لأن ماله انتُهب في الفتنة.

ومات الأمير قيطاس بك، وهو مملوك إبراهيم بك ذي الفقار كردلي الجنس، تولى إمارة الحج سنة عشرة ومائة وألف ١٧٠٥م واستمر فيها إلى سنة إحدى وعشرين ومائة وألف، طلع بالحج خمس مرات، ثم عزل عنها وتولى الدفتردارية واستمر فيها إلى سنة أربع وعشرين ومائة وألف ١٧١٢م، ثم عُزل عنها وتولى إمارة الحج سنة تاريخه، ثم عُزل وتلبس بالدفتردارية، واستمر فيها إلى أن قُتل في سنة ست وعشرين ومائة وألف، قتله عابدي باشا، وذلك أنه لما حضر عابدي باشا إلى مصر وقدَّم له الأمراء التقادم، وقدم له إسماعيل بك ابن إيواظ تقدمة عظيمة وكان إذ ذاك أمين السماط، فأحبه الباشا وسأل عمن تسبب في قتل أبيه، فقالوا: هذه قضية ليس لأحد فيها جنية، وإنما قيطاس بك وأيوب بك من بيت واحد وكان أيوب بك أعظم، فالتجأ قيطاس بك إلى المرحوم إيواظ بك

إلى أن قُتل بسببه، وقتل أيضًا كثير من رجاله، وبعدما بلغ مراده سعى في هلاكنا وأراد قتلنا عند أم إخنان، وسلط ابن حبيب على خيولنا في المربع وجم أذنابها، فقال الباشا يكون خيرًا، ولما استقر الباشا وتقلد إسماعيل بك إمارة الحج وقلدوا مناصب الأقاليم للقاسمية، وتقلد عبد الله بك خازندار إيواظ بك الصنجقية، وأرسلوا بقتل الأمير حسن كاشف إخميم.

ثم إن قيطاس أرسل كور عبد الله سرًّا إلى الباشا وكلمه في إدارة الكشوفيات على الفقارية وعمل رشوة، فقال له: «هذه السنة مضت وفي العام القابل نعطيكم جميع الكشوفيات» فاطمأن بذلك، وشرع في عمل عزومة للباشا بقصر العيني، فأجاب لذلك وذهب مع القاضي وإبراهيم بك والدفتردار وأرباب الخدم، وقدَّم لهم تقادم وخلع عليه الباشا فروة سمور، وركبوا أواخر النهار، وذهبوا إلى منازلهم، ومضى على ذلك أيام.

وكان محمد بك قطامش تابع قيطاس بك في الخفر بسبيل علام فحضر في بعض الأيام إلى الديوان لحاجة، ودخل عند الباشا فقال له: «أين كنت ولم تحضر معنا عزومة سيدك؟» فقال: «أنا في الخفر بسبيل علام» فقال الباشا: «وسبيل علام هذا بلد وإلا قلعة؟» فعرفه أنه مثل القلعة وحوله قصور لنزول الأمراء، فقال الباشا: «أحب أن أرى ذلك» فقال: «حبًّا وكرامة تشرفونا يوم السبت»، فقال: «كذلك شَهِّل روحك ونأتي صحبة سيدك والقاضي من غير زيادة، وادع أنت من شئت»، وقال الباشا لقيطاس بك: «تنزل في صبح يوم السبت إلى قراميدان فتأتيني هناك ونركب صحبة»، فقال: كذلك، فأرسل إبراهيم أبو شنب تلك الليلة تذكرة لقيطاس بك: «اقبل النصيحة ولا تذهب إلى قراميدان» فلما قرأ التذكرة وعرضها على كتخدا محمد أغا الكور، فقال: «هذا عدو فلا تأخذ منه نصيحة، فإنه لا يحب قربك من الباشا» وفي الصباح ركب في قلةٍ وذهب إلى قراميدان، فوجد الباشا نزل وجلس بالكشك وأوقف أتباعه وعسكره، فلما حضر قيطاس بك قال له الباشا من الشباك: «اطلع حتى يأتي القاضي ونركب سوَّية، وخلِّ الطوايف راكبين» فنزل وطلع وجلس، فهجم عليه أتباع الباشا وقتلوه بالخناجر، وقطعوا رأسه ورموه لطايفته من الشباك، وركب الباشا في الحال وطلع إلى القلعة فشاله أتباعه وذهبوا به إلى بيته.

وذهبت طايفة إلى سبيل علَّام، أخبروا محمد بك بقتل سيده، فركب من ساعته وصحبته عثمان بك فأتوا صيوان قيطاس بك الأعور وكان طالعًا بالخزينة، فعرفوه أن سيده قتله القاسمية بيد الباشا، وطلبوه يركب معهم يأخذون بثأره، فأبى وقال: «إنه

قُتل بأمر سلطاني، والخزنة في تسليمي، وأنتم فيكم البركة» فساروا إلى بيت أستاذهم، فوجدوا هناك حسن كتخدا النجدلي وناصف كتخدا القازدغلي وكور عبد الله جاويش، وأحضروا رأس الصنجق مسلوخة وغسّلوه وكفنوه، وصلّوا عليه بسبيل المؤمن، ودفنوه بالقرافة، وكرنك محمد بك قطامش تابعه هو وعثمان بك ابن سليمان بك بارم ديله، ولم يتم له أمر، وهرب محمد بك إلى بلاد الروم، وسيأتي خبره في ترجمته، واختفى عثمان بك في بيت رجل مغربي حتى مات، وكان إبراهيم بك أبو شنب يعرف مكانه ويُرسل له مصروفًا.

وثارت فتنة عظيمة بعد قيطاس بك بين الينكجرية والعزب، وهو أن حسن كتخدا النجدلي وناصف كتخدا وكور عبد الله جاويش أغراض قيطاس بك ملكوا باب مستحفظان في ذلك اليوم في شهر رجب، وقتلوا كتخدا الوقت شريف حسين وإبراهيم باش أوده باشه المعروف بكدك، وكانوا يتهمونه في قتل قيطاس بك، ثم في أواخر رمضان ملك باب مستحفظان محمد كتخدا كدك على حين غفلة ليأخذ ثار أخيه حسين، وقتل حسن كتخدا النجدلي وناصف كتخدا القازدغلي، وأنزلوا رممهما في صبحها إلى بيوتهم، وهرب كور عبد الله، ثم قبضوا عليه بعد ستة أيام وأحضروه وهو راكب على حصان وفي عنقه جنزير وعلى رأسه ملاية، فطلع به محمد بك جركس إلى الباشا فأمر به إلى محمد كدك بالباب فقتله، وأرسل رمته إلى بيته بسوق السلاح، وذلك في غاية رمضان سنة سبع وعشرين ومائة وألف ١٧١٥م.

ومات الأمير عبد الرحمن بك، وكان أصله كاشف الشرقية، وكان مشهورًا بالفروسية والشجاعة، قلده الإمارة إسماعيل باشا والي مصر سنة سبع ومائة وألف هو ويوسف بك المسلماني، فإنه لما وصل الفصل في تلك السنة، وغنم الباشا أموالًا عظيمة من حلوان المحاليل والمصالحات، فلما انقضى الفصل عمل عُرْسًا عظيمًا لختان أولاده في سنة ثمانٍ ومائة وألف ١٦٩٦م، وهادته الأعيان والأمراء والتجار بالهدايا والتقادم، وكان مهمًا عظيمًا استمر عدة أيام لم يتفق نظيره لأحد من ولاة مصر، نصبوا في ديوان الغوري وقايتباي الأحمال والقناديل، وفرشوهما بالفرش الفاخرة، والوسائد والطنافس وأنواع الزينة، ونصبوا الخيام على حوش الديوان وحوش السراية، وعلقوا التعاليق بها وخيام تركية، واتصل ذلك بأبواب القلعة التحتانية إلى الرميلة والمحجر، ووقف أرباب العكاكيز وكتخدا الجاويشية وأغات المتفرقة للخدمة وملاقاة المدعوين، وفي أوساطهم المحازم الزردخان، وأبو اليسر الجنكي ملازم بديوان الغوري ليلًا ونهارًا، وجنك اليهود بديوان

قايتباي وأرباب الملاعيب والبهلوانيين والخيالة بالحيشان، وأبواب القلعة مفتوحة ليلًا ونهارًا، وأصناف الناس على اختلاف طبقاتهم وأجناسهم؛ أمراء وأعيان وتجار وأولاد بلد طالعين نازلين للفرجة ليلًا ونهارًا.

وختن مع أولاده عند انقضاء المهم مائتي غلام من أولاد الفقرا، ورسم لكل غلام بكسوة ودراهم، ودعوا في أول يوم المشايخ والعلما، وثاني يوم أرباب السجاجيد والخرق، وثالث يوم الأمراء والصناجق، ثم الأغوات والوجاقلية والاختيارية والجربجية وواجب رعايات الأبواب، كل طايفة يوم مخصوص بهم، ثم التجار وخواجات الشرب والغورية، ثم القاوقجية والعقادين والقوافين ومغاربة طيلون وأرباب الحرف ومجاوري الأزهر والعميان بوسط حوش الديوان غدوًّا وعشيًّا، ثم خلع الخلع والفراوي، وأنعم بحصص وعتامنة على أرباب الديوان والخدم، وكذلك كساوي للجنك وأرباب الملاهي والبهلوانيين والطباخين والمزينين، وإنعامات وبقاشيش.

ولما تمَّ وانقضى المهم قال الباشا لإبراهيم بك وحسن أفندي — وكانا خصيصين به — «أريد أقلد إمارة صنجقين لشخصين يكونان إشراقين ويكونان شجاعين قادرين» فوقع الاتفاق على يوسف أغا المسلماني وعبد الرحمن أغا كاشف الشرقية، هذا وكان ضَرَبَ هلباسويد قبل تاريخه واشتهر بالشجاعة، فخلع عليهما في يوم واحد، وعملوا لهما رنك وسعاة، ونزلت لهما الأطواغ والبيارق والنوبة، وحضرت لهما التقادم والهدايا ولبسا الخلع.

ثم إنّ الباشا أنشأ له تكية في قراميدان، ووقف سبع بلاد من التي أخذها من المحاليل في إقليم البحيرة، وهي: أمانة البدرشين، وناحية الشنباب، وناحية سقارة، وناحية ميت رهينة، وناحية أبي صير الصدر، وناحية شبرامنت بالجيزة، وناحية ترسا وجعلها للتكية، وسحابة بطريق الحجاز، وجعل الناظر على ذلك خازنداره، وأرخى لحيته وأعطاه فايظ وعتامنة في دفتر العَزَب وقلَّده جربجي تحت نظر أحمد كتخدا القيومجي، وأرسل كتخداه قرا محمد أغا إلى إسلامبول لتنفيذ ذلك، وسافر على الفور، وعندما وصل إلى إسلامبول أرسل مقررًا لمخدومه على سنة تسع ومائة وألف ١٦٩٧م صحبة أمير آخور، فوصل إلى بولاق ونزلت له الملاقية وحضر إلى الديوان، وبعد انفضاض الديوان دخل الأمراء الكبار، وهم: إبراهيم بك أبو شنب، وإيواظ بك، وقانصوه بك، وإسماعيل بك الدفتردار للتهنئة.

ولم يدخل حسن أغا بلغيه والأغوات وعبد الرحمن بك ويوسف بك وسليمان بارم ديله وقيطاس بك وحسين بك أبو يدك وكامل الفقارية، فسأل الباشا عنهم فرآهم

نزلوا فانقبض خاطره من الفقارية، وقال لإبراهيم بك: «أنا أكثر عتابي على إشراقي عبد الرحمن بك ويوسف بك، حيث إنهما فعلا ذلك، أنا أطلب منهما حلوان الصنجقية ثمانية وأربعين كيسًا» فلاطفه إبراهيم بك وحسن أفندي فلم يرجع، وأمر بكتابة فرمانين وأرسلهما إلى الأميرين المذكورين بطلب أربعة وعشرين كيسًا من كل أمير، فقال عبد الرحمن بك: «أنا لم أطلب هذه البلية حتى يأخذ مني عليها هذا القدر» ولما حضر الأغا المعين ليوسف بك تركه في منزله، وركب إلى عبد الرحمن بك وركبا معًا إلى حسن أغا بلغيه، وعملوا شغلهم، وعزلوا الباشا، وكانوا تخيلوا منه الغدر بهم، ونزل الباشا إلى بيت كان اشتراه من عتقى عثمان جربجي مطل على بركة الفيل بحدرة طولون بجوار حمام السكران، ثم باع المنزل والبلاد التي وقفها على التكية والسحابة، وغلق الذي تأخر في طرفه من المال والغلال لحسين باشا المتولي بعده، وخرج إلى العادلية وسافر إلى بغداد، وتولى عبد الرحمن بك على ولاية جرجا، وحصل له أمور مع عربان هوارة وعصيانهم عن دفع المال والغلال، ووقايعه معهم ومع ابن وافي كما ذكر بعضه في ترجمة إيواظ بك، وانفصل عبد الرحمن بك من ولاية الصعيد، وحضر إلى مصر، ونزل عند الآثار، وأرسل إلى الباشا المتولي تقادم وعبيدًا وأغوات.

ونزل الباشا في ثاني يوم إلى قراميدان، وحضر عبد الرحمن بك بأتباعه ومماليكه وخلفه النوبة التركي، فسلم على الباشا وخلع عليه فروة سمور، وركب إلى البيت الذي نزل فيه وهو بيت رضوان بك بالقصبة المعروفة بالقوافين، وكان ذلك الباشا هو قرا محمد كتخدا إسماعيل باشا المنفصل المتقدم ذكره، وفي نفسه من المترجم ما فيها بسبب مخدومه، فإنه هو الذي سعى في عزله وإبطال وقفه، وانسلخ من الفقارية وتنافس معهم وصار يقول: أنا قاسمي، فحقدوا عليه ذلك وسعوا في عزله من جرجا، ولما حضر إلى مصر تعصبوا عليه، ووافق ذلك غرض الباشا لكراهته له بسبب أستاذه.

ولما استقر عبد الرحمن بك بمنزله حضرت إليه الأمراء للسلام عليه ما عدا حسن أغا بلغيه ومصطفى كتخدا القازدغلي، ثم بعد انقضاء ذلك ورجوع الهوَّارة إلى بلادهم وعمارهم كتبوا بما ذهب لهم من خيول وجِمال وعبيد وجوار وغلال وأخشاب وفرش ونحاس، وثمنوها بثلثمائة كيس، وجعلوا الآخذ لذلك جميعه عبد الرحمن بك، وأرسلوا القوايم إلى ابن الحصري، ووكلوا وجاق الينكجرية في خلاص ذلك من عبد الرحمن بك، فعرض ذلك ابن الحصري على أستاذه القازدغلي وحسن أغا بلغيه، وكتبوا بذلك عرضحال وقدموه للباشا بعدما وضَّبوا ما أرادوا من الرابطة والتعصيب، فأرسل إليه

الباشا يطلبه فامتنع من الطلوع، وقال للأغا المعين: «سلم على حضرة الباشا وسوف أطلع بعد الديوان أقابله» فنزل إليه كتخدا الجاويشية وأغات المتفرقة، وتكلموا معه بسبب ما تقدم فقال: «أنا لم أكن وحدي، كان معي غزسيمانية وعرب هوارة بحري وكشاف الأمير حسن الإخميمي لموم كثيرة، وكل من طال شيئًا أخذه، وسوف أتوجه للدولة بالخزينة، وأعرفهم بفعل أيوب بك وحسن أغا بلغيه قازدغلي، وأضمن لهم فتوح مصر وقطع الجبابرة» فلاطفوه وعالجوه على الطلوع، فامتنع من الطلوع مع الجمهور، وقال: «أروح معهم إلى بيت القاضي ويقيمون بينتهم وإثباتهم، وأنا قادر ومليء، وما أنا محتاج ولا مفلس» فرجعوا وعرّفوا الجمع بما قاله بالحرف الواحد.

فقال الباشا للقاضي: «اكتب له مراسلة بالحضور والمرافعة» فكتب له مراسلة، وأرسلها القاضي صحبة جوخدار من طرفه، فلما وصل إليه قال: «أنا لست بعاصي الشرع، ولا أترافع معهم إلا في بيت القاضي ولا أطلع في الجمهور» فرجع الجوخدار بالجواب وكان فرغ النهار، فعند ذلك بيَّتوا أمرهم واتفقوا على محاربته، واجتمع عند عبد الرحمن بك أغراضه وأحمد أوده باشا البغدادلي، ووصله الخبر بركوبهم عليه، فضاق صدره وخرج من منزله ماشيًا، وأراد أن يذهب إلى الجامع الأزهر يقع على العلماء، فلما وصل إلى باب زويلة لحقه أحمد البغدادلي وحسن الخازندار فردَّاه، وقالا له: «اجلس في بيتك ونحاربهم وعندنا العُدة والعدَد».

وعند الصباح احتاطوا بداره ونزلت البيارق والمدافع والعسكر من كل جانب، ورموا عليه من جميع الجهات، ودخلت طائفة من العسكر إلى الجامع المواجه للبيت، وصعدوا إلى المنارة، ورموا بالرصاص فأصيب أحمد البغدادلي وحسن الخازندار وماتا، وكان الصنجق والطائفة عند النقيب بالإصطبل فأخبروه بموت حسن الخازندار وكان يحبه، فطلع إلى المقعد فأصيب أيضًا ومات، فعند ذلك انحلت عزائم الطائفة وأولاد الخزنة فخرجوا من البيت مشاة بما عليهم من الثياب، ظنوهم من طوائف الصناجق.

ولما رأى الذين في النقب بطلان الرمي دخلوا وطلعوا إلى المقعد، فوجدوا الصنجق ميتًا فأخذوا رأسه ورأس البغدادلي وطلعوا بهم للباشا، وعبرت العساكر إلى البيت نهبوه وأخذوا منه أموالًا وذخاير عظيمة، وسَبَوْا الحريم، وأخذوا كامل ما في الحريم من الجواري البيض وذخائر عظيمة، ومن جملتهم بنت الصنجق يظنوها جارية فخرجت أمها تصرخ من خلفها فخلصها مصطفى جاويش القيصرلي وطلع بها إلى الباشا، فأنعم عليها بخمسة وثلاثين عثماني ومائتين ذهب، أخذها وأمها من مصطفى جاويش وزوَّجها

لبعض مماليك أبيها، وكان قتل عبد الرحمن بك في ثاني عشر ربيع الأول سنة ثلاث عشرة ومائة وألف، وفي ذلك يقول الشيخ حسن الحجازي:

وعبد الرحمن بك	بما يداه جنته
حلت به نقماتٌ	تاريخها أذهبته
ربيع الأول دارت	عليه ما أفلتته
الجند قد حاصروه	وبيته أخربته
من المدافع نار	ترمي به أحرقته
ببيت رضوان أعني	به الفقاري دهته
جداره نقبوه	والجند قد سلكته
وبعد ذا قتلوه	وفرقة عاونته
واجتث عن مصر كربٌ	والأرض قد فقدته
وقاله حسن منْ	أرض الحجاز حوته

وأما يوسف بك فإنه توفي بالسفر ببلاد الروم.

ومات الأمير علي أغا مستحفظان المشهور، تولى أغاوية مستحفظان في سنة ثمانٍ ومائة وألف ١٦٩٦م، وفي سنة اثنتي عشرة وثلاث عشرة وأربع عشرة فشا أمر الفضة المقاصيص والزيوف، وقلَّ وجود الديواني، وإن وجد اشتراه اليهود بسعر زائد وقصُّوه، فتلف بسبب ذلك أموال الناس، فاجتمع أهل الأسواق ودخلوا الجامع الأزهر، وشكوا أمرهم للعلماء, وألزموهم بالركوب إلى الديوان في شأن ذلك، فكتبوا عرضحال وقدموه إلى محمد باشا، فقرأه كاتب الديوان على رءوس الأشهاد.

فأمر الباشا بعمل جمعية في بيت حسن أغا بإبطال الفضة المقصوصة وظهور الجدد وإدارة دار الضرب، وعمل تسعيرة وضرب فضة وجدد نحاس، ويكون ذلك بحضور كتخدايه، وكامل الأمراء الصناجق والقاضي والأغوات ونقيب الأشراف وكبار العلماء، وطلب جوابًا كافيًا وأعطاه ليد كتخدا الجاويشية، فأرسل التنابيه مع الجاويشية تلك الليلة، واجتمع الجميع في صبحها بمنزل حسن أغا بلغيه، واتفقوا على إبطال المقاصيص، وضرب فضة جديدة تُوزع على الصيارف، وأنَّ صرف الكلب بثلاثة وأربعين نصفًا والريال بخمسين والأشرفي بتسعين والطرلي بمائة، وقيَّدوا بتنفيذ ذلك علي أغا المذكور، وكذلك الأسعار، وشرط عليهم إبطال الحمايات، وعدم معارضته في شيء، وكل

من مسك ميزانًا فهو تحت حكمي، وكذلك الحصَّاصة وتجار البن والصابون، ويركب بالملازمين، ويكون معه من كل وجاق جاويش بسبب أنفار الأبواب، وأخبروا الباشا بما حصل، وكتب القاضي حجة بذلك، وكتب المشايخ عليها، وكذلك الباشا وأعطوها لعلي أغا.

فطلع إلى الباب وأحضر شيخ الخبازين وباقي مشايخ الحرف، وأحضر إردب قمح وطحنه وعمل معدَّله على الفضة الديواني خمسة أواق بجديدين، والبن باثني عشر فضة الرطل، والصابون بثلاثة، والسكر النبات باثني عشر الرطل، والخام بخمسة، والمنعاد بستة وأربعة جدد، والمكرر الشفاف بثمانية فضة وأربعة جدد، والشمع السكندري بأربعة عشر فضة، والعسل الشهد بستة أنصاف، والسقر بثلاثة وأربعة جدد والسائل بنصفين، والمرسل الحر بنصف فضة، والقطر المنعاد بنصفين والقطر القناني بثلاثة، والسمن البقري بثلاثة فضة وأربعة جدد، والمزهر بنصفين وستة جدد، والجاموسي بنصفين جديدين، والزبد البقري بنصفين وأربعة جدد، والزبد الجاموسي بنصفين وجديدين، واللحم الضاني بنصفين، والماعز بنصف وأربعة جدد، والجاموسي بنصف وجديدين، والزيت الطيب بنصفين وستة جدد، والشيرج بنصفين، والزيت الحار بنصف وستة جدد، والجبن الكشكبان بثلاثة أنصاف فضة، والوادي بنصفين وأربعة جدد، والجاموسي الطري بنصف وأربعة جدد، والجبن المنصوري المغسول بنصف وستة جدد، والحالوم الطري بنصف وجديدين الرطل، والجبن المصلوق بنصف وأربعة جدد، والشلفوطي والقريش بستة جدد الرطل، والعيش العلامة خمسة أواق بجديدين، والكشكار ستة أواق بجديدين.

وحصل ذلك بحضرة مشايخ الحرف والمغاربة، وأرسل الأغا بقفل الصاغة ومسبك النحاس، وأمر بإحضار الذهب والفضة المبتاعة والنحاس لدار الضرب، وأحضر شيخ الصيارفة وأمرهم بإحضار الذهب والريالات وقروش الكلاب يصرفونها بفضة وجدد نحاس، وأعلمهم أنه يركب ثالث يوم العيد ويشق بالمدينة، وكل من وجد حانوته خاليًا من الفضة والجدد قتل صاحبه أو سمَّره، وكتب القائمة بالأسعار وطلع بها للباشا علَّم عليها، وركب ثالث يوم من شهر شوال سنة أربع عشرة ومائة وألف ١٧٠٢م وعلى رأسه العمامة الديوانية المعروفة بالبيرشانة، وأمامه القابجية والملازمون والوالي وأمين الاحتساب، وأوده باشه البوابة بطائفته، والسبعة جاويشية خلفه، ونائب القاضي في مقدمته وكيس جوخ مملوء عكاكيز شوم على كتف قواس، والمشاعلي بيده القائمة، وهو ينادي على رأس كل حارة ويقف مقدار نصف ساعة، وضرب في اليوم اثنين قبَّانية

وثلاثة زيَّاتين وجزار لحم خشن، ومات الستة من الضرب، ورسم على شيخ القبانية بأن لا أحد يزن في بيت زيات سمنًا ولا جبنًا.

وصار يتفقد الدراهم، ويحرر الأرطال والصنج، ويسأل عن أسعار المبيعات، ولا يقبل رشوة، وكل من وجده على خلاف الشرط سواء كان فلاحًا أو تاجرًا أو قبانيًّا بطحه وضربه بالمساوق الشوم حتى يتلف أو يموت، وغالبهم لم يعِش بذلك، وصار له هيبة عظيمة ووقار زائد، ولم يقف أحد في طريقه سواء كان خيّالًا أو حمَّارًا أو قرَّابًا إلّا ويخشاه، حتى النساء في البيوت وهو فايت لم تستطع امرأة أن تطل من طاقة.

واتفق أن إسماعيل بك الدفتردار صادفه بالصليبة فلما رأى المقادم دخل درب الميضاة حتى مرَّ الأغا، فقيل له: «أنت صنجق ودفتردار وكيف أنك تذهب من طريقه؟» فقال: «كذا كتبنا على أنفسنا حتى يعتبر خلافنا» وأقام في هذه التولية ستة أشهر، ثم عزل وولي رضوان أغا كتخدا الجاويشية سابقًا، وذلك أواخر سنة ثماني عشرة، وعزل رضوان أغا في جمادى الأولى سنة تسع عشرة ومائة وألف ١٧٠٧م وتولى أحمد أغا ابن باكير أفندي، ثم تولى في أيامه الواقعة الكبيرة في أواخر ربيع الثاني سنة ثلاث وعشرين ومائة وألف ١٧١١م، ولم يزل حتى مات في يوم الجمعة ثاني شهر شوال بجامع القلعة، وذلك أنه صلى الجمعة والسنن بعدها وسجد في ثاني ركعة، فلم يرفع رأسه من السجود، فلما أبطأ حرَّكوه فإذا هو ميت، فغَّسلوه وكفَّنوه، ودفنوه بترب باب الوزير، وذلك سنة ثلاث وعشرين ومائة وألف.

وتولى بعده في أغاوية مستحفظان محمد أفندي كاتب جُمليان سابقًا الشهير بابن طسلق، وركب بالبيرشانة والهيئة، وذلك عقيب الفتنة الكبيرة بنحو خمسة أشهر، ولما مات علي أغا وتولى هذا الأغا عملوا تسعيرةً أيضًا، وجعلوا صرف الذهب البندقي بمائة وخمسة عشر نصف فضة، والطرلي بمائة، والريال بستين، والكلب بخمسة وأربعين، ونودي بذلك، ومنع التجار وأولاد البلد من ركوب البغال والأكاديش، ومَنَعَ من بيع الفضة بسوق الصاغة ولا تباع إلّا بدار الضرب، وقفل دكاكين الصوَّاغين، وفي موت علي أغا يقول الشيخ حسن الحجازي، عُفي عنه:

ألا قل لمن في موت حاكم مصرنا	غدا فرحًا عشت حلَّ بك الغمُ
لقد كنت منه في رخاء ونعمة	وأمن بحكم لا يقاومه حكم
أحل البلايا والرزايا وما دهى	وما كان قماعًا بمن دأبه الظلم

من السوقة الأشرار الأنجاس من لهم ... من البخس والخسران عزم له عزمُ
فأرجح ميزانًا وأوفى مكايلًا ... وأخمد نيرانًا وقام به سلمُ
وليس له من مبغض غير معرض ... عن الحق أو مَنْ في عقيدته سقم
وظن بليد الطبع سوء فعاله ... فقلت له اكفف فاتك العلم والفهم
فما زاجر عن عاكر غير صارم ... وما حاكم إلا الفتى البطل الشهمُ
وقد كان مفقودًا إلى أن بدا لنا ... إمامٌ همامٌ دأبه العزم والحزم
على أغاتُ الينكجرية الذي ... توفي ثاني عيد فطر له غنم
فقام يصلي جمعة قد تحتمت ... فمات بثاني ركعة حقه الرُّحم
عليه دمًا كم مقلة قد بكت إلى ... أن انعدمت حتى بكى الحجر الصمُّ
وحلَّت على أقطار مصر كآبةٌ ... وداهمةٌ تاريخها كَلِبَ الغم
وكنا نقمنا فعله في حياته ... فمذ مات بان العكس انتقم النقم
فهيهات إتيان الزمان بمثله ... وهيهات جبر بعد ما حصل القصم
وليس لهذا الدهر إلا تفجعٌ ... وليس لنا إلا نوائبه قسمُ
لعمرك مانلنا مدى العمر راحة ... ولا في منام لا خيالٌ ولا همُ
ولكن صبر المرء يكتم ضرّه ... ومع ذا فمهما زاد لا يمكن الكتم
فهب حسن البدري الحجازي ربنا ... ختامًا بخير منك يا حبذا الختم

ومات الأمير الكبير إبراهيم بك المعروف بأبي شنب، وأصله مملوك مراد بك القاسمي وخشداش إيواظ بك، تقلد الإمارة والصنجقية مع إيواظ بك، وكان من الأمراء الكبار المعدودين، تولى إمارة الحج سنة تسع وتسعين وألف ١٦٨٧م وطلع بالحج مرتين، ثم عزل عنها باستعفائه لأمور وقعت له مع العرب بإغراء بعض أمراء مصر، وسافر أميرًا على العسكر المعين في فتح كريد في غرة المحرم سنة أربع وماية وألف.

ولما ركب بالموكب خرج أمامه شيخ الشحاتين وجملة من طوائفه؛ لأنه كان محسنًا لهم ويعرفهم بالواحد، وكان إذا أعطى بعضهم نصفًا في جهة ولاقاه في طريقه من جهة أخرى يقول له: «أخذت نصيبك في المحل الفلاني» ثم رجع إلى مصر في شهر ذي الحجة، وطلع إلى الإسكندرية، ووصل خبر قدومه إلى مصر فجمع الشحاتون من بعضهم دراهم واشتروا حصانًا أزرق، وعملوا له سرجًا مفرَّقًا ورَخْتًا وركابًا مطليًّا وعباء زركش ورشمة، كلفة ذلك اثنان وعشرون ألف فضة، ولما وصل إلى الحليِّ قدموه له فقبله منهم وركبه إلى داره، وذهبت إليه الأمرا والأعيان وسلموا عليه وهنوه بالسلامة، وخلع على

شيخ الشحاتين ونقيبهم كل واحد جوخة، وكل فقير جُبة وطاقية وشملة، ولكل امرأة قميص وملاية فيومي، وأغدق عليهم إغداقًا زائدًا، وعمل لهم سماطًا.

وكان المتعين بالرياسة في الوقت إبراهيم بك ذو الفقار، وفي عزمه قطع بيت القاسمية، فأخرج إيواظ بك إلى إقليم البحيرة، وقانصوه بك إلى بني سويف، وأحمد بك إلى المنوفية، ولما حضر إبراهيم بك أبو شنب واستقر بمصر اتفق إبراهيم بك ذو الفقار مع علي باشا المتولي إذ ذاك على قتله بحجة المال والغلال المنكسرة عليه في غيبته، وقدرها اثنا عشر ألف إردب وأربعون كيسًا صيفي وشتوي، فأرسل إليه الباشا معيَّن بفرمان يطلبه، وكان أتاه شخص من أتباع الباشا أنذره من الطلوع، فقال للمعين: «سلم على الباشا وبعد الديوان أطلعُ أقابله» ففاتَ العصر ولم يطلع، فأرسل الباشا إلى درويش بك وكان غفيرًا بمصر القديمة وأمره بالجلوس عند باب السر الذي يطلع على زين العابدين وإلى الوالي والعسس وأوده باشه البوابة يجلس عند بيت إبراهيم أبي شنب.

وأشيع ذلك، وضاق خناق إبراهيم بك أبي شنب، واغتم جيرانه وأهل حارته لإحسانه في حقهم، وحضر إليه بعض أصحابه يؤانسه مثل إبراهيم جربجي الداودية وشعبان أفندي كاتب مستحفظان سابقًا وأحمد أفندي روزنامجي سابقًا، فهم على ذلك وإذا بسليمان الساعي داخل على الصنجق بعد العشاء فأخبره أن مسلم إسماعيل باشا أمير الحاج الشامي ورد إلى العادلية، وأرسل جماعة جوخدارية بقايمقامية إلى إبراهيم بك، فأمر بدخولهم عليه فدخلوا وأعطوه التذكرة، فقرأها وعرف ما فيها، فسري عنه الغم وفي التذكرة «إنْ كان غدًا أول توت ندخل وإلا بعد غد»، وكانت سنة تداخل سنة ست في سنة سبع.

وكان الباشا أتى له مقرر من السلطان أحمد وتوفي، وتولى السلطان مصطفى فعزل علي باشا عن مصر وولَّى إسماعيل باشا حاكم الشام وأرسل مسلّمه بقايمقامية إلى إبراهيم بك، فسأل الصنجق أحمد أفندي عن أول توت فأخبره أن غدًا أول توت، فقال لأحمد كاشف الأعسر: «خذ الحصان الفلاني وعشرة طايفة والجوخدارية ومشعلين، واذهبوا إلى العادلية واحضروا بالأغا قبل الفجر» ففعلوا وحضروا به قبل الفجر بساعتين، فخلع عليه فروة سمور، وقال للمهتار دقوا النوبة (قاصد مفرح) فلما ضُربت النوبة سمعت الجيران قالوا: لا حول ولا قوة إلا بالله، إن الصنجق اختل عقله عارف أنه ميت ويدق النوبة، ولما طلع النهار وأكلوا الفطور وشربوا القهوة ركب الصنجق بكامل طوائفه، وصحبته الأغا، وطلع إلى القلعة، وجلس معه بديوان الغوري، وحضر إليهم

كتخدا الباشا فأطلعوه على المرسوم فدخل الكتخدا فأخبر مخدومه بذلك، فقال: لا إله إلا الله، وتعجَّب في صنع الله، ثم قال: «هذا الرجل يأكل رءوس الجميع» دخلوا إليه فخلع عليه وعلى المسلَّم ونزل إلى داره.

ووصل الخبر إلى إسماعيل بك الدفتردار فركب إسماعيل بك إلى إبراهيم ذي الفقار أمير الحاج فركب معه بباقي الأمراء، وذهبوا إلى إبراهيم بك يهنوه، وكذلك بقية الأعيان، وخلع على محمد بك أباظة، وجعله أمين السماط، وتولى المترجم الدفترداريَّة سنة تسع عشرة ومائة وألف، واستمر بها إلى سنة إحدى وعشرين ومائة وألف ١٧٠٩م، ثم عزل وتقلد إمارة الحج، ثم أعيد إلى الدفترداريَّة في سنة سبع وعشرين ومائة وألف ١٧١٥م، ولم يزل إلى أن مات بالطاعون سنة ثلاثين ومائة وألف، وعمره اثنان وتسعون سنة، وخلف ولده محمد بك أميرًا يأتي ذكره.

ومات إفرنج أحمد أوده باشه مستحفظان الذي تسببت عنه الفتنة الكبيرة، والحروب العظيمة التي استمرت المدة الطويلة والليالي العديدة، وحاصلها على سبيل الاختصار: هو أن إفرنج أحمد أوده باشه المذكور لما ظهر أمره بعد موت مصطفى كتخدا القازدغلي مع مشاركة مراد كتخدا وحسن كتخدا، فلما مات مراد كتخدا في سنة عشرة ومائة وألف زاد ظهور أمر المترجم، ونفذت كلمته على أقرانه، وكان جبارًا عنيدًا فتعصب عليه طائفة، وقبضوا عليه على حين غفلة وسجنوه بالقلعة، وكان ممن تعصب عليه: حسن كتخدا النجدلي، وناصف كتخدا ابن أخت القازدغلي، وكور عبد الله، ثم أخرجوه من مصر منفيًّا فغاب أيامًا، ورجع بنفسه ودخل إلى مصر، والتجأ إلى وجاق الجملية، وطلب غرضه من باب مستحفظان فلم يرضوا بذلك، وقالوا: «لا بد من خروجه إلى محل ما كان» ووقع بينهم التشاجر، واتفقوا بعد جهد على عدم نفيه، وأن يجعلوه صنجقًا، فقلدوه ذلك على كره منه.

واستمر مدة فلم يهنأ له عيش، وخمل ذكره، وأنفق ما جمعه قبل ذلك، فاتفق مع أيوب بك الفقاري وعصَّب الوجاقات، ونفوا حسن كتخدا النجدلي وناصف كتخدا وكور عبد الله باش أوده باشه، وقرا إسماعيل كتخدا ومصطفى كتخدا الشريف وأحمد جربجي تابع باكير أفندي وإبراهيم أوده باشه الأكنجي وحسين أوده باشه العنترلي، الجميع من باب مستحفظان، فأخرجوهم إلى قرى الأرياف.

ورمى المترجم الصنجقية، ورجع إلى بابه، وركب الحمار ثانيًا، وصار أوده باشه كما كان، وهذا لم يتفق نظيره أبدًا، وكان يقول عند ما استقر صنجقًا «الذي جمعه

الحمار أكله الحصان» ولما فعل ذلك زادت كلمته وعظمت شوكته، ثم إن المنفيين المتقدم ذكرهم حضروا إلى مصر باتفاق الوجاقات الستة، ولم يتمكنوا من الرجوع إلى بابهم، وذلك أن الوجاقات الستة وبعض الأمراء الصناجق أرادوا رجوع المذكورين إلى باب مستحفظان، وأن إفرنج أحمد يلبس حكم قانونهم أو يعمل جربجي، وأن كور عبد الله أوده باشه يرجع إلى بابه ويلبس باش أوده باشه كما كان، فعاند إفرنج أحمد، وعضَّده أيوب بك، وانضم إليهم من انضم من الاختيارية والصناجق والأغوات، ووقع التفاقم والعناد، وافترقت عساكر مصر وأمراؤها فرقتين، وجرى ما لم يقع مثله في الحروب والكروب، وخراب الدور، وطالت مدة ذلك قريبًا من ثلاثة أشهر، وانجلت عن ظهور العزب على الينكجرية، وقتل في أثنائها الأمير إيواظ بك.

ثم كان ما ذكر بعضه آنفًا في ترجمة المرحوم إيواظ بك وغيره، وهرب أيوب بك ومحمد بك الصعيدي ومن تبعهم، ونهبت دور الجميع وأحزابهم، وانتصر القاسمية، ثم أنزلوا الباشا بأمان، وهجمت العساكر على باب مستحفظان وملكوه، وقبضوا على المترجم، وقطعوا رأسه، ورءوس من معه، وفيهم: حسن كتخدا وإسماعيل أفندي وعمر أغات الجراكسة، وذهبوا برءوسهم إلى بيت قانصوه بك قائمقام، ثم طافوا بها على بيوت الأمراء، ثم وضعوها على أجسادهم بالرميلة، ثم أرسلوها عند الغروب إلى منازلهم، وذلك في أوائل جمادى الأولى سنة ثلاث وعشرين ومائة وألف ١٧١١م، وهو صاحب القصر والغَيْط المعروف به الذي كان بطريق بولاق، ونهبه في أيام الفتنة يوسف الجزار، وكان به شيء كثير من الغلال والأبقار والأغنام والأرز والخيل والجاموس والدجاج والإوز والحمام، حتى قلع أشجاره، وهدم حيطانه.

ولما بلغ محمد بك الكبير ما فعله يوسف الجزار في غيط إفرنج أحمد، عمد هو أيضًا إلى غيط حسن كتخدا النجدلي وفعل به مثل ما فعل يوسف بك بغيط إفرنج أحمد، ووقع غير ذلك أمور يطول شرحها، ورأيت مؤلفًا للشيخ علي الشاذلي في خصوص هذه الواقعة، وما حصل فيها مفصلًا، وعمل فيها الشعراء أشعارًا، وتواريخ منظومة، فمِن ذلك قول الشيخ حسن الحجازي، عُفي عنه:

بلية عظيمة مصرًا أتت	ما وجدت قط وقد لا توجد
دامت عليها مدة مديدة	في كل وقت هولها يجدد
أيوب والإفرنج والباشا كذا	محمد الصعيدى بيك إلا فسد

قد فعلوا مناكرًا شنيعة | بأهلها تفتُّ منها الأكبدُ
ضرب مدافع ودور حرقت | وسادة قد قتلت وأعبد
وفي الرعايا القتل والنهب فش | والجوع والظما وما لا يعهد
وجملة القول عن الذى جرى | لا تسألن فشرحه لا ينفذ
والعلما أهل الضلال والردى | لهم أباحوا كل ما لا يحمد
وبعد ذا أيوب والصعيدى مع | من صحبا فروا بليل لا هُدُوا
ودار أيوب جميعًا نهبوا | نهبا ذريعًا ما عليه أزيد
ودور من ناصره حتى غدا | للبوم فيها مقعد ومرقد
فأصبحوا لست ترى إلا السكن | كذاك يجزي المجرمون المرَّد
وبعده الإفرنج جهرًا قطعوا | وكل من شايعه قد أخْمدُوا
والباشة المعكوس قهرًا أنزلوا | من قلعة ولعنة قد زودا
وقطعوا فيها ابن عاشور الردى | خلفة الدسوقى وهو يفتد
وكُفِّرت بقتله ذنوبهم | وجنة الخلد بذاك أوردوا
إذ كان زنديقًا إباحيًّا له | في المنكرات القدمُ المشيد
وانتصرت إذ ذاك أجناد العزب | على انكجريتها وسُوِّدوا
واتل إذا ما شئتَ آيَةَ الهُدى | ينصر من يشاء منها ترشد
وابتهجت مصر وسر أهلها | وانشرحوا وانبسطوا وعيدوا
تبارك الله مبيد من طغى | ومن بغى ومن نكيرًا يقصد
نعوذ بالله من أهل ذا الزمن | فإنهم في الظلم شخص أوحد
أعدلهم من على صواب عادل | ومن على العدل لديهم أحْيَد
تلك البلايا والرزايا أرخت | خليل باشا في هباب يلهد
ويسأل الله الحجازي حسن | وقاية من فتن توقد

وكانت كل فرقة أخذت فتوى على جواز قتال الأخرى، ولما انتصرت فرقة العزب رسموا بنفي جماعة من الفقهاء إلى بلاد الأرياف، ثم رجعوا بعد أيام، وقال أيضًا في ذلك:

إن رمت ألا تنال قهرًا | فلا ترُم للأنام شرًّا
ألا ترى من بغوا وجاروا | كيف لهم جورهم تجرًّا

أيوب وافرنج والصعيدي ... محمد ثم باش مصرَا
أعنى خليلًا مَن اختلالا ... حوى وللسوء قد تحرَّى
وكان أيوب في البرايا ... رأس البلايا أشد مكرَا
أرسل إذ ضاق للصعيدي ... كيما به أن ينال نصرَا
فجاءه مسرعًا بجيش ... لم يُحص في العالمين قدرَا
فجاهدوا جهدهم إلى أن ... قد قتلوا الصنجق الإبرَّا
إيواظ وقت الضحى شهيدًا ... ونال عند الإله قدرَا
وقاتلوه باءوا بشرٍّ ... في هذه الدار ثم الأخرى
قد نصبوا فوقنا المدافع ... ترمي بأعلى البروج جمرَا
فأحرقونا وأحصرونا ... وأعطشونا بالمنع قسرَا
عن نيلنا ثم قد شربنا ... ملحًا فزاد الكبود حرًّا
وبعد هذا النكال ذاقوا ... ذوقًا يفوق النكير نكرَا
فإفرنج قد قطوا ومن قد ... تابعه وارتموا بغبرَا
وفر أيوب والصعيدي ... ليلًا وأتباع ذَين خسرَا
سكرى حيارى باءوا بكسر ... وكسرهم ما أصاب جبرَا
والباشة النحس أنزلوه ... وأرهقوه بالسجن عسرَا
وابتهجت مصر واستراحت ... لفقدهم والسرور قرَّا
ثلاثة أشهرًا تباعًا ... جهادهم في الورى استمرَّا
وعامهم ذا الخبيث أرخ ... خاب الصعيدى حزبًا وفرَّا
والحسن الأزهري الحجازي ... يرجوا لما قد جناه غفرَا
من عالم الجهر والخفايا ... فهو غني ونحن فقرَا

ومات محمد بك المعروف بالدالي، وقد كان سافر بالخزينة سنة اثنتين وعشرين ومائة وألف، ومات ببلاد الروم، ووصل خبر موته إلى مصر، فقلدوا ابنه إسماعيل بك في الإمارة عوضًا عنه بعد انقضاء الفتنة سنة أربع وعشرين ومائة وألف ١٧١٢م، وكان جركسي الجنس، وعمل أغات متفرقة، ثم أغات جمليان سنة ثلاث عشرة ومائة وألف ١٧٠١م، ثم تقلد الصنجقية، وسافر بالخزينة، ومات بالديار الرومية كما ذكر.

ومات الأمير حسن كتخدا عزبان الجلفي، وكان أنسانًا خيرًا له بر ومعروف وصدقات وإحسان للفقراء، ومن مآثره: أنه وسَّع المشهد الحسيني، واشترى عدة أماكن

بماله وأضافها إليه ووسعه، وصنع له تابوتًا من آبنوس مطعمًا بالصدف مضببًا بالفضة، وجعل عليه سترًا من الحرير المزركش بالمخيش، ولما تمموا صناعته وضعه على قفص من جريد وحمله أربع رجال، وعلى جوانبه أربعة عساكر من الفضة مطليات بالذهب، ومشت أمامه طائفة الرفاعية بطبولهم وأعلامهم، وبين أيديهم المباخر الفضة، وبخور العود والعنبر، وقماقم ماء الورد يرشون منها على الناس، وساروا بهذه الهيئة حتى وصلوا المشهد، ووضعوا ذلك الستر على المقام.

توفي يوم الأربعاء تاسع شوال سنة أربع وعشرين ومائة وألف، وخرجوا بجنازته من بيته بمشهد عظيم حافل، وصلي عليه بسبيل المؤمنين بالرميلة، واجتمع بمشهده زيادة عن عشرة آلاف إنسان، وكان حسن الاعتقاد محسنًا للفقراء والمساكين رحمه الله.

ومات الأمير إبراهيم جربجي الصابونجي عزبان، وكان أسدًا ضرغامًا، وبطلًا مقدامًا، كان ظهوره في سنة اثنتين وعشرين ومائة وألف، وشارك في الكلمة أحمد كتخدا عزبان أمين البحرين وحسن جربجي عزبان الجلفي وعمل أكنجي أوده باشه، فلما لبس حسن جربجي الجلفي كتخدائية عزبان لبس المترجم باش أوده باشه، وذلك في سنة ثلاث وعشرين ومائة وألف، فزادت حُرْمته ونفذت بمصر كلمته، ولما قُتل قيطاس بك الفقاري في سنة سبع وعشرين ومائة وألف، خمدت بموته كلمة أحمد كتخدا أمين البحرين، فانفرد بالكلمة في بابه إبراهيم جربجي الصابونجي المذكور، وصار ركنًا من أركان مصر العظيمة، ومن أرباب الحل والعقد والمشورة، وخصوصًا في دولة إسماعيل بك ابن إيواظ، وأدرك من العز والجاه ونفاذ الكلمة وبُعد الصيت والهيبة عند الأكابر والأصاغر الغاية، وكان يخشاه أمراء مصر وصناجقها ووجاقاتها، ولم يتقلد الكتخدائية مع جلالة قدره.

وسبب تسميته بالصابونجي: أنه كان متزوجًا بابنه الحاج عبد الله الشامي الصابونجي؛ لكونه كان ملتزمًا بوكالة الصابون، وكان له عزوة عظيمة ومماليك وأتباع، ومنهم عثمان كتخدا الذي اشتهر ذكره بعده، ولم يزل في سيادته إلى أن مات على فراشه خامس شهر شوال سنة إحدى وثلاثين ومائة وألف، وخلف ولدًا يسمى محمدًا قلَّدوه بعده جربجيًا سيأتي ذكره، وسعى له عثمان كاشف مملوك والده، وخلَّص له البلاد من غير حلوان، وكان عثمان إذ ذاك جربجيًّا بباب عزبان.

ومات الأمير الجليل يوسف بك المعروف بالجزار تابع الأمير الكبير إيواظ بك، تقلد الإمارة والصنجقية — في سنة ثلاث وعشرين وماية وألف أيام الواقعة الكبيرة بعد موت أستاذه — من قانصوه بك قائمقام إذ ذاك، وكانت له اليد البيضاء في الهمة والاجتهاد والسعي لأخذ ثأر سيده، والقيام الكلي في خذلان المعاندين، وجمع الناس ورتب الأمور، وركب في اليوم الثاني من قتل سيده، وصحبته إسماعيل بن أستاذه وأتباعهم، وطلع إلى باب العزب، وفرق فيهم عشرة آلاف دينار، وأرسل إلى البلكات الخمسة مثل ذلك، وجرَّ المدافع، وخرج بمن انضم إليه إلى ميدان الحرب بقصر العينى، وحارب محمد بك الصعيدي وطايفته، ومن بصحبته من الهوَّارة حتى هزمهم وأجلاهم عن الميدان إلى السواقي، واستمر يخرج إلى الميدان في كل يوم، ويكر ويفر، ويدبر الأمور، وينفق الأموال، وينقب النقوب، ويدبر الحروب، حتى تم لهم الأمر بعد وقائع وأمور ذكرنا بعضها في ولاية خليل باشا، وفي بعض التراجم، وفي ذلك يقول الشيخ حسن الحجازي، رحمه الله:

أيها الإنسان دع عنك الدَّعش	لا تكن ممن عباد الله غش
كم أناسٍ مكرهم قد غرهم	فيهم قد حاق واستغشوا الوغش
ثم راموا بعده أن يخلصوا	من تباريح البلايا والباش
فأبى ذاك عليهم قاهر	لا يقاوي بطشه مهما بطش
أصبحوا لست ترى إلا السكن	موحشًا قفرًا به البوم عرش
منهم خذ عبرة لا سيما	بيك أيوب الذى المكر افترش
مع خليل باش مصر وكذا	الصعيدي بيك وإفرنج الأخش
فعلوا في مصر أنواع الردى	بعباد الله مما قد دهش
من أعالي السور نارًا أرسلوا	في البرايا كي يحشوا أي حش
واستمروا مدة طالت وقد	عمنا خوف وجوع وعطش
فرمى كيدهمو في نحرهم	قاهر نعمته عنه قطش
بيد الجزار يدعى يوسفا	بيك فاستمكن منهم ونهش
بعد ما أن قتلوا سيده	بيك إيواظ الفتى الشهم الأجش
قطع الإفرنج مع أصحابه	ورماهم بالثرى رمي الكرش
بعد ما أيوب مع أتباعه	من جنود البغي فروا بعبش
وخليلُ الباشة النحس الردي	أسكنوه السجن قهرًا وانكمش

واستراح الناس منهم والزمن بعد ما كان عبوس الوجه هش
والحجازي حسن قد أرخه يوسف الجزار كأس قد قرش

وتقلد المترجم إمارة الحج، وطلع به في تلك السنة، وتقلد قائمقامية في سنة ست وعشرين ومائة وألف ١٧١٤م عن عابدي باشا، ولما حقدوا على إسماعيل بك ابن سيده، ودبروا على إزالته في أيام رجب باشا، وظهر جركس من اختفائه بعد أن أخرجوا المترجم ومن معه بحجة وقوف العرب، وقتلوا من كان منهم بمصر، وأخرجوا لهم تجريدة.

قام المترجم في تدبير الأمر، واختفى إسماعيل بك، ودخل منهم من دخل إلى مصر سرًّا، ووزع المماليك والأمتعة على أرباب المناصب والسدادرة، وأشاع ذهابهم إلى الشام مع الشريف يحيى، وتصدر هو للأمر وكتم أموره، ولم يزل يدبر على إظهار ابن سيده، واستمال أرباب الحل والعقد، وأنفق الأموال سرًّا، وضم إليه من الأخصام أعاظمهم وعقلاءهم مثل أحمد بك الأعسر وقاسم بك الكبير، واتفق معهم على إظهار إسماعيل بك وأخيه إسماعيل بك جرجا، وعمل وليمة في بيته جمع فيها محمد بك جركس، وباقي أرباب الحل والعقد، وأبرز لهم إسماعيل بك ومن معه بعد المذاكرة والحديث والتوطئة، وظهر أمره كما كان.

وتولى الدفتردارية في سنة سبع وعشرين ومائة وألف ١٧١٥م بعد انفصاله من إمارة الحج، ثم عُزل عنها، واستمر أميرًا مسموع الكلمة وافر الحرمة إلى أن مات في سنة أربع وثلاثين ومائة وألف ١٧٢١م، ووقع له مع العرب عدة وقائع، وقتل منهم ألوفًا فلذلك يسمى بالجزار، ولما مات قلدوا مملوكه إبراهيم أغا الصنجقية عوضًا عنه.

ومات الأمير الجليل قانصوه بك القاسمي تابع قيطاس بك الكبير الدفتردار الذي كان بقناطر السباع، رَبَّاه سيده، وأرخى لحيته وجعله كتخداه، وسافر معه إلى سفر الجهاد في سنة ست وتسعين وألف ١٦٨٤م، ومات سيده بالسفر فقلدوه الإمارة والصنجقية بالديار الرومية عوضًا عن سيده، وحضر إلى مصر وتقلد كشوفية بني سويف خمس مرات، وكشوفية البحيرة ثلاث مرات، ولما حصلت الفتنة في أيام خليل باشا كعب الشوم الكوسة — سنة ثلاث وعشرين ومائة وألف ١٧١١م كما تقدم غير مرة — كان هو أحد الأعيان الرؤساء المشار إليهم من فرقة القاسمية، فاجتمعوا وقلدوا المترجم قايمقام، وعملوا ديوانهم وجمعيتهم في بيته حتى انقضت الفتنة ونزل الباشا، واستمر وهو يتعاطى الأحكام أحدًا وتسعين يومًا حتى حضر والي باشا إلى مصر فعُزلَ وكُفَّ بصره، ومكث بمنزله حتى توفي على فراشه سنة سبع وعشرين ومائة وألف، وقلدوا إمرته

وصنجقيته لتابعه الأمير ذي الفقار أغا، وتزوج بابنته وفتح بيت سيده، وأحيا مآثره من بعده.

ومات الأمير إسماعيل بك المنفصل من كتخدائية الجاويشية، وأصله جلبي ابن كتخدا أبري بك، وهو من إشراقات إسماعيل بك ابن إيواظ، وقلده الصنجقية سنة ثمانٍ وعشرين ومائة وألف ١٧١٢م، وتولى الدفتردارية سنة إحدى وثلاثين ومائة وألف ١٧١٨م، واستمر فيها سنتين وخمسة أشهر، وقتله رجب باشا هو وإسماعيل أغا كتخدا الجاويشية في وقت واحد عندما دبَّروا على قتل إسماعيل بك ابن إيواظ وهو راجع من الحج، فاحتجوا بالعرب، وأرسلوا يوسف بك الجزار ومحمد بك ابن إيواظ وإسماعيل بك ولجة لمحاربة العرب، فلما بعدوا عن مصر طلع المترجم وصحبته إسماعيل أغا كتخدا الجاويشية، وكان أصله كتخدا إيواظ بك الكبير فقتلوهما في سلالم ديوان الغوري غدرًا بإغراء محمد بك جركس، وفي ذلك الوقت ظهر جركس وركب حصان إسماعيل بك المذكور ونزل إلى بيته، وكان قتلهما في أوائل سنة ثلاث وثلاثين ومائة وألف، وقُتلا ظلمًا وعدوانًا رحمهما الله.

ومات الأمير حسين بك المعروف بأبي يدك، وأصله جرجي الجنس، تقلد الإمارة والصنجقية سنة ثلاث وثلاثين ومائة وألف ١٦٩١م، وكان مصاهرًا لسليمان بك بارم ديله وكان متزوجًا بابنته، وكان معدودًا من الفرسان والشجعان إلا أنه كان قليل المال، ولما قتل قيطاس بك الفقاري وهرب محمد بك تابعه المعروف بقطامش إلى الديار الرومية، اختفى المترجم بمصر وذلك في سنة سبع وعشرين ومائة وألف بعد ما أقام في الإمارة أربعًا وعشرين سنة، ثم ظهر مع من ظهر في الفتنة التي حصلت بين محمد بك جركس وبين إسماعيل بك ابن إيواظ، وكان المترجم من أغراض جركس، فلما هرب جركس هرب هو أيضًا فلحقه عبد الله بك صهر ابن إيواظ، وقتله بالريف، وقطع رأسه، فكان ظهوره سببًا لقتله، وذلك في سنة إحدى وثلاثين ومائة وألف.

ومات الأمير حسين بك أرنؤد المعروف بأبي يدك، وكان أصله أغات جراكسة، ثم تقلد الصنجقية وكشوفيات الأقاليم مرارًا عديدة، وسافر إلى الروم أميرًا على السفر في سنة أربع وعشرين ومائة وألف، فلما رجعت في سنة تسع وعشرين ومائة وألف اسْتَعَفْى من الصنجقية، وسافر إلى الحجاز، وجاور بالمدينة المنورة، فكانت مدة إمارته ثلاثًا وعشرين سنة، واستمر مجاورًا بالمدينة أربع سنوات، ومات هناك سنة أربع وثلاثين ومائة وألف ودُفن بالبقيع.

ومات الأمير يوسف بك المسلماني، وكان أصله إسرائيليًّا وأسلم وحسن إسلامه، ولبس أغات جراكسة، ثم تقلد كتخدا الجاويشية، وانفصل عنها، وتقلد الصنجقية سنة سبع ومائة وألف ١٦٩٥م وتلبس كشوفية المنوفية، ثم إمارة جدَّة ومشيخة الحرم، وجاور بالحجاز عامين، ثم رجع وسافر بالعسكر إلى الروم ورجع سالمًا، وأخذ جمرك دمياط وذهب إليها، وأقام بها إلى أن مات سنة عشرين وماية وألف، وأقام في الصنجقية اثنتي عشرة سنة وتسعة أشهر، وترك ولدًا يُسمى محمد كتخدا عزبان.

ومات الأمير حمزة بك تابع يوسف بك جلب القرد، تقلد الإمارة عوضًا عن سيده سنة عشرة وماية وألف، ثم سافر بالخزينة، ومات بالطريق سنة ست عشرة وماية وألف.

ومات الأمير محمد بك الكبير الفقاري، تقلد الإمارة بعد سيده سنة سبع وعشرة ومائة وألف ١٧٠٥م، وتولى إمارة جرجا وحكم الصعيد مرتين، وكان من أخصاء أيوب بك المتقدم ذكره في الواقعة الكبيرة، وأرسل إليه أيوب بك يستنصر به فأجاب دعوته، وحضر إلى مصر ومعه الجم الغفير من العُربان والهوارة والمغاربة وأجناس البوادي، وحارب وقاتل داخل المدينة وخارجها كما تقدم ذكر ذلك غير مرة، وكان بطلًا همامًا ضرغامًا، ولم يزل حتى هرب مع إيواظ بك إلى بلاد الروم فقلدوه الباشوية، وعين في سفر الجهاد، ومات سنة ثلاث وثلاثين وماية وألف.

ومات الأمير مصطفى بك المعروف بالشريف، وهو بن إيواظ بك الجرجي مملوك حسين أغا، وكان والده إيواظ بك المذكور تولى أغاوية العزب سنة سبعين وألف ١٦٥٩م وتزوج ببنت النقيب برهان الدين أفندي فولد له منها المترجم، فلذلك عُرف بالشريف، وتقلد والده كتخدا الجاويشية سنة تسع وسبعين وألف ١٦٦٨م ثم عُزل عنها، وتقلد الصنجقية سنة إحدى وثمانين وألف ١٦٧٠م، وتولى كشوفية الغربية، وتقلد قائمقام مصر وعزل، ولم يزل أميرًا حتى مات على فراشه، وترك ولده هذا المترجم، وكان سنه حين مات والده اثنتي عشرة سنة، فربَّاه ريحان أغا تابع والده، ثم مات ريحان أغا فعند ذلك أسرف مصطفى جلبي وأتلف أموال أبيه وكانت كثيرة جدًّا، وكان المترجم في وجاق المتفرقة، وصار فيهم اختيارًا إلى أن لبس سردارية المتفرقة في سفر الخزينة سنة تسع ومائة وألف ١٦٩٧م، فمات صنجق الخزينة درويش بك الفلاح في السفر بالروم فلبس صنجقية المذكور حكم القانون، ورجع إلى مصر أميرًا، واستمر في إمارته حتى مات سنة ثلاث وثلاثين ومائة وألف، وكان قليل المال.

ومات الأمير أحمد بك الدالي تابع إيواظ بك الكبير القاسمي، تقلد الصنجقية يوم الخميس سابع جمادى الأولى سنة سبع وعشرين ومائة وألف، ولبس في يومها قفطان

الإمارة على العسكر المسافر إلى بلاد مورة بالروم عوضًا عن خشداشة يوسف بك الجزار، وسافر بعد ستين يومًا، ومات هناك، وتقلد عوضه مملوكه علي بك، ورجع إلى مصر صنجقًا وهو علي بك المعروف بالهندي.

ومات كل من الأمير حسين كتخدا الينكجرية المعروف بحسين الشريف وإبراهيم باش أوده باشه المعروف بكدك، وذلك أنه لما قتل قيطاس بك الفقاري بقراميدان، على يد عابدي باشا في شهر رجب سنة سبع وعشرين ومائة وألف، وثارت بعد ذلك الفتنة بين باب الينكجرية والعزب، وذلك أن حسن كتخدا النجدلي وناصف كتخدا وكور عبد الله كانوا من عصبة قيطاس بك فلما قتل خافوا على أنفسهم فملكوا باب مستحفظان على حين غفلة، وقتلوا المذكورَيْن، وكانوا يتهمونهما بأنهما تسببا في قتل قيطاس بك.

ومات أيضًا كل من الأمير حسن كتخدا النجدلي وناصف كتخدا القازدغلي وكور عبد الله، وذلك أنه لما ملك المذكورون الباب، وقتلوا حسين كتخدا الشريف وإبراهيم الباش — كما تقدم — وذلك في أواخر رجب وسكن الحال، انتدب محمد كتخدا كدك؛ لأخذ ثأر أخيه، وملك الباب على حين غفلة، وذلك ليلة الثلاثاء ثالث عشري رمضان، وتعصب معه طائفة من أهل بابه وطائفة من باب العزب، وقُتل في تلك الليلة حسن كتخدا النجدلي وناصف كتخدا، وأنزلوهما إلى بيوتهما في صبح تلك الليلة في توابيت؛ وهرب كور عبد الله؛ فقبض عليه محمد بك جركس بعد ستة أيام، وحضر به وهو راكب على الحصان، وفي عنقه الحديد ومغطى الرأس، وطلع به إلى عابدي باشا، فلما مثل بين يديه سبَّه ووبَّخه، وأمر بأخذه إلى بابه، فأمر محمد كتخدا كدك بحبسه بالقلعة وقُتل في ذلك اليوم، وأنزلوه إلى بيته بسوق السلاح.

ومات أيضًا محمد كتخدا كدك المذكور فإنه اشتهر صيته بعد هذه الحوادث، ونفذت كلمته ببابه، ولم يزل حتى مات على فراشه في شهر القعدة سنة اثنتين وثلاثين ومائة وألف.

ومات الأمير أحمد بك المسلماني، ويعرف أيضًا بأشكى نازي، وكان أصله كاتب جراكسة، وكان يُسمى بأحمد أفندي، ثم عمل باش اختيار جراكسة، وحصل له عز عظيم وثروة وكثرة مال، وكان أغنى الناس في زمانه، وكان بينه وبين إسماعيل بك ابن إيواظ وحشة، وكان ابن إيواظ يكرهه ويريد قتله، فالتجأ إلى محمد بك جركس، فلما هرب جركس في المرة الأولى اختفى أحمد أفندي المترجم، وبيعت بلاده ومتاعه، فلما ظهر جركس ثانيًا ظهر أحمد أفندي، وعمل صنجقًا سنة ثلاثين ومائة وألف؛ وصار صنجقًا فقيرًا.

ثم ورد مرسوم بأن يتوجه المترجم إلى مكة لإجراء الصلح بين الأشراف، فتوجه ومكث هناك سنة، ثم رجع إلى مصر ومكث بها مدة إلى سنة ستٍّ وثلاثين ١٧٢٣م فأرسلوه إلى ولاية جرجا ليشهل غلال الميري، وكان ذلك حيلة عليه، فلما توجه إلى جرجا أرسل محمد باشا فرمانًا إلى سليمان كاشف خُفية بقتله، فذهب سليمان كاشف ليسلم عليه فغمز عليه بعض أتباعه فضربوه وقتلوه عند العُرْمة، وقطعوا رأسه في حادي عشري شهر القعدة سنة ست وثلاثين وماية وألف.

ومات الأمير علي كتخدا المعروف بالداودية مستحفظان، وكان من أعيان باب الينكجرية، وأصحاب الكلمة مع مشاركة مصطفى كتخدا الشريف، وكان من الأعيان المعدودين بمصر، ولم يزل نافذ الكلمة وافر الحرمة إلى أن مات على فراشه في جمادى الآخرة سنة ثلاث وثلاثين وماية وألف.

ومات الأمير إبراهيم أفندي كبير الشهير بشهر أو غلان مستحفظان، وكان أيضًا من الأعيان المشهورين ببابهم مع مشاركة عثمان كتخدا الجربجي تابع شاهين جربجي، وانفرد معه بالكلمة بعد مصطفى كتخدا الشريف ورجب كتخدا بشناق لما أخرجهما إسماعيل بك ابن إيواظ إلى الكشيدة — كما تقدم الإشارة إلى ذلك — فلما قُتل إسماعيل بك رجع مصطفى كتخدا الشريف ورجب كتخدا ثانيًا إلى الباب، وانحطت كلمة المترجم وعثمان كتخدا، ثم عزل إبراهيم أفندي المذكور إلى دمياط وأهين، ومكث هناك أشهرًا، ثم أحضروه وجعلوه سردار جداوي، وتوجه مع الحج، ومات هناك في سنة سبع وثلاثين وماية وألف.

ومات الأمير النبيه الفطن الذكي حسن أفندي الروزنامجي الدمرداشي، وكان باش قلفة الروزنامة، فلما حضر إسماعيل باشا واليًا على مصر في سنة ستٍّ وماية وألف، وكانت سنة تداخل، فتكلم الباشا مع إبراهيم بك أبي شنب في كسر الخزينة، وعرض عليه المرسوم السلطاني بتعويض كسر الخزينة من أشغال العشرين ألف عثماني التي كانت عليهم شراقى السلطان محمد بأي وجه كان، إما بالشطب عليها وإما رجوع التنازيل من أيام السلطان سليم، وإما مضاف على المقاطعات، وقال له: «كيف يكون العمل فى ذلك؟» فقال له إبراهيم بك: «لا يحسنه إلّا حسن أفندي باش قلفة الروزنامة، فإن الروزنامجى الآن كاتب توزيع فلا يدري في ذلك» فطلب الباشا المترجم، وخلع عليه منصب الروزنامة قهرًا عنه، وأمره بالتوجه إلى إبراهيم بك، كان إذ ذاك قائمقامه ليعرفه المطلوب، فذهب إليه وعرفه بالمراد، فدبَّر ذلك على أتم وجه وأحسنه، بعد أن عملوا جمعية في بيت حسن أغا بلغيه.

وكان له ميل للعلوم والمعارف، وخصوصًا الرياضيات والفلكيات، ويوسف الكلارجي الفلكي الماهر هو تابع المذكور ومملوكه، وقرأ على رضوان أفندي صاحب الأزياج والمعارف، وكان كثير العناية برضوان أفندي المذكور، ورسم باسمه عدة آلات وكرات من نحاس مطلية بالذهب، وأحضر المتقنين من أرباب الصنايع صنعوا له ما أراد بمباشرة وإرشاد رضوان أفندي، وصرف على ذلك أموالًا عظيمة، وباقي أثر ذلك إلى اليوم بمصر وغيرها، ونقش عليها اسمه واسم رضوان أفندي، وذلك سنة ثلاث عشرة وماية وألف، وقبل ذلك وبعدها، ولم يزل في سيادته حتى توفي.

ومات الأمير مصطفى بك القزلار المعروف بالخطاط تابع يوسف أغا القزلار دار السعادة، تولى الإمارة والصنجقية في سنة أربع وتسعين وألف ١٦٨٣م، وتقلد قايمقامية بعد عزل إسماعيل باشا، وذلك سنة تسع ومائة وألف ١٦٩٧م قهرًا عنه، وتقلد مناصب عديدة مثل كشوفية جرجا وغيرها، ثم تقلد الدفتردارية سنة ثلاث وثلاثين ١٧٢٠م، فكان بين لبسه الدفتردارية والقائمقامية أربع وعشرون سنة، وبعد عزله من الدفتردارية مكث في منزله صنجقًا بطَّالًا إلى أن توفي سنة اثنتين وأربعين ومائة وألف.

ومات الأمير المعظم والملاذ المفخم إسماعيل بك ابن الأمير الكبير إيواظ بك القاسمي، من بيت العز والسيادة والإمارة، نشأ في حجر والده في صيانة ورفاهية، وكان جميل الذات والصفات، وتقلد الإمارة والصنجقية بعد موت والده الشهيد في الفتنة الكبيرة — كما تقدم — وكان لها أهلًا ومحلًا، وكان عمره إذ ذاك ست عشرة سنة، وقد دبَّ عذاره وسمته النساء: قشطة بك.

فإنه لما أصيب والده في المعركة بالرميلة تجاه الروضة، وقُتل في ذلك اليوم من الغز والأجناد خاصة نحو السبعماية ودُفن والده، فلما أصبحوا ركب يوسف بك الجزار تابع إيواظ بك وأحمد كاشف، وأخذوا معهم المترجم وذهبوا إلى بيت قانصوه بك قائمقام فوجدوا عنده إبراهيم بك أبا شنب وأحمد بك تابعه وقيطاس بك الفقاري وعثمان بك بارم ديله ومحمد بك قطامش، وهم جلوس عليهم الكآبة والحزن، وصاروا مثل الغنم بلا راعٍ متحيرين في أمرهم وما يئول إليه حالهم، فلما استقر بهم الجلوس نظر يوسف الجزار إلى قيطاس بك فرآه يبكي، فقال له: «لأي شيء تبكي؟ هذه القضية ليس لنا فيها ذنب ولا علاقة، وأصل الدعوى فيكم معشر الفقارية، والآن انجرحنا وقُتل منا واحد، وخلَّف مالًا ورجالًا، قلدوني الصنجقية وأمير الحاج وسَر عسكر، وكذلك قلدوا ابن سيدي هذا صنجقية والده، فيكون عوضًا عنه ويفتح بيته، وأعطونا فرمانًا وحجة من الذي

جعلتموه نائب شرع بالمعافاة من الحلوان، ونحن نصرف الحلوان على المقاتلين، والله يعطي النصر لمن يشاء».

ففعلوا ذلك، ورجع يوسف بك وصحبته إسماعيل بك ومن معهم إلى بيت المرحوم إيواظ بك، وقضوا أشغالهم، ورتبوا أمورهم، وركبوا في صبحها إلى باب العزب، وأخذوا معهم الأموال فأنفقوا في الست بلكات، وغيرهم من المقاتلين، ونظموا أحوالهم في الثلاثة أيام الهدنة التي كانوا اتفقوا على رفع الحرب فيها بعد موت إيواظ بك، وكان الفاعل لذلك أيوب بك، وقصده حتى يرتب أموره في الثلاثة أيام، ثم يركب على بيت قانصوه بك، ويهجم على من فيه، ولو فعل ذلك في اليوم الذي قُتل فيه إيواظ بك لتم لهم الأمر، ولكن ليقضي الله أمرًا كان مفعولًا، ولم يرد الله لهم بذلك.

وأخذوا في الجد والاجتهاد، وبرزوا للحرب في داخل المدينة وخارجها، وعملوا المكايد ونصبوا شباك المصايد، وأنفقوا الأموال، ونقبوا النقوب حتى نصرهم الله على الفرقة الأخرى، وهم: أيوب بك ومحمد بك الصعيدي وإفرنج أحمد وباب الينكجرية ومن تبعهم، وقُتل من قُتل وفَرَّ من فرَّ، ونهبت دورهم، وشرِّدوا في البلاد، وتشتتوا في البلاد البعيدة كما ذكر مرة واستقر الحال.

وسافر أميرًا بالحج في تلك السنة يوسف بك الجزار، واستقر المترجم بمصر وافر الحرمة محتشم المكانة مشاركًا لإبراهيم بك أبي شنب وقيطاس بك في الأمر والرأي، وفي نفس قيطاس بك ما فيها من حقد العصبية، فصار يناكدهما سرًّا، وسلط حبيب وابنه سالم على خيول إسماعيل بك فطم أذنابها ومعارفها كما ذكر، ثم نصب لهما ولمن والاهما شباكًا ومكايد، ولمُ يظفره الله بهما.

ولم يزل على ذلك، وهما يتغافلان ويغضيان عن مساويه الخفية إلى أن حضر عابدي باشا وأرسل: «قلِّد يوسف بك الجزار قايمقام» وخلع يوسف بك علي ابن سيده إسماعيل بك، وجعله أمين السماط، ولما وصل الباشا إلى العادلية وقدَّمت له الأمراء التقادم، وقدَّم له إسماعيل بك المترجم تقدمة عظيمة، وتقيد بخدمة السماط أحبَّه عابدي باشا ومال بكليته إليه، ثم إنه اختلى معه ومع يوسف بك، وسألهما عن سبب موت والده، فأخبراه أن مصر من قديم الزمان فرقتان قاسمية وفقارية، وعرَّفاه حقيقة الحال، وأن قيطاس بك وأيوب بك بيت واحد، ووقعت بينهما خصومة، وأيوب بك أكثر عزوة وجندًا، فوقع قيطاس بك على إيواظ بك والتجأ إليه فقام بنصرته وفاداه، وأنفق بسببه أموالًا، وتجندلت من رجاله أبطال إلى أن مات وقُتل، وبلغ قيطاس بك بنا ما بلغ، فلم

يراعِ معنا جميلًا، وفي كل وقت ينصب لنا الحبايل ويحفر فينا الغوايل، ونحن بالله نستعين، فقال الباشا: «يكون خيرًا» وأضمر لقيطاس بك السوء، ولم يزل حتى قتله — كما ذكر — بقراميدان، وورد أمر بتقليد المترجم على الحج أميرًا، وتقليد إبراهيم بك الدفتردارية، وألبسهما عابدي باشا الخلع، وتسلم أدوات الحج والجمال، وأرسل غلال الحرمين، وبعث القومانية والغلال إلى البنادر، وأرسل أناسًا وعينهم لحفر الآبار المردومة وتنقية الأحجار من طريق الحجاج، وقلد المناصب، وأمر عدة صناجق وهم: محمد أخوه المعروف بالمجنون، وعبد الله كاشف صهره، وصاري علي، وعلي الأرمني، وإسماعيل كاشف، وعلي الهندي، وكتخدا أبيه إسماعيل أغا تقلد كتخدا جاويشيه، وعبد الرحمن ولجه أغات جُملين، وكذلك إبراهيم بك أبى شنب قلد من طرفه خمسة صناجق، وهم: قاسم الكبير، وقاسم الصغير، وإبراهيم فارسكور، ومحمد جبلي ابن إبراهيم بك، ومحمد جركس الصغير.

وأخذ إسماعيل بك لأمرائه كشوفيات الأقاليم، وطلع بالحج سنين، آخرها سنة ثمانٍ وعشرين ١٧١٥م في أمنٍ وأمان وسخاء ورخاء، ونظم الوجاقات السبعة، وصير أعيانها أغراضه مثل كدك محمد كتخدا مستحفظان، وإبراهيم كتخدا الصابونجي عزبان، وعبد الرحمن أغا ملتزم الولجا أغات جميلة.

وأظهر شأن حسن جاويش القازدغلي في بابه، وهو والد عبد الرحمن كتخدا، وقلد مملوكه عثمان أوده باشه وهو الذى تقلد بعد ذلك كتخدا مستحفظان، وقلد أيضًا حسن كتخدا سليمان جاويش تابع مصطفى كتخدا القازدغلي أوده باشه، وسليمان هذا هو سيد إبراهيم كتخدا الآتى ذكره.

ثم توفي إبراهيم بك أبو شنب سنة ثلاثين ١٧١٧م كما تقدم، فسكن محمد بك ولده في منزله، وحضر محمد بك جركس تابعه من السفر فوجد سيده توفي فتاقت نفسه للرياسة وضم إليه جماعة من الفقارية مثل حسين بك أبي يدك وذي الفقار معتوق عمر أغا بلغيه وأصلان وقيلان وأمثالهم، وأخذوا يحفرون للمترجم وينصبون له الغوايل، واتفقوا على غدره وخيانته، ووقف له طائفة منهم بطريق الرميلة وهو طالع إلى الديوان، وصحبته يوسف بك الجزار وإسماعيل بك جرجا وصاري علي بك فرموْا عليهم الرصاص فلم يصب منهم سوى رجل قَوَّاس، ورمح إسماعيل بك وأمراؤه إلى باب القلعة، ونزل بباب العزب، وكتب عرضحال وأرسله إلى علي باشا صحبة يوسف بك الجزار مضمونه الشكوى من محمد بك جركس، وإنه جامع عنده المفاسيد، ويريدون إثارة الفتن في البلد.

فكتب الباشا فرمانات إلى الوجاقات بإحضار محمد بك جركس، وإن أبى فحاربوه، وركب جركس بالمنضمين إليه وهم قاسمية وفقارية، وذلك بعد إبائه وعصيانه فصادف المتوجهين إليه فحاربهم بالرميلة، وآل الأمر إلى انهزامه، وتفرق مَنْ حوله، ولم يتمكن من الوصول إلى داره، وخرج هاربًا من مصر، وقبض عليه العربان، وأحضروه إلى إسماعيل بك أسيرًا عريانًا في أسوأ حال، فكساه وأكرمه ألبسه فروة سمّور، وأشار عليه أحمد كتخدا أمين البحرين وعلي كتخدا الجلفي بقتله، فلم يوافقهما على ذلك، وقال: «إنه دخل بيتي وحلّ في ذمامي فلا يصح أن أقتله» ثم إنه نفاه إلى قبرص.

ولما سافر محمد بك ابن أبي شنب إلى إسلامبول بالخزينة في تلك السنة أوصى قاسم بك بالإرسال إلى جركس وإحضاره إلى مصر ففعل، وحضر إلى مصر سرًّا واختفى عنده، ولما وصل محمد بك بالخزينة واجتمع بالوزير الأعظم دسَّ إليه كلامًا في حق المترجم، وقال له: إن أهملتم أمره استولى على الممالك المصرية، وطرد الولاة، ومنع الخزينة، فإن الأمراء والدفتردارية وكبار الأمراء والوجاقات صاروا كلهم أتباعه وممايلكه ومماليك أبيه، والذي ليس كذلك فهم صناعه، وعلي باشا المتولي لا يخرج عن مراده في كل ما يأمر به، وأخرج من مصر وأقصى كل ناصح في خدمة الدولة مثل محمد بك جركس ومن يلوذ به، وعمل للوزير أربعة آلاف كيس على إزالة إسماعيل بك والباشا وتولية خلافه، ويكون صاحب شهامة وتدبير، وكان ذلك في دولة السلطان أحمد.

فأجابوه إلى ذلك، وعينوا رجب باشا أمير الحاج الشامي، ورسموا له رسومًا بإملاء محمد بك أبي شنب ملخصها: قتل الباشا وإسماعيل بك وعشيرته، ما عدا علي بك الهندي، ولما حضر رجب باشا إلى مصر وقد كان قاسم بك أحضر محمد جركس وأخفاه، وكان إسماعيل بك ابن إيواظ طالعًا بالحج سنة إحدى وثلاثين ومائة وألف ١٧١٨م، فاليوم الذي وصل فيه رجب باشا إلى العريش، ووصل المسلّم إلى مصر كان خروج إسماعيل بك بالحج من مصر، وأرسل رجب باشا مرسومًا إلى أحمد بك الأعسر وجعله قائمقام، وأمره بإنزال علي باشا إلى قصر يوسف والاحتفاظ به ففعلوا ذلك، ووصل رجب باشا فأحضر علي باشا وخازنداره وكاتب خزينته والروزنامجي وأمرهم بعمل حسابه، ثم أمر بقتله فقتلوه ظلمًا، وسلخوا رأسه وأرسلها إلى الروم، وضبط مخلفاته، ودَّبر معه أمر ابن إيواظ فقال له: «التدبير في ذلك أن نرسل إلى العرب يقفوا في طريق الوشَّاشة فإنهم يرسلون يعرفونكم» فأرسلوا لهم عبد الله بك، وبعد عشرة أيام أرسلوا يوسف بك الجزار ومحمد بك ابن إيواظ وإسماعيل بك جرجا وعبد الرحمن أغاولجه، فعندما

يرتحلون من البركة أقتل إسماعيل بك الدفتردار وكتخدا الجاويشية. فعند ذلك أنا أظهر ثم نُقلد محمد بك ابن إسماعيل بك إمارة الحج، ونرسله بتجريدة إلى ابن إيواظ يقتلونه مع عبد الله وإسماعيل بك جرجا، وهذا هو التدبير، وأرسلوا إلى العرب كما ذكر، وسافرت الوشاشة مثل العادة القديمة ثاني عشري الحجة سنة إحدى وثلاثين ١٧١٨م فوجدوا العرب قاطعين الطريق، فأرسلوا الخبر بذلك، فأظهر الباشا الغيظ والحدة، وقال: «أنا أسافر بالعقابة، وأخرج من حق هؤلاء المفاسيد» فقال يوسف بك الجزار: «ونحن أي شيء صناعتنا، وأقل ما فينا يخرج من حقهم؟» فقال عبد الله بك: «أنا الذي أذهب للوشاشة، ويوسف بك يأتي بعدي مع العقابة» فخلع الباشا على عبد الله بك وسافر في ذلك اليوم، فلما وصل إلى العقبة هرب العرب، فلما رحل الحج من قلعة الوِش سمعوا نوبة عبد الله بك من بعيد، فلما وصلوا إليهم نزل عبد الله بك وسلم على الصنجق وحكى له القصة، فانشغل خاطره.

وأما ما كان من أمر الباشا وجركس ومن بمصر فإنه لما سافر يوسف بك الجزار ومن معه على الرسم المتقدم عملوا شغلهم وقتلوا إسماعيل بك الدفتردار وإسماعيل أغا كتخدا الجاويشية، وظهر محمد بك جركس، ونزل من القلعة إلى بيته وهو راكب ركوبة الدفتردار، واستقر الباشا بأحمد بك الأعسر دفتردار.

ولما وصل المتوجهون إلى سطح العقبة نزل يوسف بك الجزار، وترك محمد بك ابن إيواظ وإسماعيل بك جرجا في السطح، فلما دخل على الصنجق وسلَّم عليه اشتغل خاطره، وقال له: «لأي شيء جئت؟» فقال: «أنا لست وحدي، بل صحبتي أخوك محمد بك وإسماعيل بك جرجا وعبد الرحمن أغا ولجة» فقال: «لا إله إلا الله!! كيف أنكم تتركون البلد وتأتون؟ أما تعلموا أن لنا أعداء؟ والعثمانية ليس لهم أمان ولا صاحب، ويصيدون الأرنب بالعجلة، ولكن لا يقع في ملكه إلا ما يريد».

ثم إنهم أقاموا الأيام المعلومة، وساروا إلى نخل ونزلوا هناك، وإذا برجل بدوي أرسله علي كتخدا عزبان الجلفي بمكتوب يخبر الأمير إسماعيل بك بما وقع بمصر، فلما قرأه بكى واسترجع، فقال يوسف بك: «إيش الخبر؟» قال له: «الذى كنت أظنه قد حصل!!» وأعطاه المكتوب فقرأه وبكى أيضًا، وكان بصحبة الصنجق الشريف يحيى بركات مطرودًا من مكة، تولى عوضه مبارك بن أحمد فأشار على الصنجق بالاختفاء، ولا يحارب فإن العرب ينهبون الحجاج، وودعه وسار إلى غزة فأحضر الصنجق ثلاث هجن، وأركب عبد الله بك وإسماعيل بك جرجا وعبد الرحمن أغا ولجة، فأخذوا معهم ما

يحتاجون إليه من فرش ومأكول، وأنعم عَلى البدوى الذى أحضر له المكتوب، وأمره أن يسافر مع المذكورين من الطريق التى حضر منها، ويدخلهم من الدرب المحروق وقت الغروب، ويأخذ حلاوته الثلاث هجن وما عليها، ففعلوا ذلك ودخلوا إلى مصر واختفوا.

وأما محمد بك جركس فإنه أرسل فرمانًا ومكاتبات إلى سالم بن حبيب يأمره بالركوب بخيوله ويأخذ صحبته عرب الجيزة، ويذهبون صحبة سر عسكر وأمير الحاج محمد بك إسماعيل لَقتل ابن إيواظ، فاجتمع الجميع بالبركة، وركبوا وساروا إلى أجرود فنزل محمد بك والعسكر وأغات التفكجية وأغات الباشا والسدادرة، وعملوا متاريس، وركبوا المدافع، وانتظروا وصول الحجاج، وإذا بالحجاج قادمون ومعهم يوسف بك الجزار، والمحمل، والنوبة، ولم يجدوا الصنجق، فتسلم المحمل والجمال محمد بك، وتسلم الخزينة والسحاحير والخيام والهجن والذخيرة أغات الباشا.

وكان يوسف بك وزع تعلقات الصناجق الذين اختفوا على كتخدا الحاج والدويدار والسدادرة، وسأل الواصلون على الصنجق والأمراء ومماليكهم، فقال لهم يوسف بك: «إنهم ذهبوا إلى غزة صحبة الشريف يحيى بركات» ثم إنهم أقاموا في أجرود يومًا زائدًا وهم يفتشون على الصنجق في الأحمال والمواهي إلى أن وصلوا إلى البركة فلم يقعوا له على خبر، وستر عليه الستار، وقيل: إنه لما اختفى دخل في حجاج المغاربة، وكان أول قادم فيهم في صورة امرأة مغربية عليها طرحة صوف قديمة في شقدف على جمل ضعيف، وقيل: ركب مع زوجة المقدم في الحمل بزي امرأة، ولم يخرج الناس مثل العادة لملاقاة الحجاج، ودخل أمير الحاج الجديد والحجاج عليهم برود. فلما حصل ذلك أحضر الباشا محمد بك جركس، وألزمه بقوايم بحضرة نائب الشرع، وأودعوه في خزانة الجاويشية.

واشتغل محمد بك جركس بالفحص والتفتيش على الأمراء الهاربين، ويوسف بك الجزار يشتغل مع السبع بلكات حتى طيب خواطر الجميع، وأنفق الأموال سرًّا وضم إليه أحمد بك الأعسر وقاسم بك على ظهور إسماعيل بك ابن إيواظ وباقى المختفين، فلما استوثق منهم عمل لهم وليمة في بيته، ثم جمع الجميع وركب قاسم بك وأحمد بك وذهبوا إلى محمد بك جركس فطلبوه للدعوة فركب صحبتهم إلى أن دخلوا منزل يوسف بك فرأى فيه ازدحامًا عظيمًا وخيولًا كثيرة، فأراد الرجوع، فقال له أحمد بك: «عيب، تدخل ثم ترجع؟» فدخلوا وطلعوا عند يوسف بك فوجدوا عنده علي بك الهندي وعلي بك أبا العدب وصاري علي بك وخلافهم، فلما استقر بهم الجلوس، قال أحمد كتخدا أمين البحرين: «ما أحسن هذا المجلس لو كان معنا إسماعيل بك ابن إيواظ!!»

فقال يوسف بك: «كان أخونا محمد بك يغتاظ» فقال جركس: «الله يجازي من كان السبب!! أنا إيش فعل معي؟ إسماعيل بك رجل قدر على قتلي وأشار عليه الناس فلم يفعل، وأكرمني وكساني وأعطاني دراهم ونفاني لأجل تمهيد الفتنة» وإذا بإسماعيل بك خارج عليهم من خلف الستارة وصحبته إسماعيل بك جرجا وأخوه محمد بك ابن إيواظ، فقام الجميع وسلموا عليه وجلس فى صدر المكان، وهنوه بالسلامة، وتحدثوا ساعة، ثم انتقلوا إلى التدبير في ظهور المشار إليه، فكل منهم يرى رأيه في ذلك وينقضه خلافه، فقال إسماعيل بك: «يا إخوانى إن كان مرادكم وخاطركم طيبًا على ظهوري فاسمعوا ما أقول» فقالوا: «إننا لم نجتمع إلا لذلك» قال: «الرأي عندي أننا نركب نحن الجميع في الصباح، ونذهب إلى بيت أحمد بك الدفتردار فنأخذه، ونذهب إلى بيت محمد بك أمير الحاج، ثم نذهب جميعًا إلى الرميلة، ونأمر الباشا بالنزول إلى بيت مصطفى كتخدا عزبان، ويتقلد أحمد بك قائمقام، ونأخذ منه فرمانًا بتسليم متاعي وخيولي بموجب القوائم المكتوبة، ونعمل بعد ذلك جمعية، واكتبوا عرض محضر بما يخلصكم من الله في حقنا، وبنزول الباشا وننتظر الجواب» فاستحسن الجميع رأيه وقروا الفاتحة على ذلك، وفي الصباح اجتمعوا على ذلك الاتفاق، وأنزلوا الباشا، فاجتمعت عليه الأولاد الصغار تحت شباك المكان، وصاروا يقولون:

باشا يا باشا يا عين القمله — من قال لك تعمل دي العمله؟
باشا يا باشا يا عين الصيره — من قال لك تدبر دي التدبيره؟

فضاق منهم فأرسل إلى أحمد بك الأعسر فنقله إلى بيت إبراهيم جربجي الداودية، واستلم إسماعيل بك ماله وخيوله وجماله، وكتبوا عرض محضر كما ذكر وأرسلوه، وبعد أيام وصل مرسوم بالأمان والرضا لإسماعيل بك وجماعته، وولوْا على مصر محمد باشا النشانجي، وسافر رجب باشا من حيث أتى بعد ما دفع المائة وعشرين كيسًا التي أخذها من دار الضرب وصرفها على تجريدة أجرود.

ولم يزل محمد بك جركس ومحمد بك ابن سيده ومن يلوذ بهم مصرين على حقدهم وعداوتهم للمترجم، وهو يتغافل عنهم، ويغضي عن مساويهم، ويسامح زلاتهم حتى غدروا به وقتلوه بالقلعة على حين غفلة، وذلك أنه لم يزل ذو الفقار تابع عمر أغا يطالب بفايظ حصته في قمن العروس، ويكلم جركس يشفع له عند إسماعيل بك فيقول له: «اطرد الصيفي من عندك وأرسل لي بعد ذلك ذو الفقار، ويأخذ الذي يطلع له

عندي». إلى أن ضاق خناق ذي الفقار من القشل والإعدام فطلع إلى كتخدا الباشا، وشكا إليه حاله فقال له: «وما الذي تريد نفعله؟» قال: «أريد أن أقتل ابن إيواظ عندما يأتي إلى هنا وأعطوني صنجقية وعشرين كيسًا فايظًا من بلاده، وكشوفية المنوفية» فدخل الكتخدا، وأخبر مخدومه بذلك فأجابه إلى مطلوبه على شرط أن لا يدخلنا في دمه، فنزل ذو الفقار، وأخبر جركس بما حصل، وطلب أن يكون ذلك بحضوره هو وإبراهيم بك فارسكور، فأجابه إلى ذلك، ولما اجتمعوا في ثاني يوم عند كتخدا الباشا دخل ذو الفقار وقدم له عرضحال إلى إسماعيل بك فأخذه وشرع يقرأ فيه، وإذا بذي الفقار سحب الخنجر وضرب الصنجق به في مدوده، وكان معه قاسم بك الصغير وأصلان وقبلان وخلافهم مستعدين لذلك، فعندما رأوه ضرب إسماعيل بك سحبوا سيوفهم وضربوا أيضًا إسماعيل بك جرجا فقتلوه، فهرب صاري علي وكتخدا الجاويشية مشاة إلى باب الينكجرية، وقطعوا رأس الأميرين، وشالوا جثثهما إلى بيوتهما فغسلوهما وكفنوهما ودفنوهما بمدفن أبي الشوارب الذي بطريق الأزبكية عند غيط الطواشي، وذلك في سنة ستٍّ وثلاثين ومائة وألف، ثم أرسلوا رأسيهما مسلوختين فدفنوهما أيضًا.

وانقضت دولة إسماعيل بك ابن إيواظ، وكانت أيامه سعيدة، وأفعاله حميدة، والإقليم في أمن وأمان من قطاع الطريق وأولاد الحرام، وله وقائع مع حبيب وأولاده يطول شرحها، وسيأتي استطراد بعضها في ترجمة سويلم، وكان صاحب عقل وتدبير وسياسة في الأحكام وفطانة ورياسة وفراسة في الأمور، (فمن ذلك) ما يحكى عنه أن امرأة من الشرقية تعدى عليها بعض الحرامية وسرق بقرتها ومعها عجلتها، فاستيقظت من نومها وصرخت، وأصبحت خرجت من دارها وهي تقول: «لا بد من ذهابي إلى ابن إيواظ، وكيف يأخذون بقرتي في أيامه!» ولم تزل حتى وصلت إليه، وكان لا يحجب أحدًا يأتي إليه في شكوى أو تظلم، فقال لها: «من أي بلد أنت؟» قالت «من تلبانة» قال «اكتبوا لقايمقام يفحص لها عن بقرتها» وختم الورقة وأعطاها لرجل قوَّاس وأمره بالذهاب معها، وقال له: «اذهب وإذا وصلت إلى القرية أول من يلاقيكما ويسألكما فاقبض عليه، واذهب به إلى قائمقام يقرره فإن البقرة عنده، فلما وصل إلى القرية وإذا برجل هابط من فوق التل وهو يسأل المرأة، ويقول لها: إيش فعل معك ابن إيواظ؟ فقبض عليه القواس، وأخذه إلى قايمقام فأمر بعقوبته وضربه فأقر بالبقرة أنها عنده في القاعة، فأرسل من أتى بها وأعطاها لصاحبتها فأخذتها وذهبت وهي فرحانة.

(ومنها) أنه حضر بين يديه جماعة متهمون، وسألهم فأنكروا، فأمرهم بالخروج من بين يديه، وأحضرهم مرة أخرى كذلك فأنكروا، وكرر إحضارهم وإخراجهم، ثم

عوق منهم شخصًا وأمر بتقريره فأقر بأدنى عقوبة فتعجب من شاهدَ ذلك، وسئل عن سر معرفة ذلك الشخص من دون الجماعة فقال: «إنى لما أطلبهم يكون هو آخرهم في الدخول، وعندما آمرهم بالانصراف يكون هو أولهم في الخروج؛ فعلمت من ذلك أنه صاحب العملة».

وله عدة عمائر ومآثر (منها) أنه جدد سقف الجامع الأزهر وكان قد آل إلى السقوط، وأنشأ مسجد سيدي إبراهيم الدسوقي بدسوق، وكذلك أنشأ مسجد سيدي علي المليجي على الصفة التي هما عليها الآن، ولما تمم بناء المسجد المليجي سافر إليه ليراه، وذلك في منتصف شهر شعبان سنة خمس وثلاثين ومائة وألف، ثم ذهب إلى طندتا وزار ضريح سيدي أحمد البدوي، وتعجب الناس من قوة جنانه، وخروجه من مصر وبها أخصامه والكارهون له ويريدون له الغوايل وهو يعلم ذلك مع أن محمد بك جركس مع شهرته بالشجاعة ما خرج إلى العادلية من يوم ظهوره، وأكثر أيامه ملازم لبيته.

(ومن أفاعيله) الجميلة أنه كان يرسل غلال الحرمين في أوانها، ويرسل القومانية إلى البنادر، ويجعل في بندر السويس والمويلح والينبع غلال سنة قابلة في الشون تشحن بالسفاين، وتسافر في أوانها، ويرسل خلافها على هذا النسق، ولما بلغ خبر موته لأهل الحرمين حزنوا عليه، وصلوا عليه صلاة الغيبة عند الكعبة، وكذلك أهل المدينة صلوا عليه بين المنبر والمقام، ومات وله من العمر ثمانٍ وعشرون سنة، وطلع أميرًا بالحج ست مرات آخرها سنة ثلاث وثلاثين ١٧٢٠م، ورثاه الشعراء بمراثٍ كثيرة لم أظفَر بشيء منها سوى أبيات من قصيدة طويلة، وهي:

وما هذه الدنيا سوى دار غِرة	فنعماؤها بؤس وفي نفعها ضررْ
ورفعتها خفض وراحتها عنا	وعزتها ذل وفي صفوها كدرْ
تريك شرورًا في سرور وغبطة	كجان أصاب الأَيْم في يانع الثمر
ألم ترَ ما أردت عزيزًا وملكت	ذليلًا ودلت بالغرور وبالغررْ
فلا تغترر ذا اللب يومًا بها وكن	على حذر فالعارفون على حذر
ترى بؤس إسماعيل بيك بمصرنا	إلى أن له دانت رقاب ذوي الخطر
وكان جديرًا بالرآسة والعلا	فقد سار فينا سيرة سارها عمر
وكان له حزم ورأي ومنعة	ولكن إذا جاء القضا عمي البصر
به غدر الجبار جركس ماكرًا	فعما قليل سوف يجزى بما مكر

أسر له كيدًا به كان حتفه ... بديوان مصر بئس والله ما أسر
فقطعه إرْبًا وسيق لجنةٍ ... وقاتله ظلمًا يُسلق إلى سَقَر
وجُندل من أتباعه كل صنجق ... كبير عظيم الشأن أربعة غرر
فتبَّت يداه أو فشلَّت يمينه ... وألا رماه الله بالعجز والقصر

(ومنها):

فمن بعده الأذناب فوق الروس قد ... علت وعلى الأشراف قد جاء محتقر
تقدمت الأنذال لما تأخرت ... صناديدها هذا لعمري من الكبر
ألا في سبيل الله قامت قرودها ... ونامت سراحين المعارك في الحفر
فأين جبان القلب من أسد الشرى؟ ... وهيهات أم أين الذوات من الصور؟

(ومنها):

فكل مصاب عنه مصطبري سوى ... مصابٍ أتانا فيه ما عنه مصطبر
فسبحان من عز الملوك بعزه ... ومَن بعده للخلق بالموت قد قُهر
إلهي فأمطر سحب عفوك دائمًا ... لتهمي عليه في الماء وفي السحر
وكن رب عن تقصيره متجاوزًا ... وعامله بالغفران يا خير من غفر

(ثم ظفرت) بأبيات في أوراق مدشتة بخط الإمام الشيخ محمد الغمري وهي:

أفي أمان وسيف الأمن قد غمدا ... وبدر أفق سماء العدل قد فقدا
وشمس نصر عباد الله قد كُشفت ... ودولة العز ماتت بالذى لُحدا
يا عين جودي بدمع هاطل ندمًا ... على الذي كان في مصر لنا سندا
يا أهل مصر بكاءً واندبوا رجلًا ... مهذبًا مثله في العز ما وجدا
كم قد أغاث فقيرًا من ظلامته ... وأبدل الجور عدلًا والفسوق هدى
فالآن حق لكم ذوب الفؤاد أسى ... فقد فقدتم وحق الله كل ندى
وقد فقدتم أميرًا لا نظير له ... في دولة المجد ما خلى ولا ولدا
نجل لإيواظ إسماعيل فاق على ... أقرانه ولجمع الخير انفرادا

فالله يرحمه فضلًا ويلهم مَن بقى من الدولة الإصلاح والرشدا
تاريخ ذاك قُري في آية تُليت في الروم قد ذكرت هذا الذي وردا

وهي قوله تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾.
(وأيضًا):

ألا إن إسماعيل قُدس سرُّه بحورٍ حسان في الجنان تنازله
سيلقى نعيما دائمًا عند ربه وجنات عدن أزلفت ومنازله
ولا بد أن الله يأخذ من سطا عليه بتاريخ سيُقتل قاتله

وكان منزله هو بيت يوسف بك بدرب الجماميز المجاور لجامع بشتاك المطل على بركة الفيل، وقد عمَّره وزخرفه بأنواع الرخام الملوّن، وصرف عليه أموالًا عظيمة، وقد خرب وصار حيشانًا ومساكن للفقراء، وطريقًا يَسلك منها المارة إلى البركة، ويسمونها الخرابة، ولما مات لم يخلّف سوى ابنة صغيرة ماتت بعده بمدة يسيرة، وحَمْلين في سريتين ولدت إحداهن ولدًا وسموه إيواظ عاش نحو سبعة أشهر ومات، وولدت الأخرى بنتًا ماتت في فصل كوْ دون البلوغ، فسبحان الحي الذي لا يموت.

ومات الأمير إسماعيل بك جرجا، وكان أصله خازندار إيواظ بك الكبير، وأمَّره إسماعيل بك، وقلده صنجقًا ومنصب جرجا فلذلك لقب بذلك، ولم يزل حتى قُتل مع ابن سيده في ساعة واحدة، ودُفن معه في مدفن رضوان بك أبي الشوارب.

ومات كل من الأمير عبد الله بك والأمير محمد بك ابن إيواظ والأمير إبراهيم بك تابع الجزار، قُتل الثلاثة المذكورون في ليلة واحدة، وذلك أنه لما قُتل إسماعيل بك ابن إيواظ بالقلعة بيد ذي الفقار بممالآة محمد بك جركس في الباطن، وعبد الله بك لم يكن حاضرًا انضمت طوايف الأمراء المقتولين ومماليكهم إلى عبد الله؛ لكونه زوج أخت المرحوم إسماعيل بك، ومن خاصة مماليك إيواظ بك الكبير، وكان كتخدا في حياته، وقلده إسماعيل بك الإمارة والصنجقية، وطلع أميرًا للحج في السنة الماضية التي هي سنة خمس وثلاثين ١٧٢٢م ورجع سنة ست وثلاثين، فلما وقع ذلك انضموا إليه لكوْنه أرأس الموجودين وأعقلهم، وأقبلت عليه الناس يعزونه في ابن سيده إسماعيل بك، وازدحم بيته بالناس، وتحقق المبغضون أنه إن استمر موجودًا ظهر شأنه وانتقم منهم، فأعملوا الحيلة في قتله وقتل أمرائهم.

وطلع في ثاني يوم ذو الفقار قاتل المرحوم إسماعيل بك إلى القلعة فخلع عليه الباشا، وقلده الأمرية والصنجقية وكاشف إقليم المنوفية، ونزل إلى بيت جركس ومعه تذكرة من كتخدا الباشا مضمونها أنه يجمع عنده عبد الله بك ومحمد بك ابن إيواظ وإبراهيم بك الجزار، ويعمل الحيلة في قتلهم.

فكتب جركس تذكرة إلى عبد الله بك وأرسلها صحبة كتخداه يطلبه للحضور عنده؛ ليعمل معه تدبيرًا في قتل قاتل المرحومين؛ فلما حضر كتخدا جركس إلى بيت عبد الله بك بالتذكرة وجد البيت مملوءًا بالناس والعساكر والاختيارية والجربجية وواجب رعاياه، وعنده علي كتخدا الجلفي عزبان، وحسن كتخدا حبانيَّة تابع يوسف كتخدا تابع محمد كتخدا البيوقلي ... وغيرهم نفر وطوايف كثيرة، فأعطاه التذكرة فقرأها، ثم قال لعلي بك الهندي: «خذ محمد بك وإبراهيم بك واذهبوا إلى بيت محمد بك جركس، وانظروا كلامه، وارجعوا فأخبروني بما يقول» فركبوا وذهبوا عند جركس فدخلوا عليه فوجدوا عنده ذا الفقار بك وهو يتناجى معه سرًّا فأدخلهم إلى تنهة المجلس، وأرسل في الحال إلى كتخدا الباشا يخبره بحضور المذكورين عنده، ويقول له: «أرسل إلى عبد الله بك واطلبه فإن طلع إليكم وعوقتموه ملكنا غرضنا في باقي الجماعة» فأرسل الكتخدا يقول لجركس ألا يتعرض لعلي بك الهندي؛ لأن السلطان أوصى عليه، وكذلك صاري علي أوصى عليه الباشا؛ لأنه أمين العنبر، وناصح في الخدمة، وأرسل في الحال تذكرة إلى عبد الله بك يأخذ خاطره، ويعزيه في العزيز ابن سيده، ويطلبه للحضور عنده ليدبر معه أمر هذه القضية، وقتل قاتل المرحوم، فراج عليه ذلك الكلام والتمويه؛ ويقول له أيضًا: إنه يحضر صحبة مصطفى جلبي ابن إيواظ يلبسونه صنجقية أخيه يفتح بيت أخيه؛ لأنه عاقل عن أخيه محمد، وأرسلها صحبة جوخدار من طرفه فلما دخل إلى بيت عبد الله بك وجده مزدحمًا بالناس فدخل إليه وأعطاه التذكرة، فقرأها وأعطاها لعلي كتخدا الجلفي فقرأها أيضًا فأشار عليه بعدم الذهاب فلم يقبل، وركب في الحال لأجل نفاذ المقدور، وقال لعلي كتخدا: «اجلس هنا ولا تفارق حتى أرجع» وطلع إلى القلعة ومعه عشرة من الطائفة ومملوكان والسعادة فقط، ودخل علي كتخدا الباشا فتلقاه بالبشاشة، ورحب به، وشاغله بالكلام إلى العصر، وعندما بلغ محمد بك جركس ركوب عبد الله وطلوعه إلى القلعة صرف علي بك الهندي، ووضع القبض على محمد بك ابن إيواظ وإبراهيم بك الجزار، وربط خيولهما بالإسطبل، وطردوا جماعتهم وطوائفهم وسرّاجينهم.

ولم يزل كتخدا الباشا يُشاغل عبد الله بك ويحادثه ويلاهيه إلى قبيل الغروب، حتى قلق عبد الله بك وأراد الانصراف، فقال له كتخدا الباشا: «لا بد من ملاقاتك الباشا

ومحادثتك معه» وقام يستأذن له ودخل ورجع إليه، وقال له: «إن الباشا لا يخرج من الحريم إلّا بعد الغروب، وأنت ضيفي في هذه الليلة لأجل ما نتحادث مع الباشا في الليل» وحسَّن له ذلك، فعند ذلك قال لأتباعه وطوائفه: «انزلوا وطمنوا أهل البيت وأتونى في الصباح» فنزلوا، ثم إن الكتخدا قام وأخذ صحبته الصنجق ودخل به إلى أودة الخازندار، وقام وتركه إلى الصباح فطلع محمد بك جركس وابن سيده محمد بك ابن أبي شنب وذو الفقار بك وقاسم بك وإبراهيم بك فارسكور وأحمد بك الأعسر الدفتردار، فخلع الباشا على محمد بك إسماعيل وقلده أمير الحاج، وقلد عمر أغا كتخدا جاويشية عوضًا عن عبد الله أغا، وقلد محمد أغا لهلوبة والي، ونزلوا إلى بيوتهم وطلعت طوائف عبد الله بك وأتباعه، وانتظروه حتى انقضى أمر الديوان ولم ينزل، فاستمروا في انتظار إلى بعد العصر، ثم سألوا عنه فقالوا لهم: «إنه جالس مع الباشا في التنهة، وروحوا وتعالوا في الصباح» فنزلوا، وأرسل محمد بك جركس لهلوبة الوالي إلى بيت كتخدا الباشا فقعد به إلى بعد العشاء فدخلت الجوخدارية إلى عبد الله بك فأخذوا ثيابه وما في جيوبه، وأنزلوه وسلموه إلى الوالي فأركبه على ظهر كديش، ونزل به من باب الميدان، وساروا به إلى بيت جركس، فأوقفوه عند الحوض المرصود، ونزلوا بمحمد بك ابن إيواظ وإبراهيم بك الجزار فأركبوهما حمارين، وسار بهم إبراهيم بك فارسكور والوالي على جزيرة الخيوطية وأنزلوهم في المركب، وصحبتهم المشاعل؛ فقتلوهم وسلخوا رءوسهم، ورموهم إلى البحر، ورجعوا، وانقضى أمرهم، وتغيب حالهم وما فعل بهم أيامًا.

ومما اتفق أن بعض الأتباع الحاضرين قتلهم أخذ خاتم عبد الله بك من إصبعه، وكتب تذكرة بعد أيام عن لسان المرحوم عبد الله بك خطابًا لزوجته هانم بنت إيواظ بك يقول فيها: «إننا طيبون بخير غير أننا لا نظهر فى أيام محمد بك جركس، والفروة التي علينا تربى فيها القمل والصيبان، والمراد ترسلوا لنا الجبة السمُّور التى وجهها الجوخ الأخضر، وبدلة حوائج، ومحزم، ومنشفة وضوء، وماية جنزرلي من الأمانة» فلما قرأتها تحققت حياته، وصدقت ذلك الرجل، ورأت ختمه، وصادف قوله من الأمانة، وكان أعطاها كيسًا، وقال لها: احفظيه فإنه أمانة، فأعطت الرجل ما في التذكرة وانسرت بحياة زوجها، ثم إن والدة محمد بك زوجة أبي شنب وكانت محظية علي باشا، أتت إليها مع نسوة يعزينها في إخوتها وزوجها. فقالت: «أما أخوتي فعليهم رحمة الله، وأما زوجي فإنه حي!!» فقالت لها أم محمد بك: «والله يابنتي مات ليلة نزوله من القلعة وساوى من له سنين، ومروا بهم من على بيتي، وسألت ابني فقال: رحمة الله عليهم»

فأخبرتها بالتذكرة والأمارة، فقالت لها: «هذه مصادفة حصلت للرجل حتى أخذ نصيبه، وسوف يرجع إليك مرة أخرى ويطلب أشياء أخر بتذكرة أخرى، فإذا أتى فقولي له عرفني بمكانه حتى أذهب إليه سرًّا وأراه، ثم أعطيك المطلوب» فكان كذلك وحضر الرجل في شكل غير الأول، ومعه تذكرة وفيها مطلوبات، فأجابته بذلك؛ فحاورها وتحيل بما أمكنه، فلم تعطه شيئًا، وذهب فلم يرجع بعد ذلك.

ومحمد بك ابن إيواظ الذى قُتل مع عبد الله بك هو أخو المرحوم إسماعيل بك ابن إيواظ، وكان يُعرف بالمجنون؛ لقلة عقله ورعونته، وعمر له بيتًا بمصر القديمة تجاه المقياس، ويُعاشر رجلًا مشهورًا يسمى أحد المنشلي، وله مشاديد واصطلاح فيما بينهم وبين أمثالهم، وكان ينزل في الليل ويلعب الكرة مع الأولاد تحت قصره بمصر القديمة، ولما دار الدور عليه في السفر علم أخوه أنه لا يصلح لذلك، فقلد الصنجقية لبعض مماليك أبيه وهو أحمد بك سيد علي بك الهندي كما تقدم ومات الروم، وابراهيم بك الجزار، وهو مملوك يوسف بك الجزار تابع إيواظ بك، وكانت قتلتهم في شهر ربيع الأول سنة ست وثلاثين ومائة وألف ١٧٢٣م.

ومات عبد الله بك، وهو متقلد إمارة الحج، وعمره ست وثلاثون سنة، وكان حليمًا سموح النفس صافي الباطن.

ومات محمد بك ابن إيواظ بك، وسنه ست وعشرون سنة، وكان أصغر من أخيه المرحوم.

ومات الأمير قاسم بك الكبير، وهو مملوك إبراهيم بك أبي شنب، وخشداش محمد بك جركس، تقلد الإمارة والصنجقية بعد قتل قيطاس بك في سنة ست وعشرين ومائة وألف في أيام عابدي باشا، ولما هرب جركس وقبض عليه العربان وأحضروه إلى إسماعيل بك ونفاه إلى قبرص، اتفق محمد بك ابن أبي شنب مع قاسم بك سرًّا على إحضاره إلى مصر، وسافر محمد بك إلى الروم بالخزينة، واشتغل شغله هناك على قتل إسماعيل بك، وأرسل في الخفية، وأحضره إلى مصر، وأخفاه حتى حضر رجب باشا وفعلوا ما تقدم ذكره.

ولم يزل أميرًا ومتكلمًا بمصر حتى وقعت حادثة ظهور ذي الفقار بك والمحاربة الكبيرة التي خرج فيها جركس من مصر، فقُتل قاسم بك المذكور في بيته، أصيب برصاصة من منارة الجامع كما تقدم، وعندما علم جركس بموته حضر إليه والحرب قايم وكشف وجهه فرآه ميتًا فقال: «لم يبقَ لنا عيش بمصر» وخرج في الحال من مصر، وذلك سنة ثمانٍ وثلاثين ومائة وألف.

ومات الأمير قاسم بك الصغير، وهو أيضًا من أتباع إبراهيم بك أبي شنب، وكان فرعون هذه الطائفة في دولة محمد بك جركس، وهو من جملة المتعصبين مع ذي الفقار على قتل إسماعيل بك ابن إيواظ الضارب فيه أيضًا وفي إسماعيل بك جرجا، ولم يزل حتى مات في رمضان بولاية البهنسا سنة سبع وثلاثين ومائة وألف، يقال: إنه ضرب رجلًا من المجاذيب وهو راكب في طائفته، وفي الحال انحنى على قربوص السرج وخرج الدم من أنفه وفمه ومات ودفنوه هناك، ولما بلغ خبر موته محمد بك جركس حزن عليه واغتم غمًّا شديدًا، وقلد علي أغا مملوك ابن أخيه صنجقًا عوضًا عن سيده.

ومات محمد أغا متفرقة سنبلاوين، وكان أغات وجاق المتفرقة، وصاحب وجاهة، ومات مقتولًا بإغراء من محمد بك جركس، وسبب ذلك: أنه لما اختفى ذو الفقار بك كان المترجم يعرف محله، ويجتمع به في بعض الأحيان، فاتفق أن إبراهيم أفندي كتخدا العزب انحرفت نفسه من جركس بسبب دعوى بيد الصيفي سراج جركس شفع فيها إبراهيم كتخدا فرده الصيفى، وشتم القابجي الذى أرسله إليه، فانحرف مزاج إبراهيم كتخدا، وعزم على نقض دولة جركس، وكان متزوجًا بزوجة عمر أغا أستاذ ذي الفقار بك، وكان ساكنًا في بيته، فأرسل إلى محمد أغا فحضر إليه، وكلمه في ظهور ذي الفقار ويكون معهم، وتحالف معه وواعده على الاجتماع بذي الفقار.

فبلغ جركس اجتماعها، فتحيل من ذلك لعلمه أن محمد أغا سنبلاوين يعرف محل ذي الفقار وإبراهيم كتخدا متكلم باب العزب فخرج على عادته إلى مصر القديمة، ومر في طريقه على بيت ابن أستاذه محمد بك، وقال له: «ابعث إلى محمد أغا فإذا حضر إليك فأرسله عندي صحبة كتخداك من طريق زين العابدين» وأوصاه على ما يفعله، فلما حضر محمد أغا قال له: «أخوك محمد بك جركس يطلبك بمصر القديمة، اذهب إليه صحبة حسين أغا» وقال لحسين أغا: «عندما تصلون إلى هناك اذهب إلى علي بك أبي العدب، وكلمه على عليق خيول الباشا».

وكان جركس أكمن له جماعة سرَّاجين في الجنينة، ووقف منهم اثنان عند بيت النجدلي فلما وصل إليهما محمد أغا قالا له: «الصنجق في الروضة، ويطلبك هناك» فقال له حسين كتخدا محمد بك: «اذهب معهما حتى أصل إلى أبي العدب وأكلمه على العليق» فذهب معهما فدخلوا به جنينة جركس وقتلوه، وأخذوا فروته وثيابه، وما في جيوبه، وهرب سراجه وأتباعه إلى منزله، ثم أخذوا تابوتًا، وذهبوا ليأتوا به فلم يجدوه، وبقي دمه على البلاط مدة طويلة بعد ذلك، وكان رجلًا خيِّرًا محسنًا قليل الأذى، ورجعت

السرَّاجون فأخبروا سيدهم بإتمام ما أُمروا به، فأقام ببيت ابن إيواظ بمصر القديمة إلى بعد العصر، ورجع إلى مصر، وأخذ في طريقه أحمد بك وقاسم بك فذهبوا إلى إبراهيم أفندي كتخدا، وصالحوه بعد الغروب، وراحت على من راح، وكان ذلك في سنة سبع وثلاثين ومائة وألف.

ومات الأمير إبراهيم أفندي كتخدا العزب المذكور، قتله سليمان أغا أبو دِفِّيَّة وسليمان كاشف وخازندار ابن إيواظ بالرميلة في حادثة ظهور ذي الفقار كما تقدم ذكر ذلك في أيام علي باشا، وملكوا في ذلك الوقت باب العزب، وحضر محمد باشا وعلي باشا، ووقعت الحروب مع محمد بك جركس حتى خرج من مصر، وذلك سنة ثمانٍ وثلاثين ١٧٢٥م وسيأتي تتمة ذلك في ترجمة جركس.

ومات الأمير عبد الرحمن بك ملتزم الولجة، وهو من أتباع إيواظ بك الكبير القاسمي، وأمّره ابنه إسماعيل بك ابن إيواظ وقلده الصنجقية، وسافر بالخزينة سنة خمس وثلاثين ومائة وألف ١٧٢٢م، وقتل إسماعيل بك في غيابه، فلما حضر إلى مصر خلع عليه محمد بك ابن أبي شنب الدفتردار قائمقام قفطان ولاية جرجا، واستعجله في الذهاب والسفر إلى قبلي، فقضى أشغاله، وبرَّز خيامه إلى ناحية الآثار، وخرجت الأمراء والأغوات والاختيارية والوجاقات، ومشوا في موكبه على العادة، ونزلوا بصيوانه، وشربوا القهوة والشربات، وودَّعوه ورجعوا إلى منازلهم.

ثم إنه قال للطوايف والأتباع: «اذهبوا إلى منازلكم واحضروا بعد غد بمتاعكم وانزلوا بالمراكب، ونسير على بركة الله تعالى» ثم إنه تعشى هو ومماليكه وخواصه، وعلق على الخيول والجمال، وركب وسار راجعًا من خلف القلعة إلى جهة سبيل علَّام إلى الشرقية، ولم يزل سائرًا إلى أن وصل إلى بلاد الشام ومنها إلى بلاد الروم، هذا ما كان من أمره.

وأما جركس فإنه أحضر علي بك وقاسم بك وعمر بك أمير الحاج، وأمرهم بالركوب بعد العشاء بالطوائف، ويأخذوا لهم راحة عند السواقي، ثم يركبوا بعد نصف الليل، ويهجموا وطاق عبد الرحمن بك ولجه على حين غفلة، ويقتلوه، ويأخذوا جميع ما معه، ففعلوا ذلك، وساروا قرَّابة فلم يجدوا غير الخيام فأخذوها ورجعوا، ولم يزل المترجم حتى وصل إلى إسلامبول، واجتمع برجال الدولة فأسكنوه في مكان، وأخذ مكتوبًا من أغات دار السعادة خطابًا إلى وكيله بمصر يتصرف له في حصصه بموجب دفتر المستوفي، ويرسل له الفائظ كل سنة، واستمر هناك إلى أن مات.

ومات الأمير الشهير محمد بك جركس، وأصله من مماليك يوسف بك القرد، وكان معروفًا بالفروسية بين مماليك المذكور، فلما مات يوسف بك في سنة سبع ومائة وألف

١٦٩٥م أخذه إبراهيم بك أبو شنب، وأرخى لحيته، وعمله قايمقام الطرانة، وتولى كشوفية البحيرة عدة مرار، ثم إمارة جرجا، وسافر إلى الروم سَرْ عسكر على السفر سنة ثمانٍ وعشرين ومائة وألف ١٧١٥م، ولما لبس القفطان على ذلك، ونزل إلى داره طوى القفطان، وأرسله إلى سيده، وقال له: «انظر خلافي فإني قشلان» فرضَّاه بعشرين كيسًا فاستقلها، فكتب له وصولًا على الطرانة بعشرة أكياس أخرى؛ فبرز إلى الحلِّي، وأحضر إليه حريمه، وأقام في حظٍّ وكيف مدة أيام، والباشا يستعجله بالسفر، وهو لا يسمع لذلك ولا يبالى، فكلم الباشا إبراهيم بك في ذلك، فلما نزل أرسل إليه فقال: لا أسافر حتى يعطيني العشرة أكياس نقدًا، ورد له الوصول، فلم يسع أستاذه إلا إرسال العشرة أكياس، وقال: «سوف هذا يخرب بيتي بعناده» وكان كذلك.

ولما رجع في سنة ثلاثين وجد أستاذه إبراهيم بك توفي، وتقلد ابنه محمد إمارة أبيه، وسكن داره، والكلمة والرئاسة للأمير اسماعيل بك ابن إيواظ، فتاقت نفس المترجم للشهرة ونفاذ الكلمة، واستولى عليه وعلى ابن أستاذه الحسد والحقد لإسماعيل بك، فضم إليه المبغضين له من الفقارية وغيرهم، وتوافقوا على اغتياله، ورصد له طائفة منهم، ووقفوا له بالرميلة، وضربوا عليه بالرصاص، فنجاه الله من شرهم، وطلع إسماعيل بك وصناجقه إلى باب العزب، وطلب جركس إلى الديوان ليتداعى معه، فعصى وامتنع، وتهيَّأ للحرب والقتال، فقوتل وهُزم وخرج هاربًا من مصر، فقبض عليه العربان، وأحضروه أسيرًا إلى إسماعيل بك فأشاروا عليه بقتله فأبى، وقال: «إنه دخل حيًّا إلى بيتي فلا سبيل إلى قتله» وأنزله بمكان وأحضر له الطبيب فداوى جراحته، وأكرمه وأعطاه ملابس، وخلع عليه فروة سمور وألف دينار، ونفاه إلى قبرص حسمًا للشر.

واستمر الحقد في نفوس خشداشينه ومحمد بك ابن أبي شنب ابن أستاذهم، واتفقوا على إحضار جركس سرًّا إلى مصر، وسافر ابن أبي شنب بالخزينة إلى دار السلطنة، فأغرى رجال الدولة ورشاهم، وجعل لهم أربعة آلاف كيس على إزالة إسماعيل بك وعشيرته، ووقع ما تقدم ذكره في ولاية رجب باشا، وحضر جركس إلى مصر في صورة درويش عجمي، واختفى عند قاسم بك، ودبروا بعد ذلك ما دبروه من قتل الباشا، وما تقدم ذكره في ترجمة إسماعيل بك.

ونجا إسماعيل بك أيضًا من مكرهم، وظهر عليهم وسامحهم في كل ما صدر منهم مع قدرته على إزالتهم، ولم يزالوا مضمرين له السوء حتى توافقوا على قتله غدرًا، وخانوه وقتلوه بالديوان، وأزالوا دولته، وصفا عند ذلك الوقت لمحمد بك جركس وعشيرته، فلم

يحسن السير، وطغى وتجبر، وسار في الناس بالعسف والجور، واتخذ له سرَّاجًا من أقبح خلق الله وأظلمهم، وهو الذي يقال له الصيفي، ورضخ له فيما يفعله ولا يقبل فيه قول أحد، واتخذ له أعوانًا من جنسه وخدمًا، وكلهم على طريقته في الظلم والتعدي، فكانوا يأخذون الأشياء من الباعة ولا يدفعون لها ثمنًا، ومن امتنع عليهم ضربوه بل وقتلوه، وصاروا يخطَفون النساء والأولاد.

ومن جملة أفاعيلهم: أن الطايفة من سرَّاجينه صاروا يدخلون بيوت التجار في رمضان بالليل، فلا ينصرفون حتى يأخذ كل شخص منهم أطلسية وشاشًا وخمسة زنجرلي، فكان أعيان الناس والتجار يدخلون بيوتهم من العصر، ويغلقون أبوابها فلا يفتحونها إلى الصباح.

ومما وقع من أفاعيلهم الخبيثة مع الخواجة لطفي النطروني، وكان من مياسير التجار ومشهورًا بكثرة المال والثروة وقد كفَّ بصره، فبينما هو جالس بمنزله بالسبع قاعات بالقرب من مسجد شرف الدين، والناس في صلاة التراويح، فدخل عليه شخصان من السراجين، ووقف منهم أربعة على باب الدرب، وقتلوه بالخناجر، وأخذوا ما أخذوه وساروا، وحضر بعد ذلك الصيفى فأخذ ما في البيت من نقد ومتاع وتمسكات وحجج وتقاسيط ... وغير ذلك من أفاعيلهم القبيحة والشنيعة، والوالى في وقته أحمد أغا المعروف بلهلوبة على مثل ذلك، ويشيع عنهم في كل يوم قبائح متعددة.

وزاد تجبر جركس وأتباعه في سنة سبع وثلاثين ومائة وألف ١٧٢٤م وخرم نظام الأمور، وامتنع من طلوع الديوان ومن صلاة الجمعة، وكذلك الدفتردار الذى هو محمد بك ابن أستاذه، فكان الروزنامجى وبعض الكتبة القلفاوات وبعض الوجاقلية والجاويشية يطلعون، ويقيمون مقدار عشر درجات ثم ينزلون، فضاق صدر الباشا وأبرز مرسومًا من الدولة برفع صنجقية محمد بك جركس، وكتب فرمانات وأرسلها إلى الوجاقات ومشايخ العلم والبكري وشيخ السادات ونقيب الأشراف بالإخبار بذلك، وبالمنع من الاجتماع عليه أو دخول منزله، ووصل الخبر إلى محمد بك جركس فكتب في الحال تذاكر وأرسلها إلى اختيارية الوجاقات والمشايخ بالحضور ساعة تاريخه لسؤال وجواب، فاجتمعوا مع بعضهم وتشاوروا في ذلك، ثم قالوا: «نذهب إليه، ثم نرجع ولا نعود إليه بعد ذلك» فذهب إليه الاختيارية فأكرمهم وأجلهم وأجلسهم، ثم حضر المشايخ فلما تكامل المجلس أوقف طوائفه ومماليكه بالأسلحة، ثم قال لهم: «تدرون لأي شيء جمعتكم؟» قالوا له جميعًا: «نحن معك على ما تريد» فقال: «أريد عزل الباشا ونزوله» فقالوا: «نحن معك على ما تختار».

ثم إنهم كتبوا فتوى مضمونها: «ما قولكم في نائب السلطان أراد الإفساد في المملكة، وتسليط البعض على البعض، وتحريك الفتن لأجل قتلهم وأخذ أموالهم، فماذا يلزم في ذلك؟» فكتب المشايخ بوجوب إزالته وعزله قمعًا للفساد وحقنًا للدماء، فأخذ الفتوى منهم وقام، وأخذ معه رجب كتخدا ومصطفى كتخدا وإبراهيم كتخدا عزبان ودخل إلى داخل وترك الجماعة في المقعد والحوش وعليهم الحرس، وباتوا على ذلك من غير عشاء ولا دثار، فالذي أحضر شيئًا من داره أو من السوق أكله وإلا طوى على الجوع، فلما أصبح صباح يوم الجمعة عاشر القعدة أرسل أحمد بك الأعسر إلى الباشا يقول له: أنت تنزل أو تحارب، وكان أرسل قاسم بك الكبير إلى ناحية الجبل بنحو خمسمائة خيال، فقال: «بل أنزلُ، وانظروا لى مكانًا أَنزلُ فيه» ونزل في ذلك اليوم قبل الصلاة إلى بيت محمد أغا الدالي بقوصون، ولم يخرج جركس من بيته ولا أحد من المعوقين سوى قاسم بك وأحمد بك.

ثم إنه كتب عرضًا على موجب الفتوى، وختم عليه المشايخ والوجاقات، وكتبوا فيه أنه باع غلال الحرمين وغلال الأنبار، وباع من غلال الدشايش والخواسك ثمانية وعشرين ألف إردب، وختم عليه القاضي أيضًا، وأرسله صحبة ستة أنفار من الوجاقلية في غرة الحجة سنة سبع وثلاثين ومائة وألف، ولما فعل ذلك أقام محمد بك الدفتردار ابن أستاذه قائمقام، فصار يعمل الدواوين في منزله، ولم يطلع إلى القلعة إلا في يوم نزول الجامكية.

ولما فعل جركس ذلك صَفَا له الوقت، وعزل مملوكه محمد أغا الوالي وقلَّده الصنجقية، وسماه جركس الصغير، وألبس علي أغا مملوكه ابن أخي قاسم بك الصغير صنجقية عمه، وأعطاه بلاده وماله وجواره، وقلد علي المحرمجي مملوكه الصنجقية أيضًا، وكذلك أحمد الخازندار مملوك أحمد بك الأعسر وسليمان أغا جميزة تابع أحمد أغا الوكيل صناجق، ألبسهم الجميع قائمقام في بيته، ولم يتفق نظير ذلك، وحضر جن علي باشا وطلع إلى القلعة، فلم يقابله جركس إلّا في قصر الحلي، وكمل له من الأمراء ثلاثة عشر صنجقًا، واستولوا على جميع المناصب والكشوفيات، ولما تأمَّر ذو الفقار بعد قتل إسماعيل بك انضم إليه كثير من الفقارية، وسافر إلى المنوفية فأراد أن يُجَرِّدَ عليه، وطلب من الباشا فرمانًا بذاك فامتنع، فتغير خاطره من الباشا، واستوحش كل من الآخر، وحصل ما تقدم ذكره من عزل الباشا، ثم جرَّد علي ذي الفقار، فاختفى ذو الفقار وتغيب بمصر إلى أن حضر علي باشا والي كريت، واستقر بالقلعة، ودبروا في ظهور ذي الفقار كما تقدم في خبر محمد باشا، وخرج محمد بك جركس هاربًا من مصر فنهبوا

بيته وبيوت أتباعه وعشيرته، فأخرجوا من بيته شيئًا لا يحد ولا يوصف، حتى إنه وجد به من صنف الحديد أكثر من ألف قنطار، ومن الغنم أزيد من الألف خروف، وبعد ما أحاطوا بما فيه من المواشي والأمتعة ونهبوها هدموه، وأخذوا أخشابه وشبابيكه وأبوابه، ولم يمضِ ذلك النهار حتى خرب عن آخره، ولم يبقَ به مكان قائم الأركان، وقد أقام يعمر فيه نحو أربع سنوات فخرب جميعه من الظهر إلى قبيل المغرب، وقتلوا كل من وجدوه من أتباعه، واختفى منهم من اختفى، ومن ظهر بعد ذلك قتلوه أيضًا ونهبوا دياره.

وأخرج خلفه ذو الفقار تجريدة فلم يدركوه، وذهب من خلف الجبل الأخضر إلى درنه، فصادف مركبًا من مراكب الإفرنج فنزل فيها مع بعض مماليكه، وتفرق من كان معه من الأمراء بالبلاد القبلية، وسافر المترجم إلى بلاد الإفرنج فأكرموه، وتشفعوا فيه عند العثماني بواسطة الألچي فقبلوا شفاعتهم فيه، وأخذوا له مرسومًا بالعود إلى مصر وأخذها إن قدر على ذلك بعد أن عرضوا عليه الولاية والباشوية ببعض الممالك فلم يقبل، ولم يرضَ إلّا بالعود إلى مصر، فوصل إلى مالطة، وأنشأ له سفينة وشحنها بالجبخانة والآلات والمدافع ورجع إلى درنه، فطلع من هناك وأمر الرؤساء بالذهاب بالسفينة إلى ثغر إسكندرية، وحضر إليه بعض أمرائه وأتباعه المتفرقين فركب معهم وذهب إلى ناحية البحيرة فصادف حسين بك الخشاب، فهرب من وجهه فنهب حملته وخيامه وذهب إلى الإسكندرية، وكانت سفينته قد وصلت إلى مينتها فأخذ ما فيها من المتاع والجبخانة والآلات، ورجع إلى قبلي على حوش ابن عيسى، واجتمع عليه الكثير من العربان، وسار إلى الفيوم فهجم على دار السعادة، وهربت الصيارف فأخذ ما وجده من المال، ونزل على بني سويف، وكان هناك علي بك المعروف بالوزير فنزل إليه وقابله، ثم سار إلى القطيعة بالقرب من جرجا.

ثم عرج جهة الغرب قبلي جرجا، وأرسل إلى سليمان بك وطلبه للحضور إليه بمن عنده من القاسمية، فعدى إليه سليمان بك ومن معه، وقابله وأطلعه على ما بيده من المرسوم والأمان والعفو، وحضر إليه أحمد بك الأعسر وجركس الصغير، فركب بصحبة الجميع وانحدر إلى جهة بحري، فتعرض لهم حسن بك والسدادرة وعسكر جرجا وحاربوهم، فقتل حسن بك وطائفته، ولم ينجُ منهم إلا من دخل تحت بيارق العسكر، ونزل جركس بصيوان حسن بك، وأنزلوا مطابخهم وعازقهم في المراكب، وسار بمن معه طالبين مصر.

ووصلت أخبارهم إلى ذي الفقار بك فعمل جمعية، وأخذ فرمانًا بسفر تجريدة وأميرها عثمان بك تابع ذي الفقار وعلي بك قطامش وعساكر إسباهية ... وغيرهم، فقضوا أشغالهم، وعدوا إلى أم خنان، وصحبتهم الخبيري، وساروا إلى وادي البهنسا فتلاقوا مع محمد بك جركس فتحاربوا معه يومًا وليلة، وكان مع جركس طائفة من الزيدية والهوارة وعرب نصف حرام، فكانت الهزيمة على التجريدة، واستولى محمد جركس ومن معه على عرضيهم وخيامهم، وقتل منهم نحو مائة وسبعين جنديًّا، وحال بينهم الليل، ورجع المهزومون لمصر، وقالوا لذي الفقار بك: «إن لم تتداركوا أمركم وإلا دخلوا عليكم البيوت».

فجمع ذو الفقار بك الأمراء، واتفقوا على تشهيل تجريدة أخرى، واحتاجوا إلى مصروف فطلبوا من الباشا فرمانًا بمبلغ ثلثمائة كيس من الميري أو من مال البهار على السنة القابلة، فامتنع الباشا فركبوا عليه وعزلوه وأنزلوه، ولبَّسوا محمد بك قطامش قائمقام، وأخذوا منه فرمانًا، وجهزوا أمر التجريدة، فأخرجوا فيها مدافع كبارًا، وأحضروا سالم بن حبيب ومعه نصف سعد، وخرجوا من جهة الشيمي، ونزل عثمان جاويش القازدغلي بجماعة جهة البدرشين وصحبته علي كتخدا الجلفي بالمراكب، ورتبوا أمورهم وأشغالهم، ووصل جركس ومن معه ناحية دهشور والمنشية، ووقعت بينهم حروب ووقعت الهزيمة على جركس، وقتل سليمان بك ونزلت القرَّابة المراكب، وسارت الخيالة صحبة العرب مقبلين، وسار عثمان جاويش القازدغلي خلف قرا مصطفى جاويش ليلًا ونهارًا حتى أدركه عند أبي جرج، فقبض عليه ومعه ثلاثة، وأخذ ما وجده معه، وأنزلهم في المركب، وأتى بهم إلى مصر فقطعوا رءوسهم.

وأرسلوا فرمانًا برجوع التجريدة ولحوق الصنجقيين وأغات البلك والإسباهية وسالم بن حبيب بجركس أينما توجه، فسافروا خلفه أيامًا، ثم عدى إلى جهة الشرق ومعه عرب خويلد، وأقام هناك ينتظر حركة القاسمية بمصر، وكانوا قد تواعدوا معه سرًّا على قتل ذي الفقار بك فعدى إليه علي بك قطامش والعسكر وسالم بن حبيب فتلاقوا معه، ووقع بينهم مقتلة عظيمة انجلت عن انهزام جركس ومن معه حتى ألقوا بأنفسهم في البحر، وأما جركس فإنه خلع لجام الحصان، وأراد أن يعدي به بمفرده إلى البر الآخر فانغرز الحصان في روبة وتحتها الماء عميق، فنزل من على ظهره ليخلصه فزلقت رجله وغرق بجانبه، وكان بالقرب منه شادوف وعليه رجلان من الفلاحين ينقلان الماء إلى المزرعة، فنزلا إليه فوجدا الحصان ميتًا وهو غاطس بجانبه ولم يعلما من هو،

فجراه من رجله وأخذا سلاحه وزرده وثيابه وما في جيوبه ودفناه بالجزيرة، ومر بهما قارب صياد فطلباه ووضعاه فيه.

وكان علي بك جالسًا بجنب البحر ومعه سالم بن حبيب، فنظر سالم إلى القارب وهو مقبل فقال: «ما هذا إلا سمكة عظيمة واصلة إلينا» فأوقفوا القارب في ناحية من البر، وتقدم أحد الشدافين إلى الصنجق وباس يده، فقال له: «ما خبرك؟» قال: «وجدنا جنديًّا من المهزومين وهو غرقان بحصانه فلعله من المطلوبين وإلا رميناه البحر» فقال لمملوك سليمان بك: «انزل إليه وانظره فلعلك تعرفه!!» فلما رآه عرفه ورجع إلى الصنجق وقال له: «البشارة، هو محمد بك جركس الكبير، وهذا خاتمه» فأمر بإخراجه من القارب ووضع أحد الرجلين في الحديد، وقال للثاني: «اذهب فأتِ بكامل ما أخذتماه، وأنا أطلق لك رفيقك».

وأمر بسلخ رأسه وغسلوه وكفنوه ودفنوه ناحية شرونة، وارتحلوا وساروا إلى مصر، وكان القاسمية الذين بمصر فعلوا فعلهم وقتلوا ذا الفقار بك، وذلك في أواخر رمضان، والبلد في كرب، والقاسمية منتظرون قدوم جركس، وأبواب المدينة مقفلة وعلى كل باب أمير من الصناجق والوجاقلية دائرون بالطوف في الشوارع وبأيديهم الأسلحة، فلما وصل علي بك قطامش إلى الآثار النبوية وأرسل عرفهم بما حصل، خرج إليه عثمان بك ودخل صحبته بموكب، والرأس أمامهم محمولة في صينية، فكان ذلك اليوم يوم سرور عند الفقارية وحزن عظيم عند القاسمية. فطلعوا بالرأس إلى القلعة فخلع عليهم الباشا الخلع السمور ونزلوا إلى منازلهم، وأتتهم التقادم والهدايا، فكان بين موت جركس وذي الفقار خمسة أيام، ولم يشعر أحدهما بموت الآخر.

ثم تتبعوا القاسمية وقتلوا منهم ألوفًا، وبهذه الحوادث انقطعت دولة القاسمية، والسبب في دمارهم: محمد بك جركس المترجم، وابن أستاذه محمد بك ابن أبي شنب، وسوء أفعالهما وخبث نياتهما، فإن جركس هذا كان من أظلم خلق الله، وأتباعه كذلك، وخصوصًا سرَّاجه المعروف بالصيفي وطائفته، وكانت أيامه أشر الأيام، وحصل منهم من أنواع الفساد والإفساد ما لا يمكن ضبطه. فمن جملة ذلك: أن سرَّاجينه خطفوا النحاس من النحاسين، وأخذوا من الصاغة الفضة والذهب، وكذلك أنواع الأقمشة من خان الخليلي والغورية، وكذلك السكر من السكرية، وهجموا على النساء في الحمامات وأخذوا ثيابهن، فعلوا ذلك بحمام القاضي وحمام أمير حسين وحمام الموسكي، وشلحوا كثيرًا من الناس بوسط الأسواق ومنهم الخواجا حسن مرزوق وكان في جيبه أربعمائة

وعشرون جنزرلي، وقتلوا أنفارًا من أعيان الناس بطريق بولاق وبوسط المدينة، ومنهم علي جلبي قتل بعد العصر بالخراطين، وسليمان جلبي بحارة الروم بعد الظهر، وأيوب كاشف تابع إبراهيم جربجي الصابونجي في رأس الخيمية في يوم الجمعة بعد الظهر، وقتل شخص من الأجناد بالصليبة ليلًا ووجد فى الصباح مقطعًا أربع قطع، وصار على رءوس الناس الطير.

واجتمع الناس إلى العلماء بالأزهر، والتمسوا منهم الذهاب إلى الباشا في شأن هذه الأحوال فاعتذروا إليهم بأنهم ممنوعون من الطلوع من القلعة.

(ومما اتفق) أن الشيخ عبد الرحيم السلموني مباشر وقف السلطان الغوري صنع مهمًا لزواج ابنته في أيام جركس، ودعا بعض الأمراء من الصناجق والاختيارية، وبعد ما أكل الأعيان مدوا سماطًا ودعوا السراجي للأكل فأبوا، وقالوا: «لا نأكل حتى نأخذ عوائدنا من صاحب الفرح كما هو شأن أتباع الحكام في البلاد الرومية، ويقولون لذلك: (ديش كراسي) أي كراء الأسنان» فلم يسع الرجل إلا أنه أعطى كل شخص منهم ريالًا وكانوا خمسة وأربعين سراجًا، وذلك بحضور كتخدا الينكجرية والعزب والمقادم، فلم يتكلم منهم أحد ... وقس على ذلك ما لم يقل. وكان موت محمد بك جركس وهلاكه في أواخر رمضان سنة اثنتين وأربعين ومائة وألف.

ومات الأمير علي بك المعروف بالهندي، وهو مملوك أحمد بك تابع إيواظ بك الكبير، جرجي الجنس، تقلد الإمارة والصنجقية بالديار الرومية، وذلك أنه لما قلد إسماعيل بك ابن إيواظ أستاذه أحمد بك الصنجقية والإمارة على السفر إلى بلاد مورة في سنة سبع وعشرين ومائة وألف ١٧١٥م عوضًا عن يوسف بك الجزار، جعل عليًّا هذا كتخداه، فلما توجهوا إلى هناك وتلاقوا في مصاف الحرب هجم المصريون على طابور العدو بعد انهزام الروميين فكسروا الطابور وانهزم العدو، واستشهد أحمد بك أمير العسكر المصري، فلما رجعوا إلى إسلامبول ذكروا ذلك وحكوه لرجال الدولة، فأنعموا عَلَى علي الهندي، وأعطوه صنجقية أستاذه أحمد بك، وأعطوه مرسومًا بنظر الخاصكية قيد حياته زيادة على ذلك ورجع إلى مصر.

ولم يزل معدودًا في الأمراء الكبار مدة دولة إسماعيل بك ابن سيد أستاذه حتى قُتل إسماعيل بك، وأراد قتله محمد بك جركس هو وعلي بك الأرمني المعروف بأبي العدبات، فدافع عنهما محمد باشا وقال: «إن الهندي منظور مولانا السلطان والأرمني أمين العنبر وناصح في خدمته، وضمن عائلتهما الباشا، فاستمرا في إمارتهما، فلما استوحش جركس

من ذي الفقار وجرد عليه وهو في كشوفية المنوفية هرب وحضر إلى مصر، ودخل عند علي بك الهندي المذكور فأخفاه عنده خمسة وستين يومًا، ثم انتقل إلى مكان آخر والمترجم يكتم أمره فيه، وجركس وأتباعه يتجسسون ويفحصون عليه ليلًا ونهارًا، وعزل جركس محمد باشا وحضر علي باشا، ودبروا أمر ظهور ذي الفقار مع عثمان كتخدا القازدغلي، وأحضروا إليهم المترجم، وصدروه لذلك، وأعانوه بالمال، وفتح بيته وجمع إليه الإيواظية والخاملين من عشيرتهم، وكتموا أمرهم، وثاروا ثورة واحدة، وأزالوا دولة جركس كما تقدم.

وظهر أمر ذي الفقار، وتقلد علي بك الهندي الدفتردارية بموجب الشرط المتقدم، وحضر محمد بك قطامش من الديار الرومية باستدعاء المصريين بتقليد الدفتردارية من الدولة فلم يمكِّنه المترجم منها حتى ضاقت نفسه منه، ووجه عزمه إلى ذي الفقار بك وألح عليه، وهو يعده ويمنيه، ويأمره بالصبر والتأني إلى أن حضر المملوك الواشي، وأخبر علي بك باجتماع مصطفى بك ابن إيواظ وأبي العدب ومن معهم، وذكر له ما قالوه في حال نشوتهم فلم يتغافل عن ذلك، وقال لذلك المملوك: «اذهب إلى ذي الفقار بك فأخبره» فذهب إليه فعرفه صورة الحال؛ فأوقع بهم ما تقدم ذكره من قتلهم بيد الباشا، وكان يظن مصافاة ذي الفقار له ويعتقد مراعاة حقه له، وبهذه النكتة صار علي بك وحيدًا فطمع فيه العدو، واختلى محمد بك قطامش بذي الفقار بك وتذاكر معه أمر الدفتردارية وعدم نزول علي بك عنها، وقال «لا بد من قتلي إياه!!» فقال له ذو الفقار: «لا أدخل معك في دمه، فإن له في عنقي جميلًا، فإن كنت ولا بد فاعلًا فاذهب إلى يوسف كتخدا البركاوي ورضوان أغا وعثمان جاويش القازدغلي ودبر معهم ما تريد، ولكن إن قتلتم الهندي فلازم من قتل محمد بك الجزار وذي الفقار قانصوه» فقال محمد بك قطامش: «إن ابن الجزار له في عنقي جميل؛ فإنه صان بيتي وحريمي في غيابي كوالده من قبل» فقال ذو الفقار بك: «وأنا كذلك أقمت في الاختفاء بمنزل علي بك وبغيره باطلاعه».

وانحط الأمر بينهم على الخيانة والغدر، وذهب محمد بك فاجتمع بيوسف البركاوي ومن ذكر، وتوافقوا على ذلك، فأحضر يوسف كتخدا البركاوي باشَ سرَّاجينه وكلَّمه على قتل الهندي، ووعده بالإكرام، فأخذ معه في صبحها خمسة أنفار ووقف بهم عند باب العزب، فلما أقبل علي بك في طائفته ابتكر ذلك السرَّاج مشاجرة مع بعض السَّراجين وتسابوا، فقيل لهم: «أما تستحوا من الصنجق؟» فأخرج ذلك السرَّاج الطبنجة وضربها في صدر الصنجق فنفذت الرصاصة من كمه، وساق علي بك جواده إلى جهة المحجر، وسار

على باب زويلة، وذهب إلى داره بحارة عابدين، وحضر إليه طوائفه وأغراضه وأصحابه، ومنهم: علي كتخدا عزبان الجلفي، وعلي كتخدا مملوك يوسف كتخدا حبَّانية، ومحمد جربجي بشناق عزبان، ومصطفى جاويش كدك ... وغيرهم، وامتلأ البيت والشارع، وباتوا تلك الليلة، وعند الفجر ركب محمد بك قطامش وحضر عند ذي الفقار بك فركب معه إلى جامع السلطان حسن، وحضر عندهم رضوان أغا وعثمان جاويش القازدغلي ويوسف كتخدا البركاوي وباقي الأغوات، فأرسلوا من طرفهم جاسوسًا إلى بيت الهندي فرجع وعرَّفهم بمن عنده.

فقال رضوان أغا: «أنا أذهب إليه وأحضره بحيلة إلى بيت ذي الفقار بك، ويأتي أغات مستحفظان فيأخذه إليكم» فركب رضوان أغا، وأرسلوا إلى ذي الفقار بك قانصوه آتي عندهم أيضًا، فلما دخل رضوان أغا على علي بك الهندي وجده شعلة نار، فجلس معه وحادثه وخادعه، وقال له: «بلغني أن ذا الفقار بك أقام في بيتك خمسة وستين يومًا، وبينك وبينه عهد وميثاق، فقم بنا إلى بيته وهو ينظر السرَّاج الذي ضرب عليك الطبنجة وينتقم منه، ودع الجماعة ينتظرونا إلى أن نعود إليهم».

فطلب الحصان؛ فأشار عليه علي كتخدا الجلفي بعدم الذهاب فلم يسمع، وركب في قلة من أتباعه وصحبه مملوكان فقط، وذهب مع رضوان أغا فدخل معه بيت ذي الفقار بك، وتركه وسار؛ ليأتي إليه بذي الفقار بك، وذهب إليهم وعرفهم حصوله في بيت ذي الفقار، فأرسلوا إليه أغات مستحفظان في جماعة كثيرة فدخلوا بيت ذي الفقار بك، وأخذوا الحصان والكرك من عليه، وقدَّموا له إكديشًا عريانًا، فقام عثمان تابع صالح كتخدا عزبان الرزاز، وأخذ كليمًا قديمًا فوضعه فوق الإكديش وميَّل عليه، وقال له: «هذا جزاء من يقصّ جناحه بيده!!» وأركبوه عليه وذهبوا به إلى السلطان حسن، فلما رآه ذو الفقار بك قال: «خذوا هذا أيضًا» وأشار إلى ذي الفقار قانصوه، وكان رجلًا وجيهًا ولحيته بيضاء عظيمة وعليه هيبة ووقار، فقال: «خذوا عني البلاد والصنجقية ولا تقتلوني» فسحبوهما مشاةً على أقدامهما إلى سبيل المؤمنين، وقطعوا رءوسهما ووضعوهما في تابوتين، وذهبوا بهما إلى بيوتهما فما شعر الجماعة الجالسون في بيت الهندي إلّا وهم داخلون عليهم برمته، فغسلوه وكفنوه ومشوا في جنازته، وذهبوا إلى منازلهم، وانفض الجمع، وركب ذو الفقار ومن معه، وطلعوا إلى القلعة، وتمموا أغراضهم.

وكان المترجم سليم الصدر، وعنده الحلم والعفة وسماحة النفس، وتولى كشوفية الغربية والمنوفية وبنى سويف ونظر الخاصكية بأمرٍ سلطانيٍّ قيد حياة، فلما ترأس

محمد بك جركس وابن أستاذه محمد بك ابن أبي شنب الدفتردارية نزعها منه، فورد بذلك مرسوم من الدولة بالتمكين للمترجم بنظر الخاصكية، وألبسه محمد باشا قفطانًا بذلك فلم يمتثل محمد بك ابن أبي شنب ولم يمكنه منها، فورد بعد ذلك مرسوم كذلك بتمكين علي بك، فلبَّسه علي باشا قفطانًا، فقال له علي بك: «أنت تلبسني وهم لا يمكنوني ولم يسلموني المفاتيح، وقد تقدم مثل ذلك مرتين» فقال له الباشا: «أنا آتيك بها وأرسلها إليك» وبعث إلى محمد بك يطلب منه المفاتيح، فوعده بذلك، ثم أحضروها له بسعي رجب كتخدا ومحمد جاويش الداودية، فأعطاها إلى علي بك فركب بصحبة الأغا المعين ونائب القاضي ومن كل بلك واحد، وفتحوا الخاصكية فلم يجدوا فيها شيئًا، فأخذ حجةً بذلك، وكان موت المترجم في أوائل سنة أربعين ومائة وألف.

ومات الأمير ذو الفقار بك قانصوه، وهو تابع قانصوه بك الكبير الإيواظي القاسمي، تقلد الإمارة والصنجقية في سابع شعبان سنة ثمانٍ وعشرين ومائة وألف ١٧١٥م ولبس عدة مناصب كثيرة مثل كشوفية بني سويف والبحيرة، ولما حصلت الحوادث وقُتل إسماعيل بك ابن إيواظ — اعتكف في بيته، ولازم داره، ولم يتداخل معهم في شيء من الأمور، فلما تعصب ذو الفقار بك ومحمد بك قطامش ومن معهم على قتل علي بك الهندي وإخماد فرقة القاسمية، عزم على قتل ذي الفقار قانصوه أيضًا، وأرسل إليه وأحضره إلى جامع السلطان حسن، وهو لم يخطر بباله أنهم يغدرونه؛ لانجماعه عنهم، فلما أحضروا علي بك الهندي على الصورة المتقدمة وسحبوه إلى القتل، فقال ذو الفقار بك: «خذوا هذا أيضًا» وأشار إلى المترجَم لحزازة قديمة بينهما، أو لعلمه بأنه من رؤساء القاسمية وقاعدة من قواعدهم، فقال لهم: «وما ذنبي؟ خذوا عني الإمرية والبلاد، ولا تقتلوني ظلمًا» فلم يمهلوه ولم يسمعوا لقوله، فسحبوه ماشيًّا مع الهندي وقتلوهما تحت سبيل المؤمنين بالرميلة، وكان إنسانًا عظيمًا وجيهًا منور الشيبة عظيم اللحية، رحمه الله تعالى.

ومات الأمير محمد بك ابن يوسف بك الجزار، تقلد الإمارة والصنجقية في شعبان سنة ثمانٍ وثلاثين ومائة وألف بعد واقعة محمد بك جركس وخروجه من مصر، ولما قُتل علي بك الهندي وذو الفقار بك قانصوه كان هو في كشوفية المنوفية، فعينوا له تجريدة وعليها إسماعيل بك قيطاس، وأخذ صحبته عربان نصف سعد، وكان قد وصل إليه الخبر، فأخذ ما يعز عليه، وترك الوطاق، وارتحل إلى جسر سديمة، فلحقوه هناك، واحتاطوا به وحاربوه وحاربهم، وقتل بينهم أجناد وعرب وحمى نفسه إلى الليل، ثم

أحضر مركبًا فنزل فيها وصحبته مملوكان لا غير وفراش وأخراج وذهب إلى رشيد، وترك أربعة وعشرين مملوكًا خلاف المقتولين فأخذوا الهجن، وساروا ليلًا متحيرين حتى جاوزوا وطاق إسماعيل بك، وتخلف منهم شخص فحضر إلى وطاق إسماعيل بك قيطاس فأخبره فارتحل كتخداه بطايفته فردوهم، وأخذهم عنده فخدموه إلى أَن مات.

ودخل محمد بك الجزار ثغر رشيد فاختفى في وكالة، فنمى خبره إلى حسين جربجي الخشاب السردار، فحضر إليه وقبض عليه وسجنه مع أحد المملوكين، وكان الثاني غائبًا بالسوق فتغيب ولم يظهر إلّا بعد مدة، وأرخى لحيته، وفتح له دكانًا يبيع ويشتري ولم يعرفه أحد، وأرسل حسين جربجي الخبر إلى مصر مع المساعي إلى ذي الفقار بك، ويستأذن في أمره بشرط أن يجعلوه صنجقًا، ويعطوه كشوفية البحيرة عن سنة أربعين ومائة وألف فأجيب إلى ذلك، وأرسلوا له فرمانًا بقتل محمد بك الجزار وقتل مملوكه، وأن يأتي هو إلى مصر ويعطوه مراده ومطلوبه، ومع الفرمان أغا معيّن من طرف الباشا، فقتلوا محمد بك ومعه مملوكه وسلخوا رءوسهما، ورجع بهما الأغا المعين إلى مصر.

ومات الأمير محمد بك ابن إبراهيم بك أبي شنب القاسمي، تقلد الإمارة والصنجقية في حياة والده في سنة سبع وعشرين ومائة وألف، ولما توفي والده انتقل إلى بيته الذي بالقرب من جامع إينال بالقرب من قناطر السباع، وتولى عدة كشوفيات بالإقاليم في أيام المرحوم إسماعيل بك ابن إيواظ، وكان يحقده ويحسده ويكرهه باطنًا هو ومماليك أبيه وخصوصًا محمد بك جركس، وأرادوا اغتياله، وأوقفوا له في طريقه من يقتله، ونجَّاه الله منهم فظفر بهم، وأخرج جركس منفيًّا إلى قبرص كما تقدم.

وسافر محمد بك المترجم بالخزينة فأغرى به رجال الدولة، وأوشى في حقه، وحصل ما تقدم ذكره، وأيده الله عليهم أيضًا في تلك المرة، ولما قُتل إسماعيل بك واستقل محمد جركس فتقلد المترجم دفتردار، وصار أميرًا كبيرًا يشار إليه ويرجع إليه في جميع الأمور، ولما عزلوا محمد باشا النشنجي تقلد المترجم أيضًا قائمقام، وعمل الدواوين في بيته ولم يطلع إلى القلعة كعادة الوكلاء والنواب، وقلد المناصب والإمريات في منزله، وصار كأنه سلطان، وكان على نسق مملوك أبيه محمد جركس في العسف وسوء التدبير، ولا يخرج أحدهما عن مراد الآخر، ولم يزل على ذلك حتى وقعت حادثة ظهور ذي الفقار، وخرج محمد بك جركس ومن معه هاربين واختفى المترجم، ثم إن جماعة من العامة وجدوه ميتًا بالجامع الأزهر، فأخبروا سليمان أغا أبا دفية أغات مستحفظان، فأخذه في تابوت وطلع به إلى القلعة ووضعه بديوان قايتباى.

وحضرت والدته خلفه وهي تبكي، وخرج محمد باشا فكشف وجهه ورآه، وقال: «لو كان عليك شطارة كنت قطعت رأسك، أخربت البيتين بفتنتك» ثم التفت إلى أمه، وقال لها: «هذا ابنك؟» قالت نعم. قال «ليتك ولدت حجرًا ولا هذا، خذيه وادفنيه» فأخذته وغسلته وكفنته، ودفنته بباب الوزير، ونهبوا بيته، وانقضى أمره.

ومات أيضًا عمر بك أمير الحاج تابع عبد الرحمن بك جرجا المتقدم ذكره انطوى إلى محمد بك جركس وأمَّره، وجعله أمير الحاج في أيامه، وكان غنيًّا وصاحب فائظ كثير، ومات في واقعة جركس.

ومات رضوان بك، وهو من مماليك محمد بك جركس، ويقال له: رضوان الخازندار، قلده الصنجقية، وأخذ نظر الخاصكية من علي بك الهندي وأعطاها له، وتنافس بسببها مع جركس، وانجمع كل منهما عن الآخر مدة طويلة، ولما وقع لجركس ما وقع اختفى رضوان بك المذكور عند يوسف بك زوج هانم، فأخبر عنه، وأخذه سليمان أغا وقتله، فسمي لذلك يوسف الخائن.

ومات الأمير علي بك المعروف بالأرمني، ويُعرف أيضًا بالشامي، وهو من أتباع ابن إيواظ، وكان أمين العنبر، ويُعرف أيضًا بأبي العدب، تقلد الصنجقية في عشري شهر القعدة سنة خمسٍ وثلاثين ومائة وألف ١٧٢٢م، ولما أراد إسماعيل بك تأميره لم يجدوا له إمرية في المحلول، فأنعم عليه الباشا بصنجقية كتخداه رعاية لخاطر ابن إيواظ، ونزل حاكمًا بجرجا، وكان يجعل لعمامته عدبة، فسموه في الصعيد بأبى العدب.

وتقلد أمين العنبر في سنة ست وثلاثين ١٧٢٣م، وحفظ الغلال وصرفها للمستحقين ومرتبات الحرمين والأوقاف وغلال الباشا والعليق، وارتاح الباشا والناس في أيامه، فلما قُتل إسماعيل بك أراد جركس البطش به وبالهندي فدافع عنهما الباشا، وقال: «إن علي بك الهندي منظور مولانا السلطان وأبو العدب منظوري وعليَّ ضمانهما» فلما زالت دولة جركس بظهور ذي الفقار وطائفة الفقارية ثقل عليهم وجودهما، فأخذوا يدبرون في الإيقاع بهما، وذو الفقار مظهر الصداقة والمؤاخاة للهندي، ويرعى حق جميله معه أيام اختفائه، والهندي يعتقد خلوصه له إلى أن اجتمع أبو العدب ومصطفى بك ابن إيواظ ومن معهم في مجلس أنسهم ووقع منهم ما تقدم ذكره، وذهب المملوك فأخبر الهندي فلم يتلافَ الهندي أمر ذلك ولم يتدبره بل أرسله إلى ذي الفقار بك، فعند ذلك لاحت له الفرصة وأرسله إلى الباشا وأخبره بمجلسهم وقولهم، وأن أبا العدب قال: «أنا أقتل الباشا يوم كسر الخليج» فاحتد الباشا، وأمره بإحضار المترجم، فلما مثل بين يديه

قال له: «أنت تريد قتلي يا خاين، وأنا الذى دافعت عنك وحميتك من القتل؟» فحلف له أنه افتراء ونميمة من الأعداء، فلم يصدقه وأمر بقتله في الحال، فنزلوا به إلى حوش الديوان، وقطعوا رأسه تحت ديوان قايتباي، ونهبوا بيته وأخذوا منه أشياءً كثيرة.

ومات أيضًا مصطفى بك ابن إيواظ، وهو أخو إسماعيل بك، تقلد الإمارة والصنجقية أيام ظهور ذي الفقار كما تقدم، وصار من الأمراء القاسمية المعدودين. فلما أحضر الباشا علي بك الأرمني وقتله وأمر بالقبض على باقي الجماعة، فقبضوا على مصطفى بك المذكور، وأحضروه على حمار وصحبته المقدم تابعه فقتلوهما تحت ديوان قايتباي بعد قتل علي بك بيومين.

ومات الأمير صاري علي بك، ويقال له: علي بك الأصفر؛ لأن صاري بمعنى الأصفر، وهو من أتباع إيواظ بك، تقلد الإمارة والصنجقية غاية شعبان سنة أربع وثلاثين ومائة وألف ١٧٢١م، ولبس كشوفية الغربية، ولما قُتل ابن أستاذه إسماعيل بك استعفى من الصنجقية، وعمل جربجيًّا بباب العزب واعتكف ببيته، ولم يتداخل في أمر من الأمور، ثم أعيد وسافر أميرًا بالعسكر إلى الروم، وتوفي بدار السلطنة سنة إحدى وأربعين ومائة وألف.

ومات الأمير أحمد كتخدا عزبان المعروف بأمين البحرين، وكان من الأعيان المشهورين نافذ الكلمة وافر الحرمة، وكان بينه وبين الأمير إسماعيل بك ابن إيواظ وحشة وكان يكرهه. فلما ظهر إسماعيل بك خمدت كلمة المترجم واستمر في خموله، ثم انضم إلى إسماعيل بك وتحابب له، وصار من أكبر أصدقائه، وعمل باش أوده باشه، ثم تولى الكتخدائية، وعمل أمين البحرين ثالث مرة، وسُمعت كلمته ونمى صيته.

فلما قُتل إسماعيل بك رجع إلى خموله، ثم نفي إلى أبي قير بمعرفة اختيارية الباب، وتعصب إبراهيم كتخدا أفندي عليه، وكان إذ ذاك ضعيف المزاج فأرسلوا له الفرمان صحبة كمشك جاويش ومعه نحو المائتين نفر، فدخلوا عليه منزله بدرب السادات مطل على بركة الفيل على حين غفلة، وأركبوه من ساعته وهم حوله إلى بولاق، وأرسلوه إلى أبي قير، ثم أرسلوا له فرمانًا بالسفر إلى سفر العجم مع صاري علي، وجعلوه سردار العزب، ومع الفرمان القفطان وفيه الأمر له بأن يجهز نفسه ويسافر من أبي قير إلى الإسكندرية، ولا يأتي مصر بل ينتظر بالأسكندرية وصول العساكر المسافرين. فذهب إلى إسكندرية واستمر بها حتى وصلت العسكر وسافر معهم إلى إسلامبول. فلما وصل هناك استأذن في المقام بها إلى أن تسافر العسكر وتعود، فأُذن له، فأقام هناك إلى أن توفي في سنة إحدى وأربعين ومائة وألف.

ومات الأمير علي بك قاسم وهو ابن أخي قاسم بك الصغير ويلقب بالملفق، ولما مات قاسم بك بالبهنسا كما تقدم قلد محمد جركس عليًّا هذه الصنجقية عوضًا عن قاسم بك، ونزل في منصبه وأعطاه فايظه، ولم يزل أميرًا حتى خرج محمد بك جركس من مصر هاربًا، وخرج معه مَن خرج، واختفى المترجم فيمن اختفى ببيت امرأة دلالة في كوم الشيخ سلامة، ومات به، وزوجها أجير عند بعض التجار بخان الخليلي، فأخرجوه مثل بعض الطوائف، فبلغ الخبر سليمان أغا أبا دفية أغات مستحفظان، فهجم على بيت المرأة فلم يجدها ووجد زوجها فخوزقه على باب الكوم؛ لكونه كتم أمره، ولم يدل عليه.

ومات الأمير رجب كتخدا و سليمان الأقواسي، وذلك أنه لمَّا انقضى أمر جركس قلَّدوا رجب كتخدا سردار جداوي، وجعلوا الأقواسي يمق، وجهزا أمورهما وأحمالهما، وخرجا إلى البركة ليذهبا إلى السويس، فخرج إليهما صنجق من الأمراء وصحبته جاويش من الباب، فأتياهما آخر الليل وقتلاهما وقطعا رءوسهما، وضبطا ما وجداه من متاعهما، وسلماه لبيت المال بالباب.

ومات الأمير أحمد أفندي كاتب الروزنامه ابن محمد أفندي التذكرجي، خنقه محمد باشا النشنجي في واقعة جركس وظهور ذي الفقار بك، ولما خرج جركس من مصر هاربًا خرج معه إلى وردان وكان جسيمًا فانقطع مع بعض المنقطعين وأخذت ثيابهم العرب، وقبضوا على من قبضوا عليه وفيهم أحمد أفندي الروزنامجي، وأتوا بهم إلى مصطفى تابع رضوان أغا، وكان في الطرانة قايمقام فأخذهم وقتل منهم أناسًا، وأرسل رءوسهم، وأرسل أحمد أفندي بالحياة فحضروا به إلى بيت الدفتردار وهو راكب على ظهر حمار سوقي فأرسله، علي بك الهندي الدفتردار إلى ذي الفقار، فقال لعلي بك: «ركبني جوادًا وأخرج عني هذا الحديد من رجلي». فقال له علي بك: «لو رحمتمونا كنا رحمناكم» فلما أحضروه إلى ذي الفقار وهو على هذه الصورة لم يلتفت إليه ولم يخاطبه وأرسله إلى الباشا، فمثل بين يديه، وكان يوم ديوان، وذلك بعد الواقعة بخمسة أيام، فأرسله الباشا إلى كتخداه فبات عنده تلك الليلة، ثم أرسله إلى كتخدا مستحفظان، فحبسه بالقلعة وخنقوه تلك الليلة، وأنزلوه إلى بيته، فغسلوه وكفنوه ودفنوه.

وبيته هو بيت لاجين بك الذى هو بقرب الداودية تجاه جامع الحين، وبه السويقة المعروفة بسويقة لاجين، وهو بيت عبد الرحمن أغا مستحفظان، وهو آخر من سكنه، ورأيته مكتوبًا في وقف أحمد أفندي المذكور، وتولى بعده في كتابة الروزنامه عبد الله أفندي فحرر حساب الروزنامه فعجزت ثمانين كيسًا فضبطوا موجودات أحمد أفندي

فبلغت أربعين كيسًا فقعد الباشا بالباقي، ولما انقضى أمر ذلك ومضى عليه نحو السنة حضرت جارية من جواري المترجم إلى ذي الفقار بك وشكت إليه من أخي، أحمد أفندي، وأنه أعطى لكل جارية من الجواري البيض والسود اسم جامكية ولم يعطِها شيئًا مع أنها من جواريه القديمة، وأخبرته أنها تعلم مخبأةً فيها مال سيدها وذخائره، فأرسلها ذو الفقار بك إلى كتخدا الباشا فأخبرته وعرف مخدومه، فقال له: خد كاتب الخزينة ونائب القاضي وشاهدان وانزلوا معها وانظروا ذلك وحرروه، فنزلوا إلى بيت أحمد أفندي والجارية معهم فهرب أخوه وطلعوا إلى الحريم، فأدخلتهم الجارية إلى قاعة، ورفعت البساط والحصير، وأطلعتهم على بلاط المخبأة؛ فكشفوه فظهر طابق، وفتحوه وأوقدوا شمعة، وأخرجوا من تلك المخبأة أشياء كثيرة من مصاغ وذهبيات وفضيات ولؤلؤ وعنبر وعود وسروج وعبي مزركشة وبقج أقمشة هندية وأمتعة نفيسة وأواني صيني وبابا غوري، وعشرين كيسًا نقودًا. فضبطوا جميع ذلك وأمر الباشا ببيع الأعيان الموجودة، وأعطى الجارية مائة فندقلي واسمين جامكية، وأمر عبد الله أفندي الروزنامجي أن يجهزها ويزوجها، ففعل ذلك وزوجها لبعض أتباعه.

ومات محمد جربجي المرابي، وكان ذا مال عريض، وضبط موجوده ألفي كيس، ولم يعقب أولادًا إلا أولاد سيده، وزوجته بنت أستاذه، وأوصى لشخص يقال له عمر أغا بثلاثين كيسًا، ولآخر بألفي دينار، ولآخر بألف، ولكل مملوك من مماليكه ألف دينار، ولمجاوري الأزهر خمسمائة دينار. توفي في عشرين رمضان سنة ثمانٍ وثلاثين ومائة وألف.

ومات المعلم داود صاحب عيار، خنقه محمد باشا النشجي بعد خروج محمد بك جركس، فقبضوا عليه وحبسوه بالعرقانة وخنقوه، وهو الذي ينسب إليه الجدد الداودية. ففي سنة سبع وثلاثين وماية وألف ١٧٢٤م الماضية حضر من الديار الرومية أمين ضربخانة وصاحب عيار وصناع دار الضرب، وصحبتهم سكة الفندقلي والنصف فندقلي، وأن يكون عياره ثلاثة وعشرين قيراطًا، وصرف الفندقلي ماية وأربعة وثلاثون نصفًا، والنصف سبعة وستون، فأحضر الباشا المعلم داود، وطلب منه سكة الجنزرلي وأعطاه سكة الفندقلي، وختم على سكة الجنزرلي في كيس وأودعها في خزانة الديوان، وعندما سمع داود بهذه الأخبار قبل حضورهم إلى مصر تدارك أمره، وفرق على الباشا وكتخدا الباشا ومحمد بك جركس والمتكلمين عشرين ألف دينار. فلما قرا المرسوم بالديوان قالوا: سمعنا وأطعنا في أمر السكة، وأما صاحب عيار فإنه لا يتغير. فقال الباشا: «كذلك، لكن يكون الأغا ناظرًا على الضربخانة لأجل إجراء المرسوم» وتم الأمر على ذلك.

فلما عُزل الباشا اجتمع الموردون للذهب عند المعلم داود وكلموه في إخراج سكة الجنزرلي؛ لأنهم هابوا سكة الفندقلي، وامتنعوا من جلب الذهب وتعطل الشغل، فرشا قائمقام وأخرج له سكة الجنزرلي وسلمها لداود فأخذها إلى داره بالجيزة، وعمل له فرنًا للذهب وأحضر الصناع والذهب من التجار، وضرب في ستين يومًا وليلة تسعمائة وثمانين ألف جنزرلي، ونقص عياره قيراطًا، ودفع المصلحة، وسدد ما عليه من ثمن الذهب، وقضى ديونه وكشوفية دار الضرب، فصارت الصيارف تتوقف فيه ويقولون: «ضرب الجيزة يعجز خمسة أنصاف فضة»، فنقمها محمد باشا عَلى داود؛ فلما عاد إلى المنصب في واقعة جركس وذي الفقار قبض عليه وقتله، وذلك في أواخر جمادى الآخرة سنة ثمانٍ وثلاثين ومائة وألف.

ومات الأمير أحمد بك الأعسر، وهو من مماليك إبراهيم بك أبي شنب القاسمي، تقلد الإمارة والصنجقية في عشرين شهر شوال سنة ثلاث وعشرين وماية وألف، وتلبس بعده مناصب مثل جرجا والبحيرة والدفتردارية وعزل عنها، وهو خشداش جركس وعضده، وخرج معه من مصر، ولما ذهب جركس إلى بلاد الإفرنج تخلف عنه وأقام عند العرب، ونزل عند ابن غازي بناحية درنة. فلما وصل الحاج المغربي أرسل معهم ثلاثة من مماليكه وأرسل معهم مكاتيب ومفاتيح إلى ولده، وذكر له أنه يتوجه إلى رجل سماه له، فلما وصلت السفينة التي نزلوا بها أعلم القبطان سردار مستحفظان، فقبض عليهم وأرسل بخبرهم إلى باب مستحفظان فأخبروا الباشا فأحضر والي الشرطة، وأمره بإحضار ابن أحمد بك الأعسر فأحضره فأمر بحبسه بالعرقانة فحبسوه وعاقبوه، فأقر بأن المال عند ابن درويش المزين، وهو كان مزين إبراهيم بك أبي شنب، فأرسلوا إليه وهجموا عليه ليلًا، وأخذوا كل ما في داره، ووجدوا عنده ثلاثة صناديق للأعسر، ثم نفوا بعد ذلك ابن أحمد بك إلى دمياط، ولم يزل أحمد بك ينتقل مرة عند عرب درنة، ومرة عند الهوارة بالصعيد، وكذلك باقي جماعة جركس وخشداشينه حتى رجع إليهم جركس، وخرجت إليهم التجاريد، وقُتل في الحرب سنة اثنتين وأربعين وماية وألف ١٧٢٩م في واقعة البهنسا، ودُفن عند قبور الشهداء.

ومات الأمير مصطفى بك الدمياطي، قلده الصنجقية ذو الفقار بك بعد هروب محمد بك جركس، وولاه جرجا، وكان يقال له: مصطفى الهندي. فلما نزل إلى جرجا وكان بها سليمان بك القاسمي عدى سليمان بك إلى البر الشرقي تجاهه، وصار كل يوم يعمل نشانًا ويضرب الجرة، فلم يتجاسر مصطفى بك على التعدية، وكان غالب أتباع

مصطفى بك وطوايفه قاسمية من أتباع المقتولين فراسلهم سليمان بك وراسلوه سرًّا، ثم اتفقوا على قتل مصطفى بك فقتلوه وغدروه ليلًا، وأخذوا خزانته وما أمكنهم من متاعه، وعدوا إلى سليمان بك وانضموا إليه، فلما أصبح مماليكه وخاصته وجدوا سيدهم مقتولًا فغسلوه وكفنوه ودفنوه، وكتب كتخداه بذلك إلى ذي الفقار بك، فلما وصل إليه الجواب أرسل إليه بالحضور بمخلفاته ومماليكه المشتروات، ففعل ذلك، وقلد عوضه حسن كاشف من أتباعه الصنجقية وولاية جرجا، فأرسل قايمقامه، ثم جهز أموره ونزل إلى منصبه.

ومات حسن بك المذكور، وهو أنه لما نزل إلى جرجا، واستمر بها إلى أن رجع محمد بك جركس من غيبته، وسار إلى ناحية جرجا — كما تقدم — جَيَّش عليه حسن بك، وجمع إليه السدادرة، وحكام النواحي، وبرز لمحاربة جركس وحاربه، فوقعت عليه الهزيمة، واستولى جركس ومن معه على خيامه ووطاقه، وقتل المترجم في الحرب، وذلك في أوائل سنة أربعين ١٧٢٧م.

ومات سليمان بك القاسمي المذكور آنفًا، وذلك أنه لما رجع محمد بك جركس، وسار إلى ناحية القطيعة، ثم انتقل إلى جهة الغرب قبلي جرجا، فأرسل إلى المترجم يطلبه للحضور إليه بمن معه من القاسمية، فعدّى إليه بمن ذكر وصحبته قرا مصطفى أوده باشه، فقابلوه وارتحل معهم إلى بحري، فبرز إليهم حسن بك وقُتل كما ذكر، واستولى جركس على صيوانه ومطابخه وعازقه، وارتحل جركس ومن معه إلى بحري، وخرجت إليهم التجاريد وأميرها عثمان بك وعلي بك قطامش، فتلاقوا معهم بوادي البهنسا، ووقعت بينهم الحروب، وكان مع جركس طوايف الزيدية وخلافهم، وانجلت الحرب عن هزيمة المصريين، واستولى جركس ومن معه على خيامهم، ونزل جركس في وطاق عثمان بك، وسليمان بك المترجَم في وطاق علي بك، ورجع المنهزمون إلى مصر، وزحف جركس ومن معه إلى ناحية دهشور، وخرجت لهم التجريدة ونصبوا تجاههم، فأصبح سليمان بك وتهيأ للركوب والمحاربة، فمنعه جركس وقال له: «هذا اليوم ليس لنا فيه حظ». فقال له: «كيف أصبر على القعاد والراية البيضاء أمامي؟».

ثم ركب وهجم على التجريدة وقتل أُناسًا كثيرًا وشتتهم، وانحازوا خلف المتاريس وردوه بالمدافع، وبرزوا إليه مرتين وهزمهم، وفي الثالثة أصيب جواده برصاصة في فخذه، فسقط إلى الأرض، فتحلقت به طوائفه ومماليكه، وذهب بعض الخدم ليأتي إليه بمركوب آخر، وتابع الأخصام الرمي حتى تفرق مَنْ حوله، ولم يبقَ معه سوى مملوك

وآخر من الطوايف، فأصيب هو والطايفة فوقعا، فهجم عليه سالم بن حبيب وأخذوهما إلى الصيوان، وقطعوا دماغهما، ودفنوهما عند الشيمي، فلما وقع لسليمان بك ما وقع ارتحل جركس وسار نحو الجبل.

وكان المترجَم صاحب خيرات وله مآثر بجرجا، وأنشأ بها زاوية، وعمل بها ميضأة وحنفية، وأنشأ ساقية وحوضًا لشرب الدواب، وهدم البوظة خارج البلد، وأبطل موقف الخواطي والمنكرات، غفر الله له.

ومات قرا مصطفى جاويش، وكان أوده باشه فلبَّسه جركس الضلمة في أيام رجب كتخدا مستحفظان سابقًا، ثم عمل كجك جاويش، ونزل يجمع عوايد الباب من الوجه القبلي فوقع بمصر ما وقع من حروب جركس وقتل رجب كتخدا والأقواسي، فالتجأ إلى سليمان بك المذكور، وعدى صحبته الشرق. فلما وقعت الحروب وقتل سليمان بك اجتمع إليه الطوائف القرَّابة، ونزل بهم المراكب، وساروا إلى قبلي فتبعه عثمان جاويش القازدغلي ليلًا ونهارًا حتى لحقه وهو راسي تحت أبي جرج، وكانت الأجناد الذين بصحبته طلعوا جهة الشرق قرابة أي مشاة من عدم القومانية أي الركايب فقبضوا على مصطفى جاويش المذكور ومعه ثلاثة من الغز، ونهب عثمان جاويش ما وجده في المراكب، وحضر إلى مصر فقطعوا رأس مصطفى جاويش المذكور ومن معه.

ومات الأمير ذو الفقار بك الفقاري، وهو مملوك عمر أغا من أتباع بلغيه، قُتل سيده المذكور بعد انقضاء الفتنة الكبيرة، ولما طلع الأمير إسماعيل بك إثر ذلك إلى باب العزب، وقتل حسن كتخدا برمق سر، وأمر بقتل عمر أغا المذكور فقتلوه عند باب القلعة، وأمر بقتل المترجم أيضًا، وكان إذ ذاك خازنداره فالتجأ إلى علي خازندار حسن كتخدا الجلفي، وكان من بلده فحماه وخاصم أستاذه من أجله، وخلص له نصف قمن العروس، وكانت لأستاذه فأخرج له تقسيطها، وأخذ النصف الثاني إسماعيل بك من المحلول، وتصرف في كامل البلد، ومات حسن الجلفي فانطوى المترجم إلى محمد بك جركس وترجاه في استخلاص فايظه من إسماعيل بك وكلمه بسببه مرارًا فلم ينجح، وكلما خاطبه في أمره قطب وجهه وقال له: «أما يكفيك أني تاركه حياء لأجل خاطرك؟ فإن أردت قبول شفاعتك فيه اطرد الصيفي من بيتك، وأرسل إليَّ بعد ذلك المذكور يحاسبني وأعطيه الذي له» فيسكت جركس.

وضاق الحال بالمترجم من القشل والإعدام فاستأذن جركس في غدر ابن إيواظ، فقال: افعل ما تريد، فوقف له مع نظرايه بالرميلة، وضربوا عليه بالرصاص فلم

يصيبوه، ووقع بسبب ذلك ما وقع لجركس، وأُخرج من مصر، ونُفي إلى قبرص كما تقدم، وتغيب المترجم فلم يظهر حتى رجع جركس، وظهر أمره ثانيًا، وعاد إلى طلب فايظه والإلحاح على جركس بذلك، وهو يسوفه ويعده ويمنيه ويعتذر له إلى أن ضاق خناقه، وعاد إلى حالة الغدر الأولى، وفعل ما تقدم من المخاطرة بنفسه وقتله لابن إيواظ بمجلس كتخدا الباشا، وكان إذ ذاك من آحاد الأجناد، ولم يتقدم له إمارة ولا منصب، فعندها قلدوه الصنجقية وكشوفية المنوفية، وأخذ من فايظ إسماعيل بك عشرين كيسًا، وانضم إليه الكثير من فرقة الفقارية، وحقد عليه القاسمية.

وحضر رجب كتخدا ومحمد جاويش الداودية عند جركس، وتذاكروا أمر ذي الفقار، وأنهم نظروه وهو خارج بالموكب إلى كشوفية المنوفية ومعه عصبة الفقارية وأمراوهم راكبين في موكبه مثل مصطفى بك بلغيه ومحمد بك أمير الحاج وإسماعيل بك الدالي وقيطاس بك الأعور وإسماعيل بك ابن سيده ومصطفى بك قزلار ... وغيرهم، وقالا له: «إن غفلنا عن هذا الحال قتلنا الفقارية» فحركا فيه حَمّية الجاهلية، وقتل أصلان وقبلان بيد الصيفي، وطلب من محمد باشا فرمانًا بالتجريد على ذي الفقار، فامتنع الباشا من ذلك، وقال: «رجل خاطر بنفسه وفعل ما فعله باطلاعكم فكيف أعطيكم فرمانًا بقتله؟».

فتحامل جركس على الباشا وعزله، وقلد محمد بك ابن أستاذه قايمقام، وأخذ منه فرمانًا، وجهز التجريدة إلى ذي الفقار، وكتب بذلك مصطفى بك بلغيه إلى ذي الفقار يخبره بما حصل ويأمره بالاختفاء، ففعل ذلك، وحضر إلى مصر، واختفى عنه أحمد أوده باشه المطرباز أيامًا، وعند علي بك الهندي زيادة عن شهرين، وحصل له ما تقدم ذكره من حضور علي باشا والقبطان وقيام الإيواظية والفقارية وظهور ذي الفقار، ووقوع الحرب بينهم وبين محمد بك جركس، وخروجه من مصر وذهابه إلى بلاد الإفرنج، ورجوعه وتجهيز ذي الفقار بك التجاريد إليه وهزمها وزحفه على مصر، وقد كان أوقع بالإيواظية في غيبة جركس ما أوقعه من القتل والتشريد ما ذكرناه.

فلما قرب جركس من أرض مصر راسل القاسمية سرًّا، ومنهم سليمان أغا أبو دفية، وهم إذ ذاك خاملون ومتغيبون ومختفون، وذو الفقار بك يفحص عنهم ويأمر الوالي والأغا والأوده باشه البوابة بالتجسس والتفتيش على كل من كان من القاسمية، وخصوصًا يعسوبهم سليمان أغا المذكور، وقرب ركاب جركس من مصر بعدما كسر التجاريد وعدى إلى جهة الشرق، واشتد الكرب بذي الفقار، واجتهد في تحصين المدينة، وأجلس أُمَرَاه وصناجقه على الأبواب وفي النواحي والجهات، ولازم أرباب الدرك والمقادم

الطواف والحرس وخصوصًا بالليل، وفتايل البندق مشعلة بالنار في الأزقة والشوارع، والقاسمية منتظرون الفرصة والوثوب من داخل البلدة. فلما راسل جركس سليمان أغا أبا دفية في الوثوب وإعمال الحيلة على قتل ذي الفقار بك بأي وجه أمكن، فتوافقوا فيما بينهم على وقت معين، واجتمع أبو دفية وخليل أغا تابع محمد بك قطامش، وجمعوا إليهم ثلاثين أوده باشه من القاسمية، وأعطاهم ألفًا ومائتي جنزرلي، وأن يضم كل واحد منهم إليه عشرة أنفار، ويقفوا متفرقين جهة باب الخرق وجامع الحين وقت آذان العشاء.

وجمع إليه خليل أغا نحو سبعين نفرًا من القاسمية ولبسوا كملابس أتباع أوده باشه البوابة، ومن داخل ثيابهم الأسلحة وبأيديهم النبابيت، ولبس خليل أغا هيئة الأوده باشه وزيه، وكان شبيهًا به في الصورة، وأخذوا معهم سليمان أغا أبا دفية وهو مغطى الرأس وبيده القرابينة، ودخلوا إلى بيت ذي الفقار بك في كبكبة، وهو يقولون قبضنا على أبي دفية، وكان المترجم جالسًا بالمقعد ومعه الحاج قاسم الشرايبي وآخرون، وهو مشمر ذراعيه يريد الوضوء لصلاة العشاء. فلما وقفوا بين يديه وقف على أقدامه وقال: «أين هو؟» فقال خليل أغا: «ها هو» وكشفوا رأسه، فأراد أن يكلمه ويوبخه، فأطلق أبو دفية القرابينة في بطن الصنجق، وأطلق باقي الجماعة ما معهم من الطبنجات، فانعقدت الدخنة بالمقعد، فنط قاسم الشرايبي ومن معه من المقعد إلى الحوش، ونزلوا على الفور فوجدوا سراجه المسمى بالشتوي فقتلوه في سلالم المقعد، وعلي بك المعروف بالوزير قتلوه أيضًا وهو داخل يظنوه مصطفى بك بلغيه، وإذا بعلي الخازندار يقول بأعلى صوته: «الصنجق طيب، هاتوا السلاح» وسمعه الجماعة. فكانت هذه الكلمة سببًا لظهور الفقارية وانقراض القاسمية إلى آخر الدهر، ولم يقُم لهم بعدها قائم أبدًا. فإنهم لما سمعوا قول الخازندار ذلك اعتقدوا صحته، وتحققوا فساد طبختهم، وخرجوا على وجوههم، وتفرق جمعهم، فذهب أبو دفية ويوسف بك الشرايبي وخليل أغا، فاختفوا بمكان يوسف بك زوج هانم بنت إيواظ الذي هو مختفٍ فيه، وأربعة من أعيانهم اختفوا في دار عند مطبخ الأزهر.

وأما الجماعة المجتمعون بباب الخرق في انتظار أذان العشاء فما يشعرون إلا بالكَرشة في الناس، فتفرقوا واختفوا، فلو قدَّر الله أنه اجتمع الواصلون والمجتمعون بباب الخرق وهم مُحرِمون في صلاة التراويح لتم غرضهم وظهر شأن القاسمية، ولكن لم يرد الله بذلك.

ثم إن علي الخازندار أرسل إلى مصطفى بك بلغيه فحضر إليه بجمعه، وإذا برجل سراج من العصبة المتقدمة حضر إليهم وعرفهم بصورة الواقع؛ ليأخذ بذلك وجاهة عندهم، فحبسوه إلى طلوع النهار، فحضر عثمان جاويش القازدغلي ويوسف كتخدا البركاوي وعلي كتخدا الجلفي ومحمد بك قطامش وخليل أفندي جراكسة، فقرروا علي الخازندار، فقال علي الخازندار لمحمد بك قطامش: «دم الصنجق عندك، فإن القاتل لأستاذنا مملوكك خليل أغا» فقال: «أنا طارده من يوم عزل من أغاوية العزب ووقت ما تجدوه اقتلوه» ثم أحضروا ذلك السراج بين أيديهم، وسأله عثمان جاويش فعرفه أنه ينكجري، فأرسلوه إلى البواب ليقرروه على أسماء المجتمعين، ثم غسلوا الصنجق وكفنوه، وصلوا عليه في مصلى المؤمنين، ودفنوه بالقرافة، وطلعوا إلى القلعة وقلدوه الصنجقية، وقلدوا أيضًا صالح كاشف تابع محمد بك قطامش، وعزلوا محمد بك من إمارة الحج باستعفائه لعدم قدرته.

وأرسلوا إلى خشداشة عثمان بك فحضر من التجريدة، وسكن ببيت أستاذه، وسكن علي بك في بيت محمد أغا تابع إسماعيل باشا في الشيخ الظلام، وتزوج بزوجة سيده بعد ذلك، وقطعوا فرمانًا في اليوم الذي تقلد فيه علي بك الصنجقية بقتل القاسمية، ومات محمد بك جركس بعد موت ذي الفقار كما ذُكر، وحضر برأسه علي بك قطامش وذلك بعد موت ذي الفقار بك بخمسة أيام، وانقضت دولة القاسمية، وتتبعهم الفقارية بالقتل حتى أفنوهم.

وكان موت ذي الفقار وجركس في أواخر شهر رمضان سنة اثنتين وأربعين ومائة وألف، وكان الأمير ذو الفقار بك أميرًا جليلًا شجاعًا بطلًا مهيبًا كريم الأخلاق مع قلة إيراده، وعدم ظلمه، وكان يرسل اليلكات والكساوي في شهر رمضان لجميع الأمراء والأعيان والوجاقات، ويرسل لأهل العلم بالأزهر ستين كسوة ودراهم تُفرق على الفقراء المجاورين بالأزهر، ومن إنشائه الجنينة والحوض ببركة الحاج والوكالة التي برأس الجودرية ولم يتمها.

ومات الأمير يوسف بك زوج هانم بنت إيواظ بك، وتزوج بها بعد موت عبد الله بك، وأوصل يوسف بك من مماليك إيواظ بك، وقلده الإمارة والصنجقية إسماعيل بك، وعُرف بالخاين؛ لأنه لما هرب عنده رضوان بك خازندار جركس أخبر عنه وخفر ذمة نفسه وسلمه إليهم فقتلوه، فسماه أهل مصر الخاين، ولما حصل ما تقدم ذكره من قصة اجتماعهم وحديثهم في حال نشوتهم بمنزل علي بك الأرمني، ونقل عنهم المملوك

مجلسهم إلى علي بك الهندي، وأرسله علي بك إلى الأمير ذي الفقار والباشا فنقل لهما ذلك، وقتل الباشا علي بك الأرمني ومصطفى بك ابن إيواظ، فاختفى المترجم وباقي الجماعة، ولم يزل في اختفائه إلى أن حضر رجل عطار إلى أغات مستحفظان وأخبره عن رجل من الفقهاء يأتي إلى الجزار بجواره ويأخذ منه كل يوم زيادة عن عشرة أرطال من اللحم الضاني، وكان من عادته ألا يأخذ سوى رطلين ونصف في يومين، ولا بد لذلك من سبب بأن يكون عنده أناس من المطلوبين، فركب الأغا والوالي إلى ذلك البيت فوجدوا به امرأتين عجوزتين وعندهم حلل وقصاع ومعالق، وليس بالبيت فراش ولا متاع، فطلعوا إلى أعلى المكان ونزلوا أسفله فلم يجدوا شيئًا، فنزل الأغا وهو يشتم العطار وأراد ضربه، وإذا بشخص من الأجناد أراد أن يزيل ضرورة في ناحية فلاح له رأس إنسان في مكان متسفل مظلم، فلما رأى ذلك الجندي فخبأ رأسه وانزوى إلى داخل، فأخبر الأغا فأوقدوا الطلق، وإذا بشخص صاعد من المحل وبيده سيف مسلول وهو يقول «طريق» فتكاثروا عليه وقتلوه، ونزلوا بالطلق إلى أسفل فوجدوا يوسف بك المترجم ومعه شخصان، فقبضوا عليهم، وأنعم الأغا على العطار، وأخذهم إلى الباشا فأرسلهم إلى عثمان بك ذي الفقار، فضربوا رقابهم تحت المقعد.

ومات كل من الأمير محمد بك جركس الصغير وأخي محمد بك الكبير، وذلك أنه لما انقضى أمر محمد بك جركس الكبير اختفى المذكوران، ودخلا إلى مصر متنكرين، واختفيا في بيت رجل من أتباعهما بخطة القبر الطويل ومعهما مملوكان، فأخلى لهم البيت وباع الخيل وشال العدد، وأتى إلى أغات الينكجرية فأخبره، فأرسل الأغا والوالي والأوده باشه وحضروا إليهم، فرموا عليهم بالرصاص من الجانبين، وكامنوهم إلى الليل، وحضر علي بك ومصطفى بك بلغيه، فنقب عليهم مصطفى بك من بيت إلى بيت حتى وصل إليهم، وأوقد نارًا من أسفل المكان الذي هم فيه، فأحسوا بذلك، ففر أحد المملوكين وهرب، وقُتل الثاني برصاصة، وقبضوا على الاثنين وقتلوهما ودفنوهما.

ومات الأمير خليل أغا تابع محمد بك قطامش أغات العزب سابقًا، وهو الذي انتدب للعمل المتصف المتقدم ذكره، وتزيا بزي أوده باشه البوابة، ودخل إلى بيت الأمير ذي الفقار وقت أذان العشاء ومعه سليمان أبو دفية، وقتلوا ذا الفقار بك كما تقدم، ثم كانت الدائرة عليهم، واختفوا، ثم وقعوا بخازنداره بالخليج فقبضوا عليه وسجنوه وقرروه، فأقر على سيده وغيره، فقبضوا على خليل أغا من المكان الذي كان مختفيًا فيه، وكان بصحبته يوسف بك الشرايبي وسليمان أغا أبو دفية، ففي ذلك الوقت

قال أبو دفية: «قوموا بنا من هذا المكان فإن قلبي يختلج» فقال يوسف الشرايبي: «وأنا كذلك!!» فتقنعا وخرجا، واستمر خليل أغا في محله حتى وصلوا إليه في ذلك اليوم، وقتل كما ذكر، وأخذه الأغا إلى بيت علي بك ذي الفقار، فأرسله إلى الباشا، وأرسله الباشا إلى عثمان بك، فرمى دماغه تحت المقعد، وكذلك عثمان أغا الرزاز وغيره.

وأما أبو دفية فإنه لما تقنع هو ويوسف الشرايبي وخرجا، فركب كل واحد منهما حمارًا وتفرقا، فذهب أبو دفية إلى بيت مقدمه ولبس زي بعض القواسة، وركب فرسه، ووضع له أوراقًا في عمامته، وخرج في وقت الفجر إلى جهة الشرقية، وذهب مع القافلة إلى غزة، ثم إلى الشام وسافر منها إلى إسلامبول، وخرج في السفر وذهب إلى عند التترخان فأعطاه منصبًا وعمله مرزة، وتزوج بقونية، ولم يزل هناك حتى مات، وأما يوسف بك الشرايبي فذهب إلى دار بالأزبكية، وخفي أمره، ومات بعد مدة ولم يعلم له خبر.

ومات عبد الغفار أغا ابن حسن أفندي، وقد تقدم أنه تقلد في أيام ابن إيواظ أغاوية المتفرقة بموجب مرسوم ورد من الدولة بذلك، وسببه: أن حسن أفندي والده كان له يد وشهرة في رجال الدولة، وكان مَن يأتي منهم إلى مصر يترددون إليه في منزله ويهادونه ويهاديهم، فاتفق أنه أهدى إلى السلطنة عبدًا طواشيًّا فترقى هناك، وأرسل إلى ابن سيده مرسومًا بأغاوية المتفرقة، وذلك في سنة خمس وثلاثين وماية وألف بعد موت والده، وألبسه الباشا قفطانًا بذلك، وعُدَّ ذلك من النوادر التي لم يسبق نظيرها، ووقع بذلك فتنة في البلكات تقدم الإلماع بذكر بعضها، والتجأ المترجم إلى ابن إيواظ وهرب من الباب.

ولحديث قتله نبأ غريب؛ وذلك أنه في أثناء تتبع القاسمية وقتلهم ورد مكتوب من كتخدا الوزير إلى عبد الله باشا الكبورلي بالوصية على عبد الغفار أغا، فقال الباشا لكتخدا الجاويشية: «عندكم إنسان يُسمى عبد الغفار أغا؟» قال له: «نعم، كان أغات متفرقة، ثم عمل أغات عزب وعُزل» فقال: «أرسل إليه بالحضور» فخرج كتخدا الجاويشية وأخبر محمد بك قطامش الدفتردار، فقال: «أرسل إليه واطلبه للحضور» وطلب الوالي فقال له: «إذا انقضى أمر الديوان فانزل إلى باب العزب واجلس هناك، وانتظر عبد الغفار أغا وهو نازل من عند الباشا، فاركب وسر خلفه حتى يدخل إلى بيته، فاعبر عليه واقطع رأسه» فلما أحضر المترجم صحبة الجاويش، ودخل إلى الباشا وصحبته كتخدا الجاويشية، وعرف الباشا عنه وتركه وخرج، وانقضى الديوان، وحضر الغداء فأشار إلى عبد الغفار أغا فجلس، وأكل صحبته وحادثه الباشا، فقال له: «أنت لك صاحب في الدولة؟» قال: «نعم، كان لأبي صديق من أغوات عابدي باشا، وكان شهر حوالة، وبلغني أنه الآن كتخدا

الوزير، وكان اشترى جارية ووضعها عندنا في مكان، فكان ينزل ويبيت عندنا، ولما عزل عابدي باشا أخذها وسافر. فهو إلى الآن يودنا ويراسلنا بالسلام». فقال له الباشا: «إنه أرسل يوصينا عليك، فانظر ما تريد من الحوائج أو المناصب» فقال: «لا أريد شيئًا ويكفيني نظركم ودعاؤكم» وأخذ خاطر الباشا ونزل إلى داره.

فلما مرَّ بباب العزب ركب الوالي ومشى في إثره، ولم يزل سائرًا خلفه حتى دخل إلى البيت، ونزل من على الحصان بسلم الركوبة، وكان بيته بالناصرية، فعند ذلك قبضوا عليه، وأخذوا عمامته وفروته وثيابه، وسحبوه إلى باب الإسطبل فقطعوا رأسه وأخذها الوالي مع الحصان، وأتى بهما إلى بيت محمد بك قطامش، فصرخت والدته وزوجته وجواريه، وتقنعن وطلعن إلى القلعة صارخات، فقال الباشا: «ما خبر هذا الحريم؟» فسألوهن، فقالت والدته: «حيث إن الباشا أراد قتله كان يفعل به ذلك بعيدًا عنا» فتعجب الباشا وقام من مجلسه وخرج إلى ديوان قايتباي واستخبرهن، فأخبرته بما حصل، فاغتم غمًّا شديدًا، وطلب الوالي وأمر برجوع الحوائج والرأس، وأعطاهن كفنًا ودراهم، وأعطى والدته فرمانًا بكامل ما كان تحت تصرفه من غير حلوان، ونزلت الأغوات والنساء فأخذوا الرأس والثياب، وغسَّلوه وكفَّنوه وصلوا عليه ودفنوه.

ولما طلع محمد بك قطامش إلى الديوان قال له الباشا: «تقتلون الأغوات في بيوتها مِن غير فرمان؟» فقال: «لم نقتله إلا بفرمان، فإنه كان من جملة الثلثمائة المتعصبين على قتل أخينا ذي الفقار بك» وعزل الباشا الوالي وقلد خلافه في الزعامة.

وكان المترجم آخر من قُتل من القاسمية المعروفين رحمه الله وكان عند المترجم سبعة مماليك من مماليك محمد بك ابن أبي شنب فبلغ خبرهم محمد بك قطامش، فأرسل مَن أخذهم من عنده قبل كائنته بنحو ثمانية أيام.

في ذكر حوادث مصر وولاتها وتراجم أعيانها ووفياتهم

من ابتداء سنة ثلاث وأربعين ومائة وألف

ووجهه أن بهذا التاريخ كان انقراض فرقة القاسمية، وظهور أمر الفقارية، وخلْع السلطان أحمد من السلطنة وولاية السلطان محمود خان، ووالي مصر إذ ذاك عبد الله باشا الكپورلي — بباء معطشة فارسية — نسبة إلى كپور بلدة بالروم، وحضر إلى مصر في السنة الخالية، وكان من أرباب الفضايل، وله ديوان شعر جيد على حروف المعجم، ومدحه شعراء مصرَ لفضله وميله إلى الأدب، وقال بعض شعراء مصر في بعض قصائده:

ولما جاء مصرًا أرَّخوه   لقد سَعِدت بعبد الله مصرُ

وكان إنسانا خيِّرًا صالحًا منقادًا إلى الشريعة؛ أبطل المنكرات، والخمامير، ومواقف الخواطي، والبوَظ من بولاق وباب اللوق وطولون ومصر القديمة، وجعل للوالي والمقدَّمين عوضًا عن ذلك في كل شهر كيسًا من كشوفيات الباشاوات، وكتب بذلك حجة شرعية وفيها لعن كل من تسبب في رجوع ذلك، ووصل الأمر بالزينة في أيامه لتولية السلطان محمود، وكان الوقت غير قابل لذلك فعملوا شِنكًا ومدافع بالقلعة.

واتفق أن الشيخ عبد الله الشبراوي استدعى المولى عبد الغفور أفندي تابع الوزير عبد الله باشا المذكور، وكتب له:

محبك يا شقيقَ الروح يرجو ... مجيئك للتأنس والسرور
ويُنهى أنه لك ذو اشتياق ... تضيق له فسيحات السطور
ويأمل منك في ذا اليوم تأتى ... وتنعم بالجلوس أو المرور
فإن تك قد أخذت اليوم إذنًا ... من المولى الوزير ابن الوزير
فخير البر عاجله وإلَّا ... فخذ إذنًا وعجِّل بالحضور
ولا تترك محبَّك في انتظار ... فما يقوى على البعد الكبير
وقل للفاضل المولى علي ... وصاحبه الشهاب المستنير
محبكما لمنزله دعانا ... ثلاثتنا هلما بالبكور
وإني أرتجي منكم جميعًا ... إجابةَ ما يؤمله ضميري
وأشكر فضل مولانا عليَّ ... وأحمد في الزيارة والمسير
وأسأل لطف كل منهما في ... زيارة منزل العبد الفقير
فإن أنتم تفضلتم وجئتم ... فقد حزتم عظيمات الأجور
وإن عاقتكم الأقدارُ عنا ... بعذر كان أو أمر ضروري
فيومٌ غيرُ هذا اليوم لكن ... بوعدٍ فيه شرح للصدور
ولا تضجر شقيقَ الروح مني ... فليس أخو المودة بالضَّجور
وإن الحب يستر كل عيب ... خصوصًا وهو من خِلٍّ سَتور
وإن الله مولانا غفورٌ ... وأنت كما ترى عبدُ الغفور
وطب نفسًا بصحبة مَن تسامى ... إلى العلياء منقطع النظير
أبي اليقظان عبد الله باشا ... سليل المكرمات ابن الكپور
عريق المجد مولى كل مولى ... كريم الطبع والأصل الشهير
وزيرٍ في سعادته ظهيرٍ ... حكى شمس الظهيرة في الظهور
توشَّحت الوزارة من علاهُ ... بعقدٍ صانها من كل زور
أقام العدل في مصر وأحيا ... معالمه بها بعد الدثور
وساس الملك دهرًا فاستقامت ... بقوة عزمه كلُّ الثغور
وقد ورث العلا فرضًا وردًّا ... أميرًا عن أمير عن أمير

ويقضي في البرية لا بظلمٍ ... يعابُ به القضاء ولا يجورِ
تجمعت المحاسن فيه حتى ... لعمرُ أبيك فاق على كثير
سجيَّته إقالة مستقيلٍ ... وهمَّته إجارة مستجير
هِزبرٌ إن تبيهس أو تمطَّى ... فكم بطل قتيل أو أسير
وضرغام إذ التقت العوالي ... فما لمبارزيه من نصير
وإن لمعت صوارمه بأرضٍ ... تسارعت العصاة إلى القبور
وإن قاتلته أسدٌ جريء ... وإن قابلته فمن البدور
وإن حادثته في العلم تلقى ... بحورًا موجها دُرُّ النحور
وإن ساومته شعرًا فحدث ... عن ابن أبي ربيعة أو جرير
وإن تسمع تلاوته تجده ... حكى داودَ يلهج بالزبور
وإن أبصرت طلعته تراه ... من الأنوار كالبدر المنير
بديع في البديع وما ابن هاني ... لديه؟ وما مقامات الحريري؟
ومنطقه البليغ له معانٍ ... يكاد بيانها كالزند يوري
تبارك من تولاه علينا ... وأعطاه مقاليد الأمور
وخص أصوله بأعز وصفٍ ... وأكملِ عنصرٍ وأتم خير
أدام الله دولته بمصر ... ومتعنا به دهر الدهور
وأنقذنا به من كل كربٍ ... وكف بعزمه أهل الفجور
أطالب قدره في المجد أقصر ... ولا تبحث عن الأمر العسير
ويا مَن جاء يحصيه كمالًا ... ويطمع منه في الأمر الخطير
إليك فليس هذا في قوانا ... نعم أُنبيك عن شيء يسير
قصاراه وزيرٌ ماله من ... شبيه في الوزارة أو نظير
سجاياه الشريفة ليس يُحصِي ... محاسنها سوى المولى القدير
كمالٌ في كمالٍ في كمالٍ ... ونور فوق نورٍ فوق نور
ونسبة ما ذكرت إلى علاه ... وكامل فضله الجم الغفير
كنسبة قطرة يومًا أضيفت ... إلى بحر عظيم أو بحور
وهذا ما سمعتَ مع اختصار ... ولكن جئت في الزمن الأخير
وحسبك أنه عبدٌ مطيعٌ ... لشرع نبيه طه البشير
عليه الله صلى ما تناجت ... على الأغصان ألسنةُ الطيور

فخذها بنت يومٍ وهي لفظٌ قصيرٌ ليس يخلو عن قصور
وعذري واضح فيها لأني لدى الفضلاء ذو باعٍ قصير
ومدح علاه لا يحصيه شيء يقدر بالسنين أو الشهور

وعزل عبد الله باشا المذكور أواخر سنة أربع وأربعين وماية وألف، وأمراء مصر في هذا التاريخ: محمد بك قطامش، وتابعه علي بك قطامش، وعثمان جاويش القازدغلي، ويوسف كتخدا البركاوي، وعبد الله كتخدا القازدغلي، وسليمان كتخدا القازدغلي، وحسن كتخدا القازدغلي، ومحمد كتخدا الداودية، وعلي بك ذو الفقار، وعثمان بك ذو الفقار خشداشة.

ووصل مسلِّم محمد باشا السلحدار فأخبر بولاية محمد باشا السلحدار، وقدم من البصرة سنة خمس وأربعين وماية وألف، ونزل عبد الله باشا إلى بيت شكربره، واستمر محمد باشا واليًا على مصر إلى سنة ست وأربعين، ثم عزل وتولى عثمان باشا الحلبي، ووصل المسلِّم بقايمقامية إلى علي بك ذي الفقار، فطلع إلى الديوان، ولبس القفطان من عثمان باشا، ونزل إلى بيته، وحضر إليه الأمراء وهنَّوه، وخلع على إسماعيل بك أبي قلنج أَمين السماط، ووصل عثمان باشا إلى العريش وتوجهت إليه الملاقاة وأرباب الخدم، وحضر إلى العادلية، وعملوا له شِنكا، وطلع إلى القلعة وخلع الخلع.

وورد قابجي باشا بالسكة، وإبطال سكة الذهب الفندقلي، وضرب الزر محبوب كامل وصرفه مائة نصف فضة وعشرة أنصاف، وكذلك سكة النصف محبوب وصرفه خمسة وخمسون، وزاد في الفندقلي الموجود بأيدي الناس اثني عشر نصف فضة فصار يصرف بمائة نصف وستة وأربعين نصفًا.

وحضر مرسوم أيضًا بتعيين صنجق للوجه القبلي بتحرير النصارى واليهود وما عليهم من الجزية في كل بلد، العال أربعمائة نصف وعشرون نصفًا، والوسط مائتان وسبعون، والدون مائة، فتشاوروا فيمن ينزل بصحبة الأغا والكاتب من الأمراء الصناجق لتحرير بلاد قبلي، فقال حسين بك الخشاب: «أنا مسافر بمنصب جرجا، وينزل بصحبتي الأغا المعين، وانظروا مَن يذهب إلى بحري» فقال محمد بك قطامش: «كل إقليم يتقيد بتحريره الكاشف المتولى عليه، ومعه الأغا والكاتب» فاتفق الرأي على ذلك.

وفي أيامه عمل إسماعيل بك ابن محمد بك الدالي مهمًا لزواج ولده، ودعا عثمان باشا إلى منزله الذي ببركة الفيل، وعندما حضر الباشا واستقر به الجلوس وَضع بين

يديه منديلًا فيه ألف دينار برسم تفرقة البقاشيش على الخدم وأرباب الملاعيب، وقدم له تقادم خيول وهدايا وجواد مُرخَّت، وذلك في شعبان سنة سبع وأربعين ومائة وألف.

ومن الحوادث في أيامه: أن في أوائل رمضان سنة تاريخه ظهر بالجامع الأزهر رجل تكروري وادعى النبوة، فأحضروه بين يدي الشيخ أحمد العماوي فسأله عن حاله فأخبره أنه كان في شربين فنزل عليه جبريل وعرج به إلى السماء ليلة سبع وعشرين رجب، وأنه صلى بالملائكة ركعتين، وأذَّن له جبريل، ولما فرغ من الصلاة أعطاه جبريل ورقة وقال له: أنت نبي مرسل، فانزل وبلغ الرسالة وأظهر المعجزات، فلما سمع الشيخ كلامه قال له: «أنت مجنون؟» فقال: «لست بمجنون، وإنما أنا نبي مرسل» فأمر بضربه فضربوه وأخرجوه من الجامع.

ثم سمع به عثمان كتخدا فأحضره وسأله، فقال مثل ما قاله للشيخ العماوي، فأرسله إلى المارستان، فاجتمع عليه الناس والعامة رجالًا ونساءً، ثم إنهم أخفوه عن أعين الناس، ثم طلبه الباشا فسأله فأجابه بمثل كلامه الأول، فأمر بحبسه في العرقانة ثلاثة أيام، ثم إنه جمع العلماء في منتصف شهر رمضان وسألوه فلم يتحول عن كلامه، فأمروه بالتوبة فامتنع، وأصر على ما هو عليه، فأمر الباشا بقتله فقتلوه بحوش الديوان وهو يقول: «فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل» ثم أنزلوه وألقوه بالرميلة ثلاثة أيام.

وعمل في ذلك الشعراء أبياتًا وتواريخ، فمن ذلك قول بعضهم مواليًا:

واحد ظهر وادعى أنو نبي من حق وانو عرج للسما وانو اجتمع بالحق
وإبليس ضلو وصدو عن طريق الحق قم يا وزير البلد واحكم على قتله
أهل العلوم أرخوا هذا كفر بالحق

(من الحوادث الغريبة) في أيامه أيضًا أن في يوم الأربعاء رابع عشرين الحجة آخر سنة سبع وأربعين ومائة ألف، أشيع في الناس بمصر بأن القيامة قائمة يوم الجمعة سادس عشرين الحجة، وفشا هذا الكلامُ في الناس قاطبةً حتى في القرى والأرياف، وودع الناس بعضهم بعضًا، ويقول الإنسان لرفيقه: «بقي من عمرنا يومان» وخرج الكثير من الناس والمخاليع إلى الغيطان والمنتزهات، ويقول لبعضهم البعض: «دعونا نعمل خظًّا ونودع الدنيا قبل أن تقوم القيامة» وطلع أهل الجيزة نساءً ورجالًا وصاروا يغتسلون في البحر، ومن الناس من علاه الحزن وداخله الوهم، ومنهم من صار يتوب من ذنوبه

ويدعو ويبتهل ويصلي، واعتقدوا ذلك ووقع صدُقه في نفوسهم، ومن قال لهم خلاف ذلك أو قال هذا كذب لا يلتفتون لقوله، ويقولون: «هذا صحيح، وقاله فلان اليهودي وفلان القبطي» وهما يعرفان في الجفور والزايرجات ولا يكذبان في شيء يقولانه، وقد أخبر فلان منهم على خروج الريح الذي خرج في يوم كذا، وفلان ذهب إلى الأمير الفلاني وأخبره بذلك، وقال له: «احبسني إلى يوم الجمعة، وإن لم تقم القيامة فاقتلني» ونحو ذلك من وساوسهم. وكثر فيهم الهرْج والمرْج إلى يوم الجمعة المعين المذكور فلم يقع شيء، ومضى يوم الجمعة، وأصبح يوم السبت فانتقلوا يقولون: «فلان العالم قال إن سيدي أحمد البدوي والدسوقي والشافعي تشفعوا في ذلك، وقبل الله شفاعتهم»، فيقول الآخر: «اللهم انفعنا بهم، فإننا يا أخي، لم نشبع من الدنيا، وشارعون نعمل حظًّا» ونحو ذلك من الهذيانات.

وكم ذا بمصرَ من المضحكات ولكنه ضحكٌ كالبكا

وأقام عثمان باشا في ولاية مصر إلى (سنة ثمانٍ وأربعين ومائة وألف) فكانت مدة ولايته بمصر سنة واحدة وخمسة أشهر.

(وتولى بعده) باكير باشا وهي ولايته الثانية فقدم من جُدة إلى السويس من القلزم؛ لأنه كان واليًا عليها بعد انفصاله من مصر، فقدم يوم السبت رابع عشرين شوال سنة سبع وأربعين وماية وألف، ولما ركب بالموكِب كان خلفه من أتباعه نحو الثلاثين خيَّالًا ملبسة بالزروخ المذهبة، وله من الأولاد خمسة ركبوا أمامه في الموكب، وصرخت العامة في وجهه من جهة فساد المعاملة، وهي: الأخشا والمرادي والمقصوص والفندقلي؛ فإن الأخشا صار بستة عشر جديدًا، والمرادي باثني عشر، والمقصوص بثمانية جدد، وصار صرف الفندقلي بثلثمائة نصف والجنزرلي بمائتين، وغلت بسبب ذلك الأسعار، وصار الذي كان بالمقصوص بالديواني فلم يلتفت الباشا لذلك.

وفي شهر القعدة ورد أغا وعلى يده مرسوم بطلب سفر ثلاثة آلاف عسكري لمحافظة بغداد، وأن يكون العسكر من أصحاب العتامنة، ولا يرسلوا عسكرًا من فلاحي القليوبية والجيزة والبُحيرة وشرق إطفيح والمنصورة، فقلدوا أميرَ السفر مصطفى بك أباظة حاكم جرجا سابقًا، وسافر حسن بك الدالي بالخزينة وارتحل من العادلية في منتصف شهر الحجة، وكان خروجه بالموكب في أوائل رجب، فأقام خارج القاهرة نحو خمسة أشهر

وثمانية عشر يومًا وأوكب مصطفى بك بموكب السفر يوم الخميس خامس الحجة، وسافر في المحرم سنة ثمانٍ وأربعين.

في عاشر الحجة يوم الأُضحية قبل أذان العصر خرجت ريح سوداء غربية أظلمت منها الدنيا وحجبت نور الشمس، فغرق منها مراكب، وسقطت أشجار ومن جملتها شجرة عظيمة جميز بناحية الشيخ قمر، وهُدمت دورًا قديمة، وشجرة اللبخة بديوان مصر القديمة، ثم أعقبها بعد العشاء مطرة عظيمة.

ووصل أيوب بك أمير سفر العجم، وطلع إلى الديوان وألبسه الباشا قفطان القدوم والسدادرة وأصحاب الدركات، وكانت مدة غيابه سنتين وثلاثة أشهر، وفي أيامه ورد أغا وعلى يده مراسيم وأوامر منها إبطال مرتبات أولاد وعيال، وأن الدفاتر تبقى بالديوان ولا تنزل بها الأفندية إلى بيوتهم، فلما قُري ذلك قال القاضي: «أمر السلطان لا يخالف ويجب إطاعته» فقال الشيخ سليمان المنصوري: «يا شيخ الإسلام، هذه المرتبات فعل نائب السلطان، وفعل النائب كفعل السلطان، وهذا شيء جرت به العادة في مدة الملوك المتقدمين، وتداولته الناس وصار يباع ويشترى، ورتبوه على خيرات ومساجد وأسبلة، ولا يجوز إبطال ذلك، وإذا بطل بطلت الخيرات وتعطلت الشعائر المرصد لها ذلك، فلا يجوز لأحد يؤمن بالله ورسوله أن يبطل ذلك، وإنْ أمر ولي الأمر بإبطاله لا يسلم له ويخالف أمره؛ لأن ذلك مخالفة للشرع، ولا يسلم للإمام في فعل ما يخالف الشرع ولا لنائبه أيضًا» فسكت القاضي، فقال الباشا: «هذا يحتاج إلى المراجعة» ثم قال الشيخ سليمان: «وأما التوجيهات ففيها تنظيم وصلاح وأمر في محله» وانفض الديوان على ذلك.

وكتب الشيخ عبد الله الشبراوي عرضًا في شأن المرتبات من إنشائه، ولولا خوف الإطالة لسطرته في هذا المجموع، ثم إنهم عملوا مصالحةً على تنفيذ ذلك فجعلوا على كل عثماني نصف زنجرلي، وحصروا المرتبات في قايمقامية إبراهيم بك أبي شنب وابن درويش بك وقطامش وعلي بك الصغير تابع ذي الفقار بك من سنة ثلاثين فبلغت ثمانية وأربعين ألف عثماني، فكانت أربعة وعشرين ألف زنجرلي، فقسموها بينهم، وأرسلوا إلى عثمان بك ورضوان بك ألف جنزرلي فأبيا من قبولها، وقالا: «هذه دموع الفقراء والمساكين، فلا نأخذ منها شيئًا فإن رجع رد الجواب بالقبول كانت مظلمةً، وإن جاء بعدم القبول كانت مظلمتين».

ووقع الطاعون المسمى (بطاعون كو) ويسمى أيضًا: (الفصل العايق) يأخذ على الرايق، ومات به كثير من الأعيان وغيرهم، بحيث مات من بيت عثمان كتخدا القازدغلي فقط مائة وعشرون نفسًا، وصارت الناس تدفن الموتى بالليل في المشاعل.

ووقع في أيامه الفتنة التي قُتل فيها عدة من الأمراء، (وسببها): أن صالح كاشف زواج هانم بنت إيواظ بك كان ملتجئًا إلى عثمان بك ذي الفقار، وتزوج ببنت إيواظ بك بعد يوسف بك الخاين، وكان من القاسمية؛ فحرضته على طلب الإمارة والصنجقية، وتأخذ له فايظ عشرين كيسًا، وكلم عثمان بك في شأن ذلك فوعده ببلوغ مراده، وخاطب محمد بك قيطاس المعروف بقطامش وهو إذ ذاك كبير القوم في ذلك فلم يُجِبْه، وقال له: «تريد أن تفتح بيتًا للقاسمية فيقتلونا على غفلة؟ هذا لا يكون أبدًا ما دمت حيًّا» وكان عثمان بك المذكور أخذ كشوفية المنصورة، فأنزل فيها صالح كاشف قائمقام، فلما كمَّل السنة ورجع تحركت الهمة إلى طلب الصنجقية، وعاود عثمان بك في الخطاب وهو كذلك تكلم مع محمد بك فصمَّم على الامتناع، فوقع على الأغوات والاختيارية فلم يجب ولم يَرْضَ، ووافقه على الامتناع علي بك تابع المذكور وخليل أفندي، فذهب صالح كاشف إلى عثمان كتخدا القازدغلي، واتفق معه على قتل الثلاثة، وقال له: «اعمل تدبيرًا في قتلهم» فذهب إلى رضوان بك أمير الحاج سابقًا وسليمان بك الفرَّاش، فاتفق معهما على قتل الثلاثة في بيت محمد بك الدفتردار باطِّلاع باكير باشا، وعرَّفوا محمد بك بذلك فرضي وكتب فرمانًا بالجمعية في بيت الدفتردار بسبب الحلوان والخزينة، فركبا بعد العصر إلى بيت محمد بك قطامش، وركبوا معه إلى بيت الدفتردار، وصحبتهم علي بك وصالح بك وخليل أفندي وأغات الجملية وعلي صالح چربجي واختيار من الأسباهية ويوسف كتخدا البركاوي، وحضر عثمان بك ذو الفقار وعثمان كتخدا القازدغلي وأحمد كتخدا الخربطلي وكتخدا الجاويشية وأغات المتفرقة وعلي چلبي الترجمان.

فلما تكاملت الجمعية أمر محمد بك قطامش بكتابة عرضحال، وقال للكاتب: «اكتب كذا وكذا» فطلع إلى خارج وصحبته كتخدا الجاويشية ومتفرقة باشا، وجلس يكتب في العرض وقد قرُب الغروب. فأرادوا الانصراف فوقف الدفتردار وقال: «هاتوا شربات» وكان ذلك القول هو الإشارة مع صالح كاشف وعثمان كاشف ومملوك سليمان بك، ففتحوا باب الخِزانة، وخرج منها جماعة بطرابيش وهم شاهرون السلاح، فوقف محمد بك قطامش على أقدامه وقال: «هي خونة؟» فضربه الضارب بالقرابينة في صدره، ووقع الضرب وهاج المجلس في دخنة البارود وظلام الوقت، فلم يُعلم القاتل من المقتول، وعندما سمع كتخدا الجاويشية أول ضربة وهو جالس مع الأفندي الكاتب نزل مسرعًا وركب، وعلي الترجمان ألقى بنفسه من شباك الجنينة، وعثمان بك ذو الفقار أصابه سيف فقطع شاشه وقاووقه ودفعه صالح كاشف نجا بنفسه إلى أسفل وركب حصان

بعض الطوائف وخرج من باب البركة، وأصيب باش اختيار مستحفظان البرلي بجراحة قوية فأرسلوه إلى منزله ومات بعد ثلاثة أيام.

ثم أوقدوا الشموع وتفقدوا المقتولين، وإذا هم: محمد بك قطامش وعلي بك تابعه وصالح بك وعثمان بك كتخدا القازدغلي وأحمد كتخدا الخربطلي ويوسف كتخدا البركاوي وخليل أفندي وأغات الجملية وعلي صالح جربجي والأسباهي تتمة عشرة، وباش اختيار الذي مات بعد ذلك في بيته، فعروا المقتولين ثيابهم وقطعوا رءوسهم وأتوا بهم جامع السلطان حسن فوجدوه مغلوقًا، فأحرقوا ضرفة الباب الذي جهة سوق السلاح، ووضعوا الرءوس العشرة على البسطة، ووضعوا عند كل رأس شيئًا من التبن، وظنوا أنهم غالبون، وطلع صالح كاشف إلى الباشا من باب الميدان فخلع عليه الصنجقية فطلب منه دراهم يفرقها في العسكر المجتمعين إليه فقال له: «انزل لأشغالك وأنا أرسل إليك ما تطلب» فنزل إلى السلطان حسن فوجد محمد كتخدا الداودية حضر بأتباعه، وجماعتُه هناك يظن أنهم غالبون.

وعندما بلغ الخبر سليمان كتخدا الجلفي ركب في جماعته بعد المغرب وطلع إلى باب العزب، وكان كتخدا الوقت إذ ذاك أحمد كتخدا أشراق يوسف كتخدا البركاوي، فطرق الباب فقال التفكجية: «مَن هذا؟» فعرفهم عن نفسه، فقال الكتخدا: «قولوا له: أنت توليت الكتخدائية، وتعرف القانون، وأن الباب لا يُفتح بعد الغروب، فإن كان له حاجة يأتي في الصباح».

وأما عثمان بك فإنه لما خرج من باب البركة وشاشه مقطوع لم يزل سائرًا إلى باب الينكجرية، فوجده ملآن جاويشية وواجب رعايا ونفر، وطلع عندهم عمر چلبي بن علي بك قطامش، فأخذه حسن جاويش النجدلي ومعه طايفة، وطلع به إلى الباشا بعد نزول صالح كاشف فخلع عليه صنجقية أبيه، وأعطاه فرمانًا بالخروج من حق الذين قَتلوا الأمراء وحرقوا باب المسجد، ونزل فردَّ علي كتخدا الوقت وصحبته حسن جاويش النجدلي، ومعهم بيرق وأنفار وواجب رعايا من المحجر خلف جامع المحمودية وبيت الحصري وزاوية الرفاعي وكانت ليلة مولده، وهي أول جمعة في شهر رجب سنة تسع وأربعين ومائة وألف، فعملوا متريز على باب الدرب قبالة باب السلطان حسن، وضربوا عليها بالرصاص، وكذلك من باب العزب وبيت الأغا، وكان أغات العزب عبد اللطيف أفندي مصر سابقًا.

وأما صالح بك فإنه انتظر وعد الباشا فلم يرسل له شيئًا، فأخذ رضوان بك وعثمان كاشف ومملوك سليمان بك واختفوا في خان الخليلي، واختفى أيضًا محمد بك إسماعيل،

ومحمد كتخدا الداودية ندم على ما فعل، فركب بجماعته وذهب إلى بيت مصطفى بك الدمياطي فوجده مقفولًا، فطرق الباب فلم يجبه أحد، فذهب إلى بيت إبراهيم بك بلغيه ودخل هناك، ولما بطل الرمي من السلطان حسن هجم حسن جاويش فلم يجد أحدًا، ولما طلع النهار ذهبوا إلى بيت الدفتردار فنهبوه، ونهبوا أيضًا بيت رضوان بك، وذهبوا إلى سليمان بك قتلوه وقطعوا رأسه ونهبوا البيت وأتوا إلى الباب.

ثم إن السبع وجاقات اجتمعوا في بيت علي كتخدا الجلفي، وقالوا له: «أنت بيت سر يوسف كتخدا البركاوي، ولا يفعل شيئًا إلا باطلاعك، وعندك خبر بقتل أمرائنا وأعياننا، والشاهد على ذلك مجيء خشداشك سليمان كتخدا بعد المغرب بطائفته يملك باب العزب» فحلف بالله العظيم لم يكن عنده خبر بشيء من ذلك، ولا بمجي سليمان كتخدا إلى الباب، ولكن أي شيء جاء بمحمد كتخدا الداودية إلى السلطان حسن؟ ثم إنهم أنزلوا باكير باشا وعزلوه، وطيبوا عليه حلوان بلاد المقتولين، وكتبوا عرض محضر وسفروه صحبة سبعة أنفار فحضر مصطفى أغا أميرًا خور كبير ومعه مرسوم من الدولة بضبط متروكات المقتولين، فمكث بمصر شهرين، ثم ورد أمر بولايته على مصر وتوجيه باكير باشا إلى جُدة، فتولى مصطفى باشا فأقام واليًا بمصر إلى سنة اثنتين وخمسين وماية وألف.

وتولى بعده سليمان باشا الشامي الشهير بابن العظم، ولما استقر في ولاية مصر أراد إيقاع فتنة بين الأمراء فضم إليه عمر بك ابن علي بك قطامش فأرسل إليه من يأمنه على سره، واتفق معه على قتل عثمان بك ذي الفقار وإبراهيم بك قطامش وعبد الله كتخدا القازدغلي وعلي كتخدا الجلفي، وهم إذ ذاك أصحاب الرياسة بمصر، ووعده نظير ذلك إمارة مصر والحاج، وأن يعطيه من بلادهم فايظ عشرين كيسًا، فجمع عمر بك خليل أغا وأحمد كتخدا عزبان وإبراهيم جاويش قازدغلي، واختلى بهم وعرفهم بالمقصود، وتكفل أحمد كتخدا بقتل علي كتخدا، وخليل أغا بعثمان بك، وإبراهيم جاويش بعبد الله كتخدا، وإذا انفرد إبراهيم بك أخذوه بعد ذلك بحيلة وقتلوه في الديوان.

ثم إن أحمد كتخدا أغرى بعلي كتخدا لاظ إبراهيم فقَتل علي كتخدا عند بيت أقبري وهو طالع إلى الديوان، وبلغ الخبر عثمان بك فتدارك الأمر، وفحص عن القضية حتى انكشف له سرُّها وعمل شغله وقتل أحمد كتخدا، وعندما قتل علي كتخدا ظن الباشا تمام المقصد، فأراد أن يملك باب الينكجرية بحيلة، وأرسل مائتي تفكجي، ومعهم مطرجي وجوخدار، وهم مستعدون بالأسلحة فمنعهم التفكجية من العبور، وطلب الكتخدا شخصين من أعيانهم يسألهما عن مرادهم، فقالا: «إن الباشا مقصر في حقنا ولم

يعطنا علائفنا» فأرسل معهم باش جاويش بالسلام على الباشا من الاختيارية والوصية بهم، فقبِل ذلك ولم يتمكن من مراده، ثم إن حسين بك الخشاب طلع إلى باب العزب، وتحيل في نزول أحمد كتخدا من الباب وملك هو الباب، واجتمعوا بعد ذلك وأمروا الباشا بالنزول إلى قصر يوسف، فركب وأراد أن يدخل إلى باب الينكجرية فرفعوا عليه البنادق، فدخل إلى قصر يوسف فوجده خرابًا، فأخذ حسن جاويش النجدلي خاطر الينكجرية، على نزوله ببيت الأغا، وانتقل الأغا إلى السرجي، فأقام الباشا إلى أن نزل ببيت البيرقدار وسافر بعد ذلك، فكانت ولايته على مصر إلى شهر جمادى الأولى سنة ثلاث وخمسين ومائة وألف.

ثم تولى بعده الوزير علي باشا حكيم أوغلي وهي توليته الأولى بمصر، فدخل مصر في شهر جمادى الأولى سنة ثلاث وخمسين، ومكث إلى عاشر جمادى الأولى سنة أربع وخمسين وماية وألف، ونزل سليمان باشا إلى بيت البيرقدار، وعمل علي باشا أول ديوان بقراميدان بحضرة الجم الغفير، وقري مرسوم الولاية بحضرة الجميع، ثم قال الباشا: «أنا لم آتِ إلى مصر لأجل إثارة فتن بين الأمراء وإغراء ناس على ناس، وإنما أتيت لأعطي كل ذي حق حقه، وحضرة السلطان أعطاني المقاطعات وأنا أنعمتُ بها عليكم فلا تتعبوني في خلاص المال والغلال» وأخذ عليهم حجة بذلك وانفض المجلس، ثم إنه سلم على الشيخ البكري، وقال له: «أنا بعد غد ضيفك» ثم ركب، وطلع إلى السراية، وأرسل إلى الشيخ البكري هدية وأغنامًا وسكَّرًا وعسلًا ومربيات، ونزل إليه في الميعاد، وأمر ببناء رصيف الجنينة التي في بيتهم، وكان له فيه اعتقاد عظيم لرؤيا منامية رآها في بعض سفراته منقولة عنه مشهورة، وكانت أيامه أمنًا وأمانًا والفتن ساكنة والأحوال مطمئنة، ثم عُزل ونزل إلى قصر عثمان كتخدا القازدغلي بين بولاق وقصر العيني.

ثم تولى يحيى باشا ودخل إلى مصر، وطلع إلى القلعة في موكبه على العادة، وطلع إليه علي باشا وسلم عليه ونزل هو الآخر، وسَلم علَى عِلي باشا بالقصر، ووده عثمان بك ذو الفقار وعمل له وليمة في بيته، وقدم له تقادم كثيرة وهدايا، ولم يتفق نظير ذلك فيما تقدم أن الباشا نزل إلى بيت أحدٍ من الأمراء في دعوة، وإنما كان الأمراء يعملون لهم الولائم بالقصور في الخلاء مثل قصر العيني أو المقياس، وأقام يحيى باشا في ولاية مصر إلى أن عُزل في عشرين شهر رجب سنة ستٍّ وخمسين ومائة وألف.

وتولى بعده محمد باشا اليدكشي، وحضر إلى مصر، وطلع إلى القلعة، وفي أيامه كُتب فرمان بأبطال شرب الدخَان في الشوارع وعلى الدكاكين وأبواب البيوت؛ ونزل الأغا

والوالي فنادوا بذلك وشددوا في الإنكار والنكال بمن يفعل ذلك من عالٍ أو دون، وصار الأغا يشق البلد في التبديل كل يوم ثلاث مرات، وكل من رأى في يده آلة الدخان عاقبه، وربما أطعمه الحجر الذي يوضع فيه الدخان بالنار، وكذلك الوالي.

وفي أيامه أيضًا قامت العسكر بطلب جراياتهم وعلائفهم من الشون، ولم يكن بالشون إردب واحد، فكتب الباشا فرمانًا بعمل جمعية في بيت علي بك الدمياطي الدفتردار، وينظروا الغلال في ذمة أي من كان يخلصونها منه، فلما كان في ثاني يوم اجتمعوا وحضر الروزنامجي وكاتب الغلال والقلفات، وأخبروا أن بذمة إبراهيم بك قطامش أربعين ألف أردب، والمذكور لم يكن في الجمعية وانتظروه فلم يأتِ، فأرسلوا له كتخدا الجاويشية وأغات المتفرقة فامتنع من الحضور في الجمهور، وقال: «الذي له عندي حاجة يأتي إلى عندي» فرجعوا وأخبروهم بما قال، فقال العسكر: «نذهب إليه ونهدم بيته على دماغه» فقام وكيل دار السعادة، وأخذ معه من كل بلك اثنين اختيارية، وذهبوا إلى إبراهيم بك قطامش فقال له الوكيل: «أي شيء هذا الكلام والعسكر قايمة على اختياريتها؟» قال: «والمراد أي شيء وليس عند غلال؟» قال له الوكيل: «نجعلها مثمنة بقدر معلوم».

فثمنوا القمح بستين نصف فضة الإردب، والشعير بأربعين، فقال إبراهيم بك: «يصبروا حتى يأتيني شيء من البلاد» قال الوكيل: «العسكر لا يصبروا ويحصل من ذلك أمر كبير» فجمعوا مبلغ اليكون فبلغ ثمانين كيسًا، فرهن عند الوكيل بلدين لأجل معلوم، وكتب بذلك تمسك، وأخذ التقاسيط، ورجع الوكيل إلى محل الجمعية، وأحضر مبلغ الدراهم، وكل من كان عليه غلال أورد بذلك السعر، وهذه كانت أول بدعة ظهرت في تثمين غلال الأنبار للمستحقين.

واستمر محمد باشا في ولاية مصر حتى عُزل سنة ثمانٍ وخمسين ومائة وألف، ووصل مسلِّم (محمد باشا راغب) وتقلد إبراهيم بك بلغيه قايمقام، وخلع عليه محمد باشا القفطان وعلى محمد بك أمين السماط، ثم ورد الساعي من سكندرية فأخبر بورود حضرة محمد باشا راغب إلى ثغر سكندرية، فنزل أرباب العكاكيز لملاقاته، وحضروا صحبته إلى مصر، وطلع إلى القلعة وحصل بينه وبين حسين بك الخشاب محبة ومودة، وحلف له أنه لا يخونه، ثم أسرَّ إليه أن حضرة السلطان يريد قطع بيت القطامشة والدمايطة، فأجاب إلى ذلك واختلى بإبراهيم جاويش وعرفه بذلك، فقال له الجاويش: «عندك توابع عثمان بك قرقاش وذو الفقار كاشف، وهم يقتلون خليل بك وعلي بك

الدمياطي في الديوان» فقال له: «يحتاج يكون صحبتهم أناس من طرفك وإلا فليس لهم جسارة على ذلك» فقال له: «أنا أتكلم مع عثمان أغا أبي يوسف يطلب شرهم؛ لأنه من طرفي».

فلما كان يوم الديوان وطلع حسين بك الخشاب وقرقاش وذو الفقار وجماعته، وطلع علي بك الدمياطي وصحبته محمد بك، وطلع في إثرهم خليل بك أمير الحاج وعمر بك بلاط فجلسوا بجانب المحاسبة، فحضر عثمان أغا أغات المتفرقة عند خليل بك فقال له: «لماذا لم تدخل عند الباشا؟» فقال له: «قد تركناه لك» فقال: «كأني لم أعجبك» واتسع بينهما الكلام فسحب أبو يوسف النمشة وضرب خليل بك، وإذا بالجماعة كذلك أسرعوا وضربوا عمر بك بلاط قتلوه، ودخلوا برأسيهما إلى الباشا فقام علي بك الدمياطي ومحمد بك ونزلا ماشيين، ودخلا إلى نوبة الجاويشية، فأرسل الباشا للاختيارية يقول لهم: إنهما مطلوبان للدولة، وأخذهما وقطع رأسيهما أيضًا، وكتبوا فرمانًا إلى الصناجق والأغوات واختيارية السبع وجاقات بأن ينزلوا بالبيارق والمدافع إلى إبراهيم بك وعمر بك وسليمان بك القلفي.

وكان سليمان بك دهشور مسافرًا بالخزينة، فنزلت البيارق والمدافع فضربوا أول مدفع من عند قنطرة سنقر، فحمل الثلاثة أحمالهم وخرجوا بهجنهم وعازقهم إلى جهة قبلي، ودخل العساكر إلى بيت إبراهيم بك فنهبوه، وكذلك بيت خليل بك، وذهبوا إلى بيت علي بك فوجدوا فيه صنجقًا من الصناجق ملكه بما فيه، ولم يتعرضوا ليوسف بك ناظر الجامع الأزهر، ورفعوا صنجقية محمد بك صنجق سته، وماتت ستُّه أيضًا، وذهب إلى طندتا وعمل فقيرًا بضريح سيدي أحمد البدوي، ولما رجع سليمان بك دهشور من الروم رفعوا صنجقيته وأمروه بالإقامة برشيد، وقلدوا عثمان كاشف صنجقية، وكذلك كجك أحمد كاشف، وقلدوا محمد بك أباظة إشراق حسين بك الخشاب دفتردارية مصر وانقضت تلك الفتنة.

ثم إن الباشا قال لحسين بك الخشاب: «مرادي أن نعمل تدبيرًا في قتل إبراهيم جاويش قازدغلي ورضوان كتخدا الجلفي، وتصير أنت مقدام مصر وعظيمها». فاتفق معه على ذلك وجمع عنده علي بك جرجا وسليمان بك مملوك عثمان بك ذي الفقار وقرقاش وذي الفقار كاشف، ودارَ القال والقيل، وسعت المنافقون، وعلم إبراهيم جاويش ورضوان كتخدا ما يراد بهما فحضر إبراهيم جاويش عند رضوان كتخدا، وامتلأ باب الينكجرية وباب العزب بالعسكر والأوده باشيه، واجتمعت الصناجق والأغوات السبعة

في سبيل المؤمنين والأسباهية بالرميلة، وأرسلوا يطلبون فرمانًا من الباشا بالركوب على بيت حسين بك الخشاب الذي جمع عنده المفاسيد أعدانا وقَصْده قطعنا.

فلما طلع كتخدا الجاويشية ومتفرقة باشا إلى راغب باشا وطلبوا منه فرمانًا بذلك، فقال الباشا: «رجل نفذ أمر مولانا السلطان، وخاطر بنفسه، ولم ينكسر عليه مال ولا غلال كيف أعطيكم فرمانًا بقتله؟ الصلح أحسن ما يكون» فرجعوا وردوا عليهم بجواب الباشا، فأرسلوا له من كل بلك اثنين اختيارية بالعرضحال فإن أبى فقولوا له ينزل ويولي قايمقام، ونحن نعرف خلاصنا مع بعضنا، فنزل بكامل أتباعه من قراميدان، ولما صار في الرميلة فأراد أن ينزل علي شيخون إلى بيت حسين بك الخشّاب يكرنك معه فيه، وإذا بالعزب المرابطين في السلطان حسن ردوه بالنار فقتل أغا من أغواته، فنزل على بيت آقبردي إلى بيت ذي عرجان تجاه المظفر، فأرسلوا له إبراهيم بك بلغيه صحبة كتخدا الجاويشية خلع عليه قفطان القايمقامية ورجع إلى بيته، وأخذوا منه فرمانًا بجر المدافع والبيارق من ناحية الصليبة، وسارت الصناجق يقدمهم عمر بك أمير الحاج ومحمد بك الدالي وإبراهيم بك بلغيه ويوسف بك قطامش وحمزة بك وعثمان بك أبو سيف وأحمد بك ابن كجك محمد وإسماعيل بك جلفي وعثمان بك وأحمد بك قازدغلية ورضوان بك خازندار عثمان كتخدا قازدغلي كان، واحتاطوا ببيت حسين بك الخشاب ومحمد بك أباظة من الأربع جهات، فحارب بالبندق من الصبح إلى الظهر حتى وزَّع ما يعز عليه، وحمل أثقاله وطلع من باب السر على زين العباد، وذهب إلى جهة الصعيد فدخل العسكر إلى بيته فلم يجدوا فيه شيئًا ولا الحريم، وهرب أيضًا إبراهيم بك قيطاس إلى الصعيد، وعمر بك ابن علي بك وصحبته طايفة من الصناجق هربوا إلى أرض الحجاز، وكان ذلك أواخر سنة إحدى وستين ومائة وألف فكانت مدة محمد باشا راغب في ولاية مصر سنتين ونصفًا، ثم سافر إلى الديار الرومية وتولى الصدارة، وكان إنسانًا عظيمًا عالمًا محققًا، وكان أصله رئيس الكتاب؛ وسيأتي تتم ترجمته في سنة وفاته، والله أعلم.

ذكر من مات في هذه السنين من أعيان العلماء والأكابر والعظماء

مات الإمام الكبير والأستاذ الشهير صاحب الأسرار والأنوار الشيخ/ عبد الغني بن إسماعيل النابلسي الحنفي الصالحي، وُلد سنة خمسين وألف، وأحواله شهيرة، وأوصافه ومناقبه مفردة بالتأليف، ومن مؤلفاته: (المقصود في وحدة الوجود) وفرغ منه فى سنة إحدى وتسعين وألف، (وتحفة المسألة بشرح التحفة المرسلة) والأصل للشيخ محمد فضل الله الهندي، (والفتح الرباني والفيض الرحماني) و(ربع الإفادات في ربع العبادات) وهو مؤلف جليل في مجلد ضخم في فقه الحنفية نادر الوجود؛ و(الرحلة القدسية) و(كوكب الصبح في إزالة القبح) و(الحديقة النديَّة في شرح الطريقة المحمدية) (والفتح المكي واللمح الملكي) و(قطر السماء أو نظرة العلماء) و(الفتح المدني في النفس اليمني) و(بديعيتان) إحداهما لم يلتزم فيها اسم النوع وشرحه، والثانية التزم فيها، شرحها القلعي مع البديعيات العشر (ومن كلامه وفيه التلفيق):

ولى صارمٌ لما اقتحمت به الورى ... وحومت في الصفين قصد قتال
أدرتُ به كأسَ المنون وكم غدا ... مجرع وال في مجر موالي

وله، وفيه الإشارة:

يا حمزةُ اسمح بوصل ... وامنن علينا بقرب
في شرك اسمك أضحى ... مصحفًا وبقلب

وله، وفيه إرسال المثل:

يا مالك القلب رفقًا بالمتيم في ... هواك إني على الأشواق لم أزلِ
مشقت حسنك كيف الموت أرقبه ... وخائض البحر لا يخشى من البلل

وله، فيه تجاهل العارف:

لست أدري أهل عذارك آسٍ ... أم لسيف الجفون ذاك حمايل
زعموا أنه غني جمال ... ما لعيني تراه في الخد سايل

ومن كلامه رضى الله عنه:

مَن مجيري من فاتِك الطرف فاتك ... لا تحاكيه يا غزال تفاتك
قمر طالع على غصن بانٍ ... صانه الله وهو للصب هاتِك
بتثني بقامةٍ فتتنا ... فارجعي يا غصون عن حركاتك
يا بديع الجمال جُرت علينا ... الأمان الأمان من فتكاتِك
لك ذات بها سلبت البرايا ... بتناويع حسنها من صفاتك
كم على وجهك الجميل خمار ... من نفوس لما ظهرت بذاتك
فاكشف الوجه وامحق النفس منا ... واحي منا ميتَ الهوى بحياتك
فيك بعنا نفوسنا واسترحنا ... من بلاها فجُد لنا بالتفاتك
أنت طورًا ولا سواك وإنا ... نحن طورًا ولا سوى آياتك

ومن كلامه:

لم أزل في الحب يا أملي ... أخلط التوحيد بالغزل
وعيونى فيك ساهرةٌ ... دمعها كالصيِّب الهطل
إن أحشائي بكم تلفت ... بل وجسمي في الغرام بلي
واصطباري يوم جفوتكم ... زال والتهيام لم يزل
جد لعينى باللقاء ولو ... في الكرى يا غاية الأمل

وتلطف بالمشوق ودع　　ذا الجفا واعطف وجد وصلِ
وأبح مُضناك بعض لقا　　يا شِفا قلبي من العلل
يا مرادي حين قلتُ ويا　　جل قصدي حين لم أقل
خذ أمانًا من قلاك لنا　　إننا منه على وجل
ثم كن فيما تكون كما　　كنتَ في أيامك الأول
ذا التجافي كم أكابده　　آه قلَّت في الهوى حيلي
وسرت من نحو كاظمةٍ　　نسمةٌ فيها انمحى طللي
وبروق الحيِّ لامعة　　حان لما أومضت أجلي
هذه الأكوان أجمعها　　شمة من وردة الأزل
عطرتني عندما نفحت　　ما أنا عنها بمشتغل
طيب أثواب المليح بدا　　فائحًا من جانب الكلل
وثغور الزهر قد بسمت　　من روابي أشرف الرسل
يا عذولًا لامني سفهًا　　أنا لا أصغي إلى العذل
قلبي المضني حليف جوى　　عن هو الغزلان لم يمِل
مغرَمٌ صب بذي عظم　　جل عن علمي وعن عملي
ماله في الخلق من شبه　　ماله في الأمر من مثل
غير أن الأمر منقسم　　للصواب المحض والزلل
وانقام الأمر يظهر في　　مقتضى أشخاصه السفل
هذه أبهى ملابسنا　　حلة ذرت على بطل
خمرة منها النهى سكِرت　　شربة أحلى من العسل
فاقبلونا يا أحبائنا　　وابشروا بالمنزل الجلل

وله:

قيل لي كن مع الأنام وداري　　كل شخص فقلت ما ذل قدري
أنا عبد الغني لا عبد زيد　　من جميع الورى ولا عبد عمرو

وله موالي:

كن باسم حبك تكن موجود لا باسمك
واخرج عن الكون إن الكون من رسمك
وانسب إلى الحب كللك واجعله قسمك
وروح عن الروح وامحق في الهوى جسمك

وله أيضًا:

يا غافلون استفيقوا يا نيام الجاه وامحوا بما لم يزل ما لم يكن أوَّاه
وافنوا عن الفكر ان الفكر فيه تاه وما تشاءون إلا أن يشاء الله

وله:

نحن الذي ما سمعنا من نواصحنا حتى وقعنا باشرا؛ الهوى صحنا
والله الهوى ضرنا وأتلف نواصحنا وما عجبنا الحسيني بالنوى صحنا

وله:

يا سفح قيسون لو كان لك عراشلناك على البخاتي وما رحنا وخليناك
إن كان يا سفح هذا غايتك ومناك نحن ارتحلنا نوصي بالنزول حداك

وله:

مفاصلي فصلت عما تسل عني وأصبحت في هل أتى والليل آلمني
والنجم لي راقٍ والرحمن يرحمني تبارك الله أصل الواقعة مني

وله غير ذلك، وهو كثير مشهور في دواوينه. توفي رضي الله عنه سنة ثلاث وأربعين وماية وألف، عن ثلاث وتسعين سنة.

ومات إمام الأيمة شيخ الشيوخ، وأستاذ الأساتذة، عمدة المحققين والمدققين، الحسيب النسيب السيد/ علي بن علي إسكندر الحنفي السيواسي الضرير، أخذ عن الشيخ أحمد

الشوبري الشرنبلالي والشيخ عثمان بن عبد الله النحريري الحنفيين، وأخذ الحديث عن الشيخ البابلي والشبراملسي ... وغيرهم، وسبب تلقبه بإسكندر: أنه كان يقرأ دروسًا بجامع إسكندر باشا بباب الخرق، وكان عجيبًا في الحفظ والذكاء، وحدة الفهم وحسن الإلقاء، وكان الشيخ العلامة محمد السجيني إذا مر بحلقة درسه خفض من مشيته ووقف قليلًا وأنصت لحسن تقريره، ثم يقول: «سبحان الفتاح العليم».

وكان كثير الأكل ضخم البدن طويل القامة، لا يلبس زي الفقهاء بل يعتم عمامة لطيفة بعذبة مرخية، وكان يقول عن نفسه: «أنا آكل كثيرًا وأحفظ كثيرًا» وسافر مرة إلى دار السلطنة وقرأ هناك دروسًا، واجتمع عليه المحققون حين ذاك، وباحثوه وناقشوه، واعترفوا بعلمه وفضله، وقوبل بالإجلال والتكريم.

وعاد إلى مصر ولم يزل يملي ويفيد ويدرس ويعيد، حتى توفي في ذي القعدة سنة ثمانٍ وأربعين وماية وألف عن ثلاث وسبعين سنة وكسور، أخذ عنه كثير من الأشياخ كالشيخ الحفني وأخيه الشيخ يوسف والسيد البليدي والشيخ الدمياطي والشيخ الوالد والشيخ عمر الطحلاوي ... وغيرهم.

وكان يقول بحرمة القهوة، واتفق أنه عمل مهمًا لزواج ابنه فهاداه الناس، وبعث إليه عثمان كتخدا القازدغلي فرْق بُنٍّ فأمر بطرحه في الكنيف؛ لأنه يرى حرمة الانتفاع بثمنه أيضًا مثل الخمر، ودليله في ذلك ما ذُكر في وصف خمرة الجنة في قوله تعالى: ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ﴾ بأن الغول ما يعتري شارب الخمر بتركها وهذه العلة موجودة في القهوة بتركها بلا شك. توفي إلى رحمة الله تعالى سنة ست وأربعين وماية وألف.

ومات الإمام العلامة، والمحقق الفهامة، شيخ مشايخ العلم الشيخ/ محمد عبد العزيز الزيادي الحنفي البصير، أخذ عن: الشيخ شاهين الأرمناوي الحنفي عن العلامة البابلي، وأخذ عنه: الشمس الحنفي والدمنهورى والشيخ الوالد والدمياطي وغيرهم، توفي في أواخر ربيع الأول سنة ثمانٍ وأربعين وماية وألف.

ومات الشيخ الفقيه العلامة المتقن المتفنن الشيخ/ عيسى بن عيسى السفطي الحنفي، أخذ عن الشيخ إبراهيم بن عبد الفتاح بن أبي الفتح الدلجي العرضي الشافعي وعن الشيخ أحمد الأهناسي وعن الشيخ أحمد بن إبراهيم التونسي الحنفي الشهير بالدقدوسي وعن السيد علي بن السيد علي الحسيني الشهير بإسكندر، والشيخ محمد عبد العزيز بن إبراهيم الزيادي، ثلاثتهم عن الشيخ شاهين الأرمناوي، وأخذ أيضًا عن الشيخ العقدي

والشيخ إبراهيم الشرنبلالي والشيخ حسن بن الشيخ حسن الشرنبلالي والشيخ عبد الحي الشرنبلالي ثلاثتهم عن الشيخ حسن الشرنبلالي الكبير. توفي المترجم في سنة ثلاث وأربعين وماية وألف.

ومات الأستاذ العلامة شيخ المشايخ/ محمد السجيني الشافعي الضرير، أخذ عن الشيخ الشرنبلالي ولازمه ملازمة كلية، وأخذ أيضًا عن الشيخ عبد ربه الديوي وأهل طبقته مثل الشيخ مطاوع السجيني وغيره، وكان إمامًا عظيمًا فقيهًا نحويًّا أصوليًّا منطقيًّا أخذ عنه كثير من فضلاء الوقت وعلمائهم. توفي سنة ثمان وخمسين وماية وألف.

ومات الإمام العلامة والبحر الفهامة إمام المحققين شيخ الشيوخ/ عبد الرءوف بن محمد بن عبد اللطيف بن أحمد بن علي البشبيشي الشافعي، خاتمة محققي العلماء، واسطة عقد نظام الأولياء العظماء، ولد ببشبيش من أعمال المحلة الكبرى، واشتغل على علمائها بعد أن حفظ القرآن ولازم ولي الله تعالى العارف بالله الشيخ علي المحلي الشهير بالأقرع في فنون من العلم، واجتهد وحصل واتقن وتفنن وتفرد، وتردد على الشيخ العارف حسن البدوي وغيره من صوفية عصره، وتأدب بهم واكتسى من أنوارهم، ثم ارتحل إلى القاهرة سنة إحدى وثمانين وألف، وأخذ عن الشيخ محمد بن منصور الإطفيحي والشيخ خليل اللقاني والزرقاني وشمس الدين محمد بن قاسم البقري وغيرهم.

واشتهر علمه وفضله، ودرس وأفاد وانتفع به أهل عصره من الطبقة الثانية، وتلقوا عنه المعقول والمنقول، ولازم عمه الشهاب في الكتب التي كان يقرؤها مع كمال التوحش والعزلة والانقطاع إلى الله، وعدم مسايرة أحد من طلبة عمه والتكلم معهم، بل كان الغالب عليه الجلوس في حارة الحنابلة وفوق سطح الجامع حتى كان يظن من لا يعرف حاله أنه بليد لا يعرف شيئًا، إلى أن توجه عمه إلى الديار الحجازية حاجًّا سنة أربع وتسعين وألف وجاور هناك، فأرسل له بأن يقرأ موضعه، فتقدم وجلس وتصدر لتقرير العلوم الدقيقة والنحو والمعاني والفقه، ففتح الله له باب الفيض فكان يأتي بالمعاني الغريبة في العبارات العجيبة، وتقريره أشهى من الماء العذب عند الظمآن، وانتفع به غالب مدرسي الأزهر وغالب علماء القطر الشامي، ولم يزل على قدم الإفادة وملازمة الإفتاء والتدريس والإملاء حتى توفي في منتصف رجب سنة ثلاث وأربعين وماية وألف.

ومات الأستاذ الإمام صاحب الأسرار وخاتمة سلسلة الفخار الشيخ/ أحمد بن عبد المنعم بن محمد بن محمد أبو السرور البكري الصديقي شيخ سجادة السادة البكرية بمصر، أجازه أبو الإحسان بن ناصر وغيره، وكان للوزير علي باشا الحكيم فيه اعتقاد عظيم — كما تقدمت الإشارة إلى ذلك — وعندما ذهب الأستاذ للسلام عليه تلقاه وقبّل يديه وأقدامه، وقال: «هذا الذي كنت رأيته في عالم الرؤيا وقت كربنا في السفرة الفلانية، ولعله الشيخ البكري كما أخبرني عن لسانه» فقيل له: «هو المشار إليه» فأقبل بكليته عليه، واستجازه في الزيارة بعد الغد، وأرسل إليه هديةً سنية، ونزل لزيارته مرارًا، ومن نظم الأستاذ المترجم قوله:

بروحي حبيبًا زارني بعد هجعةٍ ... وقد غفلت عن العيون وشأنه
مليحًا من الأتراك مهما اقترحتُه ... من الحسن أبدته لنا حركاته
ولم أدرِ إلا وهو بالباب طارقًا ... وقد دخلت في مسمعي نغماته
فقمت له أسعى أناديه مرحبًا ... وأهلًا وسهلًا بالبديع صفاته
ومرَّغْتُ خدى في ترات نعاله ... فلما رأى ذلى جرت عبراته
وحلفته إلا وطئت محاجرى ... بنعليك فاحمرت حيًّا وجناته
وبالغت في الأسام إلا فَعْلَمَته ... ومعظم أقامي عليه حياته
فقال إذًا لا بد أفعل حافيًا ... فقلت له لا والعظيمة ذاته
فحط على خديٍّ نعليه كارهًا ... فيا طيبَ ما أهدته إليَّ نفحاتي
ويا ساعةً ما كان عندى أسرها ... لقد عظمت منه إليّ هباته
وجاد ابتداء بالمبيت لطاقةً ... وأبعد شيء كان عندي بياته
وما زلتُ طول الليل أرشف ثغره ... أيرد قلبًا قد ذكت لهباته
وآتى إلى أقدامه وأضمها ... إلى حر قلب طال فيه شتاته
وما راعني إلا المؤذن قائمًا ... يحْيَعل إذ حانت عليه صلاته
وقمت أراعيه من البعد خيفة ... وقد طال نحوي عطفه والتفاته

توفي سنة ثلاث وخمسين ومائة وألف، ودُفن بمشهد أسلافه عند ضريح الإمام الشافعي، وذكر هذه القصيدة الشيخ عبد الله الشبراوي ونسبها إلى زين العابدين البكري فأعرفه.

ومات الإمام العلامة والعمدة الفهامة المتفنن المتقن المتبحر الشيخ/ محمد صلاح الدين البرلسي المالكي الشهير بشلبي، أخذ عن: الشيخ أحمد النفراوي والشيخ عبد الباقي

القليني والشيخ منصور المنوفي ... وغيرهم، وروى عن البصري والنخلي، وعنه أخذ الأشياخ المعتبرون. توفي ليلة الخميس سابع عشر صفر سنة أربع وخمسين وماية وألف.

ومات الإمام العالم العلامة والعمدة الفهامة أستاذ المحققين وصدر المدرسين الشيخ/ أحمد بن أحمد بن عيسى العماوي المالكي، أخذ عن الشيخ محمد الزرقاني والعلامة الشبراملسي والشيخ محمد الإطفيحي والشيخ عبد الرءوف البشبيشي والشيخ منصور المنوفي والشيخ أحمد النفراوي، كما نقلت ذلك من خطه وإجازته للمغفور له عبد الله باشا كبورلي زاده، وكان قد قرأ عليه صحيح البخاري ومسلم والموطأ وسنن أبي داود وابن ماجه والنسائي والترمذي والمواهب قراءة لبعضها دراية، ولبعضها رواية، ولباقيها إجازة، وألفية المصطلح من أولها إلى آخرها دراية.

وكان إمامًا ثبتًا فقيها محدثًا أصوليًّا نحويًّا منطقيًّا، ولما توفي العلامة الشبراملسي تصدر للإقرا والإفادة في محله، وانتفع به الطلبة، وكان حلو التقرير فصيحًا كثير الاطلاع مستحضرًا للأصول والفروع والمناسبات والنوادر والمسايل والفوايد، تلقى عنه غالبُ أشياخ العصر، وحضروا دروسه الفقهية والمعقولية كما هو مذكور في تراجمهم، ولم يزل مواظبًا وملازمًا على الإقراء والإفادة وإملاء العلوم، حتى وافاه الأجل المحتوم، وتوفي في سابع جمادى الأولى من سنة خمس وخمسين وماية وألف وخلّف بعده ابنه أستاذنا الإمام المحقق، والنحرير المدقق، بركة الوقت، وبقية السلف، الشيخ عبد المنعم، أدام الله النفع بوجوده، وأطال عمره مع الصحبة والعافية آمين.

ومات الإمام العلامة الوحيد، والبحر الخضم الفريد، روض العلوم والمعارف وكنز الأسرار واللطائف، الشيخ/ محمد بن محمد الفلاتي الكثناوي الدرانكوي السوداني، كان إمامًا درًّا متقنًا متفننًا، وله يد طولى وباع واسع في جميع العلوم، ومعرفة تامة بدقايق الأسرار والأنوار، تلقى العلوم والمعارف ببلاده عن الشيخ الإمام محمد بن سليمان بن محمد النوالي البرناوي الباغرماوي، والأستاذ الشيخ محمد بندو، والشيخ الكامل الشيخ هاشم، والشيخ محمد فودو ومعناه الكبير، قال: «وهو أول من حصل على يديه الفتح، وعليه قرأت أكثر كتب الأدب، ولازمته حضرًا وسفرًا نحو أربع سنوات» فأخذ عنه الصرف والنحو حتى أتقن ذلك، وصار شيخه المذكور يلقبه بسيبويه، وكان يلقبه قبل ذلك بصاحب المقامات لحفظه لها واستحضاره لألفاظها استحضارًا شديدًا بحيث إذا ذكرت كلمة يأتي بما قبلها بالبديهة وعدم الكلفة.

وتلقى عن الشيخ محمد بندو علم الحروف والأوفاق وعلم الحساب والمواقيت على أسلوب طريقة المغاربة، والعلوم السرية بأنواعها الحرفية والوفقية وآلاتها الحسابية

والميقاتية، وحصلت له منه المنفعة التامة، قال: وقرأت عليه الأصول والمعاني والبيان والمنطق وألفية العراقي، وجميع عقائد السنوسي الستة، وسمع عليه البخاري وثلاثة أرباع مختصر الشيخ خليل من أول البيوع إلى آخر باب السلم، ومن أول الإجازة إلى آخر الكتاب، ونحو الثلث من كتاب ملخص المقاصد، وهو كتاب لابن زكري معاصر الشيخ السنوسي في ألف بيت وخمسمائة بيت في علم الكلام، وأكثر تصانيفه ... إلى غير ذلك. قال: «وسمعت منه كثيرًا من الفوائد العجيبة والحكايات الغريبة والأخبار والنوادر ومعرفة الرجال ومراتبهم وطبقاتهم» ذكر ذلك في برنامج شيوخه المذكورين.

وكان للمترجم همة عالية ورغبة صادقة في تحصيل العلوم المتوقف عليها تحصيل الكتب، وكان يقول عن نفسه: «إن مما مَنَّ الله علي به أني لم أقرأ قط من كتاب مستعار، وإنما أدنى مرتبتي إذا حاولت قراءة كتاب لم يكن موجودًا عندي أن أكتب متنه موسع السطور؛ لأقيد فيه ما أوردته من شروحه أو ما سمعته من تقريرات الشيخ عند قراءته، وأعلاها أن أكتب شرحه وحاشيته بدليل أنه لولا علو همتي وصدق رغبتي في تحصيل العلوم لما فارقت أهلي، وأنسي، وطلقت راحتي وبدلتهما بغربتي ووحشتي وكربتي، مع كون حالي مع أهلي في غاية الغبطة والانتظام، فبادرت في اقتحام الأخطار لكي أدرك الأوطار» (شعر).

إن الأمور إذا ما الله يسرَّها	أتتك من حيث لا ترجو وتحتسب
وكل ما لم يقدِّره الإله فما	يفيد حرص الفتى فيه ولا النصب
ثق بالإله ولا تركن إلى أحد	فالله أكرم من يُرجى ويُرتقب

ولما استأذن شيخه في الرحلة والحج فمر في رحلته بعدة ممالك، واجتمع بملوكها وعلمائها وممن اجتمع به في كاغ برن الشيخ محمد كرعك، وأخذ عنه أشياء كثيرة من علوم الأسرار والرمل، وأقام هناك خمسة أشهر، وعنده قرأ كتاب الوالية للكردي وهو كتاب جليل معتبر في علم الرمل، وقرأ عليه هو الرجراجي وبعض كتب من الحساب، وله رحلة تتضمن ما حصل له في تنقلاته، وحج سنة اثنتين وأربعين وماية وألف، وجاور بمكة وابتدأ هناك بتأليف (الدر المنظوم وخلاصة السر المكتوم في علم الطلاسم والنجوم) وهو كتاب حافل رتبه على مقدمة وخمسة مقاصد وخاتمة، وقسم المقاصد أبوابًا، وأتم تبييضه بمصر المحروسة في شهر رجب سنة ست وأربعين.

ومن تأليفه: (كتاب بهجة الآفاق وإيضاح اللبس والإغلاق في علم الحروف والأوفاق) رتبه على مقدمة ومقصد وخاتمة، وجعل المقدمة ثلاثة أبواب والمقصدَ خمسة أبواب، وكل باب يشتمل على مقدمة وفصول ومباحث وخاتمة، وله منظومة في علم المنطق سمّاها (منح القدّوس) وشرحها شرحًا عظيمًا سماه: (إزالة العبوس عن وجه منح القُدّوس) وهو مجلد حافل نحو ستين كراسًا، وله شرح بديع على كتاب: (الدر والترياق في علم الأوفاق) ومن تآليفه: (بلوغ الأَرَب من كلام العرب) في علم النحو ... وله غير ذلك.

توفي سنة أربع وخمسين وماية وألف بمنزل المرحوم الشيخ الوالد، وجعله وصيًّا على تركته وكتبه، وكان يسكن أولًا بدرب الأتراك، وهو الذي أخذ عنه علم الأوفاق وعلم الكبير والبسط الحرفية والعددية، ودفنه الوالد ببستان العلماء بالمجاورين، وبنى على قبره تركيبة، وكتب عليها اسمه وتاريخه، (ومن كلامه):

طلبت المستقرّ بكل أرضٍ فلم أرَ لي بأرض مستقرًّا
تبعت مطامعي فاستعبدتني ولو أني قنعت لكنت حرًّا

ومات جامع الفضايل والمحاسن، طاهر الأعراق والأوصاف، السيد/ علي أفندي نقيب السادة الأشراف، ذكره الشيخ عبد الله الإدكاوي في مجموعته وأثنى عليه، وكان مختصًّا بصحبته قال أنشدني من فيه لنفسه:

أشكو إلى الله من قوم ذي رحمٍ لا يختشى قطعها ذو اللب من ناس
مع أنني أحمد الله الكريم على إقعادهم بين إقلال وإفلاس

قال: ومن منثوره قوله: «إن أول ما خُطَّت به معالي الأمور وافتتحت به دفاتر المنظوم والمنثور، حمد الله الذى جعل لكل دايرة قطبًا، ولكل عصر لسانًا رطبًا، لتدوم بهم نعمة النظام، وتقوم بهم حجة الإسلام على الأخصام، والصلاة والسلام على نبيه المبعوث لكافة الأنام، وعلى آله وصحبه البررة الكرام ... إلى آخره، وحجَّ مع المترَجم سنة سبع وأربعين ومائة وألف، وعاد إلى مصر، ولم يزل على أحسن حال، حتى توفي في الليلة الثامنة عشرة من شهر شوال سنة ثلاث وخمسين وماية وألف.

ومات الأستاذ العارف الشيخ أبو العباس/ أحمد بن عثمان بن علي بن محمد بن علي بن أحمد العربي الأندلسي التلمساني الأزهري المالكي، أخذ الحديث عن الإمام أبي

سالم عبد الله سالم البصري المكي، وأبي العباس أحمد بن محمد النخلي المكي الشافعيين وغيرهما من علماء الحرمين ومصر والمغرب، أخذ عنه: الشيخ أبو سالم الحفني والسيد علي بن موسى المقدسي الحسيني، وغيرهما من علماء الحرمين ومصر والمغرب، توفي سنة إحدى وخمسين وماية وألف.

ومات الإمام العلامة والنحرير الفهامة شمس الدين/ محمد بن سلامة البصير الإسكندري المكي البليغ الماهر، أخذ العلم عن الشيخ خليل اللقاني والشهاب أحمد السندوبي والشيخ محمد الخرشي والشيخ عبد الباقي الزرقاني والشبرخيتي والأبي ذري وهو الشهاب أحمد الذي روى عن البرهان اللقاني والبابلي، وأخذ أيضًا عن الشيخ يحيى الشاوي والشهاب أحمد البشبيشي، وله تأليفات عديدة منها: تفسير القرآن العزيز نظمًا في نحو عشر مجلدات، وقد أجاز الشيخ أبا العباس أحمد بن علي العثماني وأملى عليه نظمًا، وذلك بمنزله بالجانب الغربي من الحرم الشريف، وعمر بن أحمد بن عقيل ومحمد بن علي بن خليفة الغرياني التونسي وحسين بن حسن الأنطاكي المَقَّرِي، أجازه في سنة إحدى وثلاثين وماية وألف في الطايف، وإسماعيل بن محمد العجلوني وغيرهم، توفي في ذي الحجة سنة تسع وأربعين وماية وألف.

ومات الشيخ الإمام العالم العلامة صاحب التآليف العديدة والتقريرات المفيدة أبو العباس/ أحمد بن عمر الديربي الشافعي الأزهري، أخذ عن عمه الشيخ علي الديربي، قرأ عليه التحرير وابن قاسم وشرح الرحبية، وأخذ عن الشيخ محمد القليوبي الخطيب وشرح التحرير، والشيخ خالد على الآجرومية وعلى الأزهرية، وعن الشيخ أبي السرور الميداني والشيخ محمد الدنوشري المشهور بالجندي علم الحساب والفرايض، وأخذ عن الشيخ الشنشوري، ومن مشايخه: يونس ابن الشيخ القليوبي والشيخ علي السنيطي والشيخ صالح الحنبلي والشيخ محمد النفراوي المالكي وأخوه الشيخ أحمد النفراوي والشيخ خليل اللقاني والشيخ منصور الطوخي والشيخ إبراهيم الشبرخيتي والشيخ إبراهيم المرحومي والشيخ عامر السبكي والشيخ علي الشبراملسي والشيخ شمس الدين محمد الحموي والشيخ أبو بكر الدلجي والشيخ أحمد المرحومي والشيخ أحمد السندوبي والشيخ محمد البقري والشيخ منصور المنوفي والشيخ عبد المعطي المالكي والشيخ محمد الخرشي والشيخ محمد النشرتي والشيخ أبو الحسن البكري خطيب الأزهر.

وانتشر فضله وعلمه واشتهر صيته وأفاد وألف وصنف، فمن تآليفه: (غاية المرام فيما يتعلق بأنكحة الأنام) وكتب حاشية عليه مع زيادة أحكام وإيضاح ما خفي فيه على

بعض الأنام، و(غاية المقصود لمن يتعاطى العقود) على مذهب الأئمة الأربعة، (والختم الكبير على شرح التحرير) المسمى: (فتح الملك الكريم الوهاب بختم شرح تحرير تنقيح اللباب) و(غاية المراد لمن قصرت همته من العباد) وختم على شرح المنهج سماه: (فتح الملك الباري بالكلام على آخر شرح المنهج) للشيخ زكريا الأنصاري، وختم على شرح الخطيب وعلى شرح ابن قاسم، وكتابه المشهور المسمى: (فتح الملك المجيد لنفع العبيد) جمع فيه ما جَرَّبه وتلقاه من الفوائد الروحانية والطبية وغيرها، وهو مؤلف لا نظير له في بابه، وله رسالة على البسملة وحديث البداءة، ورسالة تسمى: (تحفة الصفا فيما يتعلق بأبوي المصطفى) و(القول المختار فيما يتعلق بأبوي النبي المختار) ومناسك حج على مذهب الإمام الشافعي و(تحفة المريد في الرد على كل مخالف عنيد) و(فتح الملك الجواد بتسهيل قمة التركات على بعض العباد) بالطريق المشهورة بين الفرضيين في المسائل العائلة، ورسالة في سؤال الملكين وعذاب القبر ونعيمه والوقوف في المحشر والشفاعة العظمى، وأربعون حديثًا وتمام الانتفاع لمن أرادها من الأنام، وحاشية على شرح ابن قاسم الغزي، ورسالة تتعلق بالكواكب السبعة والساعات الجيدة وبضرب المنادل العُلوية والسفلية وإحضار عامر المكان واستنطاقه وعزله ولوح الحياة والممات ... وغير ذلك. توفي سابع عشرين سنة إحدى وخمسين وماية وألف.

ومات الإمام العلامة والبحر الفهامة شيخ مشايخ العصر، ونادرة الدهر، الصالح الزاهد الورع القانع الشيخ/ مصطفى العزيزي الشافعي، ذكره الشيخ محمد الكشناوي في آخر بعض تآليفه بقوله: وكان الفراغ من تأليفه في شهر كذا سنة ست وأربعين، وذلك في أيام الأستاذ زاهد العصر الفخر الرازي الشيخ مصطفى العزيزي، وناهيك بهذه الشهادة، وسمعت وصفه من لفظ الشيخ الوالد وغيره من مشايخ العصر من أنه كان أزهد أهل زمانه في الورع والتقشف في المأكل والملبس والتواضع وحسن الأخلاق، ولا يرى لنفسه مقامًا، وكان معتقَدًا عند الخاص والعام، وتأتي الأكابر والأعيان لزيارته ويرغبون في مهاداته وبره فلا يقبل من أحد شيئًا كائنًا ما كان، مع قلة دنياه، لا كثيرًا ولا قليلًا، وأثاثُ بيته على قدر الضرورة والاحتياج، وكان يقرأ دروسه بمدرسة السنانية المجاورة لحارة سكنه بخط الصنادقية بحارة الأزهر، ويحضر دروسه كبار العلماء والمدرسين، ولا يرضى للناس بتقبيل يده ويكره ذلك، فإذا تكامل حضور الجماعة وتحلقوا حضر من بيته، ودخل إلى محل جلوسه بوسط الحلقة فلا يقوم لدخوله أحد، وعندما يجلس يقرأ المقري، وإذا تم الدرس قام في الحال وذهب إلى داره، وهكذا كان دأبه. توفي سنة أربع وخمسين وأقام عثمان بك ذا الفقار وصيًّا على ابنته.

ومات الإمام العمدة المتقن المتفنن الشيخ/ رمضان بن صالح بن عمر بن حجازي السفطي الخوانكي الفلكي الحيسوبي، أخذ عن رضوان أفندي وعن العلامة الشيخ محمد البرشمسي، وشارك الجمال يوسف الكلارجي والشيخ الوالد وحسن أفندي قطة مسكين ... وغيرهم، واجتهد وحسب وحرر وكتب بخطه كثيرًا جدًّا، وحسب المحكمات وقواعد المقومات على أصول الرصد السمرقندي الجديد، وسهل طرقها بأدق ما يكون، وإذا نسخ شيئًا من تحريراته رقم منها عدّة نسخ في دفعة واحدة، فيكتب من كل نسخة صفحة بحيث يكمل الأربع نسخ أو الخمسة على ذلك النسق، فيتم الجميع في دفعة واحدة، وكان شديد الحرص على تصحيح الأرقام، وحل المحلولات الخمسة ودقايقها إلى الخوامس والسوادس، وكتب منها عدة نسخ بخطه، وهو شيء يعسر نقله فضلًا عن حسابه وتحريره، ومن تصانيفه: (نزهة النفس بتقويم الشمس) بالمركز والوسط فقط، والعلامة بأقرب طريق وأسهل مأخذ وأحسن وجه مع الدقة والأمن من الخطأ، وحرر طريقة أخرى على طريق (الدر اليتيم) يدخل إليها بفاضل الأيام تحت دقائق الخاصة، ويخرج منها المقوم بغاية التدقيق لمرتبة الثوالث في صفحات كبيرة متسعة في قالب الكامل، واختصرها الشيخ الوالد في قالب النصف، ويحتاج إليها في عمل الكسوفات والخسوفات والأعمال الدقيقة يومًا يومًا.

ومن تآليفه: (كفاية الطالب لعلم الوقت وبُغية الراغب) في معرفة الدائر وفضله، و(السمت والكلام المعروف في أعمال الكسوف والخسوف) و(الدرجات الوريفة في تحرير قسي العصر الأول وعصر أبي حنيفة) و(بغية الوطر في المباشرة بالقمر) ورسالة عظيمة في حركات أفلاك السيارة وهيئاتها وحركاتها وتركيب جداولها على التاريخ العربي على أصول الرصد الجديد، و(كشف الغياهب عن مشكلات أعمال الكواكب) و(مطالع البدور في الضرب والقسمة والجذور) وحرك ثلثمائة وستة وثلاثين كوكبًا من الكواكب الثابتة المرصودة بالرصد الجديد بالأطوال والأبعاد ومطالع الممر ودرجاته لأول سنة تسع وثلاثين وماية وألف، و(القول المحكم في معرفة كسوف النير الأعظم) و(رشف الزلال في معرفة استخراج قوس مكث الهلال) بطريقي الحساب والجداول.

وأما كتاباته وحسابياته في أصول الظلال واستخراج السموت والدساتير، فشيء لا ينحصر ولا يمكن ضبطه لكثرته، وكان له بالوالد وصلة شديدة، وصحبة أكيدة، ولما حانت وفاته أقامه وصيًّا على مخلفاته، وكان يستعمل البرشعثا ويطبخ منه في كل سنة قزانًا كبيرًا، ثم يملأ منه قدورًا ويدفنها في الشعير ستة أشهر، ثم يستعمله بعد ذلك ويكون قد حان فراغ الطبخة الأولى.

وكان يأتيه من بلده الخانكة جميع لوازمه وذخيرة داره من دقيق وسمن وعسل وجبن ... وغير ذلك، ولا يُدخل لداره قمح إلا لمؤنة الفراخ وعلفهم فقط، وإذا حضر عنده ضيوف وحان وقت الطعام قدَّم لكل فرد من الحاضرين دجاجة على حدته، ولم يزل حتى توفي ثاني عشر جمادى الأولى سنة ثمانٍ وخمسين وماية وألف يوم الجمعة، ودُفن بجوار تربة الشيخ البحيري كاتب القسمة العسكرية بجوار حوش العلامة الخطيب الشربيني.

ومات قاضي قضاة مصر/ صالح أفندي القسطموني، كان عالمًا بالأصول والفروع صوفي المشرب في التورع، وليَ قضاء مصر سنة أربع وخمسين وماية وألف، وبها مات سنة خمس وخمسين وماية وألف ودُفن عند المشهد الحسيني.

ومات السيد/ زين العابدين المنوفي المكي أحد السادة المشهورين بالعلم والفضل، توفي سنة إحدى وخمسين وماية وألف، ورثاه السيد جعفر البيتي بما هو مثبت في ديوانه.

ومات السيد الشريف/ حمود بن عبد الله بن عمرو النَّمَوِي الحسيني المكي أحد أشراف آل نمي، كان صاحب صدارة ودولة وأخلاق رضية ومحاسن مرضية، حسن المذاكرة والمطارحة، لطيف المحاضرة والمحاورة. توفي أيضًا سنة إحدى وخمسين وماية وألف، ورثاه السيد جعفر البيتي أيضًا بما هو مشهور ومثبت في ديوانه.

ومات الأجلُّ الفاضل المحقق/ أحمد أفندي الواعظ الشريف التركي، كان من أكابر العلماء أَمَّارًا بالمعروف ولا يخاف في الله لومة لايم، وكان يقرأ الكتب الكبار، ويباحث العلما على طريق النِظار، ويعظ العامة بجامع المرداني، فكانت الناس تزدحم عليه لعذوبة لفظه وحسن بيانه، وربما حضره بعض الأعيان من أمراء مصر فيسبهم جهرًا، ويشير إلى مثالبهم، وربما حنقوا منه، وسلطوا عليه جماعة من الأتراك ليقتلوه، فيخرج عليهم وحده فيغشي الله على أبصارهم. مات في حادي عشرين الحجة سنة إحدى وستين وماية وألف.

ومات القطب الكامل السيد/ عبد الله بن جعفر بن علوي مدهر باعلوي نزيل مكة، ولد بالشِحْر وبها نشأ ودخل الحرمين، وتوجه إلى الهند ومكث في دلهي مدة تقرب من عشرين عامًا، ثم عاد إلى الحرمين، أوخذ عن والده وأخيه العلامة علوي ومحمد بن أحمد بن علي الستاري، وابن عَقيلة وآخرين، وعنه أخذ الشيخ السيد عبد الرحمن العيدروس.

وله مؤلفات نفيسة منها: (كشف أسرار علوم المقربين) و(لمع النور بباء اسم الله يتم السرور) و(أشرف النور وسناه من سر معنى الله لا نشهد سواه) والأصل أربعة أبيات للقطب الحداد، و(اللآلي الجوهرية على العقائد البنوفرية) و(شرح ديوان شيخ بن إسماعيل الشحري) و(النفحة المهداة بأنفاس العيدروس بن عبد الله) و(الإيفا بترجمة العيدروس جعفر بن مصطفى) وديوان شعر ومراسلات عديدة، وقيل تولى القطبانية، ومن شعره قوله:

خليليَّ طاب القلب وانشرح الصدر ... وجاء المنى والأمن والفتح والنصر
وقد جاء وجه الحق بالحق وانجلى ... بنور اتحادٍ عندنا الحلق والأمر
فلا شيء غير الله في كل ما نرى ... وآياته في كل مجلي به زهر
وما هذه الأكوان إلا مراتب ... لوحدته اللاتي هي القُل والكثر
وإن له أسماء حسني كما أتى ... بتنزيله فافهم فقد ظهر السرُّ
أما قال إنسا الحقيقة حيث قد ... نهى عن سباب الدهر ذاك هو الدهر
وفي محكم التنزيل تكفي شواهد ... من الآي من قد يهتدي عندنا الغر
ففروا إلى الله القريبُ طريقُه ... فإن أولى التحقيق في قدسه فروا
وسيروا على اسم الله بالصدق والتقى ... فإن مراد الله فيكم هو اليسر
ما نحن إلا عبيد الله ليس لنا ... شيء من الأمر في التحقيق والنظر
إن الهموم من الأوهام منشؤها ... ورؤية الغير ترمي العبد في الغير

وممن أخذ عنه وصحبه الشهاب الأخاي وأحمد باعفان والطيب بن أبي بكر ومصطفى وحسين ابنا عم العيدروس ومصطفى بن عبد ربه بن شيخ وابن أخيه حسين بن علوي بن جعفر مدهر، ومن كلامه أيضًا:

ما نحن إلا عبيد الله ليس لنا ... الأمر في التحقيق والنظر
إن الهموم من الأوهام منشؤها ... ورؤية الغير ترمي العبد في الغير

وله مخاطبًا السيد العيدروس:

سلام على الشهم المنيف الذى سما　　وجيهًا بمجد قد علا حيه السما
سلام عليه كلما أمَّ طايف　　إلى الطايف المشهور أنعم به حمى

وله:

يا من هم مظاهر　　والحق فيهم ظاهر
حجبتم لأنكم،　　ألهاكم التكاثر

وله كرامات شهيرة، توفي بمكة سنة ستين ومائة وألف.

ومات السيد الأجلُّ/ عبد الله بن مشهور بن علي بن أبي بكر العلوي أحد السادة أصحاب الكرامات والإشراقات، كان مشهورًا بإراءة الخضر. ذكره السيد عبد الرحمن العيدروس، وترجمه في ذيل المشرع وأثنى عليه، وذكر له بعض كرامات، توفي سنة أربع وأربعين ومائة ألف.

ومات الأستاذ النجيب الماهر المتفنن/ جمال الدين يوسف بن عبد الله الكلارجي الفلكي تابع حسن أفندي كاتب الروزنامة سابقًا، قرأ القرآن وجوَّد الخط، وتوجهت همته للعلوم الرياضية كالهيئة والهندسة والحساب والرسم، فتقيد بالعلامة الماهر رضوان أفندي وأخذ عنه، واجتهد وتمهّر، وصار له باع طويل في الحسابيات والرسميات، وساعده على إدراك مأموله ثروة مخدومه، فاستنبط واخترع ما لم يُسبق به، وألَّف كتابًا حافلًا في الظلال ورسم المنحرفات والبسايط والمزاول والأسطحة، جمع فيه ما تفرق في غيره من أوضاع المتقدمين بالأشكال الرسمية والبراهين الهندسية، والتزم المثال بعد المقال، وألَّف كتابًا أيضًا في منازل القمر ومحلها وخواصها وسماها: (كنز الدرر في أحوال منازل القمر) وغير ذلك، واجتمع عنده كتب وآلات نفيسة لم تجتمع عند غيره، ومنها نسخة الزيج السمرقندي بخط العجم ... وغير ذلك، توفي سنة ثلاث وخمسين وماية وألف، رحمه الله.

ومات الإمام العلامة والعمدة الفهامة مفتي المسلمين الشيخ/ أحمد بن عمر الإسقاطي الحنفي المُكنَّى بأبي السعود، تفقه على الشيخ عبد الحي الشرنبلالي والشيخ علي العقدي الحنفي البصير، وحضر عليه المنار وشرحه لابن فرشنه وغيره، والشيخ

أحمد النفراوي المالكي، والشيخ محمد بن عبد الباقي الزرقاني، والشيخ أحمد بن عبد الرزاق الروحي الدمياطي الشناوي، والشيخ أحمد الشهير بالبناء، وأحمد بن محمد عطية الشرقاوي الشهير بالخليفي، والشيخ أحمد بن محمد المنفلوطي الشافعي الشهير بابن الفقيه، والشيخ عبد الرءوف البشبيشي ... وغيرهم كالشيخ عبد ربه الديوي ومحمد بن صلاح الدين الدنجيهي والشيخ منصور المنوفي والشيخ صالح البهوتي.

مَهَرَ في العلوم وتصدَّر لإلقاء الدروس الفقهية والمعقولية، وأفاد وأَفتى وألف وأجاد، وانتفع الناس بتأليفه، ولم يزل يملي ويفيد حتى تُوفي سنة تسع وخمسين وماية وألف.

ومات الأستاذ الكبير والعالم الشهير صاحب الكرامات الساطعة، والأنوار المشرقة اللامعة، سيدي/ عبد الخالق بن وفا قطب زمانه وفريد أوانه، وكان على قدم أسلافه، وفيه فضيلة وميل للشعر، وامتدحه الشعراء وأجازهم الجوائز السنية، وكان يحب سماع الآلات، وامتدحه بعض شعراء عصره بقوله:

دع عنك حاتمَ طي وابن زائدة | واترك حديثَ بني العباس والخلفا
وانظر بعينيك هل أبصرت من رجل | في الجود يشبه عبد الخالق بن وفا

توفي رحمه الله في ثاني عشر ذي الحجة سنة إحدى وستين وماية وألف في عشر السبعين، وتولى بعده في خلافتهم سيدي محمد أبو الإشراق بن وفا، وأعقب المترجم أولادًا كلهم اندرجوا إلَّا ابنة هي أم السيد أبي الإمداد الذي تولى نقابة الأشراف قبل خلافته على سجادتهم في خلافة السيد أبي الإشراق.

ومات الأستاذ شيخ الطريقة والحقيقة قدوة السالكين ومربي المريدين الإمام المسلِّك السيد/ مصطفى بن كمال الدين المذكور في منظومة النسبة لسيدي عبد الغني النابلسي، كما ذكره السيد الصديقي في شرحه الكبير على ورده السحَري البكري الصديقي الخلوتي، نشأ ببيت المقدس على أكرم الأخلاق وأكملها، ربَّاه شيخه الشيخ عبد اللطيف الحلبي وغذاه بلبان أهل المعرفة والتحقيق، ففاق ذلك الفرعُ الأصلَ، وظهرت به في أفق الوجود شمس الفضل، فبرع فهمًا وعلمًا، وأبدع نثرًا ونظمًا، ورحل إلى جُلِّ الأقطار، لبلوغ أَجَلِّ الأوطار، كما دأب على ذلك السلف، لما فيه من اكتساب المعالي والشرف.

ولما ارتحل إلى إسلامبول لبس فيها ثياب الخمول، ومكث فيها سنة لم يؤذن له بارتحال، ولم يدرِ كيف الحال، فلما كان آخر السنة قام ليلة فصلى على عادته من التجهد،

ثم جلس لقراءة الورد السَّحَري، فأحب أن تكون روحانية النبي ﷺ في ذلك المجلس، ثم روحانية خلفائه الأربعة والأئمة الأربعة والأقطاب الأربعة والملايكة الأربعة، فبينما هو في أثنائه إذ دخل عليه رجل فشمر عن أذياله كأنه يتخطى أناسًا في المجلس، حتى انتهى إلى موضع فجلس فيه، ثم لما ختم الورد قام ذلك الرجل فسلم عليه، ثم قال: «ماذا صنعت يا مصطفى؟» فقال له: «ما صنعت شيئًا» فقال له: «ألم ترني أتخطى الناس؟ ولم يتخلف أحد ممن أردتَ حضوره وما أتيتك إلا بدعوة، والآن أذن لك في الرحيل، وحصل الفتح والمدد» والرجل المذكور هو الولي الصوفي السيد محمد التافلاتي، ومتى عبّر السيد في كتبه بالوالد فهو السيد محمد المذكور، وقد منحه علومًا جمة، وتآليفه تقارب المائتين، وأحزابه وأوراده أكثر من ستين وأجلها ورده السحري، إذ هو باب الفتح، وله عليه ثلاثة شروح أكبرها في مجلدين.

وقد شاد أركان هذه الطريقة، وأقام رسومها، وأبدى فرائدها، وأظهر فوائدها، ومنحه الله من خزاين الغيب ما لا يدخل تحت حصر، قال الشيخ الحفني: «إنه جمع مناقب نفسه في مؤلف نحو أربعين كراسًا تسويدًا في الكامل ولم يتم، وقد رأى النبي ﷺ في النوم وقال له: «من أين لك هذا المدد؟» فقال: «منك يا رسول الله» فأشار أن نعم، ولقي الخضر عليه السلام ثلاث مرات، وعرضت عليه قطبانية المشرق فلم يرضها، وكان أكرم من السيل وأمضى في السر من السيف، وأوتي مفاتيح العلوم كلها حتى أذعن له أولياء عصره ومحققوه في مشارق الأرض ومغاربها، وأخذ على رؤساء الجن العهود، وعمَّ مدده سائر الورود، ومناقبه تجل عن التعداد، وفيما أشرنا إليه كفاية لمن أراد».

وأخذ عنه طريق السادة الخلوتية الأستاذ الحفني، وارتحل لزيارته والأخذ عنه إلى الديار الشامية — كما سيأتي ذلك في ترجمته — وحج سنة إحدى وستين، ثم رجع إلى مصر، وسكن بدار عند قبة المشهد الحسيني، وتوفي بها في ثاني عشر ربيع الثاني سنة اثنتين وستين وماية وألف، ودُفن بالمجاورين، ومولده في آخر المائة بعد الألف بدمشق الشام.

ومات العلامة الثبت المحقق المحرر المدقق الشيخ/ محمد الدفري الشافعي، أخذ العلم عن الأشياخ من الطبقة الأولى، وانتفع عليه فضلاء كثيرون منهم: العلامة الشيخ محمد المصيلحي، والشيخ عبد الباسط السنديوني، وغيرهما. توفي سنة إحدى وستين وماية وألف.

ومات الأجلُّ المكرم عبد الله أفندي الملقب بالأنيس، أحد المهرة في الخط، الضابط كتب على/ الشاكري وغيره، واشتهر أمره جدًّا، وكان مختصًّا بصحبة مير اللواء عثمان بك ذي الفقار أمير الحاج، وكتب عليه جماعة ممن رأيناهم، ومنهم شيخ الكتبة بمصر اليوم حسن أفندي مولى الوكيل المعروف بالرشدي، وقد أجازه في مجلس حافل. توفي سنة تسع وخمسين ومائة وألف، وأرخه الشيخ عبد الله الإدكاوي فقال:

من مضى نحو ربه قلت فيه بيتَ شعر مؤرخًا مأنوسًا
يا أمال الأنام أدعوك جهرًا يا رحيمًا كن للأنيس أنيسا

ومات الإمام الفقيه المحدث شيخ الشيوخ المتقن المتفنن الشيخ/ أحمد بن مصطفى بن أحمد الزبيري المالكي الإسكندري، نزيل مصر وخاتمة المسندين بها الشهير بالصباغ، ذكر في برنامج شيوخه أنه أخذ عن: إبراهيم بن عيسى البلقطري وعلي بن فياض والشيخ محمد النشرتي والشيخ محمد الزرقاني وأحمد الغزاوي وإبراهيم الفيومي وسليمان الشبرخيتي ومحمد زيتونة التونسي نزيل الإسكندرية وأبي العز العجمي وأحمد بن الفقيه والكنكسي ويحيى الشاوي وعبد الله البقري وصالح الحنبلي وعبد الوهاب الشنواني وعبد الباقي القليني وعلي الرميلي وأحمد السجيني وإبراهيم الكتبي وأحمد الخليفي ومحمد الصغير والوزاري وعبده الديوي وعبد القادر الواطي وأحمد بن محمد الدرعي، ورحل إلى الحرمين فأخذ عن البصري والنخلي والسندي ومحمد أسلم وتاج الدين القلعي والسيد سعداته.

وكان المترجم إمامًا علامة سليم الباطن معمور الظاهر، قد عم به الانتفاع، روى عنه كثيرون من الشيوخ، وكان يذهب في كل سنة إلى ثغر سكندرية فيقيم بها شعبان ورمضان وشوالًا، ثم يرجع إلى مصر يملي ويفيد ويدرس، حتى توفي في سنة اثنتين وستين ومائة وألف، ودفن بتربة بستان المجاورين بالصحراء.

ذكر من مات في هذه السنين من الأمراء والأعيان المعروفين

أخبارهم وتراجمهم على حسب الإمكان وما وصل إليه علمي من ذلك من الأمور الإجمالية

ومات الأمير علي بك ذو الفقار، وهو مملوك ذو الفقار بك خشداش عثمان بك، ولما دخلوا على أستاذه وقت العشاء وقتلوه كما تقدم كان هو إذ ذاك خازنداره كما تقدم، فقال المترجم بأعلى صوته: «الصنجق طيب هاتوا السلاح» فكانت هذه الكلمة سببًا لهزيمة القاسمية وإخمادهم إلى آخر الدهر، وعد ذلك من فطانته وثبات جأشه في ذلك الوقت والحالة، ثم أرسل إلى مصطفى بك بلغيه فحضر عنده وجمع إليه محمد بك قطامش وأرباب الحل والعقد، وأرسلوا إلى عثمان بك فحضر من التجريدة، ورتبوا أمورهم وقتلوا القاسمية الذين وجدوهم في ذلك الوقت وبعده، وقلدوا المترجم الصنجقية، وتزوج أستاذه، وسكن ببيت محمد أغا تابع إسماعيل باشا في الشيخ ظلام، وسكن الحال إلى سنة ست وأربعين.

فلما تولى عثمان باشا الحلبي ولاية مصر أرسل إلى المترجم وجعله قايمقامه، فحضر إليه المسلِّم ودخل إلى بيته فتلقاه ورحَّب به، ثم قال له: «قم بنا إلى الديوان وتلبس قفطان القايمقامية» فقال له: «الخيل فيها سلامان، ولعل ذلك لعلي بك قطامش، فإن رياسة مصر الآن له ولسيده، وأما أنا وخشداشي عثمان بك فمن المتروكين» فقال له الأغا: «ألم تكُ علي بك خازندار المرحوم ذي الفقار بك؟» قال: «نعم» فأعطاه الفرمان فلما قرأه علم

أنه هو المعنيُّ بذلك، فركب صحبته إلى الديوان وخلع عليه عبد الله باشا القفطان، ونزل إلى منزله فخلع على إسماعيل بك وأبي قلنج أمين السماط، وحضر إلى المترجم محمد بك قطامش وباقى الأمراء والأغوات والاختيارية، وخشداشه عثمان بك وهنوه، وسلَّموا عليه.

ولما وقف العرب بطريق الحجاج في العقبة سنة سبع وأربعين، وكان أمير الحاج رضوان بك، أرسل إلى محمد بك قطامش فعرفه ذلك، فاجتمع الأمراء بالديوان، وتشاوروا فيمن يذهب لقتال العرب، فقال المترجم: «أنا ذاهب إليهم، وأخلص من حقهم، وأنقذ الحجاج منهم، ولا آخذ من الدولة شيئًا بشرط أن أكون حاكم جرجا عن سنة ثمانٍ وأربعين» فأجابوه إلى ذلك، وألبسه الباشا قفطانًا، وقضى أشغاله في أسرع وقت، وخرج في طوايفه ومماليكه وأتباع أستاذه، وتوجه إلى العقبة وحارب العرب حتى أنزلهم من الحلزونات وأجلاهم، وطلع أمير الحاج بالحجاج، وساق هو خلف العرب فقتل منهم مقتلة عظيمة، ولحق الحجاج بنخل ودخل صحبتهم، ولما دخل توت سافر إلى ولاية جرجا فأقام بها أيامًا ومات هناك بالطاعون، فأرسل خشداشه عثمان بك إلى كتخدا وقايمقامه بأن يكملوا السنة، ويخلصوا المال والغلال، ويحضروا إلى مصر، وقلدوا عوضه مملوكه حسن الصنجقية، وصالح على حصصه بحلوان قليل.

ومات الأمير مصطفى بك بلغيه تابع أغا بلغيه، تقلد الإمارة والصنجقية في أيام إسماعيل بك ابن إيواظ سنة خمس وثلاثين وماية وألف، ولم يزل أميرًا متكلمًا، وصدرًا من صدور مصر أصحاب الأمر والنهي والحل والعقد إلى أن مات بالطاعون على فراشه سنة ثمانٍ وأربعين وماية وألف، وقلدوا عوضه في الإمارة والصنجقيه مملوكه إبراهيم أغا وفتح بيت أستاذه.

ومات أيضًا رضوان أغا الفقاري، وهو جرجي الجنس تقلد أغاوية مستحفظان عندما عُزل علي أغا — المقدم ذكره — في أواخر سنة ثمانٍ عشرة وماية وألف، ثم تقلد كتخدا الجاويشية، ثم أغات جملية في سنة عشرين وماية وألف، وكان من أعيان المتكلمين بمصر، وفر من مصر وهرب مع من هرب في الفتنة الكبرى إلى بلاد الروم، ثم رجع إلى مصر سنة خمس وثلاثين باتفاق من أهل مصر بعد ما بيعت بلاده وماتت عياله، ومات له ولدان، فمكث بمصر خاملًا إلى سنة ست وثلاثين، ثم قلده إسماعيل بك ابن إيواظ آغوية الجملية فاستقر بها نحو خمسين يومًا، ولما قُتل إسماعيل بك في تلك السنة نفي المترجم إلى أبي قير خوفًا من حصول الفتن، فأقام هناك، ثم رجع إلى مصر، واستمر بها إلى أن مات في الفصل سنة ثمانٍ وأربعين وماية وألف.

ومات كل من إسماعيل بك قيطاس، وأحمد بك أشراق ذي الفقار بك الكبير، وحسن بك وحسين بك كتخدا الدمياطي، وإسماعيل كتخدا تابع مراد كتخدا، وخليل جاويش قجابيه، وأفندي كبير عزبان، وحسن جاويش بيت مال العزب، وأفندي صغير مستحفظان، وأحمد أوده المطرباز، ومحمد أغا ابن تصلق أغات مستحفظان، وحسن جلبي بن حسن جاويش خشداش عثمان كتخدا القازدغلي … وغير ذلك، مات الجميع في الفصل سنة ثمانٍ وأربعين وماية وألف.

ومات أحمد كتخدا الخربطلي، وهو الذي عمّر الجامع المعروف بالفاكهاني الذي بخط العقادين الرومي بعطفة خوشقدم، وصرف عليه من ماله مائة كيس، وأصله من بناء الفائز بالله الفاطمي، وكان إتمامه في حادي عشر شوال سنة ثمان وأربعين وماية وألف، وكان المباشر على عمارته جلبي شيخ طائفة العقادين الرومي، وجعل مملوكه علي ناظرًا عليه ووصيًّا على تركته، ومات المترجم في واقعة بيت محمد بك الدفتردار سنة تسع وأربعين ومائة وألف مع من مات، كما تقدم الإلماع بذكر ذلك في ولاية باكير باشا.

ومات الأمير عثمان كتخدا القازدغلي تابع حسن جاويش القازدغلي والد عبد الرحمن كتخدا صاحب العماير، تنقل في مناصب الوجاقات في أيام سيده وبعدها إلى أن تقلد الكتخدايه ببابه، وصار من أرباب الحل والعقد وأصحاب المشورة، واشتهر ذكره ونما صيته، وخصوصًا لما تغلبت الدول وظهرت الفقارية، ولما وقع الفصل في سنة ثمانٍ وأربعين، ومات الكثير من أعيان مصر وأمرائها — غنم أموالًا كثيرة من المصالحات والتركات.

وعمَّر الجامع المعروف بالأزبكية بالقرب من رصيف الخشاب في سنة سبع وأربعين، وحصلت الصلاة فيه ووقع به ازدحام عظيم حتى إن عثمان بك ذو الفقار حضر للصلاة في ذلك اليوم متأخرًا فلم يجد له محلًا فيه فرجع وصلى بجامع أزبك، وملوا المزملة بشربات السكر، وشرب منه عامة الناس، وطافوا بالقلل لشرب مَن بالمسجد من الأعيان، وعمل سماطًا عظيمًا في بيت كتخدا سليمان كاشف برصيف الخشاب، وخلع في ذلك اليوم على حسن أفندي ابن البواب الخطيب والشيخ عمر الطحلاوي المدرس وأرباب الوظايف خلعًا، وفرق على الفقراء دراهم كثيرة، وشرع في بناء الحمام بجواره بعد تمام الجامع والسبيل والكتّاب.

وبنى زاوية العميان بالأزهر، ورحبة رواق الأتراك والرواق أيضًا، ورواق السليمانية، ورتب لهم مرتبات من وقفه، وجعل مملوكه سليمان الجوخدار ناظرًا ووصيًّا وألبسه الضلمة.

ولم يزل عثمان كتخدا أميرًا ومتكلمًا بمصر وافر الحرمة مسموع الكلمة، حتى قُتل مع من قُتل ببيت محمد بك الدفتردار مع أن الجمعية كانت بإطلاعه ورأيه، ولم يكن مقصودًا بالذات في القتل.

ومات الأمير الكبير محمد بك قيطاس المعروف بقطامش وهو مملوك قيطاس بك جرجي الجنس، وقيطاس بك مملوك إبراهيم بك ابن ذي الفقار بك تابع حسن بك الفقاري، تولى الإمارة والصنجقية في حياة أستاذه، وتقلد إمارة الحج سنة خمس وعشرين وطلع بالحج مرتين، وتقلد أيضًا إمارة الحج سنة ستٍّ وأربعين ماية وألف وسنة ثمان وأربعين.

ولما قُتل عابدي باشا أستاذه بقراميدان سنة ست وعشرين وماية وألف — كما تقدم ذكر ذلك — عصى المترجم وكرنك في بيته هو وعثمان بك بارم ديله، وطلب بثأر أستاذه ولم يتم له أمر، وهرب إلى بلاد الروم فأقام هناك إلى أن ظهر ذو الفقار في سنة ثمانٍ وثلاثين، وخرج جركس هاربًا من مصر، فأرسل عند ذلك أهلُ مصر يستدعون المترجم، ويطلبون من الدولة حضوره إلى مصر، فأحضروه وأرسلوا إلى مصر وأنعموا عليه بالدفتردارية، ولما وصل إلى مصر فلم يتمكن منها حتى قَتل علي بك الهندي، فعند ذلك تقلد الدفتردارية وظهر أمره ونما ذكره.

وقلد مملوكه علي صنجقًا، وكذلك إشراقه إبراهيم بك، ولما عزل باكير باشا تقلد المترجم قايمقامية وذلك سنة ثلاث وأربعين، وبعد قتل ذي الفقار بك صار المترجم أعظم الأمراء المصرية وبيده النقض والإبرام والحل والعقد، وصناجقه علي بك ويوسف بك وصالح بك وإبراهيم.

ولم يزل أميرًا مسموع الكلمة وافر الحرمة حتى قُتل في واقعة بيت الدفتردارية كما تقدم، وقُتل معه أيضًا من أمرايه: علي بك وصالح بك، وعلي بك هذا هو الذى كان أميرًا على تجريدة محمد بك جركس صحبة عثمان بك ذي الفقار، وحضر برأسه إلى مصر وهو والد عمر بك، وطلع أميرًا بالحج سنة سبع وأربعين، وحصل بينه وبين عربان ينبع البر معركة، ونهبت الغلمان السوق، وأقام بمكة خمسة أيام زائدة عن المعتاد، ورجع على قلعة الوِش ولم يرجع على الينبع.

ومات معهم أيضًا يوسف كتخدا البركاوي، وكان أصله جربجيًّا بباب العزب، وطلع سردار بيرق في سفر الروم، ثم رجع إلى مصر فأقام خاملًا قليل الحظ من المال والجاه، فلما حصلت الواقعة التي ظهر فيها ذو الفقار، واجتمع محمد باشا وعلي باشا والأمراء،

وحصرهم محمد بك جركس من جهات الرميلة من ناحية مصلى المؤمنين والحصرية وتلك النواحي، وتابعوا رمي الرصاص على مَن بالمحمودية وباب العزب والسلطان حسن بحيث منعوهم المرور والخروج والدخول، وضاق الحال عليهم بسبب ذلك، فعندها تسلق المترجم وخاطر بنفسه ونط من باب العزب إلى المحمودية والرصاص نازل من كل ناحية، وطلع عند الباشا والأمراء، وطلب فرمانًا خطابًا لكتخدا العزب بأنه يفرد بيرقًا بمائة نفر وأوده باشه، ويكون هو سر عسكر، ويطرد الذين في سبيل المؤمنين، وهو يملك بيت قاسم بك ويفتح الطريق، فأعطوه ذلك، وفعل ما تقدم ذكره، وملك بيت قاسم بك، وجرى بعد ذلك ما جرى، ولما انجلت القضية جعلوه كتخدا باب العزب، وظهر شأنه من ذلك الوقت، واشتهر ذكره وعظم صيته، وكان كريم النفس ليس للدنيا عنده قيمة، ولم يزل حتى قُتل في واقعة بيت الدفتردار.

ومات الأمير قيطاس بك الأعور، وهو مملوك قيطاس بك الفقاري — المتقدم ذكره — تقلد الإمارة في أيام أستاذه، ولما قتل أستاذه كان المترجم مسافرًا بالخزينة ونازلًا بوطاقه بالعادلية، وكان خشداشه محمد بك قطامش نازلًا بسبيل علَّام، فلما بلغه قتل أستاذه ركب هو وعثمان بك بارم ديله وأتيا إليه وطلباه للقيام معهما في طلب ثأر أستاذهم فلم يطاوعهما على ذلك، وقال: «أنا معي خزينة السلطان، وهي في ضماني فلا أدعها وأذهب معكما في الأمر الفارغ، وفيكم البركة» وذهب محمد بك وفعل ما فعله من الكرنكة في داره، ولم يتم له أمر إلى الديار الرومية، واستمر هناك إلى أن رجع كما ذكر، وعاد المترجم من سفر الخزينة فاستمر أميرًا بمصر، وتقلد إمارة الحج سنة اثنتين وأربعين، وتوفي بمنى ودُفن هناك.

ومات الأمير علي كتخدا الجلفي تابع حسن كتخدا الجلفي المتوفى سنة أربع وعشرين وماية وألف، تنقل في الإمارة بباب عزبان بعد سيده، وتقلد الكتخداية، وصار من أعيان الأمرا بمصر وأرباب الحل والعقد، ولما انقضت الفتنة الكبيرة، وطلع إسماعيل بك إلى ابن إيواظ إلى باب العزب، وقتل عمر أغا أستاذ ذي الفقار بك، وأمر بقتل خازنداره ذي الفقار المذكور — استجار بالمترجم وكان بلديَّه، وكان إذ ذاك خازندارًا عند سيده حسن كتخدا، فأجاره وأخذه في صدره، وخلّص له حصة قمن العروس كما تقدم، فلم يزل يراعي له ذلك حتى أن يوسف كتخدا البركاوي انحرف منه في أيام ذي الفقار وأراد غدره، وأسرَّ بذلك إلى ذي الفقار بك، فقال له: «كل شيء أطاوعك فيه إلا الغدر بعلي كتخدا، فإنه كان السبب في حياتي، وله في عنقي ما لا أنساه من المنن والمعروف، وضمانة عليَّ في كل شيء» وقلده الكتخداية.

وسبب تلقبهم بهذا اللقب: هو أن محمد أغا مملوك بشير أغا القزلار أستاذ حسن كتخدا كان يجتمع به رجل يسمى منصورًا الزتاحرجي السنجلقي من قرية من قرى مصر تسمى سنجلف، وكان متمولًا وله ابنة تسمى خديجة، فخطبها محمد أغا لمملوكه حسن أغا أستاذ المترجم وزوجها له، وهي خديجة المعروفة بالست الجلفية.

وسبب قتل المترجم ما ذكر في ولاية سليمان باشا بن العظم لما أراد إيقاع الفتنة، واتفق مع عمر بك ابن علي بك قطامش على قتل عثمان بك ذي الفقار وإبراهيم بك قطامش وعبد الله كتخدا القازدغلي والمترجم، وهم المشار إليهم إذ ذاك في رياسة مصر، واتفق عمر بك مع خليل بك وأحمد كتخدا عزبان البركاوي وإبراهيم جاويش القازدغلي، وتكفل كل منهم بقتل أحد المذكورين، فكان أحمد كتخدا ممن تكفل بقتل المترجم، فأحضر شخصًا يقال له: لاظ إبراهيم من أتباع يوسف كتخدا البركاوي وأغراه بذلك، فانتخب له جماعة من جنسه ووقف بهم في قبو السلطان حسن تجاه بيت آقبردي ففعل ذلك.

ووقف مع من اختارهم بالمكان المذكور ينتظر مرور علي كتخدا وهو طالع إلى الديوان، وأرسل إبراهيم جاويش إنسانًا من طرفه سرًّا يقول له: «لا تركب في هذا اليوم صحبة أحمد كتخدا فإنه عازم على قتلك» فلما بلغته الرسالة لم يصدق ذلك، وقال: «وأنا أي شيء بيني وبينه من العداوة حتى يقتلني؟» وأعطى الرسول بقشيشًا وقال له سلم على سيدك، وبعد ساعة حضر إليه أحمد كتخدا فقام وتوضأ، وقال لكاتبه التركي: «خذ من الخازندار الفلاني ألف محبوب ندفعها فيما علينا من مال الصرة» فأخذها الكاتب في كيس وسبقه إلى الباب، وركب مع أحمد كتخدا وإبراهيم جاويش وخلفهم حسن كتخدا الرزاز وأتباعهم، فلما وصلوا إلى المكان المعهود خرج لاظ إبراهيم وتقدم إلى المترجم كأنه يقبِّل يده، فقبض على يده وضربه بالطبنجة في صدره فسقط إلى الأرض، وأطلق باقي الجماعة ما معهم من آلات النار، وعبقت الدخنة؛ فرمح ابن أمين البحرين وذهب إلى بيته، وطلع أحمد كتخدا وصحبته حسن كتخدا الرزاز إلى الباب.

ولما سقط علي كتخدا سحبوه إلى الخرابة وفيه الروح فقطعوا رأسه، ووضعوها تحت مسطبة البوابة في الخرابة، وطلعوا إلى الباب، وعندما طلع أحمد كتخدا واستقر بالباب أخذ الألف محبوب من الكاتب وطرده، واقترض من حسن كتخدا المشهدي ألف محبوب أيضًا، وفرق ذلك على من بالباب من أوده باشيه والنفر.

وحضر شريف على أفندي بطلب رمة المقتول من أحمد كتخدا فأنكرها، فقال له إسماعيل كتخداه: «أى شيء تعمل بالرمة؟ أعطها لهم يدفنوها» فأرسل صحبة سرّاج

بأمارة فدخل إلى الخرابة فوجده مرميًّا على الزبالة وهو عريان من غير رأس، فوضعوه فى النعش وفتشوا على الرأس فأشار بعض جيران المحل على الدولاب فأخذوها منه، وأتوا به إلى بيته بالخرنفش، فغسلوه وكفنوه، وأخرجوه في مشهد عظيم إلى الأزهر فصلّوا عليه ودفنوه بمدفنهم في حومة الإمام الشافعى — رضى الله عنه.

ولما بلغ خبر قتل علي كتخدا عثمان بك ذي الفقار اغتم غمًّا شديًا؛ لكونه صديقه وصديق أستاذه من قبله، وطلب رضوان چربجي وسليمان چربجي أتباع علي كتخدا، وقال لهم: «اجمعوا عندكم أنفارًا قادرة بسلاحها، ولازموا بيت المرحوم أستاذكم، وإن أتاكم أحد اضربوه واطردوه» فأحضر شخصًا يقال له: أبو مناخير فضة، فجمع إليه نحو المائتي نفر من وجاق العزب وجلسوا في بيت المرحوم، فحضر إليهم جاويش وقابجية وسراجون وأرادوا أن يختموا على مخلفاته فطردوهم، فرجعوا إلى أحمد كتخدا وأخبروه، وحضر حسين بك الخشاب عند إبراهيم جاويش، وسأله هل عنده علم بقتل الجلفي؟ فقال: نعم، وأرسلت إليه ألا يركب فلم يسمع لأجل القضاء، وأعلم أن هذا من الباشا، وكان مراده يملك باب الينكجرية بحيلة فلم يتمَّ له ذلك، والخبر كله عند عمر بك ابن علي بك، وحضر عمر بك عند إبراهيم بك فقال له: «يا ولدي، أي شيء يحصل لك من قتلي؟ أنا أعطيك بلدًا أو بلدين، وجامع عندك المبغضين، وتصرف عليهم مالك!» فاعتذر إليه وأخبره بالقضية.

فركب إبراهيم بك قطامش، وأخذ صحبته عمر بك، وذهبا إلى عثمان بك فوجد عنده إسماعيل بك قلنج وحسين بك الخشاب وابن الدالي وإبراهيم بك بلغيه، وحضر أيضًا يوسف بك قطامش الدفتردار، وكان عثمان بك يحبه؛ لعقله، وقلة تداخله في الأمور، فقال إبراهيم بك لعثمان بك: «اسمع حكاية عمر بك» فلما سمع قال عثمان بك: «قوموا بنا نعزل الباشا، ثم ندبر تدبيرًا في ملك باب العزب» فقال الخشاب: «أنا أملك باب العزب بحيلة، وأنزل أحمد كتخدا إلى بيته».

ثم إن الأمراء ركبوا إلى الرميلة وطلع حسين بك بطايفته وأولاد خزنته إلى باب العزب عند أحمد كتخدا فوجد عنده إسماعيل كتخداه وحسن كتخدا المشهدي وكتخدا الوقت، والباب ملآن عسكرًا، فجلس يتحدث معه، وقال: «أنا كنت عند عثمان بك لما أرسل لك كتخداه يقول: لأي شيء عملت هذه العملة؟» فقال باش أوده باشه: «القاتل منا والمقتول منا، وأي شيء أدخل الصناجق فينا؟» فقال حسين بك: «قوة وجه» وإن الأمراء حضروا ينزلوا الباشا فعند نزوله راحت على من راحت، وانزلوا إلى بيوتكم فلم يبقَ شر.

ثم إن الأمراء والأغوات والإسباهية والينكجرية أرسلوا إلى الباشا، وأمروه بالنزول إلى قصر يوسف فركب ومر على الينكجرية فأراد يدخل هناك فرفعوا عليه البنادق ومنعوه، فدله حسن جاويش النجدلي على قصر يوسف فدخل إليه فوجده خرابًا، فأنزلوه بيت الأغا، وانتقل الأغا إلى السرجي، وما زال حسين بك خلفهم حتى نزل الجميع، فأرسل إلى عثمان بك وعرفه بخلو الباب، فأرسل كتخداه بطايفة فملكوا الباب، وأنزلوا الكتخدا المتولي بمتاعه إلى بيته، وسكن الحال.

وركب عثمان بك بعد الغروب، وحضر عند يوسف بك الدفتردار، وأحضر رضوان جربجي وسليمان جربجي وكامل أتباع حسن كتخدا وعلي كتخدا ويوسف أبو مناخير فضة وصحبته اليلداشات، فقال عثمان بك: «نعمل رضوان چربجي صنجقًا، وسليمان جربجي كتخدا العزب» فقال خشداشينهم: «إن عملتم رضوان جربجي صنجقًا قتلناه، لا لنا ولا لكم، وإنما لبسوه كتخدا العزب، وعاونوه يخلص ثأر أستاذه ويفتح بيته» فوقع الاتفاق على ذلك، وركبوا بعد العشاء إلى منازلهم وعبوا ما يحتاج إليه الحال من فراشٍ وقهوة وشربات، وحملوها عند الفجر إلى الباب مع الفراشين، وأولاد الخزنة ينتظرون حضور الكتخدا، ولما طلع النهار حضرت الجاويشية وباشجاويش والملازمون والاختيارية والجربجية إلى بيت علي كتخدا بالخرنفش، وركب رضوان كتخدا في موكب عظيمٍ لم يتفق نظيره لغيره، وطلع إلى الباب، وجلس على البشتختة، وعمل إسماعيل أفندي باش أوده، وظهر أمر رضوان كتخدا من ذلك الوقت.

ومن مآثر علي كتخدا المترجم: القصر الكبير الذي بناحية الشيخ قمر المعروف بقصر الجلفي، وكان في السابق قصرًا صغيرًا يُعرف بقصر القبرصلي، وأنشأ أيضًا القصر الكبير بالجزيرة المعروفة بالفَرشة تجاه رشيد، الذي هدمه الأمير صالح الموجود الآن زوج الست عائشة الجلفية في سنة اثنتين ومائتين وألف وباع أنقاضه، وله غير ذلك مآثر كثيرة وخيرات، رحمه الله.

ومات أحمد كتخدا المذكور، قاتل علي كتخدا المذكور، ويُعرف بالبركاوي؛ لأنه إشراق يوسف كتخدا البركاوي، وخبر قتله أنه لما تم ما ذُكر، ونزل أحمد كتخدا من باب العزب بتمويهات حسين بك الخشاب وملكه أتباع عثمان بك ندم على تفريطه ونزوله، وعثمان بك يقول: «لا بد من قتل قاتل صاحبي ورفيق سيدي قبل طلوعي إلى الحج وإلا أرسلت خلافي وأقمت بمصر، وخلصت ثأر المرحوم» وأرسل إلى جميع الأعيان والرؤساء بأنهم لا يقبلوه، وطاف هو عليهم بطول الليل فلم يقبله منهم أحد؛ فضاقت الدنيا في وجهه،

وتوفي في تلك الليلة محمد كتخدا الطويل، فاجتمع الاختيارية والأعيان ببيته؛ لحضور مشهده، فدخل عليهم أحمد كتخدا في بيت المتوفى، وقال: «أنا في عرض هذا الميت» فقال له: «اطلع إلى المقعد واجلس به حتى نرجع من الجنازة» فطلع إلى المقعد كما أشاروا إليه، وجلس لاظ إبراهيم بالحوش، وصحبته اثنان من السراجين، فلما خرجوا بالجنازة أغلقوا عليهم الباب من خارج، وتركوا معهم جماعة حرسجية، وأقاموا مماليك أحمد كتخدا في بيته يضربون بالرصاص على المارين حتى قطعوا الطريق، وقتلوا رجلًا مغربيًّا وفراشًا وحمارًا.

فأرسل عثمان بك إلى رضوان كتخدا يأمره بإرسال جاويش ونفر وقابجية بطلب أحمد كتخدا من بيته ففعل ذلك، فلما وصلوا إلى هناك ويقدمهم أبو مناخير فضة فوجدوا رمي الرصاص فرجعوا، ودخلوا من درب المغربلين، وأرادوا نقب البيت من خلفه فأخبرهم بعض الناس، وقال لهم: الذي مرادكم فيه دخل بيت الطويل، فأتوا إلى الباب فوجدوه مغلوقًا من خارج فطلبوا حطب، وأرادوا أن يحرقوا الباب فخاف الذين أبقوهم في البيت من النهب فقتلوا لاظ إبراهيم ومن معه، وطلعوا إلى أحمد كتخدا فقتلوه أيضًا وألقوه من الشباك المطل على حوض الدادوية، فقطعوا رأسه، وأخذوها إلى رضوان كتخدا فأعطاهم البقاشيش، وقطع رجل ذراعه، وذهب بها إلى الست الجلفية، وأخذ منها بقشيشًا أيضًا، ورجع من كان في الجنازة، وفتحوا الباب، وأخرجوا لاظ إبراهيم ميتًا ومن معه وقطعوه قطعًا، واستمر أحمد كتخدا مرميًّا من غير رأس ولا ذراع حتى دفنوا بعد الغروب، ثم دفنوا معه الرأس والذراع، وانقضى ذلك.

ومات الأمير سليمان جاويش تابع عثمان كتخدا القازدغلي الذي جعله ناظرًا ووصيًّا، وكان جوخداره، ولما قُتل سيده استولى على تركته وبلاده، ثم تزوج بمحظية أستاذه الست شويكار الشهيرة الذكر، ولم يعطَ الوارث الذي هو عبد الرحمن بن حسن جاويش أستاذ عثمان كتخدا سوى فايظ أربعة أكياس لا غير، وتواقع عبد الرحمن جاويش على اختيارية الباب فلم يساعده أحد، فحنق منهم، وانسله من بابهم، وذهب إلى باب العزب وحلف أنه لا يرجع إلى باب الينكجرية ما دام سليمان جاويش حيًّا، وكان المترجم صحبة أستاذه وقت المقتلة ببيت الدفتردار فانزعج وداخله الضعف ومرض القصبة.

ثم انفصل من الجاويشية، وعمل سردار قطار سنة إحدى وخمسين، وركب في المركب وهو مريض، وطلع إلى البركة في تختروان وصحبته الطبيب فتوفي بالبركة، وأمير

الحاج إذ ذاك عثمان بك ذو الفقار، وكان هناك سليمان أغا كتخدا الجاويشية وهو زوج أم عبد الرحمن جاويش، فعرف الصنجق بموت سليمان جاويش ووارثه عبد الرحمن جاويش، واستأذنه في إحضاره، وأن يتقلد منصبه عوضه فأرسلوا إليه وأحضروه ليلًا، وخلع عليه عثمان بك قفطان السردارية، وأخذ عرْضه من باب العزب، وطيّب سليمان أغا خاطر الباشا بحلوان قليل، وكتب البلاد باسم عبد الرحمن جاويش وأتباعه، وتسلم مفاتيح الخشاخين والصناديق والدفاتر من الكاتب، وحاز شيئًا كثيرًا، وبرَّ في قَسمه ويمينه.

ومات الأمير محمد بك ابن إسماعيل بك الدفتردار، وهو الذى كانت ببيته الجمعية، وقتل الأمراء المتقدم ذكرهم في بيته، ووالدته بنت حسن أغا بلغيه.

وخبر موته أنه لما حصل ما حصل وانقلب التخت عليهم اختفى المترجم في مكان لم يشعر به أحد، فمرضت والدته مرض الموت فلهجت بذكر ولدها، وصارت تقول: «هاتوا ولدي أنظره بعيني قبل أن أموت» فذهبوا إليه وقنعوه، وأتوا به إليها من المكان المختفي فيه بزي النساء، فنظرت إليه وتأوهت وماتت، ورجع إلى مكانه.

وكانت عندهم امرأة بلَّانة فشاهدت ذلك وعرفت مكانه، فذهبت إلى أغات الينكجرية وأخبرته بذلك، فركب إلى المكان الذي هو فيه التبديل، وكبسوا البيت، وقبضوا عليه، وأركبوه حمارًا، وطلعوا به إلى القلعة فرموا عنقه، وكانوا نهبوا بيته قبل ذلك في إثر الحادثة، وكان موته أواخر سنة تسع وأربعين وماية وألف.

ومات عثمان الكاشف ورضوان بك أمير الحاج سابقًا ومملوكه سليمان بك، فإنهم بعد الحادثة، وقتل الأمراء المذكورين، وانعكاس أمر المذكورين — اختفوا بخان النحاس في خان الخليلي، وصحبتهم صالح كاشف زوج بنت إيواظ الذي هو السبب في ذلك، فاستمروا في اختفائهم مدة، ثم إنهم دبروا بينهم رأيًا في ظهورهم، واتفقوا على إرسال عثمان كاشف إلى إبراهيم جاويش قازدغلي، فغطى رأسه بعد المغرب ودخل إلى بيت إبراهيم جاويش، فلما رآه رحَّب به وسأله عن مكانهم، فأخبره أنهم بخان النحاس وهم فلان وفلان يدعون لكم ويعرفون همتكم، الظهور على أي وجه كان، فقال له: «نعم ما فعلتم».

وآنسه بالكلام إلى بعد العشاء عندما أراد أن يقوم فقال له: «اصبر» وقام كأنه يزيل ضرورة فأرسل سرَّاجًا إلى محمد جاويش الطويل يخبره عن عثمان كاشف بأنه عنده، ويقول له: ارسل إليه جماعة يقتلوه بعد خروجه من البيت، فأرسل إليه طايفة

وسرَّاجين وقفوا له في الطريق وقتلوه، ووصل الخبر إلى ولده ببيت أبي الشوارب فحضر إليه وواراه، وأخذ ولده المذكور إبراهيم جاويش رباه، وطلع إبراهيم جاويش في صبحها إلى الباب فأخبر أغات مستحفظان فنزل، وكبس خان النحاس وقبض على رضوان بك وصحبته ثلاثة، فأحضرهم إلى الباشا فقطع رءوسهم.

وأما صالح كاشف فإنه قام وقت الفجر فدخل إلى الحمام فسمع بالحمام قتل عثمان كاشف في حوض الدادوية، فطلع من الحمام وهو مغطى الرأس، وتأخر في رجوعه إلى خان الخليلي، ثم سمع بما وقع لرضوان بك ومن معه فضاقت الدنيا في وجهه، وقال: «لم يبقَ لنا عيشة بمصر» فذهب إلى بيته عند هانم بنت إيواظ فودعها وعبى خرج حوايج وما يحتاج إليه، وحمّل هجينا وأخذ صحبته خدامًا ومملوكًا راكبًا حصانًا، وركب وسار من حارة السقايين على طريق بولاق على الشرقية، وكلما أمسى عليه الليل يبيت في بلد حتى وصل عربان غزة، ثم ذهب في طلوع الصيف إلى إسلامبول، ونزل في مكان، ثم ذهب عند دار السعادة، وكان أصله من أتباع والد محمد بك الدفتردار فعرفه عن نفسه، فقال له: «أنت السبب في خراب بيت ابن سيدي» واستأذن في قتله فقتلوه بين الأبواب في المحل الذي قتل فيه الصيفي سرَّاج جركس فكان كما قيل:

إذا لم يكن عون من الله للفتى — فأول ما يجني عليه اجتهاده

أو كما قيل في المعنى:

فلا تمد للعلياء منك يدًا — حتى تقول لك العلياء هات يدك

فكان تحرك هؤلاء الجماعة وطلبهم الظهور من الاختفاء كالباحث على حتفه بظلفه.

ومات الأمير خليل بك قطامش أمير الحاج سابقًا، تقلد الإمارة والصنجقية سنة تسع وأربعين، وطلع بالحج أميرًا سنة ثمانٍ وخمسين، ولم يحصل في إمارته على الحجاج راحةٌ وكذلك على غيرهم، وكان أتباعه يأخذون التبن من بولاق ومن المراكب إلى المناخ من غير ثمن، ومنع عوائد العرب، وصادر التجار في أموالهم بطريق الحج، وكانت أولاد خزنته ومماليكه أكثرهم عبيد سود يقفون في حلزونات العقبة، ويطلبون من الحجاجي دراهم مثل الشحاتين.

وكان الأمير عثمان بك ذو الفقار يكرهه ولا تعجبه أحواله، ولما وقع للحجاج ما وقع في إمارته، ووصلت الأخبار إلى مولاي عبد الله صاحب المغرب، وتأخر بسبب ذلك الركب

عن الحج في السنة الأخرى، أرسل مكتوبًا إلى علماء مصر وأكابرها ينقم عليهم في ذلك، ويقول فيه: «وإن مما شاع بمغربنا — والعياذُ بالله — وذاع، وانصدعت منه صدور أهل الدين والسنة أيَّ انصداع، وضاقت من أجله الأرض على الخلائق، وتحمل من فيه أيمانٌ لذلك ما ليس بطايق، من تعدي أمير حجكم على عباد الله، وإظهار جراءته على زوَّار رسول الله، فقد نُهب المال، وقُتل الرجال، وبُذل المجهود، في تعديه الحدود، وبلغ في خبثه الغاية، وجاوز في ظلمه الحد والنهاية، فيالها من مصيبة ما أعظمها، ومن داهية دهماء ما أجسمها، فكيف يا أمة محمد ﷺ يُهان أو يُضام حجاج بيت الله الحرام، وزائرو نبينا ﷺ؟ وبسببها تأخر الركب هذه السنة لهنالك، وأفصحت لنا علماء الغرب بسقوطه لما ثبت عندهم ذلك، فيا للعجب كيف بعلماء مصر ومن بها من أعيانها لا يقومون بتغيير هذا المنكر الفادح بشيوخها وشبانها؟ فهي والله معرةٌ تلحقهم من الخاص والعام» إلى آخر ما قال.

فلما وصل الجواب واطلع عليه الوزير محمد باشا راغب، أجاب عنه بأحسن جواب، وأبدع فيما أودع من درر وغرر تسلب عقول أولي الألباب، يقول فيه: «بعد صدر السلام، وسجع الكلام، ينهي بعد إبلاغ دعاء نبع من عين المحبة وسما، وملأ بساط أرض الود وطما، إن كتابكم الذي خصصتم الخطاب به، إلى ذوي الإفاضة الجلية النقية، سلالة الطاهرة الفاخرة الصديقية، إخواننا مشايخ السلسلة البكرية، تشرفت أنظارنا بمطالعة معانيه الفائقة، والتقطت أنامل أذهاننا درر مضامينه الكافية الرائقة، التي أدرجتم فيها ما ارتكبه أمير الحاج السابق في الديار المصرية، في حق قُصَّاد بيت الله الحرام، وزوار روضة النبي الهاشمي — عليه أفضل السلام — فكل ما حررتموه صدر من الشقي المذكور، بل أكثر مما تحويه بطون السطور، لكن الزارع لا يحصد إلا من جنس زرعه، في حَزَن الأرض وسهله، ولا يحيق المكر السيِّئ إلا بأهله؛ لأن الشقي المذكور لما تجاسر إلى بعض المنكرات في السنة الأولى حملناه إلى جهالته، واكتفينا بتهديدات تلين عروق رعونته، وتكشف عيون هدايته، فلم تفِد في السنة الثانية إلا الزيادة في العتو والفساد، ومن يضلل الله فما له من هادٍ، ولما تيقنا أن التهديد بغير الإيقاع كالضرب في الحديد البارد، أو كالسباخ لا يرويها جريان الماء الوارد، هممنا بإسقائه من حميم جزاء أفعاله؛ لأن كل أحد من الناس مجزي بأعماله، فوفقني الله تعالى لقتل الشقي المذكور، مع ثلاثة من رفقائه العاضدين له في الشرور، وطردنا

بقيتهم بأنواع الخزي إلى الصحاري، فهم بحول الله كالحيتان في البراري، وولينا إمارة الحج من الأمراء المصريين من وُصَف بين أقرانه بالإنصاف والديانة، وشهد له بمزيد الحماية والصيانة، والحمد لله حق حمده رفعت البلية من رقاب المسلمين، خصوصًا من جماعة ركبوا غارب الاغتراب بقصد زيارة البلد الأمين، فإن كان العائق من توجه الركب المغربي تسلط الغادر السالف، فقد انقضى أوان غدره على ما شرحناه وصار كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف، والحمد لله على ما منحنا من نصرة المظلومين، وأقدرنا على رغم أنوف الظالمين، وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين والمرسلين، والحمد لله رب العالمين، تحريرًا في سادس عشر المحرم، افتتاح سنة إحدى وستين وماية وألف».
وأجاب أيضًا الأشياخ بجواب بليغ مطوَّل أعرضت عن ذكره لطوله.

ومات خليل بك المذكور قتيلًا في ولاية راغب باشا سنة ستين ومائة وألف، قتله عثمان أغا أبو سيف بالقلعة، وقتل معه أيضًا عمر بك بلاط وعلي بك الدمياطي ومحمد بك قطامش الذي كان تولى الصنجقية، وسافر بالخزينة سنة سبع وخمسين عوضًا عن عمر بك ابن علي بك، ونزلت البيارق والعسكر والمدافع لمحاربة إبراهيم بك وعمر بك وسليمان بك القطامشة، فخرجوا بمتاعهم وعازقهم وهجنهم من مصر إلى قبلي، ونهبوا بيوت المقتولين والفارين وبعض من هم من عصبتهم.

ومات محمد بك المعروف بأباظة، وذلك أنه لما حصلت واقعة حسين بك الخشاب وخروجه من مصر كما تقدم في ولاية محمد باشا راغب، حضر محمد بك المذكور إلى مصر وصحبته شخص آخر فدخلا خفية، واستقرا بمنزل بعض الاختيارية من وجاق الجاويشية، فوصل خبره إلى إبراهيم جاويش، فأرسل إليه أغات الينكجرية فرمى عليه بالرصاص وحاربه، وحضر أيضًا بعض الأمراء الصناجق فلم يزل يحاربهم حتى فرغ ما عنده من البارود، فقبضوا عليه وقتلوه في الداودية، ورموا رقبة رفيقه بباب زويلة.

ومات الأجلُّ الأمثل المبجل الخواجا الحاج قاسم بن الخواجا المرحوم الحاج محمد الدادة الشرايبي، من بيت المجد والسيادة والإمارة والتجارة، وسبب موته: أنه نزلت بأنثييه نازلة فأشاروا عليه بفصدها، وأحضروا له حجامًا ففصده فيها بمنزله الذي خلف جامع الغورية، ثم ركب إلى منزله بالأزبكية فبات به تلك الليلة، وحضر له المزين في ثاني يوم ليغير له الفتيلة، فوجد الفصد لم يصادف المحل، فضربه بالريشة ثانيًا؛ فأصابت فرخ الأنثيين، ونزل منه دم كثير فقال له: «قتلتني، انجُ بنفسك» وتوفي في تلك

الليلة، وهي ليلة السبت ثاني عشر ربيع الآخر سنة سبع وأربعين ومائة وألف، فقبضوا على ذلك المزين، وأحضروه إلى أخيه سيدي أحمد فأمرهم بإطلاقه فأطلقوه، وجهزوا المتوفى، وخرجوا بجنازته من بيته بالأزبكية في مشهد عظيم حضره العلماء وأرباب السجاجيد والصناجق والأغوات والاختيارية والكواخي حتى إن عثمان كتخدا القازدغلي لم يزل ماشيًا أمام نعشه من البيت إلى المدفن بالمجاورين.

ومن مآثره الجامع المعروف به الذى أنشأه بالقرب من الرويعي المطل على بركة الأزبكية، وكان بناؤه سنة خمس وأربعين ومائة وألف، وتنصب مكانه في رئاسة بيتهم أخوه المكرم الخواجا عبد الرحمن بن محمد الدادة، وألبسوه الجربجية بباب مستحفظان، وذلك بعد وفاة أخيه بنحو شهر.

ومات الأمير حسن بك المعروف بالوالي الذي سافر بالخزينة إلى الديار الرومية فتوفي بعد وصوله إلى إسلامبول وتسليمه الخزينة بثلاثة أيام، ودفن بأسكدار، وألبسوا حسن مملوكه إمارته، وذلك في أوائل جمادى الأولى سنة ثمان وأربعين ومائة وألف.

ومات الوزير المكرم عبد الله باشا الكبورلي الذي كان واليًا في مصر في سنة ثلاث وأربعين ومائة وألف، وقد تقدم أنه من أرباب الفضائل، وله ديوان وتحقيقات، وكان له معرفة بالفنون والأدبيات والقراءات، وتلا القرآن على الشهاب الأسقاطي، وأجازه، وعلى محمد بن يوسف شيخ القراء بدار السلطنة، وللشيخ عبد الله الشبراوي في مدحه قصائد طنانة، (ومن شعره):

دموعك أخجلت نوء الثريا	فحيَّ بوبلها ربعًا وحيًّا
يشوقك أن يهب نسيم نجد	فيروي عن أهيل الحي ريّا
خيالك من نسيم ظل يُهدى	إلى مَن في الحمى أرج الحميا
أعد خبر العذيب وساكنيه	وكرر طيب ذكرهم عليا
فإنهم وإن هجروا وصدوا	أحبُّ الناس كلهم إليا
وبى رشأ رأيت الناس رشدا	على كلفي به والرشد غيا
إذا نشرت محاسنه لعيني	طويت على هواه القلب طيا
فقل لمعنفي جهرًا عليه	لقد أسمعت لو ناديت حيًّا

وأنشدني السيد الأديب الفاضل خليل البغدادي له أيضًا، وقد أحسن جدًّا قوله:

أرى أيديًا نالت غنى بعد فترة   لأَ لْأَم قوم في أخس زمان
فضنت بما نالته شُلّ بنانها   وإن رمت جدواها فشل بناني

وأخذ المترجم عن العلامة الشيخ أحمد العماوي الكتب الستة والمواهب وألفية المصطلح رواية ودراية وإجازة، ورأيت إجازته له بخط الشيخ يقول فيها بعد الخطبة: «وكان أكبر ساعٍ في تحصيل هذا الشأن، وأجل متوجه بأتم الاعتقاد وأصدق الإيقان، وأسرع مبادر إلى تحصيل العلوم، وأحكم حاكم بين مراتب المنطوق والمفهوم، صادق الهمة والعزم، بارع المروءة والحزم صنديد ميدان الفصاحة جحجاح محفل البلاغة والبراعة، ناشر رايات النزال وقد صعب المجال، ثاقب الذهن إذا اضلخم موج الجدال، إذا أحجم القوم أقدم، وإذا وقفوا تثبت، وعن الصواب ترجم، بحيث إذا أبصره المبصر في البحث البهيم، يقول: «ما هذا بشرًا إن هذا إلا ملك كريم» كم استخرج الصواب وقد استحكم الإشكال، وكم فتح باب المعنى وقد أحكمت الأقفال، وهو مع ذلك على التؤدة والتأني، على وجازة بيان عن الإطناب والتطويل مغني، خلاصة رأيه كافية، وتسهيله للحزن طريقته وافية شافية، قطر ندى مكانته منهل، وبيانه مع ذلك مهذب مفصل، شطب ران الجهالة عن كل ذي نية مهذبة، ففاح نشره بكل رائحة طيبة، إذا حركته لعلم الإعراب، شاهدت الخليل، أو لعلوم القرآن شاهدت أسرار التنزيل، أو لعلم الحديث إذا ذاكرته أعربت أسانيده عن الكتب الستة، أو عن فنون الخصائص والمناقب، أعرب عن الشقاء والمواهب، المولى الكبير والجهبذ العلم الفرد الشهير حضرة عبد الله كبرى زاده، بلغه الله من كل خير مراده، ومنحه الحسنى وزيادة، وحقق له أسنى مراتب السعادة، وقد تبسم الدهر على خلاف عادته، وسمح لنا بلقائه وصحبته، فإذا هو قد استكمل أنواع الأسانيد، وأحاط بطرق السنَّة بما ليس عليه من مزيد، فطلب استيعاب ما معنا على طريق الإجازة، ثم شرع فى قراءة الكتب الستة وما يذكر معها فأدرك جميع ذلك وحازه، ولقد أخذ عني البخاري دراية من باب الإيمان إلى كذا والباقى بالإجازة، وصحيح مسلم من أوله إلى باب كذا والباقى بالإجازة» إلى آخر ما كُتب من ذكر ما تلقى عنه وسند أشياخه.

ثم قال: «وأوصيه مع ذلك بالبر والتقوى، فإنها هى السبب الأقوى، وألا ينساني من صالح دعواتهن، وأوصيه مع ذلك أن يكثر من هذا الدعاء: (اللهم ألهمنا رشدنا، وصحح

إليك قصدنا، وأعذنا من شرور أنفسنا، ولا تحرمنا خير ما عندك بشر ما عندنا، وأحسن منقلبنا إليك ومردَّنا، ولا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين ولا أقل من ذلك، أعذنا بعفوك من عقوبتك وبرضاك من سخطك وبك منك بلا إله إلا أنت، اهدنا بك إليك، واجمعنا بك عليك، أقول هذا واستغفر الله لى وله ولجميع المسلمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه كلما ذكره الذاكرون، وغفل عن ذكره الغافلون، دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين)».

ذكر خبر الأمير عثمان بك ذي الفقارة

هو وإن لم يمت لكنه خرج من مصر ولم يعد إليها إلى أن مات بالروم، وانقطع أمره من مصر، فكأنه صار في حكم من مات، وليس هو ممن يهمل ذكره أو يذكر في غير موضعه؛ لأنه عاش بعد خروجه من مصر نيفًا وثلاثين سنة، ولجلالة شأنه جعل أهل مصر سنة خروجه منها تاريخًا لأخبارهم ووقايعهم ومواليدهم إلى الآن، من تاريخ جمع هذا الكتاب أعني سنة عشرين ومائتين وألف، أحسن الله عاقبتها، فيقولون: جرى كذا سنة خروج عثمان بك، وولدتُ سنة خروج عثمان بك أو بعده بكذا سنة أو شهرٍ، أو كان عمري في ذلك الوقت كذا شهر أو سنة إلى غير ذلك.

فنذكر من خبره ما وصل إليه علمنا على سبيل الإجمال فنقول:

هو تابع الأمير ذو الفقار تابع عمر أغا، تقلد الإمارة والصنجقية سنة ثمانٍ وثلاثين ومائة وألف بعد ظهور أستاذه من اختفائه، وخروج محمد بك جركس من مصر، فتقلد الإمارة، وخرج بالعسكر للحوق بجركس وصحبته يوسف بك قطامش والتجريدة، فوصلوا إلى حوش ابن عيسى وسألوا عنه فأخبرهم العرب أنه ذهب من خلف الجبل الأخضر إلى درنة، فعاد بالعسكر إلى مصر وتقلد عدة مناصب وكشوفيات الأقاليم في حياة أستاذه، ولما رجع محمد بك جركس في سنة اثنتين وأربعين خرج إليه بالعسكر، وجرى ما تقدم ذكره من الحروب والانهزام، وخروجه صحبة علي بك قطامش، ولما قتل سيده بيد خليل أغا وسليمان أبي دفية قبل صلاة العشاء وجرى ما تقدم، أرسلوا إليه وحضر من التجريدة، وجلس ببيت أستاذه، وتقلد خشداشه على الخزندار الصنجقية وتعضد به، ومات محمد بك جركس ودخل برأسه علي بك قطامش، ثم تفرغوا للقبض على القاسمية فكانوا كلما قبضوا على أمير منهم أحضروه إلى محمد باشا فيرسله إلى المترجم فيأمر برمي عنقه تحت المقعد حتى أفنوه طائفة القاسمية قتلًا وطردًا، وتشتتوا

في البلاد، واختفوا في النواحي، والتجأ الكثير منهم إلى أكابر الهوارة ببلاد الصعيد، ومنهم من فر إلى بلاد الشام والروم ولم يعد إلى مصر حتى مات.

ومات خشداشه علي بك بولاية جرجا سنة ثمانٍ وأربعين، فقلد عوضه مملوكه حسن الصنجقية، ولما حصلت كائنة قتل الأمراء الأحد عشر ببيت محمد بيك الدفتردار وكان المترجم حاضرًا في ذلك المجلس وأصابه سيف فقطع عمامته، فنزل وركب وخرج من باب البركة وسار إلى باب الينكجرية، واجتمع إليه الأعيان من الاختيارية والجاويشية، وأحضروا عمر بن علي بك قطامش فقلدوه إمارة أبيه، وضموا إليهم باب العزب، وعملوا متاريس، وحاربوا المجتمعين بجامع السلطان حسن حتى خذلوهم وتفرقوا واختفوا كما تقدم، وعزلوا الباشا، وظهر أمر المترجم بعد هذه الواقعة، وانتهت إليه رياسة مصر، وقلد أمراء من إشراقاته، وحضر إليه مرسوم من الدولة بالإمارة على الحج فطلع بالحج سنة إحدى وخمسين، ورجع سنة اثنتين وخمسين ومائة وألف في أمن وأمان، وسخاء ورخاء.

ولما حصلت الكائنة التي قُتل فيها علي كتخدا الجلفي تعصب المترجم أيضًا لطلب ثأره، وبذل همته في ذلك وعضد أتباعه، وعزل الباشا المتولي، وقلد رضوان كتخداية العزب عوضًا عن أستاذه، وأحاط بأحمد كتخدا قاتل المذكور حتى قُتل هو ولاظ إبراهيم كما تقدم، وقلد مملوكه سليمان كاشف الصنجقية، وجعله أميرًا على الحج، وسافر به سنة ثلاث وخمسين، ورجع سنة أربع وخمسين في أمنٍ وأمان، طلع عمر بك ابن علي بك قطامش سنة خمس وخمسين وذلك في ولايه يحيى باشا، وفي تلك السنة عمل المترجم وليمة ليحيى باشا في بيته، وحضر إليه، وقدم له تقادم وهدايا، ولم يتفق نظير ذلك فيما تقدم بأن الباشا نزل إلى بيت أحد من الأمراء، وإنما كانوا يعملون لهم الولائم بالقصور خارج مصر مثل قصر العيني أو للقياس.

وطلع بالحج تلك السنة ورجع سنة ست وخمسين في أمن وأمان، وانتهت إليه الرياسة، وشمخ على أمراء مصر، ونفذ أحكامه عليهم قهرًا عنهم، وعمل في بيته دواوين لحكومات العامة، وإنصاف المظلوم من الظالم، وجعل لحكومات النساء ديوانًا خاصًّا، ولا يجري أحكامه إلا على مقتضى الشريعة، ولا يقبل الرشوة ويعاقب عليها، ويباشر أمور الحسبة بنفسه، وعمل معدل الخبز، وغيره حتى الشمع والفحم ومحقرات المبيعات شفقةً على الفقراء، ومنع المحتسب من أخذ الرشوات وهجَّج الشهود من المحاكم، وكان يرسل الخاصكية أتباعه في التعايين حتى على الأمراء، ولم يعهد عليه أنه صادر أحدًا في ماله أو أخذ مصلحة على ميراث، ومات كثير من الأغنياء وأرباب الأموال العظيمة مثل

عثمان حسون وسليمان جاويش تابع عثمان كتخدا فلم تطمح نفسه لشيء من أموالهم، ولما ورد الأمر بإبطال المرتبات وجعلوا على تنفيذها مصلحة للباشا وغيره فأفرزوه له قدرًا امتنع من قبوله، واقتدى به رضوان بك وقال: «هذا من دموع الفقراء، وإن حصلت الإجابة كانت مظلمة، وإن لم تحصل كانت مظلمتين».

وكان عَلِيَّ الهمة حَسَن السياسة ذكي الفطنة يحب إقامة الحق والعدل في الرعية، وهابته العرب، وأمنت الطرق والسبل البرية والبحرية في أيامه، وله حسن تدبير في الأمور، طاهر الذيل شديد الغيرة، ولم يأتِ بعد إسماعيل بك ابن إيواظ في أمراء مصر من يشابهه أو يدانيه، لولا ما كان فيه من حدة الطبيعة إذا قال كلامًا أو عاند في شيء لا يرجع عنه كما سمعت ذلك من لفظ الشيخ الوالد؛ وكان له به صحبة أكيدة ومحبة زائدة، وصاحبه في سفر الحج ثلاث مرات، وكان لا يجالس إلا أرباب الفضائل مثل المرحوم الشيخ الوالد والسيد أحمد النخال والشيخ عبد الله الإدكاوي والشيخ يوسف الدلجي وسيدي مكي الوراثي، وقرأ على الشيخ الوالد تحفة الملوك في المذهب، والمقامات الحريرية، وكتبها له بخطه التعليق الحسن في خمسين جزءًا لطافًا، كل مقامة على حدتها، وألَّف لأجله مناسك الحج المشهورة في جزء لطيف.

ومما اتفق له أنه لما قلد مملوكه حسن بك كشوفية البحيرة فقبض على رجل بدوي من أعيان عربان الطرانة، فحضر إليه بعض أعيانهم وتشفعوا عنده بأن يفرج عنه، وعملوا له مائة دينار، فلم يرضَ، فأتوا إلى سيده بمصر وذكروا له ذلك، فقال لكاتبه: «خذ منهم المائة دينار واحسبها من أصل مال الكشوفية المطلوب من حسن بك» وكتب لهم مكتوبًا بالإفراج عن البدوي وأرسله إليه مع بعض الأجناد، فلما وصل إليه وجده نازلًا بساحل البحر فأعطاه المكتوب، فلما قرأه وفهم ما فيه اغتاظ وأحضر ذلك البدوي فأعطاه لريس معاش، وأمره بأن يربطه في العيار، ويصعده إلى أعلى الصاري، ثم يهبطه إلى البحر، فكتفوه وربطوه وسحبوه بالحبال إلى الأعلى وأنزلوه حتى غطس في الماء، فعلوا به كذلك مرتين أو ثلاثة حتى شرق ومات، فأخذه أقاربه ودفنوه، ورجع الرسول فأخبر الصنجق بما فعل حسن بك بالبدوي، فهز رأسه وسكت.

وفي أثناء ذلك أيضًا أذن لخازنداره بإرخاء لحيته، وأعطاه مكتوبًا إلى حسن بك المذكور، وأمره بأن يجعله قائمقام العمل، فلما وصل إليه وأعطاه المرسوم فلم يجبه إلى ذلك، وقال: «إنى قلدت ذلك لشخص من مماليكي من أول السنة، وخضر البرسيم للعسكر، فارجع إلى مخدومك الذى أرسلك يقلدك منصبًا غير هذا أو كشوفية» فذهب

الخازندار عند كاشف الطرانة، وأرسل مكتوبًا إلى أستاذه يخبره بما حصل، فاحتد وأرسل إليه علي قرفاش بطائفة فقبض عليه، وأنزله إلى أبى قير وقتله، وألقاه في البحر المالح، ثم ندم على قتله؛ لأنه كان بطلًا شجاعًا، وأرسل إلى مصطفى كاشف تابع أحمد جربجي عزبان وليلة، وكان مشهورًا بالعسف والظلم، وركب عليه يوسف كتخدا في أيام دولته، وقتله وأخذ بعده البلاد، وانتقلت إلى شاهين جربجي فولى عليها مصطفى كاشف هذا، وكانت العربان تخافه، ولا يسرح إلا ومعه جمل محمل بالخشوت. فلما حضر من ناحية المنية قلده الصنجقية عوضًا عن حسن بك، ومصطفى هذا هو مصطفى بك المعروف بالقرد، وهو من القاسمية، وهو أستاذ صالح بك الآتى ذكره.

ومما عُدَّ من فطانة المترجم أنه حضر إليه إنسانٌ وأخبره أن زوجته خرجت منذ أيام إلى الحمام ولم ترجع، وفتش عليها فلم يقع لها على خبر، فتفكر ساعة، ثم قال للرجل: «اذهب فتفقد ثيابها، وانظر هل ترى فيها شيئًا غريبًا وأخبرني» فذهب، ثم عاد ومعه يلك، وقال: «هذا لم أعرف ولم أفصله لها» فأمر بإحضار شيخ الخياطين وأطلعه عليه، وأمره أن يطوف به على الخياطين، ويعرف من خاطه ويأتي به، ففعل، وأحضر خياطًا، وأخبر أنه خاطه لفلان السرَّاج، وكان ذلك السرَّاج من أتباعه فأحضره وسأله فجحد ذلك، فأمر بتفتيش مكانه فوجدت المرأة مقتولة في المرحاض بعد تتبع الأثر فأخرجوها ودفنوها، وأمر الوالي بقطع رأس ذلك السرَّاج.

وبالجملة فكان المترجم من خيار الأمراء لولا ما كان فيه من الحدة، وهي التى نفَّرت قلوب المعاصرين له حتى استوحشوا منه، وحضر إليه يومًا علي باشجاويش اختيار مستحفظان الدرندلي في قضية فسبه وشتمه، وكذلك علي جاويش الخربطلي شتمه وأراد أن يضربه ... وغير ذلك.

ذكر السبب في كائنه عثمان بك وخروجه من مصر

مبدأ ذلك تغير خاطره من إبراهيم جاويش، وتغير إبراهيم جاويش منه؛ لأمور وحقد باطني لا تخلو عنه الرياسة والإمارة في المالك، والثاني: أن عليى كاشف له حصة بناحية طحطا، وباقي الحصة تعلق عبد الرحمن جاويش ابن حسن جاويش القازدغلي، فأجرها لعثمان بك، ونزل علي كاشف فيها على حصته وحصة مخدومه، فحضر إليه رجل وأغراه على قتل حماد شيخ البلد، ويأخذ من أولاده مائة جنزرلي وحصانًا، ويعمل واحدًا منهم شيخًا عوضًا عن أبيه ففعل ذلك، ووعده إلى أن يذهب منهم شخص إلى مصر، ويأتي

بالدراهم من الأمين، وضمنهم الذي كان السبب في قتل أبيهم، فحضر شخص منهم إلى مصر، وطلب من الأمين مائة جنزرلي، وحكى له ما وقع، فأخذه وأتى به إلى إبراهيم جاويش القازدغلي وعرفه بالقصة، وما فعل علي كاشف بإغراء سالم شيخ البلد، وأنه ضمنهم أيضًا في المائة جنزرلي، وقد أتى في غرضين: تمنع عنه علي كاشف، وتخلص ثأره من سالم.

فركب إبراهيم جاويش وأتى بيت عبد الرحمن جاويش وصحبته الولد، فقال له على سبيل التبكيت: «إذا كنتم لا تقدرون على حماية البلاد لأي شيء تأخذونها؟» فقال له: «وما سبب هذا الكلام؟» فقال له: «اسمع كلام هذا الرجل» فقص عليه القصة وفهمها، فقال له: «قم بنا نذهب إلى عثمان بك يعزل علي كاشف ويقتل سالمًا» فقال إبراهيم جاويش: «وإن لم يفعل ذلك اعطني إيجار الناحية، وأرسل لها كاشفًا وعلي كاشف يأخذ فائظ حصته» ثم إنهم ركبوا وذهبوا عند عثمان بك فوجدوا عنده عبد الله كتخدا القازدغلي وعلي كتخدا الجلفي فسلموا وجلسوا، فقال إبراهيم جاويش: «نحن قد أتينا في سؤال» قال الصنجق: «خير؟» فذكر القصة، ثم قال له: أرسل اعزل علي كاشف وأرسل خلافه» فقال الصنجق: «صاحب قيراط في الفرس يركب، وهذا له حصة فلا يصح أن أعزله، وللحاكم الخروج من حق المفسود» وترادوا في الكلام إلى أن احتد الصنجق، وقال له إبراهيم جاويش: «أنت لك غيرة على بلاد الناس، وسنتك فرغت، وأنا استأجرت الحصة» فقال له الصنجق: «انزل اعمل كاشفًا فيها» على سبيل الهزل، فقام إبراهيم جاويش منتورًا، وقام صحبته عبد الرحمن جاويش، وذهبوا إلى بيت عمر بك فوجدوا عنده خليل أغا قطامش وأحمد كتخدا البركاوي إسماعيل كتخدا ومحمد بك صنجق سته، وسمى بذلك لأن أم عمر بك تزوجت به وقلدته الصنجقية، فحكوا لهم القصة وما حصل بينهم وبين عثمان بك، فقال أحمد كتخدا عزبان: «الجمل والجمَّال حاضران اكتب إيجار حصة أخيك عبد الرحمن جاويش، وخذ على موجبها فرمانًا بالتصرف في الناحية».

فأحضروا واحدًا شاهدًا وكتبوا الإيجار، وبلغ الخبر عثمان بك فأرسل كتخداه إلى الباشا يقول: لا تعطِ فرمانًا بالتصرف في ناحية طحطا لإبراهيم جاويش، فلما خرجت الحجة أرسلها للباشا صحبة باشجاويش فامتنع الباشا من إعطاء الفرمان، فقامت نفس إبراهيم جاويش من عثمان بك، وعزم على غدره وقتله، ودار على الصناجق والوجاقلية وجمع عنده أنفارًا، فسعى علي كتخدا الجلفي، وبذل جهده في تمهيد النائرة، وأرسل إبراهيم جاويش ابن حماد، وقال له: «لما تطلع البلد وزع كامل ما عندك، وخليكم على

ظهور الخيل، ولما يأتيكم سالم اقتلوه، واخرجوا من البلد حتى ينزل كاشف من طرفي أرسل لكم ورقة أمان ارجعوا وعمروا» فنزل الولد وفعل ما قاله له الجاويش، فوصل الخبر علي كاشف فركب خلفهم فلم يحصِّل منهم أحدًا، وأرسل إبراهيم جاويش كاشفًا من طرفه بطايفة ومدافع ونقارية، وورقة أمان لأولاد حمَّاد، واستمر علي كتخدا يسعى حتى أصلح بين الصنجق والجاويش، والذي في القلب في القلب كما قيل:

إن القلوب إذا تنافر ودها   مثل الزجاجة كسرها لا يجبرُ

ولما أخذ الخبر علي كاشف بالخصومة حضر إلى مصر قبل نزول الكاشف الجديد، وكانت هذه القضية أوائل سنة تسع وأربعين ومائة وألف قبل واقعة بيت الدفتردار وقتل الأمرا، وأما النفرة التي لم يندمل جرحها فهي دعوة برديس وفرشوط، وهو أن شيخ العرب همام رهن عند إبراهيم جاويش ناحية برديس تحت مبلغ معلوم لأجل معلوم، وشرط فيه وقوع الفراغ والتصرف بمضي الميعاد، فأرسل همام إلى المترجم يستعير جاهه في منع وقوع الفراغ بالناحية لإبراهيم جاويش، فأخبر عثمان بك الباشا، وقال له: «هوارة قبلي راهنون عند إبراهيم جاويش بلدًا، وأرسلوا يقولون: إن أوْقع فيها فراغه، وأرسل لها كاشفًا قتلناه، وقطعنا الجالب، فأنتم لا تعطونه فرمانًا في بلاد هوارة فإنهم يوقفون المال والغلال» فلم يتمكن إبراهيم جاويش من عمل الفراغ، ويطلب الدراهم فلا يعطيه.

وطالت الأيام وعثمان بك مستمر على عناده، وإبراهيم جاويش يتواقع على الأمراء والاختيارية فلم ينفذ له غرض، ويحتج عليه بأشياء وشبه قوية وحسابات وحوالات ونحو ذلك إلى أن ضاق خناق إبراهيم جاويش، فاجتمع على عمر بك وخليل بك وانجمعوا على رضوان كتخدا، وكان انفصل من كتخدائية الباب فقالوا له: «إما أن تكون معنا وإما أن ترفع يدك من عثمان بك» فلم يطاوع، وقال: «هذا لا يكون، وكيف أن أفوت إنسانًا بذل مجهوده في تخليص ثأرنا من أخصامنا؟ ولولا هو لم يبقَ منا إنسان» وكان وجاق العزب لهم صولة وخصوصًا بعد الواقعة الكبيرة، ولا يقع أمر بمصر إلا بيدهم ومعونتهم، فلما أيسوا منه قالوا له: «إذا كان كذلك فأنت سياقٌ عليه في قضية أخينا إبراهيم جاويش» فوعدهم بذلك.

وذهب إلى عثمان بك وكلمه في خصوص ذلك فقال: «هذا شيء لا يكون ولا يفرحون به» فألح عليه في الكلام فنفر فيه، وقال له: «اترك هذا الكلام»، وأشار إلى وجهه بالمذبة فانجرح أنفه، فأخذ في نفسه رضوان كتخدا واغتم، وقال له: «حيث إنك لم تقبل شفاعتي

دونك وإياهم، ولا أدخل بينك وبينهم» وركب إلى بيته، وأرسل إلى إبراهيم جاويش عرفه بذلك فقال: «الآن ملكنا غرضنا» فركب في الوقت وأخذ صحبته حسن جاويش النجدلي، وذهبوا إلى عمر بك فوجدوا عنده خليل بك ومحمد بك صنجق سته، فأجمعوا أمرهم واتفقوا على الركوب على عثمان بك يوم الخميس على حين غفلة وهو طالع إلى الديوان، فأكمنوا له في الطريق، فلما ركب في صبح يوم الخميس وصحبه إسماعيل بك أبو قلنج خرج عليه خليل بك ومن معه، وهجم على عثمان بك شخص وضربه بالسيف في وجهه فزاغ عنه ولم يصب إلا طرف أنفه، ولفت وجهه، ودخل من العطفة النافذة إلى بيت مناو، ورأس الخيمية، وخاف من رجوعه على بيت إبراهيم جاويش، ومرَّ على قصبة رضوان على حمام الوالي، وهرب أبو قلنج إلى بيت نقيب الأشراف، وبلغ الخبر عبد الله كتخدا فركب في الحال؛ ليتدارك القضية ويمنعه من الركوب، فوجده قد ركب، ولاقاه عند حمام الوالي، فرجع صحبته إلى البيت، وإذا بإبراهيم جاويش الطويل وحسن جاويش النجدلي تجمعوا ومعهم عدة وافرة، وأحاطوا بالجهات، وهجموا علي بيوت أتباعه وإشراقاته، وأوقعوا فيها النهب، وأحرقوها بالنار، وركبوا المدافع في روس السويقة وضربوا بالرصاص من كل جهة، وأخذوا ينقبون عليه البيت، فلما رأى ذلك الحال أمر بشد الهجن، وركب وخرج من البيت وتركه بما فيه، ولم يأخذ منه إلا بعض نقود مع أعيان المماليك، وطلع من وسط المدينة ومر على الغورية، ودخل من مرجوش، وخرج من باب الحديد، وذهب إلى بولاق، ونزل في جامع الشيخ أبي العلا، ولم يذهب أحد خلفه بل غَمَّ أمره على غالب الناس، وعند خروجه دخل العسكر إلى بيته ونهبوه، وسَبَوْا الحريم والجواري، وأخرجوا منه ما يجل عن الوصف، واغتنى كثير من السراجين وغيرهم من ذلك اليوم، وصاروا تجارًا وأكابر، ولم يزالوا في النهب حتى قلعوا الرخام والأخشاب، وأوقدوا النار، وحضر أغات الينكجرية أواخر النهار، وأخرج العالم، وقفل الباب، وأعطى المفتاح للوالي ليدفن القتلى، ويطفيء النار، وأقامت النار وهم يطفئونها يومين وكان أمرًا شنيعًا.

وأما عثمان بك فإنه لما نزل بمسجد أبي العلا وصحبته عبد الله كتخدا أقاما إلى بعد الغروب، وذهبوا إلى جهة قبلي من ناحية الشرق، فلم يزالا إلى أن وصلا إلى أسيوط عند علي بك حاكم جرجا، واجتمعت عليه طوائف القاسمية الهاربين الكائنين بشرق أولاد يحيى وغيرهم.

وأما ما كان من إبراهيم جاويش القازدغلي فإنه جعل مملوكه عثمان أغات متفرقة، وكذلك رضوان كتخدا جعل مملوكه إسماعيل أغات عزب، وشرعوا في تشهيل تجريدة،

وجعلوا خليل بك قطامش أمير العسكر، ووعدوه بولاية جرجا إذا قبض على عثمان بك، فجهزوا أنفسهم، وجمعوا الإسباهية، وسافروا إلى أن قربوا من ناحية أسيوط، فأرسلوا جواسيس لينظروا مقدار المجتمعين فرجعوا وأخبروا أنهم نحو خمسماية جندي، وعلي بك وسليمان بك وبشير كاشف وطوايفهم، فأشاروا على عثمان بالهجوم على خليل بك ومَن معه فلم يرضَ، وقال: «المتعدي مغلوب» ثم إنهم أرسلوا إلى إبراهيم جاويش يطلبون منه تقوية فإنهم في عزوة كبيرة.

فشرع في تجهيز نفسه، وأخذ صحبته علي جاويش الطويل وعلي جاويش الخربطلي وكامل أتباعهم وأنفارهم، وسافروا إلى أن وصلوا عند خليل بك، ووصل الخبر إلى عثمان بك ففكر في نفسه ساعةً، ثم قال لعبد الله كتخدا القازدغلي: «أنتم تفارقوا بعضكم» وأشار عليه بأن يطلع إلى عند السردار، وأنا أذهب بجماعتى حيث شاء الله وجزاك الله خيرًا، وهكذا تكون المحبون، فقال له: «اذهب صحبتك» فحلف عليه وطلع عند السردار، وعدى عثمان بك ومن معه وأنعم القاسمية الواصلين إليه، ورجعوا إلى أماكنهم، وسار هو من جهة الشرق إلى السويس، ثم ذهب إلى الطور فأقام عند عرب الطور مدة أيام، ووصل إبراهيم جاويش ومن معه إلى أسيوط فوجدوه قد ارتحل، وحضر إليهم السردار فأخبرهم بارتحال عثمان بك وتخلف عبد الله كتخدا عنده، فأرسل إليه علي جاويش الطويل فأحضره إلى إبراهيم جاويش وعاتبه، وارتحل في ثاني يوم خوفًا من دخول عثمان بك إلى مصر، ولما وصل إبراهيم جاويش إلى مصر اتفقوا على نفي عبد الله كتخدا إلى دمياط فسافر إليها بكامل أتباعه، ثم هرب إلى الشام، وتوفي هناك، ورجعت أتباعه إلى مصر بعد وفاته.

ولما وصل عثمان بك إلى السويس أرسل الخبر بوروده البندر وصحبته سليمان بك وبشير كاشف بطوايفهم، وأنهم أخذوا من البندر سمنًا وعسلًا وجبنًا ودقيقًا وذهبوا إلى الطور، فعملوا جمعية في بيت إبراهيم بك قطامش، واتفقوا على إرسال صنجقين، وهما: مصطفى بك جاهين، ومحمد بك قطامش، وصحبتهما أغات بلوك وإسباهية وكتخدا إبراهيم بك وكتخدا عمر بك، وطلعوا إلى الباشا فخلع عليهم قفطانين، وجهزوا أنفسهم، وأخذوا مدفعين وجبخانة، وساروا، ووصل الخبر إلى عثمان بك فخاف على العرب، وركب بمن معه، وأتى قرب أجرود، فتلاقى معهم هناك، ووقعت بينهم معركة أبلى فيها علي بك وسليمان بك وبشير كاشف، وقتل كتخدا إبراهيم بك، وكان عثمان بك نازلًا بعيدًا عن المعركة فأرسل إليهم، وأمرهم بالرجوع، وارتحل إلى الطور.

وأما التجريدة فإنهم قطعوا رءوسًا من العرب ودخلوا بها مصر، وكان عثمان بك أرسل مكاتبة سرًّا إلى محمد أفندي كاتبه التركي يطلبه أن يأتيه إلى الطور، وأنا أريحكم من عثمان بك، وأذهب به إلى الروم فلا يرجع.

فأحضر إبراهيم جاويش رجلًا بدويًّا طوريًّا، وسلمه له فأركبه هجينًا، وسار به إلى الطور فلما وصل إليه واجتمع به زين له الذهاب إلى إسلامبول، وحسَّن له ذلك، وأنه يحصل له بذلك وجاهة ورفعة، ويحصل من بعد الأمور أمور، فوافق على ذلك وعزم عليه، وقال لمن معه: «كيف الرأي؟ تذهبون معي؟» قالوا: «نحن نذهب إلى مصر لعل الله يحدث بعد ذلك أمرًا، نكون حاضرين» وركب عثمان بك ومحمد أفندي ومعهم جماعة عرب أوصلوهم إلى الشام، ومنها ذهب إلى إسلامبول، ودخل علي بك وسليمان بك وبشير أغا إلى مصر، وبعد مدة ظهر بشير أغا فأرسله إبراهيم جاويش قائمقام على أمانة في الصعيد، ولما وصل المترجم إلى إسلامبول، وقابل رجال الدولة أكرموه، وأنزلوه بمنزل متسع بأتباعه وخدمه، وعينوا له كفايته من كل شيء، واجتمع بالسلطان، وسأله عن أحوال مصر فأخبره فقال له من جملة الكلام: «وما صنعت مع إخوانك حتى تعصبوا عليك وأخرجوك؟» قال: «لكوني أقول الحق، وأقيم الشرع فعلوا معي ما فعلوه، ونهبوا من بيتي ما يزيد على ألفي كيس، ومن وسايا البلاد، والخيار الشنبر ألف كيس، وحلوان بلادي ألف كيس» فأمر بكتابة مرسوم، وطلب أربعة آلاف كيس، وعينوا بذلك قابجي باشا وبكرمي سكز جلبي الذي كان إلجي في بلاد الموسكو وبلاد فرنسيس، وحضروا إلى مصر في أيام محمد باشا الذي تولى بعد يحيى باشا المعروف باليدكشي، وذلك أواخر سنة سبع وخمسين.

فلما قرئ ذلك المرسوم قالوا في الجواب: «أما البيت فقد نهبته العسكر والرعايا، والأوسية والخيار الشنبر نهبته أتباعه وخدمه والعرب والفلاحون، وأما حلوان البلاد فعندما يتحرر الحساب فيخصم منه الذي في عهدته من المال السلطاني، وما بقي ندفعه مثل العادة عن ثلاث سنوات.

فقال الكرمي سكز جلبي: «حرروا ثمن البلاد والخيار الشنبر، واخصموا منه ما عليه، وما بقي اكتبوا به عرض محضر، ويذهب به قابجي باشا، ويرجع لكم الجواب» ففعلوا ذلك، وذهب به قابجي باشا وصحبته إسماعيل بك أبو قلنج بخزينة سنة ست وخمسين، ولما عرض قابجي باشا العرض بحضرة عثمان بك قال: «ليس في جهتي هذا القدر، ولكن أرسلوا بطلب الروزنامجي وأحمد السكري كتخداي وكاتبي يوسف وحيش».

فكتبوا فرمانًا بحضور المذكورين، وأرسلوا صحبة جوخدار معين خطابًا إلى محمد باشا وبكرمي سكز جلبي، وذكروا فيه أن بكرمي سكز جلبي يحضر بثلث الحلوان بولصة، فلما وصل الجوخدار جمع الباشا الصناجق والأغوات والبلكات، وقرأ عليهم ذلك المرسوم، فقالوا في الجواب: «إن مصر من يوم هروب المترجم، وخروجه من مصر لم نرَ كتخداه ولا يوسف وحيش الكاتب، وأما الروزنامجي فهو حاضر، ولكنه لا يمكنه النقص ولا الزيادة؛ لأن حساب الميري محرر في المقاطعات، والحال أن ابن السكري كان ممن نافق على أستاذه حتى وقع له ما وقع، وأخذه إبراهيم جاويش عنده وجعله كتخدا، وبعد مدة جعله متفرقة باشا، ثم قلده الصنجقية وهو أحمد بك السكري أستاذ يحيى كاشف أستاذ علي كتخدا الموجود الآن الذي كان ساكنًا بالسبع قاعات وبها اشتهر، ثم إنهم أكرموا سكز جلبي، وقدموا له التقادم، وعملوا له عزائم وولائم، وهادوه بهدايا، ثم أعطوه بولصة بثلث الحلوان، وسافر من مصر مثنيًا ومادحًا في القطامشة والدمايطة والقازدغلية، ثم إنهم أرسلوا عثمان بك إلى برصا فأقام بها مدة سنين، ثم رجع إلى إسلامبول، واستمر بها إلى أن مات في حدود سنة التسعين ومائة وألف، وأما يوسف وحيش فالتجأ إلى عبد الرحمن كتخدا القازدغلي، ولما سافر عثمان بك من أجرود إلى الشام، وارتاحوا من قبله قلد إبراهيم جاويش عثمان أغا تابعه أغات المتفرقة وجعله صنجقًا، وهو عثمان بك الذي عُرف بالجرجاوي وهو أول أمرائه، وكذلك رضوان كتخدا الجلفي قلد تابعه إسماعيل أغات العزب والصنجقية، وعزلوا يحيى باشا، وحضر بعده محمد باشا اليدكشي، وتقلد إمارة الحج سنة ست وخمسين ومائة وألف.

وترك المترجم بمصر ولدين عاشا وشابت لحاهما، وبنتًا تزوج بها بعض الأمراء، واتفق أنه سافر إلى إسلامبول في بعض المهمات، ولم يقدر على مواجهة صهره، ولم يقدر أحد على ذكره له مطلقًا لشدة غيرته وحدة طبيعته، وفي أواخر أمره أقعد، ولم يقدر على النهوض فكانوا يحملونه لركوب الحصان فإذا استوى راكبًا صار أقوى من الشباب الصحيح، ورمح وصفح وسابق، ولم يزل بإسلامبول حتى مات كما ذكر وكما سيأتي في تاريخ سنة وفاته.

ومات مصطفى بك الدفتردار من إشراقات عثمان بك، وذلك أنه سافر أميرًا على العسكر الموجه إلى بلاد العجم، ومات هناك سنة خمس وخمسين وماية وألف.

ومات أيضًا إسماعيل بك أبو قلنج، وكان سافر أيضًا بالخزينة عن سنة ست وخمسين وماية وألف، ومات بإسلامبول ودُفن هناك.

ومات الأمير عمر بك ابن علي بك قطامش، تقلد الإمارة والصنجقية سنة تسع وأربعين وماية وألف في رجب بعد واقعة بيت محمد بك الدفتردار، ولما قتل والده علي بك مع أستاذه محمد بك اجتمع الأمراء والاختيارية بباب الينكجرية، وأحضروا المترجم، وطلعوا به إلى الباشا، وقلدوه الإمارة ليأخذ بثأر أبيه، وجرى ما جرى على أخصامهم، وظهر شأن المترجم، ونما أمره، واشتهر صيته، وتقلد إمارة الحج سنة أربع وخمسين ومائة وألف، ورجع سنة خمس وخمسين وماية وألف، ولم يزل حتى حصلت كائنة قتل خليل بك ومن معه بالديوان سنة ستين وماية وألف فخرج المترجم هاربًا من مصر إلى الصعيد، ثم ذهب إلى الحجاز ومات هناك.

ومات علي بك الدمياطي ومحمد بك، قُتلا في اليوم الذي قُتل فيه خليل بك قطامش وعمر بك بلاط بالديوان في القلعة في ولاية محمد باشا راغب كما تقدم، ومحمد بك المذكور من القطامشة، وكان أغات مستحفظان فحصل دور السفر بالخزينة إلى عمر بك ابن علي بك المذكور فقلده الصنجقية، وسافر بالخزينة عوضًا عنه سنة سبع وخمسين ومائة وألف.

ومات أبو مناخير فضة، وذلك أنه كان ببيت أستاذه رضوان كتخدا في ليالي مولد النبي ﷺ وكان جعله باش نفر عنده، فأقام يتفرج إلى نصف الليل، وأراد الذهاب إلى بيته فركب حماره، وسار خلفه عبده من طريق تربة الأزبكية على قنطرة الأمير حسين، وإذا بجماعة من أتباع الدمايطة ضربوه بالسلاح، وهرب العبد والخدام، وظنوا أنه مات فتركوه، ثم رجعوا إليه بعد ساعة فوجدوا فيه الروح فحملوه على الحمار، وساروا فلاقاهم أوده باشه البوابة، وهو من الدمايطة، فقال لهم: نزلوه فوجد فيه الروح، فكمل قتله، فذهب العبد، وعرف جماعة رضوان كتخدا فحضر منهم طايفة، وشالوه ودفنوه في صبحها، وأرسل رضوان كتخدا عرف إبراهيم جاويش بذلك، فعزل الأوده باشه وولي خلافه، وذلك في أواخر سنة ستين وماية وألف قبل واقعة الدمايطة.

ومات علي كاشف قرقاش، وهو من أتباع عثمان بك ذي الفقار المخفيين، وذلك أن أوده باشا البوابة الذي تولى بعد عزل الأوده باشه الذي كمل قتل أبي مناخير فضة سرح بعد المغرب، وجلس عند قنطرة سنقر، وإذا بإنسئز بالطريق، وهو مغطى الرأس؛ فقبضوا عليه، ونظروا في وجهه، فوجدوه علي قرقاش، فعرفوا عنه إبراهيم جاويش فأمر الوالي بقتله فقتله، والله أعلم بالحقائق.